
2
التواصل
AT-TAWASUL
فصلية ثقافية شاملة
العدد الثاني - جمادى الآخر 1372 من وفاة الرسول ﷺ الموافق شهر الصيف (يونيو) 2004 مسيحي
المجامع الفقهية..
لماذا؟ وإلى أين؟
الغرب يقرأ الإسلام من جديد
البعد الديني لمفهوم الإرهاب في السياسة الصهيونية
الشيخ عبد الواحد يحيى والنهضة الروحية في الغرب
العربية والعولمة.. استنهاض أم استنزاف؟
حرية الاختيار والتوجه الديني
تومبكتو:
المدينة التي لم يسجد أحد فيها إلا لله تعالى



المنطلقات والأهداف

❖ تنمية المدارك وترسيخ الوعي الإسلامي على مختلف المستويات وفي مختلف الساحات.

❖ السمو بالعمل الثقافي عن محدودية التناول وسطحية المعالجة.

❖ تحفيز العقل العربي والإسلامي للإبداع من خلال تناول قضايا الواقع الثقافي والفكري بالطرح الجريء والتحليل العميق.

❖ عرض المادة العلمية بأسلوب يتوخى الصحة والدقة في تحديد المفاهيم ومخاطبة العقل وتقديم الحقيقة واضحة دون لبس أو غموض.

❖ التواصل مع المنتج الثقافي للحضارات والتعامل مع المستجدات الفكرية والثقافية.

❖ تتبع الظواهر الثقافية الدينية الإيجابية منها والسلبية بالعرض الواضح والنقد العلمي بهدف الوصول إلى الحقيقة المجردة.

❖ التأكيد على دور الدين في المجتمع والحياة، وكشف أساليب استغلاله لتحقيق أهداف ذاتية أو سياسية.

❖ الالتزام بأسس العقيدة وثوابت الدين في المعالجات الثقافية والفكرية.

❖ تجديد الوعي الإسلامي وتنمية الروح الديني النزيه.

❖ الابتعاد عن المجاملة والإطراء ومخاطبة النفس والحماس المفرط للذات.

❖ الالتفات إلى عيوب النفس ونقد الذات دون تشهير أو إحباط.

❖ عرض وتناول القضايا الفكرية والثقافية والاجتماعية التي تخترق الواقع المعيش وتهزه.

❖ الانتصار للحق والالتزام به.

الاسعار

البلد	السعر	البلد	السعر	البلد	السعر	البلد	السعر
بنين	500 فرنك سيفا	مصر	2 جنيه	سوريا	50 ل.س.	اسبانيا	1 يورو
بوركينا فاسو	500 فرنك سيفا	المغرب	10 دراهم	العراق	1500 دينار	ايطاليا	1 يورو
تشاد	500 فرنك سيفا	موريتانيا	120 أوقية	عمان	1 ريال	بريطانيا	2 جنيه استرليني
تونس	دينار ونصف	النيجر	500 فرنك سيفا	فلسطين	1 دينار أردني	تركيا	1500 ليرة
الجزائر	100 دينار	الاردن	1 دينار	قطر	10 ريال	فرنسا	1 يورو
السنغال	500 فرنك سيفا	الامارات	10 درهم	الكويت	1 دينار	المانيا	1،5 يورو
السودان	500 جنيه	باكستان	30 روبية	لبنان	2000 ل.ل.	هولندا	1،5 يورو
ليبيا	1 دينار	البحرين	1 دينار	الهند	30 روبية	أمريكا	5 دولار أمريكي
مالي	500 فرنك سيفا	السعودية	10 ريال	اليمن	80 ريال	كندا	3 دولار كندي

بسم الله الرحمن الرحيم



❖ بين رواندا في وسط أفريقيا وسورينام في الشمال الغربي لأمريكا اللاتينية وروما العاصمة الإيطالية على الشاطئ الشمالي للبحر الأبيض المتوسط مسافات ومسافات.

مسافات بآلاف الكيلومترات تفصل بين رواند وسورينام وإيطاليا..

مسافات حضارية: حضارة إفريقية نلحظها في رواندا التي اختلط فيها وفي غيرها من القبائل الأفريقية الدم العربي والأفريقي، وحضارة الهنود الحمر التي نلمس بعض ملامحها في سورينام التي امتزج فيها وعبر الزمن الدم الهندي والأفريقي والأوروبي، وحضارة أوروبية نشاهدها في روما ـ إيطاليا ـ اندمجت فيها شعوب البحر الأبيض المتوسط وثقافاته...

مسافات تاريخية تفصل بين رواندا وسورينام وإيطاليا.

ومع كل ذلك تجتمع بكل تنوعها واختلافها وتباعدها دولاً وقارات على صفحات (التواصل) في عددها الثاني الذي نضعه بين أيديكم.

❖ يانوش دانسكي المستشرق البولندي، فرانشيسكو كوسيغا الرئيس الإيطالي الأسبق، دانيال مور الشاعر الأمريكي المسلم، نبيل لوقا المفكر المسيحي المصري، جوناثان ساكس كبير أحبار الطوائف اليهودية لدول الكومنولث.. أسماء وعقائد ورؤى وأفكار وتوجهات واتجاهات وتصورات تلتقي، تتناقض، تتقاطع، تتصادم، تتحاور، لكنها مع كل ذلك ورغم اختلافها وربما عدم تصور التقائها، البعض برأيه والبعض برأيه في الآخر، والبعض بتصويب أو رفض أو التسليم بما ذهب اليه الآخر؛ رغم كل ذلك ها هي (التواصل) في عددها الثاني تضع بين أيديكم هذه اللوحة بألوانها وظلالها، فاختاروا اللون الذي تفضلونه، وانتقدوا وصوّبوا ما لا تقبلون.

❖ كتّاب وباحثون وصحافيون من النيجر والعراق والمغرب وسوريا ومالي وليبيا ولبنان ومصر وغامبيا وغيرها من دنيا الله الواسعة يشدون الرحال إليكم قرّاء (التواصل) ليضعوا بين أيديكم آراءهم ورؤاهم ووجهات نظرهم على أمل أن تتواصلوا معهم عبر الإثراء أو النقد.

❖ وفيما نحلق بكم ومعكم في الفضاء الرحب الفسيح لنلتقط قطرات من محيط تاريخ وإيحاء (القبة) في المساجد عبر التاريخ وعلى طول مساحة جغرافية نلقي عصا الترحال من (تومبوكتو) برمالها ومبانيها وألوانها التي تصر على أن ترتدي ثوباً مطرّزاً بحبّات الرمل النقية حتى إن الظلال ذاتها لا تختار غير لون الرمال...

❖ مجمع الفقه التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي والمجمع الفقهي الهندي والمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث ومجمع فقهاء الشريعة بأمريكا تشكل الجزء الأول من ملف حول المجامع الفقهية، وحدة الموضوع وتنوّع الآراء، وتوزيع جغرافي رأينا أنه من المهم وضعه بين أيدي قرّاء (التواصل) وجملة من آراء علماء وفقهاء تتناول بعضاً من مهام المجامع الفقهية في محاولة لتلمّس الدور والوسائل والنتائج، ولعلّه من المهم أن هؤلاء العلماء والفقهاء يمثلون عينة تتمتع بعضوية بعض المجامع الفقهية، ولذا فإن آراءهم ووجهات نظرهم التي تنشرها (التواصل) من شأنها أن توسّع مساحة التناول..

❖ هذه بعض ملامح العدد الثاني من (التواصل)، وتبقى آراؤكم ومقترحاتكم ومساهماتكم التي تشكل وبلا ريب أهم عوامل الاستمرار..

التواصل

في هذا العدد





الافتتاحية

تقارير

مقالات

الملف

المجامع الفقهية.. لماذا؟ وإلى أين؟



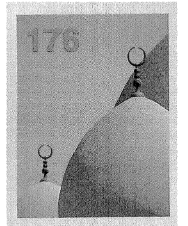
الغلاف

مسجد مدينة تومبكتو



تقارير

قرية الهنود التي قهرت الوثنية والظلام بنور الإسلام



استطلاعات

القبة .. حوار السماء والأرض

دراسات

محاضرات

استطلاعات

الواحة

كتب

منتدى التواصل

التواصل
AT-TAWASUL
مجلة ثقافية شاملة

تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

العدد الثاني ـ جمادى الآخر 1372
من وفاة الرسول ﷺ الموافق
شهر الصيف (يونيو) 2004 مسيحي

المراسلات باسم
أمين هيئة التحرير
طريق السواني ـ كلم 5
هاتف: 4800730 / 4808461ـ5
بريد مصور: 4800736
ص.ب: 86086
طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

البريد الالكتروني
www.at-tawasul.org

شـــروط الـنـشـر فـي مجـلـة

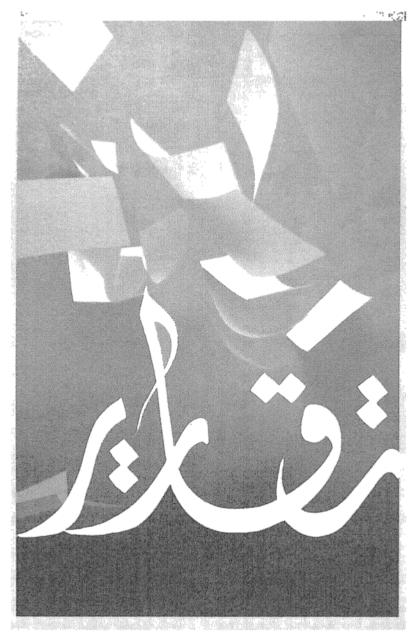


ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين ينشدون التواصل المعرفي من خلال لغة الحوار والنقاش المستنير بعيداً عن التعصّب الذميم بجميع أشكاله، وسعياً لدرء أسباب الخلاف والفرقة، مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية. وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

- ❖ أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعيّة، وأن يتّبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض، وتوثيق للمصادر والمراجع.
- ❖ أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها.
- ❖ أن يكون البحث أو المقال خِلواً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ❖ ألاَّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءًا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ❖ ألاَّ يكون البحث قد سبق نشره في مكانٍ آخرَ.
- ❖ أن يكونَ البحثُ أو المقال مطبوعاً، أو مكتوباً بخطٍّ واضح.
- ❖ ألاَّ يقلّ عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة.
- ❖ ألاَّ يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة، ولا يزيد على 6000 كلمة.
- ❖ أن يُرفقَ الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية.
- ❖ في حالة الترجمة لا بدَّ من أن يرفق النصّ المترجم بلغته الأصلية.

ملاحظات:

- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة.
- ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- لا تردّ البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر.
- تعرضُ الأعمال المقدّمة للنشر على لجنة تقويم النصوص فيها لإجازتها.
- تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافأة مالية مناسبة.



❖ ملتقى إسلامي في رواندا ضم أئمة ودعاة من أكثر من 20 دولة إفريقية.

❖ وجه سورينام المشرق.. يستضيء بحقائق العمل الإسلامي النبيل.

❖ الدورة الخامسة عشرة للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية



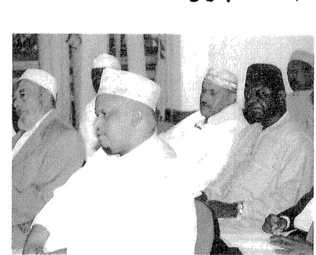
ملتقى جمع أكثر من 20 دولة إفريقية

الإهتمام بالتعليم وتفعيل الحوارات بين الثقافات

أحمد البكوش*

عقد المؤتمر العام لاتحاد المجالس الإسلامية لشرق ووسط وجنوب افريقيا وجمعيته العمومية دورته التاسعة خلال يومي الثالث عشر والرابع عشر من شهر الماء (مايو) 1372 من وفاة الرسولﷺ/ 2004 مسيحي بالعاصمة الرواندية كيجالي وحضر الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الرئيس باول كاغامي رئيس جمهورية رواندا ووفد هام من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ضم عضوا بلجنة الجمعية وعميد كلية الدعوة الإسلامية وأمين مكتب الدعوة والمراكز الإسلامية كما حضر الجلسة الافتتاحية رئيسا مجلسي الشيوخ والنواب ورئيس مجلس الوزراء وعدد من الوزراء وأمينة لجنة المصالح الوطنية ورئيسا الاساقفة الكاثوليك والبروتستانت وعدد من الشخصيات الإسلامية وأعضاء البعثات السياسية المعتمدة في رواندا وممثلو المنظمات الإنسانية .

والقى رئيس الجمهورية كلمة حيا في



مستهلها الحضور المشاركين وخص بالشكر والتحية وفد الجمعية، معبراً عن تقديره للدعم الذي تقدمه لمسلمي رواندا وقال: كنا في مرحلة حرب التحرير يصفنا المستعمرون بأننا ارهابيون ولكن المستعمرين هم الذين مارسوا الارهاب والتمييز العنصري والتصفية العرقية ولكننا في نهاية الأمر انتصرنا، ووجه حديثه لاعضاء المؤتمر طالباً منهم التحلي بالصلاح والتسامح، وقال إن الذين يصفونكم بالارهابيين مخطئون وأنكم على حق والحق ينتصر دائماً متمنياً في ختام كلمته للمؤتمر التوفيق والنجاح .

* صحفي/ ليبيا



جانب من المشاركين في دورة الائمة والخطباء برواندا

وألقى الأخ عضو لجنة الجمعية كلمة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية حيا في مستهلها الرئيس وأعضاء المؤتمر وقدم في كلمته شرحاً مفصلاً عن الجمعية واهدافها وانشطتها الإنسانية والثقافية في العالم، مؤكدا على أهمية الحوار في التفاهم بين الديانات والثقافات وأوضح أن الجمعية اتخذت لغة الحوار كمنهج للتفاهم لقناعتها بأن الحوار هو الاسلوب الأمثل في التعامل مع الآخر مما ساعدها في إقامة علاقة تعاون متميزة مع الفاتيكان وعدد من المنظمات المسيحية والمجلس العالمي للكنائس في إطار الاحترام المتبادل واشار في كلمته إلى علاقات التعاون القائمة بين الجمعية وجمعية مسلمي رواندا .

وتحدث في الجلسة الافتتاحية رئيس اتحاد المجالس الإسلامية السابق والأخ الأمين العام للاتحاد والشيخ هارون سنغوبا وعبرا عن تقديرهما للجهود التي يبذلها الاخ معمر القذافي من أجل تحقيق التنمية في افريقيا واحلال السلام في ربوعها .

والقى الدكتور انس كاليسامن جامعة امبالي محاضرة حول التحديات المعاصرة ومستقبل الاتحاد تناول فيها الكثير من القضايا التي تهم العالم الإسلامي مشيداً بجهود الأخ معمر القذافي في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين في كل مكان وثمن عاليا جهوده في قيام الاتحاد الافريقي وسعيه الدؤوب من أجل احلال السلام والتنمية في افريقيا وابعاد شبح الخوف والجوع عنها، مشيداً بدور جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في بناء المساجد والمدارس في انحاء افريقيا ومنها المسجد الوطني في اوغندا .

اجتماعات الجمعية العمومية للاتحاد

وكانت الجمعية العمومية لاتحاد المجالس الإسلامية لشرق ووسط وجنوب افريقيا قد بدأت اجتماعاتها صباح الثالث عشر من شهر الماء (مايو) حيث القى عضو لجنة الجمعية كلمة باسم الجمعية حيا فيها الاخوة أعضاء الاتحاد معبراً عن شكر الجمعية على الجهود التي يبذلها الاتحاد من أجل خدمة الإسلام والمسلمين، مؤكداً على أهمية عقد هذه الدورة زماناً ومكاناً، حيث إنها تأتي في ظروف دولية معقدة، وتأتي في بلد ساهم فيه المسلمون بشكل مباشر في صناعة السلام وتحقيق الأمان في بلدهم الذي عانى الكثير، مما أعطى انطباعاً كبيراً وعملياً

على أن الإسلام دين السلام، وختم كلمته بالتمني لهذه الدورة بالنجاح والتوفيق .

ثم تحدث الأخ أمين مكتب الدعوة والمراكز الإسلامية، حيث عبر عن أهمية هذا الاتحاد ودوره في تقريب المسلمين ووحدتهم وتمنى للمؤتمرين أن يواصلوا برامجهم الدعوية والاجتماعية والإنسانية بكل جد مدركين لواقع هذ الامة وضرورة أن يتوحد هذا الواقع ليدرأ الأخطار المحدقة بهذه الأمة، مؤكدا على أهمية توحيد لغة الخطاب بين المسلمين وخاصة أعضاء الاتحاد، بأن يكون خطاب المسلمين في الاتحاد خطابا واحدا في جميع المواقف، إذ لا يجوز أن نكون أعضاء في اتحاد المجالس الإسلامية ويكون لكل مجلس خطاب مستقل مختلف عن خطاب الاتحاد. وهذا مما يساعد على نشر الإسلام واحترام الآخر لنا. وخاصة أن هناك دعوة للحوار مما يساعد على نشر الإسلام بالصورة الصحيحة في بلدانهم المهيأة أصلا لتقبل الإسلام لأن فيه حلا لجميع المشاكل التي تواجههم .

كما أعرب الأخ هارون سنغويا الأمين العام لاتحاد المجالس الإسلامية لشرق ووسط وجنوب افريقيا في كلمته باسم أعضاء الاتحاد عن شكره وتقديره للأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية مؤسس اتحاد المجالس الإسلامية، وشكره وتقديره لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية على دعمها للاتحاد والوقوف معه حتى يحقق أهدافه المرجوة .

هذا وقد حضر أعضاء الاتحاد المشاركون في فعاليات المؤتمر من الدول التالية :

مالاوي، كينيا، تنزانيا، بوروندي، رواندا، أوغندا، بتسوانا، موزمبيق، جنوب افريقيا، الكونغو الديمقراطية، الكونغو برازفيل، افريقيا الوسطى، انغولا، اثيوبيا، زامبيا، مرشيوس، زيمبابوي، سوازيلاند، مدغشقر، لسوتو، إلى جانب أعضاء اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب المسلم الافريقي وممثلي الاذاعات الإسلامية في أوغندا، وكينيا، وموزمبيق، وجنوب افريقيا التي تدعمها الجمعية أو ساهمت في انشائها .

وعند الساعة العاشرة صباحا يوم الثالث عشر قام اعضاء الاتحاد ووفد الجمعية بزيارة إلى مقر جمعية مسلمي رواندا بمنطقة كاكبيروا بالعاصمة الرواندية كيجالي وذلك لحضور جانب من دورة الأئمة والخطباء التي تعقد على هامش انعقاد المؤتمر التاسع لاتحاد المجالس الإسلامية تحت شعار «مسؤولية الإمام في إصلاح المجتمع المسلم» (دورة للأئمة والخطباء).

وقد شارك في هذه الدورة 200 إمام وخطيب يمثلون جميع المحافظات الرواندية وهي :كيجالي، نيكراما، بوشاري، كيكنغور، تشاكوكو، غيسيني، هنغاري، كيبويا، كيبونغو، بيومياميثارا.

وأعرب الأخ حبيب صالح مفتي رواندا عن شكره وتقديره باسم مسلمي رواندا للاخوة أعضاء الاتحاد ووفد الجمعية على حضورهم للتعرف على اخوانهم المسلمين في رواندا والاطلاع على أحوالهم وظروفهم، مؤكدا على أهمية الدور الذي يلعبه الإمام في توعية المجتمع المسلم، وخاصة أن رواندا شهدت جريمة بشعة قتل فيها الآلاف وأن المسلمين اليوم بقيادة الشباب الذين تقع على عاتقهم مسؤولية نشر الإسلام وبيان حقيقته، فالإسلام ليس دين الحرب، الإسلام ليس دين القتل، الإسلام دين السلام، الإسلام دين المحبة والمساواة، ونحن المسلمين في رواندا عرفنا كيف نعيش مع الآخرين لأننا نؤمن بأن فرقة الأديان ليست حلا لنا فلغة الحوار هي الحل للجميع.

والقى الأخ عميد كلية الدعوة الإسلامية كلمة حيا فيها الاخوة الأئمة المشاركين في الدورة، مؤكدا لهم بأن المسلمين في رواندا قاموا بعمل عظيم ونحن كمسلمين نفتخر بأنهم كانوا صانعي السلام في هذا البلد الذي شاهد أحداثاً مؤلمة نأسف لها جميعا، صنعوا السلام من خلال موعظة الناس، تجسيدا لدور الإمام في إصلاح المجتمع ونشر الثقافة والقيم الإسلامية التي تضمن لنا الأمن والسلام، مؤكدا على



ملتقى المرأة المسلمة برواندا

أهمية عقد الدورة في هذه المرحلة لمناقشة الكثير من المستجدات وللتعرف على السبل المثلى لنشر الإسلام بالصورة الصحيحة البعيدة عن الغلو والتشدد، حيث لعب الإمام الخطيب في هذا المجتمع دورا مميزا وفعالا لحقن الدماء وإحلال السلام، فهو الذي يشكل الرأي العام ويقنع الناس ويحقق الوئام والوفاق، ويدعو الآخر للالتقاء والحوار من أجل نشر ثقافة الحوار التي تحقق السعادة للجميع.

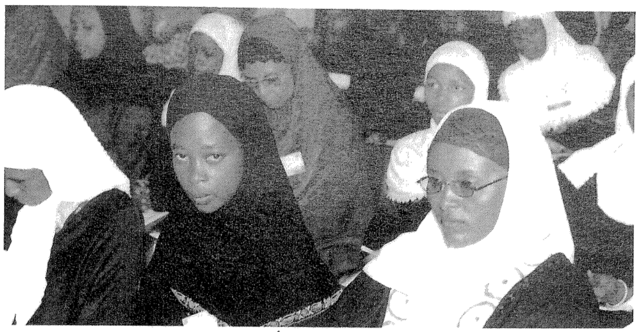
وفي الختام أعرب باسم الأخ الأمين وباسم أعضاء الاتحاد عن شكره وتقديره للاخوة أعضاء جمعية مسلمي رواندا برئاسة الشيخ حبيب صالح مفتي رواندا على تنظيم مثل هذه الدورات وعلى الجهود التي تبذل في رواندا من أجل وحدة المسلمين بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

ملتقى المرأة الرواندية المسلمة

ثم انتقل بعد ذلك وفد الجمعية وأعضاء الاتحاد إلى مركز التدريب كاسوسونزو لحضور جانب من فعاليات ملتقى المرأة المسلمة الرواندية، والذي يعقد على هامش انعقاد المؤتمر التاسع لاتحاد المجالس الإسلامية تحت شعار :

«الحلول السلمية لحل قضايا المرأة المسلمة الافريقية»

هذا وقد اعرب الأخ أمين الدعوة والمراكز الإسلامية عن شكره وامتنانه للاخوة المشرفين على تنظيم هذه الدورة النسائية وغيرها من المناشط التي تهم العمل الإسلامي برواندا، آملا أن تنال المرأة في العالم حقوقها التي تليق بها وفق طبيعة المرأة ورسالتها التي أرادها الله عز وجل، فالإسلام لم يهمل المرأة، وأعطى لها من الحقوق والواجبات كما للرجل موضحا بأن الغربيين الذين يتشدقون بحرية المرأة لم يصلوا إلى المكانة التي أعطاها الإسلام للمرأة، لقد خص الله المرأة بتربية الأبناء فالأسرة هي المربية الأولى، وهي التي تصنع الأجيال وتعدهم لحمل أعباء الحياة وتحمل المسؤولية، فالحقوق متساوية في الإسلام بين الرجال والنساء، ودعا المشاركات في فعاليات هذه الدورة بضرورة المشاركة في جميع المناشط الاجتماعية والثقافية والسياسية في المجتمع والخروج إلى ميادين العمل المختلفة بما يخدم مصلحة المجتمع ويحقق النفع.


جانب من المشاركات في ملتقى المرأة المسلمة برواندا

ثم تحدثت الأخت رئيسة جمعية المرأة المسلمة الرواندية التابعة لجمعية مسلمي رواندا باسم المشاركات في الندوة وباسم النساء المسلمات الروانديات مشيدة في كلمتها بالجهود التي تبذل للرفع من مستوى المرأة المسلمة، حيث قدمت شرحا وافيا للتعريف بالمؤتمر وأهدافه والذي تشارك فيه أكثر من 100 امرأة يمثلن جميع المحافظات في رواندا، وباسم المرأة المسلمة الرواندية شكرت اعضاء الاتحاد ووفد الجمعية على مشاركتهم في فعاليات الملتقى.

أنشطة على هامش الملتقى

ثم انتقل وفد الجمعية وأعضاء الاتحاد إلى مركز كيجالي التذكاري «المتحف» حول مذبحة عام 1994مسيحي، والذي يجسد معاناة الشعب الرواندي إبان المذبحة التي راح ضحيتها مليون شخص من الأطفال والنساء والرجال الابرياء، يجسد وبشكل مؤلم أبشع جريمة أمام مرأى ومسمع من العالم، استمع الوفد إلى شروح وافية عن المذبحة وشاهد الصور والرموز والأدوات وأجزاء من بقايا الضحايا الدالة على بشاعة الجريمة، وفي الختام أعرب الوفد عن آلامه وحزنه على ما شاهد من آثار إبادة عرقية الرابح فيها خاسر.

وفي الفترة المسائية ليوم الخميس الثالث عشر من شهر الماء «مايو» واصل أعضاء الاتحاد اجتماعهم التمهيدي لدراسة ومناقشة العديد من القضايا التي تهم الاتحاد وتقييم المناشط التي قام بها ودراسة خطة العمل لهذا العام وقد شارك وفد الجمعية في مناقشة العديد من القضايا التي تهم العمل الإسلامي وأوضح الجوانب التي تخص الجمعية في إطار تعاونه مع الاتحاد.

اجتماع اتحاد الشباب المسلم الافريقي

وعلى هامش الجلسة المسائية للاتحاد عقد أعضاء اللجنة التنفيذية لاتحاد الشباب المسلم الافريقي اجتماعهم الأول لهذا العام لدراسة وتقييم مناشط الاتحاد للعام الماضي، ودراسة خطة العمل لهذا العام.

وحضر جانبا من الاجتماع أمين مكتب الدعوة والمراكز الإسلامية الذي اثنى على الدور الذي يقوم به اعضاء الاتحاد ودعاهم إلى بذل مزيد من العمل من أجل تحقيق الاتحاد بشكل فعلي وعملي للشباب المسلم



دورة الائمة والخطباء التي عقدت على هامش المؤتمر العام لاتحاد المجالس الاسلامية لشرق ووسط وجنوب افريقيا برواندا

الافريقي بما يخدم قضايا الشباب وقضايا الأمة.

واجتمع أمين مكتب الدعوة والمراكز الإسلامية، وعميد كلية الدعوة الإسلامية بمديري الاذاعات الإسلامية التي أنشأتها الجمعية أو ساهمت في انشائها ودعمها وهي :

1 ـ إذاعة إقرأ كينيا
2 ـ إذاعة الإيمان موزامبيق
3 ـ إذاعة صوت افريقيا اوغندا
4 ـ إذاعة جنوب افريقيا

وتحدث عميد كلية الدعوة الإسلامية عن أهمية الإعلام ودور الإذاعات الإسلامية في نشر الإسلام ومواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية بالتصدي لحملات التشويه التي يتعرض إليها الإسلام والمسلمون من قبل بعض وسائل الاعلام الغربية، مؤكدا على دور الاعلام في تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، وذلك بالتعاون بين الإذاعات الإسلامية وتبادل الخبرات والزيارات مشيرا إلى أن الجمعية ترغب في أن يكون الاجتماع القادم للإذاعات الإسلامية اشمل واعم ويضم اذاعات اخرى غير التي تدعمها الجمعية، وناقش أمين مكتب الدعوة والمراكز الإسلامية مع ممثلي الإذاعات جملة من القضايا والمناشط التي يقومون بها والتعرف على نوعية البرامج التي تبث ودعا إلى إمكانية توحيد البث في بعض الاوقات.

وقد اصدر المؤتمر العام لاتحاد المجالس الإسلامية لشرق ووسط وجنوب افريقيا في ختام اجتماعاته عددا من القرارات والتوصيات، شملت العديد من القضايا التي تناولها المشاركون بالنقاش خلال ايام المؤتمر.

وأكد على أهمية قيم التعايش السلمي والحوار بين الثقافات والحضارات والاديان، ودعا المؤتمر إلى دعم المرأة المسلمة وأن تولي كافة المجالس الإسلامية المنضوية تحت الاتحاد هذا الموضوع اهتماما بالغا، وادان المؤتمر في بيانه المجزرة البشعة التي وقعت في رواندا قبل عقد من الزمان ودان بشدة عمليات الإبادة الجماعية والتشريد التي يرتكبها الصهاينة بحق الشعب الفلسطيني الاعزل مطالبا المجتمع الدولي بضرورة التدخل لانهاء معاناة الشعب الفلسطيني، واستنكر عمليات التعذيب والممارسات غير الإنسانية التي ارتكبتها وترتكبها قوات الاحتلال الامريكي والبريطاني ضد المعتقلين العراقيين بسجن ابو غريب وغيره من السجون في الأراضي العراقية المحتلة.



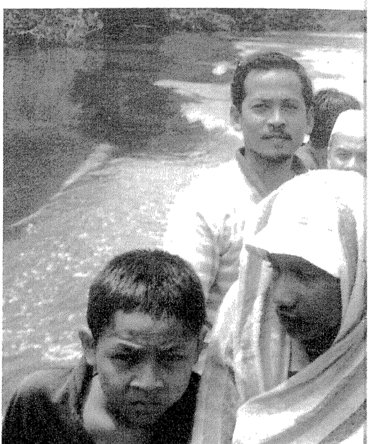
وجه سورينام المشرق.. يستضيء بحقائق العمل الإسلامي النبيل

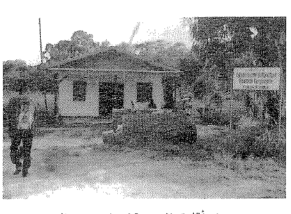
قرية الهنود.. التي قهرت الوثنية والظلام بنور الإسلام

مصطفى أبو بكر لاغة*

في أواخر الخمسينيات ركزت الخيالة الأمريكية على أمة الهنود الحمر، وعززت مبادراتها الهجومية عليهم باعتبارهم أناسا غجراً لا يستطيعون التعايش مع الحضارة الإنسانية المتقدمة.
وأخذت تنتج في السنة الواحدة عشرات الأشرطة وتروج لها وتوزعها على دور الخيالة في العالم بأرخص الأثمان، واختلقت لهذه الأشرطة قصصاً من خيال الكتَّاب لتشويه كيان هذه الأمة بعد أن حاربتهم وطاردتهم لعشرات السنين، وكانت بذلك تستعدي الشعوب في كل مكان لتبرر الفظائع والجرائم التي ارتكبت في حق هؤلاء البشر، فصورتهم عراة حفاة جوعى وقطاع طرق، ينهبون

* كاتب وصحفي/ مندوب الجمعية في سورينام



مبنى أقامته الجمعية لمسلمي سورينام



مسلمات من سورينام

قطيع الحيوانات من المزارع الآمنة، ويقتلون المارة في طرقهم بدون أسباب، وكانت جميعها صورا كاذبة ومنمقة بخيال المخرجين الذين كانت تدفع لهم «هوليود» المبالغ المالية الطائلة حتى يبدعوا أيما إبداع في مواضيع تخدم المصالح الأمريكية في هذا الجانب.

وبالرغم من ذاك التركيز المتواصل والمدعوم ماليا بآلية السياسة الممسوخة، لم تنل تلك الإدعاءات أغراضها ولم تصل إلى أهدافها، بل إنها كشفت المرامي من خلال سخافة المشاهد والطرح المبتذل لواقع لم يكن موجودا، بل هو صنع خيال لا يساوي حفنة من الدولارات، ولعل ذلك ما دفع ببعض المخرجين إلى محاولة الرد على تلك الحملات من خلال الموجة التي ظهرت بها بعدئذ الخيالة الأمريكية في محاولة لمحو ما طرحته حول أمة الهنود الحمر، الأمر الذي جعلني استرجع هذه الصور التي ما زالت راسخة في الأذهان، تلك الفرصة التي منحتها لي ظروف العمل التي جعلتني أعيش عن قرب مع عدد من الهنود الحمر في احدى قراهم بسورينام والتي يعيشون فيها حياة الإنسان المسالم الذي ما زال يتعامل مع الطبيعة بما هي عليه، ولا يحاول تشويهها بمخترعات الإنسان المتحضر، اللهم إلا فيما اقتضته الضرورة ويسرته فرص العطاء من ذوي الخير والإحسان.

ولا يمكن لي مهما حاولت أن أكون دقيقا في النقل والتسجيل وسرد كوامن المشاعر، أن أضع أمام القارئ حقيقة النفوس البريئة، وما يختلج في صدور هؤلاء الناس الذين يعمر قلوبهم الايمان، ونفوسهم ملأى بالاطمئنان.

قد لا يتصور أحدنا قدرة الاستيعاب والفهم لديهم،



استعداد لبدء رحلة القافلة في أحد الأنهار بسورينام

والتقاطهم للأشياء وحفظها عن ظهر قلب بسرعة عجيبة، سألت أحد الأطفال منهم في أي مدرسة تقرأ؟! أجاب بكلمات عربية صحيحة متقطعة وليست مسترسلة في مدرسة عمر المختار، قلت له من يعلمك القرآن الكريم؟، أجابني: ماما غزلان، سألته كم سورة من القرآن تحفظ؟! قال: سبعاً وعشرين.

الأطفال.. والمكاسب الدعوية:

هؤلاء مجموعة من الأطفال عددهم يصل إلى سبعة عشر طفلا بين بنين وبنات، يواصلون تحصيلهم الدراسي في إحدى مدارس الدولة ويتعلمون حفظ القرآن الكريم في مدرسة عمر المختار التابعة لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي تأويهم إقامة وإشرافا ومتابعة، وهم الآن يتعلمون اللغة العربية في فصول دراسية أعدها المكتب لهم خصيصاً خلال الفترة المسائية، أي بعد قضائهم اليوم الدراسي في مدارس الدولة ويتكفل المكتب أيضاً بتنقلهم من وإلى المدرسة.. في المسجد المواجه لمكتب الجمعية يواصلون أداء الصلاة في أوقاتها، بل إن الكبار منهم يرفعون نداء الصلاة في وقتي الظهر والعصر.. أليست كل هذه مكاسب دعوية تحققها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في هذه الديار البعيدة؟ ولمثل هؤلاء الأطفال الذين هم خلف أقوام أريد لهم الإبادة وإنهاء المصير؟! هذه رؤية من تلك الرؤى المتعددة التي شاهدتها وأنا اقف أمام نفر من الهنود الحمر في أرضهم وبين أدغال غاباتهم.

ما يثير الانتباه هو ذاك الاعتزاز بما قدمته الجمعية لهؤلاء الهنود فوق أرضهم، أما نعمة الإيمان والهداية إلى دين الحق فذاك نور قد غمرهم الله به منذ أن أشهر (83) شخصاً منهم إسلامهم ونطقوا بالشهادتين أمام دعاة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في سورينام بفضل من الله عليهم أن هداهم

لدينه القويم، ومن مكتبها وجدوا العناية والرعاية والمتابعة وقدمت لهم كل المساعدة والخدمات التي يحتاجونها ومن هناك بدأ المشوار.

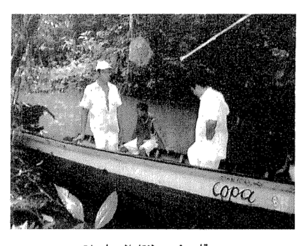
خطوات العمل المتقدمة:

الخطوة الأولى بدأت في العام 2000 مسيحي، وبالتحديد في العاشر من شهر الفاتح (سبتمبر) حيث تم بناء قاعة كبيرة للمهتدين الجدد من الهنود الحمر لأداء الصلاة فيها وتعليمهم العبادات.. وضع بعدها حجر الأساس للمسجد الذي استغرق بناؤه مدة ثلاثة أشهر، وبعد أن اكتمل تم افتتاحه بإعادة قرءاة قران لكل المتزوجين منهم والذين هداهم الله إلى دينه الحق ليبارك الله سعيهم ويهديهم إلى طريق الخير والصلاح.. ثم توالت الأعمال وتقديم المساعدات والخدمات لهم، فتم بناء محل تجاري لهم في القرية يشتري منه السكان ما يحتاجونه من المواد الغذائية ليلحق المحل بيتا لمن يديره ويقدم خدماته لأهل قريته، ثم لحق كل ذلك بناء بيت لباشا القرية وزعيمها الذي وقف مواقف يعتز بها الإنسان عندما يجد نفسه في حاجة إلى من يعينه ويقف إلى جانبه خاصة في مجال العمل الإسلامي والدعوة إلى دين الله.. وهكذا توالت الخطوات في ثبات نحو عمل إسلامي مشرف يعين المسلم الجديد على ترسيخ عقيدة الإيمان داخله بدوافع الاخوة الإسلامية.

القوافل الإسلامية والرعاية الصحية:

عندما كانت تجمعني اللقاءات مع الاخوة المسلمين الذين يديرون المؤسسات والهيئات الإسلامية في سورينام، لا بد أن يتم الثناء على ما قدمته الجميعة من عناية ورعاية واهتمام بايفادها للقوافل الإسلامية وما قدمته من خدمات صحية ومساعدات غذائية واجتماعية للمسلمين وغير المسلمين في هذا البلد..

لقد عملت القافلتان اللتان تم إرسالهما إلى سورينام خلال العام 1998 مسيحي، والعام 2001 مسيحي، على متابعة الأحوال الصحية للمسلمين، كما قامت بإجراء المئات من عمليات الختان لأبنائهم، وحينما أشهر بعض من سكان القرى الهندية إسلامهم، عمل الاطباء المرافقون للقوافل على إجراء عمليات الختان لأبناء الهنود الحمر، إضافة إلى مساعدتهم على علاج الكثير من الأمراض المستوطنة في تلك الأدغال وتقديم الأدوية والعلاج للمرضى منهم، كما قامت بإجراء بعض العمليات الجراحية للمحتاجين منهم، أما الخدمات الغذائية فقد قدمت القافلتان المواد



قارب نهري لنقل المساعدات

الغذائية الضرورية للمسلمين وللفقراء في العديد من المناطق والقرى والمدن التي وصلت إليها، والتي قوبلت بالاستحسان والتقدير والامتنان، وقد ساعدت عوامل عديدة في إنجاح العمل الدعوي والإنساني والصحي والاجتماعي على الصعيدين الشعبي والرسمي، تلك الثقة والمصداقية فيما يقدم من خدمات يراد بها وجه الله إضافة إلى نشاط دعاة الجمعية وتحركهم في كل مكان من البلاد دون أن يقتصر العمل على مناطق المدن والأماكن القريبة، بل تواصل العمل وتقديم الخدمات إلى القرى البعيدة والأماكن الصعبة والأدغال النائية.

ويحظى قراء الجمعية الذين يتم إيفادهم خلال شهر



طبيب القافلة يفحص أحد الأطفال

رمضان المبارك بالترحيب والاستقبال من جميع فئات المسلمين، حيث يتم استدعاؤهم في المساجد المختلفة في المدن والقرى ليكونوا ضيوفا على المسلمين هناك يستمعون إليهم ويتعلمون منهم حفظ وقراءة القرآن الكريم، وهو الأمر الذي عكس ما كان يحدث من خلاف في بعض الأمور الفقهية لاختلاف وجهات النظر حولها، وهذه أسس قربت القلوب وساعدت على المزيد من الألفة والمحبة بين الاخوة المسلمين وذلك لما يمثله القراء الليبيون في مساجد البلاد من خلق عربي وإسلامي أصيل جسد حقيقة التفاني في أداء الواجب والعمل الصادق خلال إحياء ليالي شهر رمضان الكريم.

مصداقية الطرح وحجم العمل:

إن الحديث في مجالات العمل الإسلامي في هذا البلد يطول وتتعدد فيه المناسبات والإعداد، ولا أظن بأنني قد أستطيع أن أسجل من خلال استطلاع أو تحقيق صحفي واحد كل ما جرى ويجري، ولعل تناولي هذا الطرح لكل ما حاولت رصده في هذه الأوراق يجعلني أتوقف على طريقة العرض التي رسمت خطوطها على هذه الأوراق لتدخل في إطار العمل الصحفي السيار الذي يضع المعلومة بين يدي القارئ، دون أن يحدد لها مرجعاً، ولا يعني هذا شكا أو تشكيكا في المعلومة المنتشرة، وإنما هو أسلوب العرض في كتابة وطرح المواضيع.. إنني حاولت بكل صدق أن اتابع برؤية المحايد والناقل للأحداث كما هي، وربما أكون قد تفاعلت بمشاعر الإنسان مع شيء أثار انتباهي واعجابي لفعل حسن وعمل منظم يوضح حقيقة الاتجاه ومصداقية المنحى للوصول إلى الهدف السامي النبيل الذي من أجله أنشئت وتأسست جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لخدمة الإسلام والمسلمين في كل مكان.

الدورة الخامسة عشرة للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية

تفعيل الحوار بين الثقافات



عقد المجلس العالمي للدعوة الإسلامية دورته الخامسة عشرة في العاصمة الايطالية روما يومي 8،9/5/1372 من وفاة الرسول ﷺ، الموافق 2004 مسيحي وقد حضر أعمال افتتاح هذه الدورة الرئيس الايطالي السابق فرانشيسكو كوسيجا، والسيد جوزيبي بيزانو وزير داخلية إيطاليا والقس مايكل فيتزجيرالد رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان بالفاتيكان والدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (اسيسكو)، كما حضر الحفل أعضاء الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي الأوروبي ومندوبون عن عدد من المنظمات الدولية ذات الاهتمام بالشأن الثقافي وعدد من مسؤولي الكنائس والمنظمات المسيحية في إيطاليا وبريطانيا ومصر، إضافة إلى عشرات العلماء والباحثين والمهتمين بشؤون الحوار مسيحين ومسلمين من مختلف أنحاء العالم.

استهل المجلس العالمي للدعوة الإسلامية أعمال دورته الخامسة عشرة بروما بتلاوة آيات من الذكر الحكيم، تحدث بعدها المقرر العام للمجلس موضحاً موقع هذا المجلس في الهيكلية التنظيمية لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمهام المنوطة به باعتباره الهيئة التنفيذية التي تحول مقررات وتوصيات المؤتمر العام إلى برامج محددة في المجالات التربوية والثقافية والاجتماعية والانسانية، وعبّر عن سعادة أعضاء المجلس بعقد دورتهم الخامسة عشرة في إيطاليا مشيراً إلى أن المجلس عقد دورات سابقة في دول إسلامية وغير إسلامية وكان المجلس في كل تلك الدول محل تقدير واحترام واكبار للدور الثقافي والإنساني الذي يقوم به أعضاؤه.

وتحدث بعد ذلك، باسم أعضاء المجلس، الدكتور محمد سمورا عضو اللجنة التنفيذية للمجلس حيث شكر حكومة إيطاليا على استضافتها لهذه الدورة، معبرا عن ترحيب أعضاء المجلس بحضور الرئيس فرانشيسكو كوسيجا لهذه الدورة، كما حيا ضيوف المجلس الذين حضروا من مختلف أنحاء العالم مساهمة منهم في إثراء مناقشاته موكدا على أن هذا اللقاء يعتبر خطوة متقدمة على طريق الحوار والتعارف بين الأديان والثقافات وهو الطريق الذي اختطته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية منذ انطلاقتها.

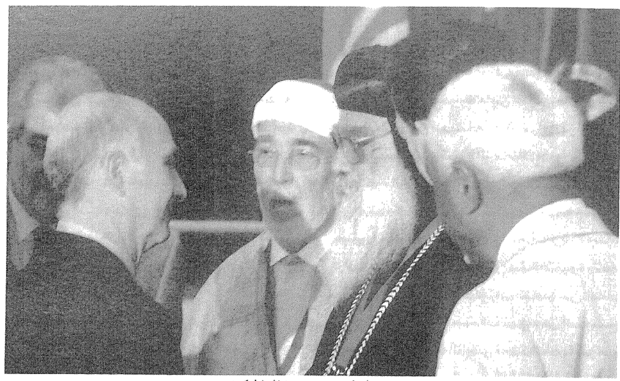
- تناول الكلمة بعد ذلك القس مايكل فيتزجيرالد رئيس المجلس البابوي للحوار مع الأديان فتقدم بتحيته إلى أعضاء المجلس وضيوفهم، وأشار إلى علاقات التعاون المتميزة مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية منذ ما يربو على عقدين من الزمان والتي تمثلت في عقد عدد من الندوات واللقاءات، تناولت قضايا ذات تأثير في مجتمعاتنا المسيحية والإسلامية، مشيرا بالخصوص إلى اللقاء الأخير الذي نظمه الجانبان بالفاتيكان تحت شعار (القساوسة، الأئمة، الدور، التكوين و التعاون) وأكد القس فيتزجيرالد في ختام كلمته على حرص المجلس على استمرار وتطوير برامجه الحوارية مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

- وتحدث بعد ذلك الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية الثقافة والعلوم فأشاد بعلاقات التعاون الطويلة والمتميزة مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية من خلال عشرات البرامج التي عززت الهوية الإسلامية وحافظت على قيمها في نفوس وقلوب الناشئة، مؤكدا على رسالة الاسيسكو الثقافية التي تهدف في مجملها إلى الحفاظ على قيم الإسلام وابراز وسطيته وسماحته، وأشار إلى أن المشاكل التي يعيشها العالم اليوم إنما ظهرت نتيجة طغيان المصالح المادية والبعد عن الإلتزام بالاخلاق والعبث بالقوانين والمواثيق الدولية، وأن الأزمة الحضارية التي يعيشها عالمنا لا يمكن معالجتها الا في إطار سيادة ثقافة العدل والسلام.

اللقاء يعتبر خطوة متقدمة على طريق الحوار والتعارف بين أتباع العقائد

- وحيا السيد نوربيرتو غونزاليس مستشار رئيسة جمهورية الفلبين في كلمة نيابة عنه حيا جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وجهودها في العمل الثقافي والإنساني، ومشيرا إلى أن بلاده شجعت الجمعية على فتح مكتب إقليمي لها في مانيلا، وهو ما تم رسميا خلال الأشهر الماضية، وعبر السيد المستشار في كلمته عن تقديره لدور الإسلام في الثقافة الإنسانية واعتزازه بأن يكون أحد العناصر المكونة للهوية الثقافة لبلاده، وتمنى في ختام كلمته كل توفيق ونجاح للمجلس في مداولاته.

- ونظراً لأن ظروفا طارئة حالت دون حضور



حوار غير محدود بين المشاركين

الدكتور عبد الواحد بلقزيز الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي فقد أرسل خطاباً إلى أعضاء المجلس حيا فيه جهود جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وخدماتها الثقافية والإنسانية في مختلف أنحاء العالم وعلى وجه الخصوص في قارة أفريقيا، مؤكدا على أن منظمة المؤتمر الإسلامي فخورة بأن ترتبط بعلاقات تعاون مع الجمعية ومستعدة دوما للدفع بالتعاون معها خطوات للأمام.

ـ بعد ذلك تحدث الدكتور محمد أحمد الشريف أمين عام المجلس العالمي للدعوة الإسلامية فحيا في كلمته إيطاليا رئيسا وحكومة وشعباً، وخص بالشكر السيد جوزيبي بيزانو وزير الداخلية الذي تشرف وزارته على شؤون الأديان على استضافته لهذه الدورة وتقديم كل التسهيلات لنجاحها، وتقدم بالشكر والتقدير إلى رئيس الإيطالي السابق فرانشيسكو كوسيجا الذي كانت له اسهاماته في مجال الحوار والتعارف والتواصل الثقافي كما حيا السيد مايكل فيتزجيرالد رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان ومن خلاله حيا قداسة البابا يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان لدوره في الدعوة إلى السلام العالمي وعمله من أجل ذلك، كما تقدم بشكره إلى مسؤولي المنظمات والهيئات الإسلامية والمسيحية التي لبت دعوة المجلس للمشاركة في مداولاته.

وأشار في سياق حديثه عن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بأن الفضل في تأسيسها يرجع بعد الله سبحانه وتعالى للأخ معمر القذافي قائد ثورة الفاتح الذي دعا إلى تأسيسها على هدى من الله للتعريف بالإسلام في ثوابته وأساسياته وفي وسطيته وانفتاحه على الآخر وفي تأكيد على ضرورة احترام مبادئ الكرامة الإنسانية في أوسع معانيها، مشيراً إلى أن الكرامة تقتضي منا جميعاً إدانة كل ما يعبث بها من مظالم القتل والإرهاب والتعذيب والإحتلال وتدمير البيئة والفساد في الأرض، وأن أول خطوة في التصدي لتلك المظالم إنما تتمثل في احترام الشرعية الدولية وعدم العبث بالمواثيق والأعراف التي ارتضاها المجتمع الإنساني، لأن القفز فوق تلك المواثيق أو

تجاهلها إنما يخلق بيئة مناسبة للإرهاب والتطرف الذي نأسف أن معالجاته لم تتطرق بجدية ومسؤولية إلى أسبابه وإنما وقفت عند مظاهره وأكد الأخ أمين عام المجلس على ضرورة العمل من أجل غد مشرق لأجيالنا قوامه المساواة والعدل والسلام واشاعة ثقافة الحوار والتعارف وهو ما تضعه الجمعية في سلم أولوياتها.

وألقى السيد جوزيبي بيزانو وزير الداخلية الايطالي كلمة في الجلسة الإفتتاحية جاء فيها:

السيد الأمين العام، السادة أعضاء المجلس العالمي للدعوة الإسلامية.

أود أولا أن أشكركم على دعوتي للمشاركة في الأعمال الافتتاحية لهذه الدورة، إنها المرة الأولى التي تنعقد فيها أعمالكم في مدينة أوروبية وهو شرف لي أن أقول لكم مرحبا بكم في روما، مرحباً بكم في ايطاليا، مرحبا بكم في أوروبا.

إن جمعيتكم تقوم بعمل في غاية الأهمية لكونها تنظر إلى الإنسان الذي يمثل ركناً أساسياً لأية بنية اجتماعية.

أنتم تبنون الإنسان بعملكم الكريم في مجالات الثقافة والتعليم والخدمات الإنسانية، إن نوعية عملكم معترف بها في أهم المراكز الدولية، في الأمم المتحدة، في المنظمات الصحية العالمية.

إن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية موجودة في ايطاليا منذ ما يقارب من 25 سنة، وقد صرنا أصدقاء منذ مدى طويل، أنتم أصدقاء تسعدني استضافتهم في هذه المدرسة الجميلة التابعة لوزارة الداخلية، الصداقة التي تتعزز، تمثل دعما ثمينا في الأوقات الصعبة كالتي نعيشها الآن والتي هي في الوقت نفسه غنية بالفرص للحوار وتحقيق السلام.

أنا أعلم أن موضوع التعارف بين الشعوب هو من بين الأمور التي ستناقشونها وهذا خيار محظوظ، فالتعارف ينتج عن الحوار الذي - كما نعلم - ليس بالهين ولكن من خلال الحوار وحده يتم التعارف والتفاهم واحترام الآخر والتعايش السلمي.

إن الحوار بين الديانات يدخل بين التزاماتكم الثابتة وهذه علامة مميزة لنشاطاتكم في ايطاليا، وهنا اذكر مشاركتكم في الحوار الإسلامي- المسيحي الذي عقده الفاتيكان بمساهمة جماعة «سانت ايجيديو».

كما تعلمون ففي العشرين سنة الاخيرة فقط تحولت ايطاليا إلى هدف للهجرات القادمة من العالم الإسلامي، ولهذا ففي هذه السنين دخل المجتمع الايطالي في احتكاك مباشر مع القيم الدينية والثقافية ومختلف جوانب الواقع الإسلامي المعاصر، غير أن موضوع العلاقة بين الشعوب لا يمثل أمراً جديدا بالنسبة لنا، بل على العكس فإننا بدأنا نتدارس الموضوع منذ زمن بعيد.

القفز على المواثيق والأعراف الدولية أو تجاهلها يخلق بيئة مناسبة للإرهاب والتطرف

وفي هذا المجال اسمحوا لي أن أذكر أمراً لا يزال عالقاً في ذاكرتي رغم قدمه، وهو يتعلق بالشخصية الحاذقة للرجل السياسي جورجو لابيرا، أي ذكرى اللقاء المتوسطي المنعقد في مدينة فلورنسا قبل ما يقرب من نصف قرن وبالتحديد في 1958/10/4، في ذلك اليوم اجتمع الاستاذ جورجو لابيرا بعدد من ممثلي شعوب البحر المتوسط المنتمين إلى الفروع الثلاثة لعائلة إبراهيم للحديث عن القديس سان فرانشيسكو وعن مهمته عند سلطان مصر من أجل السلام.

المجتمعون بدأوا الحديث عن السلام متبادلين الأفكار والمشاعر في مدينة فلورنسا التي كانت قبل أربعة قرون تسمى(القدس الثانية) من قبل جيرولامو سافونارولا.

إن تخمين جورجو لابيرا كان صحيحاً في حينه ولايزال معاصرا في يومنا هذا: إن المتوسط كجميع المناطق الحدودية ليس فقط مكاناً للصراعات، إن الطرق والسبل التي تمتد وتتقاطع حول سواحله تمثل أيضا سبل وطرق اللقاء التي يجب أن نمشي فيها لتحقيق حلم إبراهيم في الوحدة.

أفكر في اللقاء بين اليهود والمسلمين والمسيحيين، بين الشمال والجنوب، بين الشرق والغرب من العالم، كما أفكر في اللقاء الذي يتحقق خلال هجرة الشعوب النامية والمجتمعات الكبيرة في منطقة المتوسط، بين ثقافات وخبرات تاريخية متعددة ومتنوعة، إن عصرنا الحاضر يتميز بالهجرات الكبيرة وستكون لها اهميتها لمستقبلنا وعلينا أن نكون قادرين على التعامل معها بالتوازن وبموقف حاسم وبإنسانية من خلال تطوير التعاون بين الدول التي يأتي منها المهاجرون والدول التي يمرون عبرها والدول التي ينتهون فيها، وهذا أيضا يمثل أرضية للقاء والتعاون بين دول ضفتي المتوسط وهو أمر تجربه ايطاليا يومياً بصورة ايجابية بفضل التفاهم المتزايد مع الدول الصديقة الواقعة على الضفة الجنوبية للمتوسط.

إن الاختلاف الديني أصبح أمراً لا يمكن تجاوزه من قبل المجتمعات الاوروبية، وهو مثل كل الفروق من شأنه أن يكون مصدراً للإثراء المتبادل وفي وسعه أن يعزز القيم الاخلاقية والمدنية، ولهذا فإن تحوله إلى سبب للتناقض أو للصراع سيكون أمراً لا يغفر له.

أنا واثق من أن الديمقراطية الاوروبية ستعزز بخلق شروط أفضل من أجل تكامل المهاجرين القادمين إلى بلدنا للعمل وللعيش بسلام ضمن الاحترام المتبادل.



إحدى جلسات الملتقى

يجب ان نقاوم كل أنواع الانعزال الثقافي والتهميش الاجتماعي للمهاجرين لأنها أوضاع يسهل فيها نمو التزمت الديني والعنف السياسي.

الإرهاب عدو لكل الشعوب المحبة للسلام ولذلك ينبغي على الجميع - اليهود والمسيحيين والمسلمين - مقاومة الإرهاب في داخل مجتمعاتنا والتعاون الفعال بين بلداننا.

الحكومة الايطالية أدرجت كل هذه المواضيع في برنامجها عندما تولت رئاسة الاتحاد الاوروبي لمدة ستة أشهر وخرجت بنتائج مهمة، ففي نهاية عملنا كنا قد حصلنا على الورقة الاوروبية حول الحوارر بين الديانات كتواصل اجتماعي في اوروبا واداة في خدمة السلام في منطقة البحر المتوسط، هذا الحوار - وهنا اقرأ من الورقة الاوربية: «بإمكانها أن تساعد الاجيال الاوروبية القادمة على عدم تكرار اخطاء الماضي»، وفعلا يجب علينا بث قيم التسامح والتنوع ووسطية الإنسان في شبابنا، إنها قيم تنتمي وتدخل ضمن التراث الروحي للديانات الثلاث الموحدة، التعددية هي الأساس الذي لا بد منه لبناء الديمقراطية والتعدد الديني هو أهم اشكال التنوع، ولكن لكي يكون هذا الاخير واقعا وخصبا يجب احترام جمال وخصوصية كل الديانات ذكرنا إياها قبل أيام إمام الجامعة الكاثوليكية في جورج تاون، وهو الأول في العالم الذي يحتل منصبا كهذا، فهو عندما تحدث هنا في روما أكد على ضرورة «الاقرار بالفرق والاختلاف بين المعتقدات» موضحا سبب رفضه للاقتراح الداعي إلى إلغاء وضع الصليب في القاعات الجامعية بقوله: «إن الصليب يمثل مبررا لوجودي فالتكامل لا يعني نسيان هويتنا».

التعددية مبدأ حديث وفي الوقت ذاته فهو قديم والقرآن يصفه جيدا عندما يذكر:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [سورة الحجرات، الآية: 13].

دعوني اتطرق مرة أخرى إلى القرآن:

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾

[سورة آل عمران، الآية: 64].

اسمحوا لي أن انهي كلمتي كمسيحي: إن خيمة الحوار والاحترام المتبادل والسلام تتسع دائما للرجال ذوي الارادة الحسنة، إن حضوركم هنا هو خير دليل على ذلك.

أشكركم من صميم قلبي واتمنى لكم خير العمل.

❖❖❖

وفي ختام جلسة الافتتاح تحدث السيد فرانشيسكو كوسيغا الرئيس الايطالي السابق فأثنى على جهود جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومجلسها العالمي، معبراً عن سروره بلقاء هذا الحشد من المفكرين والعلماء ومسؤولي المنظمات الدولية والهيئات المسيحية الذين يجتمعون اليوم في هذه العاصمة التاريخية، وأكد الرئيس كوسيغا في كلمته بأن التطرف مرض لم يصب الإسلام فحسب بل أصاب المسيحية واليهودية أيضاً، **ولعل الحروب الصليبية التي شنت على العالم الإسلامي تمثل مظهراً من مظاهر ذلك التطرف**، وأشار بأنه ضد **أن يلعب الغرب دور النبي فيصدر قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان للعالم وفق رؤيته لها ويجبر الناس على أن يكونوا نسخة منه في تجاهل لخصوصياتهم الدينية والثقافية والاجتماعية**، وأوضح في كلمته بأن العالم يعيش أزمات اخلاقية افرزت اوضاعا إنسانية مؤلمة يمثلها اليوم الوضع في فلسطين والعراق، **وأكد الرئيس كوسيغا في ختام كلمته على ضرورة أن يكون**

للمسلمين في اوروبا وضع قانوني يحفظ لهم هويتهم وخصوصيتهم الدينية والثقافية، لأن حجب ذلك الحق يتناقض ومقتضيات المواطنة.

أعمال الدورة الخامسة عشرة

بعد جلسة الافتتاح بدأ المجلس العالمي للدعوة الإسلامية في مناقشة جدول أعماله حيث استعرض التقرير المقدم من اللجنة التنفيذية حول أنشطة الجمعية في الفترة الواقعة بين الدورتين الرابعة عشرة والخامسة عشرة.

النشاطات التعليمية

وانتقل المجلس بعد ذلك إلى مناقشة البند الثاني من جدول الاعمال والمتمثل في تقرير حول الأنشطة التعليمية للجمعية خلال الفترة ذاتها، والتقرير يشمل البرامج التعليمية لكلية الدعوة الإسلامية وفروعها في كل من سوريا ولبنان وتشاد والسنغال ومعهد تعليم اللغة العربية في بنين والكلية الإسلامية في لندن، وكذلك برنامج دول الساحل الافريقي الذي ينفذ في اطار التعاون مع منظمتي الاسيسكو والأليكسو، إضافة إلى جهود الهيئة المشتركة لتأسيس المراكز الثقافية الإسلامية، وبعد مناقشة هذه التقارير باستفاضة تم اعتمادها من قبل المجلس مع التأكيد على ضرورة أن يتم العمل من خلال الكلية الإسلامية بلندن وبعض المؤسسات التعليمية الجادة في اوروبا على تكوين أئمة من ابناء المسلمين الاوروبيين يكونون قادرين على تبليغ رسالة الإسلام في وسطيتها واعتدالها وفي انفتاحها على العصر مع تحقيق أكبر استفادة ممكنة مما تطرحه تقنيات الاتصال والمعلومات.

النشاط الدعوي والثقافي والإنساني

واستمع المجلس في اطار البند الثالث إلى تقارير من أعضاء المجلس عن النشاط الدعوي والثقافي



والإنساني في مناطقهم، وقد تبلورت مناقشاتهم في التوصيات التالية:

1- مضاعفة الاهتمام بالمؤسسات التي تعد الأئمة والدعاة واستخدام أحدث الوسائل في تعليمهم، وتطوير مناهج تلك المؤسسات بما يعكس وسطية الإسلام ودعوته للعدالة والتسامح والسلام وانفتاحه على الثقافات الأخرى، والحيلولة دون أن يقعوا في فخاخ التعصب المذهبي والانغلاق الفكري.
2 - العمل على توسيع مشاركة المرأة في المجلس العالمي للدعوة الإسلامية وفي المؤسسات الثقافية والتربوية التي تشرف عليها الجمعية والاستمرار في دعم برامج الهيئات والروابط النسوية.
3 - بذل مزيد من الجهود في المجالات الثقافية في

أشكالها المختلفة « ندوات، مؤتمرات، اعداد كتب ومنشورات، ترجمة» من أجل التعريف بالإسلام في أسسه وثوابته ونظرته للأديان والثقافات الأخرى، وتفنيد ما يروج ضده من افتراءات.

4 - تطوير برامج العمل الثقافي والدعوي في منطقة الشرق الأقصى« اليابان، الصين، كوريا » والاستمرار في دعم المؤسسات الثقافية الإسلامية هناك وتوسيع دائرة قبول الطلاب من هذه المنطقة في كلية الدعوة الإسلامية وفروعها.

5 - إيلاء مزيد من الاهتمام بالشأن الثقافي الإسلامي والدعوي في أمريكا اللاتينية والعمل على نشر اصدارات باللغة الاسبانية تعرف بالثقافة الإسلامية وتعلم الناشئة أمور دينهم وتقدم الإسلام في أسسه وثوابته للآخرين.

6 - التأكيد على رفض المجلس وادانته كل مظاهر التدمير الثقافي والحضاري وتخريب المؤسسات التعليمية في فلسطين، وممارسة سياسات الحصار التي تحول دون الطلاب وجامعاتهم وتحرم الآلاف من الأطفال من تلقي تعليمهم في ظروف مناسبة، ويدعو المنظمات الدولية وفي مقدمتها منظمة اليونسكو للاضطلاع بدور أكثر فاعلية لوضع حد لتلك الانتهاكات والمظالم.

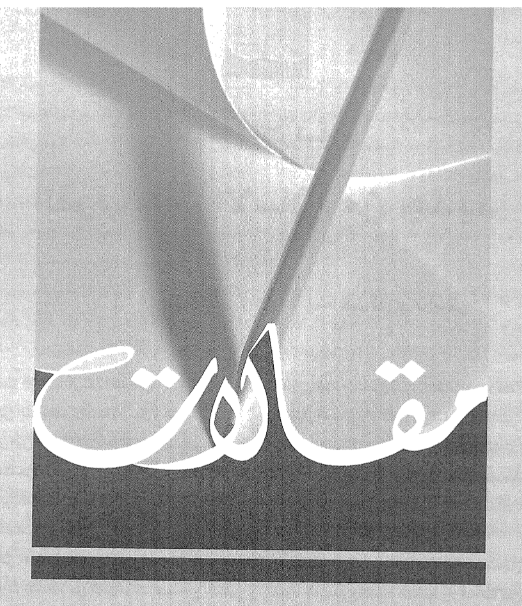
7 - استمرار وتفعيل التنسيق بين المؤسسات الإسلامية والعمل على تكامل اعمالها والحيلولة دون تكرار الجهود أو تضاربها، وفي هذا الشأن يؤكد المجلس ضرورة تفعيل لجنة تنسيق العمل الإسلامي التي أنشئت في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي.

جهود التعارف

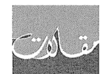
وفي اطار مناقشة البند الرابع، استعرض المجلس ورقة حول جهود التعارف التي قامت بها الجمعية، وفي مقدمتها الملتقى الحواري الكبير الذي التأم في طرابلس خلال شهر الفاتح(سبتمبر) 2003 وما تبعه من أنشطة تمثلت بالخصوص في لقاء عمل نظم بمدينة «ويندزور» في بريطانيا خلال شهر الربيع «مارس» الماضي بالتعاون مع مؤسسة روح اوروبا، وفي محاضرتي كل من الرئيس الإيطالي السابق فرانشيسكو كوسيغا ورئيس جمهورية سيراليون الحاج أحمد تيجان كابا في طلبة كلية الدعوة الإسلامية، إضافة إلى عدد من المناشط الأخرى، وأكد المجلس في اطارمناقشته لهذا البند على ضررة أن تستمر الهيئات الإسلامية والمسيحية التي شاركت في ملتقى (لتعارفوا) في تفعيل اللقاءات التي ستعقد على التوالي في كل من: موسكو، عمان، تورونتو، وفي احدى العواصم الافريقية، وفي واحدة من عواصم بلدان جنوب شرقي آسيا خلال هذا العام، كما عبر المجلس عن تأييده ودعمه لمؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي المقترح من الرئيس السنغالي عبدالله واد المقرر عقده في نهاية عام 2005 مسيحي، وطالب المجلس المؤسسات الإسلامية والمسيحية التي تهتم بأمر الحوار بدعمه واتخاذ الترتيبات اللازمة لانجاحه.

المؤتمر العام السابع

وناقش المجلس البند الأخير من جدول الأعمال والمتعلق بالترتيبات الخاصة بعقد المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية، حيث استعرضت الورقة المعدة حول هذا الأمر، واستمع المجلس إلى عدة مقترحات حول مكوناتها، انتهت إلى تحديد الزمان ليكون في أواخر شهر شوال، وتحديد المكان في دولة المقر، أما بخصوص الشعار الذي سيعقد تحته المؤتمر ومحاوره فتقرر احالة كل المقترحات الواردة من أعضاء المجلس أو من غيرهم من أعضاء المؤتمر العام إلى اللجنة التنفيذية لدراستها ثم الاتفاق على شعار ومحاور المؤتمر.



- الغرب يقرأ الإسلام من جديد
- الإنسان المعاصر أمام حركة الواقع والاجتهاد
- كيف تعاونت الصهيونية مع النظام النازي؟
- الصحوة الإسلامية: رؤية مستقبلية
- الشباب المسلم والتنمية
- التنوع الثقافي وانعكاساته
- الكتاب وثقافة الطفل المسلم
- البعد الديني لمفهوم الإرهاب في السياسة الصهيونية
- الشيخ عبد الواحد يحيى (روني كينون) والنهضة الروحية في الغرب



نحو عالم أكثر تسامحاً

الغرب يقرأ الإسلام من جديد

د. إسماعيل نوري الربيعي*

يخضع الإسلام في هذا الراهن الذي نعيشه إلى مزيد من التفحص والتدقيق، بل وحتى المتابعة والتفتيش بين ثناياه، اهتمام مفرط جاء في أعقاب حادث مفاجئ، لكنه بات بمثابة التفكير الاستعادي بهذا الدين الذي كان يمر على أسماع الآخر من دون أن يتم الالتفات إليه بإمعان وتفحص عميقين، ولعل اللافت في الأمر، أن الغرب ـ وبعد هذه الموجة التي يقودها إزاء الإسلام من الاتهامية ـ كشف عن الكثير من ملامح الخلل بل والضعف المعرفي والعلمي بالإسلام، حتى ليكون السؤال الاستنكاري وقد اقترب من هذا الادعاء المستمر، الذي تمّ إلصاقه بهذا الغرب المتقدم الذي لا يدع للصدفة مجالاً، بل ان التداول الثقافي كثيراً ما أشار إلى هذا التوسع الهائل والكبير في مجال مراكز البحوث العلمية، التي تعنى بدراسة المجتمعات المختلفة والعناية بالتفصيلات المتعلقة بالتطورات والأحداث والتفاعلات. لكن طبيعة التعامل الصادرة عن الغرب إزاء العالم الإسلامي تكشف عن مدى الغياب الذي تعيشه مراكز صنع القرار في الغرب ذاته، وليس على مستوى المواطن الغربي العادي، حتى لتبرز الظاهرة اللافتة حول هذا الإقبال المنقطع النظير، لقراءة كل ما يتعلق بالإسلام والتفصيلات المتعلّقة به، كأن الأمر يتعلق بدين جديد ظهر فجأة، وليس ذلك العالم الذي يتوسط الأرض، ليؤثر ويتفاعل ويؤسس مع المجتمعات البشرية الأخرى..!!

لقد غدا الإسلام مادة للدرس والتقصي، بعد أن تسيّد لاهتمام والتفات العالم، ولا بد هنا من الإشارة إلى أن الدرس العلمي والتقصي المنهجي عن الإسلام لم يكن غائباً بشكل نهائي، لكن ردّة الفعل وحجمها الصادرين عن الغرب، تكشف عن هذا التداخل والإرباك الذي حط على الجميع، بما فيها مراكز البحوث العريقة والمتخصصة بشؤون الإسلام، وإذا كانت التقسيمات الأوسع والأكبر قد توقفت عند هذه التوزيعات المرتبطة بشؤون الفرق والمذاهب، فإن الأمر اتخذ لبوساً فجائياً حيث طابع الصدمة المباشرة، والتي غدت بمثابة العائق العقلي، الذي يصعب الوصول إلى كنه التفسير فيه، هذا على الرغم من الإسهام المباشر الذي لعبته قوى الغرب في تأجيج

---

* أستاذ جامعي / العراق

مجال الحس القتالي والصدامي في داخل الإسلام، من خلال استحضار معالم التحالف مع القوى الإسلامية نحو محاربة العدو المشترك الذي تمثل بالاتحاد السوفياتي السابق في غزوه لأفغانستان، إلا أن تحولات القوى وتبدلات المراكز جعلت من هذا التحالف عداء معلناً بلغ حد الصدام الذي يشهده العالم اليوم.

في طابع استعادي بدأ الغرب يكرّس جلّ جهوده نحو استقراء الملامح الرئيسة في الإسلام، وفي توزيع يحاول من خلاله الوقوف على ملمح التفاعلات المختلفة والمتنوعة القائمة فيه، بدءاً من الديني مروراً بالاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي، ولعل المكمن الأصل في كل هذا، أن نقطة الارتكاز التي تحاول هذه القراءات الاتكاء عليها، تكون عند التوصيف الختامي أو الإنهائي الكامن في الدعوة الإسلامية، فلا غرو أن الطابع التوحيدي في الإسلام جانب واضح لا يمكن التغاضي عنه، فيما يكون التوكيد على هذا الملمح الإنهائي القائم في الإسلام ورسالة محمد (ﷺ) حيث الختام الذي لا يقبل جدالاً أو نقاشاً من لدن المسلمين.

وبتأكيد حضور العقيدة والشريعة، فإن التوقف عند الإسلام يستدعي هذه النظرة الحرّة، التي تجعل من المسلم مرتبطاً بالله في شكل مباشر من دون وسائط أو نظام تراتبي، فالأهمية تقوم على التقوى، فيما يتم الدخول في التفاصيل المعرفية من خلال «الراسخون في العلم» وهم الفقهاء الذين ينالون التقدير والتبجيل، لكن من دون تمييز إيماني أو درجة تقرب أعلى من الله.

الحياة الإسلامية تعيش تفصيلات اليومي، في شكل شديد المباشرة، وإذا ما برز التيار الأصولي الذي يصعّد من حدة التشدد عن أهمية الارتباط بأصول الشرع والعقيدة، فإن هذا لا يعني الخروج عن القانون الوضعي الذي يسود الواقع، ويعمل على تجسيد حالة الانضباط في المجتمع المدني، فحتى القانون المدني لا يخرج عن أهمية الانضواء في مشروعية التشريع الإلهي، والذي يتم استنباط الأحكام الأساسية فيه من خلال الارتباط الوثيق بالشرع والدين، ومن هنا فإن ثمة ضابطاً دينياً يظهر بهذا القدر أو ذاك، في صلب العملية التشريعية المدنية.

إن التوكيد على الطابع المؤسسي الذي شمل الحياة الحديثة في العالم الإسلامي، لم يجعل هذه المؤسسات خارج نطاق الضبط الفقهي، والذي يتجلى في المعاملات والمواريث والعلاقات الشرعية والقرابة والعائلة والأسرة، بل إن الفقهاء يكون لهم الدور العميق في ضبط العلاقات التي يحددها القانون، بكل تفرعاته القيمية والعرفية، ومدى تعالق وتآلف المجتمع معه، وإذا كانت المؤسسة الرسمية تعمد إلى تقديم مبدأ التعددية والعمل على توحيد مصالح الرعايا العاملين والمنضوين تحت لواء وجسد الدولة الواحدة، فإن الإقرار الرسمي هنا لا يخلو من أهمية عمق الإشارة المباشرة إلى أن الإسلام هو دين الدولة الرسمي.

الإسلام يربط المسلمين بالله دون وسائط أو نظام تراتبي

في محاولة ترصد التوزيعات والتقسيمات، تجد التعالق وقد اتخذ مسار الفرز بين الموقف السياسي الذي تحاول المؤسسة الرسمية حيازته والعامل الاجتماعي المرتبط بمفهوم الأمّة، حيث الارتباط بالإجماع الذي تشكله الغالبية في تحيين موقف ما إزاء القضايا الكبرى، هذه المسألة يتوقف عندها الكثير

من المراقبين الغربيين، ويعمدون إلى دعمها بالتداخل المفضي إلى تعطيل حركة الدولة ومؤسساتها الرسمية في سبيل تحقيق الغايات والأهداف، ومن هذا التداخل المفرط في التلفيقية، يبرز محتوى الخلط في مستوى الفهم الكامن حول الطبيعة الوظيفية التشريعية للدين الإسلامي في صلب مؤسسة الدولة.

فالأمر لا يتوقف عند مطلب أدائي مباشرة، قدر تعلقه بوظيفة اجتماعية، قوامها تقديم التنظيمات التي تتطلبها حاجات الفرد الاجتماعي داخل وسطه، وإذا ما برزت الأهمية لفقهاء الدين في المجتمع الإسلامي، فإنها تبقى حاضرة في مجال المكانة والتقدير والاعتبار، وما بين الديني والدنيوي، تبرز سلطة القانون الذي يعمل على الاقتباس والتفعيل المباشر نحو توطيد أواصر الشرعية.

إن التوقف الطويل عند الجانب الطقوسي والشعائري في الإسلام يجعل من الدارسين الغربيين واقعيين في أيسار الأوهام، والتي تؤدي بهم نحو الدخول في مساحات واسعة من الاستغراق التنظيري الواقع في أيسار اللبس والتداخل، فهم عادة ينظرون إلى الإسلام كوحدة واحدة على صعيد المذاهب، لكنهم من زاوية أخرى يعمدون إلى إفراز مجالات التنوع القائمة فيه، بصفتها دلالات وعلائم انشقاق، ومن هذه الرؤية التسويغية، تكون الأحكام مرتبطة بالغايات والأهداف المبيتة، والمتطلعة إلى تكريس رؤية مسبقة غير قابلة للأخذ والرد، حتى لتكون الواجهة الحاكمة وقد استغرقت في هذا التوحيد المتعسف للإسلام الصادر عن رغبة ثابتة في الاستهداف.

يكشف التقاطع المباشر في مكنون الرؤية الحاكمة بين الطرفين، الإسلام والغرب، فهذا الأخير ينظر إلى الإسلام بعين الريبة والشك في صلب اكتماله التاريخي وليس القدسي على أقل تقدير، لكنه من جانب آخر لا يغفل الأهمية الحضارية والمكانة اللتين بلغهما الإسلام على مستوى تحقيق المعادل الإنساني وإبراز مجالات التعبير الذاتي بقوة ومكانة واضحتين.

من أصل المباشرة السياسية والاجتماعية، عكف الإسلام على تحقيق تجربته على مستوى الواقع، بل ان الإنشاء والتأسيس يكونان هما الأصل في تحقيق هذا البناء والتشييد، كما في دولة المدينة التي أنشأها الرسول (ﷺ). ومن هنا فإن فكرة الدولة ـ الأمة ـ جاءت لتعبّر عن نفسها في سياق واحد غير قابل للتجزئة أو التقسيم، وإذا ما ظهرت الانشقاقات والانقسامات الداخلية منذ عهد مبكر في جسد الدولة الإسلامية، فإن حال الاستمرار الحضاري بقي يستمد جذوره وشرعيته من مدى الترابط الوثيق بالدين الإسلامي.

قيمة الإسلام الحضارية تتبدى في الفسحة الهائلة من تراث التسامح

أما على مستوى التلاقح المعرفي والفلسفي، فإن الحضارة الإسلامية قيّض لها اللقاء والمزاوجة مع التيارات الفكرية الإنسانية، حتى استطاعت أن تجسّد نموذجها الفكري الأصيل، بتمثل قوامه في التفاعل مع كل أطياف اللون الذي تفرزه الحياة، من دون سيادة لطرف على الآخر، بل ان قيمة الإسلام الحضارية تتبدى في هذه الفسحة الهائلة من تراث التسامح الذي لا يني عن التجلي والظهور في مختلف المراحل والحقب التاريخية.

وتكشف التحولات التي يعيشها العالم، عن هذا التبلور الحاسم في مسار التيارات والاتجاهات الفكرية، والمرتبطة بطبيعة الاحتكام إلى العوامل

المباشرة، التي تكون بمثابة أداة التفعيل الحاسمة في ظهور الأشكال والممارسات الجديدة. فالتغيير الذي يكون بمثابة سمة العالم الاجتماعي، إنما تبرز مؤثراته وتفاعيله، من هذا الارتباط بواقع النشاط الذي يبذله الناس من أجل تحقيق غايتهم الذاتية أولاً، حتى تبرز الاشتراطات الأوسع الشاملة لمجمل الأنشطة الكلية. ومن دون الاستناد إلى محدد أحادي يكون بمثابة التوقف عند ترصد أي ظاهرة إنسانية، يبرز مجال التفحص في هذه الاستتباعات التي يفرضها الواقع، ويجعل منها ظواهر شديدة الإلفات، تدعو الجميع إلى ملاحظتها وأهمية التوقف عندها.

وإذا كان العالم مركّزاً أنظاره حول الإسلام والمسلمين، برؤى وتصورات بالغة الحركية والأهداف والغايات والارتباطات، فإن واقع التحولات الداخلية في الإسلام ذاته، يفصح عن الأكثر والأهم، هذا بحساب المقارنة مع أي ملاحظة تأتي من خارجه من أجل الادعاء بتفحصه واستقرائه. ومن هنا تحديداً تبرز أهمية الوقوف عند الأثر الاجتماعي الذي تجسده التفاعلات الإنسانية في المجال. فالمجتمع الإسلامي لا يمكن النظر إليه بمواضعات واشتراطات يتم استكناهها من خارج السياقات التي تحكم العالم برمته. فالمسلمون بشر يعيشون على هذه الأرض يؤثّرون ويتأثرون، كما هو حال أمم ومجتمعات أخرى. وإن حالة التركيز التي توجهها آليات الفحص والاستقراء والدرس، لا تعني بتقديم الافتراضات المسبقة عن النقص أو عدم الاكتمال، أو أن هناك خللاً أو عيباً في الأمر، هذا بحساب الادعاء بالشرعية طبعاً.

إن التركيز الذي يبذله العالم اليوم، يجعل من المسلمين في أشد حالات التوتر من هذا العصاب الذي يتنادى بالمسلمين ويعمل على ترصد حركاتهم وسكناتهم وما يتعلق بهم، حتى ليغدو الأمر وكأن المسألة تتعلق بكائنات جديدة وطأت الأرض في الحادي عشر من سبتمبر - أيلول، لا قبل ولا بعد..! ومن دون الخضوع لتمايزات العقل والروح العلمي والادّعاءات المنهجية، نجد العالم وقد نزع عنه كل شيء وغدا في أتون من المباشرة، التي تعتاش على الهياج وتتبضع من الاتهام، حتى ليكون الإفراط والإيغال فيه، عبر هذا الشمول الذي يطال لا المسلمين فحسب بل الإسلام برمته كدين، وحضارة وأفق إنساني، فيما يكون الاعتياش من جانب أطراف أخرى على إذكاء الجانب المعتم من التاريخ ومحاولة إشباعه بالتحريضات.

لا يمكن النظر للعالم الإسلامي باشتراطات يتم استكناهها من خارج السياقات التي تحكم العالم

التوزيعات الأشمل

ها هو ذا العالم يتوقف بكل ما يملك لتفحص المسلمين، ومحاولة الغور في التفصيلات المتعلّقة بحياتهم وممارساتهم والتفاعلات البارزة في أدق شؤونهم. بقدر هذا النزوع الطاغي الذي يفرد مساحاته على الواقع، يقع المسلمون ضحية لسوء الفهم والإخضاع القسري لمبدأ الاجتزاء. حتى لتكون النظرة وقد ترسّخت عند نموذج بعينه غير قابلة للمناقشة والدرس والتفحّص. ومن هذه الوطأة الشديدة، يكون الإغفال عن مجمل التحولات التي أبرزها العالم الإسلامي للاندماج في العالم الحديث، الذي تكون وسائل الاستذكار، وقد جهّزت تهمة الاندماج القسري الذي بدر من الآخر في سبيل دمجه في تجليات نموذج الحداثة وتطبيقاتها وتراتبياتها.

لقد تفاعلت جملة من العوامل في رسم وتحديد صورة العالم الإسلامي الراهن. والذي يتم تقديمه من جانب الآخر باعتبار الربط بالاستثناء، في الوقت الذي تفصح فيه القاعدة عن التطورات والتمايزات التي تعيشها المجتمعات الإسلامية، بكل ما تملك من مقومات إنسانية وحضارية وخصوصيات تفصح عن محليتها وطبيعة اندماجها بالإسلام الواسع والشامل الذي حقق لها هذه القسمات والتميزات الفاردة.

كانت التوصيفات وإلى عهد قريب توجه تركيزها نحو المجال الجغرافي، في ظل تغييب كامل لأي إشارة إلى الإسلام، حتى ان الإشارات تترى إلى الشرق الأوسط أو دول جنوب شرقي آسيا، أو حتى الدول العربية. وفي الاستثناءات القليلة والمحدودة، تبرز التسمية «الإسلامي» في نطاق الارتباط بحادث أو مناسبة.

لكن المواضعات التي تفرزها مجالات المباشرة، يكون فيها عنصر التقسيم والفصل وقد تبدى في أشد حضوره وأعتى صوره، لتكون الصورة في توزيع أكبر وأشمل، يقوم على استحضار ملامح الصراع القديم الذي قسّم العالم إلى معسكرين، شرقي وغربي، فيما يكون التقسيم اليوم على واقع التوزيع الحضاري، انطلاقاً من نظرية صراع الحضارات ليكون الانشغال بهذا المحدد الذي يبسط ذراعيه على المشهد الدولي، ليزيده انقساماً عبر توجيه دالة التحالف نحو أهداف وغايات قوامها توكيد الخطر الداهم الذي جاء ليهدد مقومات ومكامن الوجود. فيما تكون النتيجة إفساحاً لمجال الموجهات التي تفردها القوة الأوحد في سبيل البحث عن مكنون المصالح، والتي لا تأتي عادة من الارتكان إلى مضمون السلام والتصالح، الذي سينجم عنه توافقاً وتداولاً يقومان على المساواة وتكافؤ الفرص. الغاية الأصل هنا تبرز في هذا التطلع إلى إبراز مجال القوة ولا بد من وجود ضحية.

مسألة رموز

في أشد حالات زحف الرموز وتداولها، يكون الحضور في الوسط الاجتماعي وقد اتخذ بعده الاتهامي المباشر. فعلى سبيل المثال ورث النظام الرسمي العربي خلال الفترة المبكرة من عمره السياسي، قضية المناداة بمعاداة الشيوعية، والتي كانت تهمة تطال المعارضين له. وفي هذا الانضواء الايديولوجي يتجسّد الإشكال في فقد اجتماعي واسع، عانى منه المجتمع العربي على مدى طويل. ولم تكن الأحوال لدى المجتمعات ما قبل الرأسمالية الأخرى بأحسن حالاً، فالتوزيع الذي تبرزه ملامح التبعية، يفصح عن هذا الاستغراق الذي يقوم على محاولة التطلع نحو الإمساك بالقوة، حتى وإن كانت تصب في مصلحة الجهات الأكثر قرباً من مركزية المصلحة.

تم تجاهل الإرهاب: ما هو؟ وكيف يكون؟ وما الشروط المتعلقة به؟

اليوم تحضر تهمة من نوع آخر، «الإرهاب» والتي يمكن تجسيدها أفقياً وعمودياً، هذا بحساب النمط العلائقي الذي تظهر فيه. فالسلطة المباشرة تحدد ملامح الاتهامية الصادرة عنها بمدى الالتزام وخرقه على صعيد الواقع المعاش. وعبر مضمون تهديد السلام الاجتماعي يكون التقاطع وقد تمظهر في أجلى صوره، عندما تختلط الأحوال والأشكال والمفاهيم، حتى ليغدو

الواقع وكأنه في لوثة عقلية قوامها الخوف الذي يحط على العقول من هذا الزاحف المفاجئ الذي يطلق عليه تعبير الإرهاب، فيما يتم تحييد كم الأسئلة المرتبطة به. فما هو وكيف يكون؟ وما هي الشروط المتعلّقة به؟ تكون شديدة الثانوية. فالعدو اليوم هو الإرهاب ومن هنا فإن حادث انفجار إطار عربة في الطريق وفي شكل فجائي، سيجعل من رجل الشارع تند عنه صيحة «إرهابي»!!

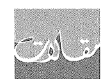
هكذا يتم تمدد الرموز على مستوى العالم، حتى ليصبح من العسير والشاق الركون إلى مصدرية الرمز، الذي يبدأ بالتداول حتى يعتاده العالم برمّته ليكون متماهياً مع المعاني المتداولة وكأنه أصل غير قابل للشك أو الدحض. وإذا كان الواقع يشير إلى أهمية المكنون الثقافي في الفصل والفرز، فإن الوقائع تفصح عن مكنون الاختلال والتداخل الذي يحيط بالعقول حتى ليكون من الصعب، تحسس موطن الثبات وتعيين ملامح العقل. وإذا كان التسلل إلى إنضاج الرموز والعمل على جعلها وكأنها من صميم الواقع، فإن التفصيلات المتعلقة بالأحداث تكون بمثابة الناقوس الذي يشهد على لحظة الإعلان الرسمي، عن هذا الرمز. ومن هنا يكون الإرهاب في لحظة الطور الثاني من تجلياته، ذلك الطور الذي تظهر فيه ملامح التركيز والاستهداف الأوحد.

صلابة التحديدات

القصدية المفرطة التي يوغل فيها خطاب الإرهاب، تجعل منه خاضعاً لاشتراطات المركز، الذي يتجسّد اليوم في القطبية الواحدة، التي باتت حصيلة بيد الولايات المتحدة. وإذا كانت تفاعلات العلاقات الدولية قد أفصحت عن ملامح التبدلات الهائلة والعميقة، فإن التطلع هنا يتخذ مجال الاستهداف الواقع تحت إسار رد الفعل. وبحضور هذا الزخم الموسع من التأثر المباشر يكون العالم وقد وقع في صلابة التحديدات، التي تجعل من توزيع العلاقات يقوم على ثنائية الأسود والأبيض، من دون الإحساس بأطياف من اللون أو الاعتقاد بأن ثمة فاصلة يمكن الإفادة منها.

توزيع لا يقوم على تحديد المصالح، أو الاشتراطات السياسية، لكن الأمضى والأهم فيه، يبرز في هذا الربط الكامن مع الديني، والذي يتعلق حضوره في أشد المعاني التصاقاً بالمجتمعات. ومن هنا تبرز ملامح الخطورة والمباشرة. فإذا كانت المباشرة الاتهامية قد اتخذت اللبوس الايديولوجي خلال سنوات الحرب الباردة فإن حقل الاتهام اليوم يتحرك في مجال لا يبتعد توصيفه عن حقل الألغام.

الموضوع هنا يتعلق بجانب شديد الرسوخ، تتمثل خصائصه في مكنون الهوية الأصل الذي يغلب على المجتمعات الإسلامية، والتي باتت مستهدفة اليوم بطريقة شديدة الوضوح لا تقبل اللبس أو الاجتهاد. وإذا كانت آلية الحذف والتهميش التي تقصدها الولايات المتحدة في حربها ضد الإرهاب، تقوم على جهات أو تيار محدد من عموم الإسلام، فإن طغيان الخطاب على الواقع، يجعل من أمر الفرز، مسألة في غاية الصعوبة والتعقيد. وهكذا يكون الاتهام وقد تمّ توجيهه إلى هذا القطاع الواسع من المسلمين الذين يعيشون في الغرب، حتى باتت الأصوات تتعالى من شدّة الإجراءات وقسوتها في مسائل الهجرة والإقامة، بل إن الأمر بلغ على مستوى ردود الأفعال الصادرة من بعض الغربيين، الذين حدّدوا نظرتهم إزاء المسلمين بعمومية تثير القلق.



مقام التدبّر العقليّ في القرآن الكريم

الإنسان المعاصر أمام حركة الواقع والاجتهاد

أبو زيد المقرئ الإدريسي*

إن الحالة التعسة التي تعيشها جماهير الأمة الإسلامية تعود في جزء منها، إلى أنها ألغت العقل إلغاء شبه كامل، وحقّرت دوره وعطلت استثماره، بل إنها فعلت ذلك أحياناً باسم الإيمان توهماً منها أن من مستلزمات الإيمان الصحيح أن يقوم الإنسان بكبح جماح العقل ولجم أسئلته المزعجة القلقة المشاغبة، التي قد تؤدي إلى زعزعة إيمانه وتذبذب يقينه.

وهكذا كان الحصاد المر لقرون الانحطاط والمتمثل في شيوع الخرافة والشعوذة وتعاطي السحر وتصديق التنجيم والاعتماد على العرافة والكهانة على مستوى الاعتقاد. وكان شيوع التواكل، والفوضى، والجهل والكسل الذهني والعزوف عن العلم على مستوى السلوك. وتوج ذلك بإغلاق باب الاجتهاد، وسيطرة التقليد، فالتعصب المذهبي فتقديس السابقين فالرضا بفقه الفروع الجاهز، وهو العلم الذي تعب فيه الأوائل ولكنه ليس علماً قابلاً للتطبيق في كل مكان أو صالحاً مطلقاً لكل زمان لأنه ليس وحياً، ولكنه اجتهاد عقل في زمان ومكان محددين لتنزيل الوحي على واقع محدد.

وعندما يتغير هذا الواقع، نحتاج إلى إعمال الذهن من جديد في كل مقتضيات الفقه، ولهذا نفرق بين الفقه وبين الشريعة. وهو تفريق لا يجد مسوّغه إلا في هذه الحقيقة.

وأخيراً، انتهينا إلى التخلّف التقني الذي أثمر تحكم الغرب فينا فأذلنا أيما إذلال، فنحن نشحذ منه لقمة الخبز كما نشحذ الصاروخ والطائرة، وهذا عجز قاتل، ولكنه عجز لا يتعلق بتوفير مقتضيات القوة والتدافع، فعندنا منها الكثير، وإنما يتعلق بهذه الجذور التصورية والمعرفية المتسلسلة من سوء الظن بالعقل والخشية منه على الإيمان، إلى وجود خلل في فهم العقيدة وخلل في السلوك وضياع على مستوى الرؤية والمنهج. إن علينا أن نعيد الاعتبار إلى العقل بصفته نعمة من الله سوف نُسأل عنها، وبصفتها وسيلة من

* أستاذ جامعي / المغرب

وسائل التكريم والبقاء والتدافع، وبصفته قرين الإيمان لا نقيضه، فالعقل هو الذي يصون الإيمان تماماً، كما أن الإيمان هو الذي يصون العقل. ذلك أن الإيمان بدون عقل يصبح خرافة كما أن العقل بدون إيمان يسقط في براثن الإلحاد.

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالتدبّر في كتابه، وأمرنا من خلال كتابه بالتدبّر في كونه وخلقه وشؤونه، أمراً يأتي في مساق الاستفهام الإنكاري:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾
[سورة محمد الآية: 24].

والآية تشير بطريقة غير مباشرة الى أن مآل من لا يتدبر إلى الختم على قلبه. وهكذا تصبح الحالة الفكرية السلبية مؤشراً على الحالة الإيمانية السلبية.

ولهذا نجد الرسول (ﷺ) في حاله ومقاله يدعو إلى التدبر ويمارسه ويستثمره وينجزه في أرض الواقع منهج دعوة وواقع دولة. كيف لا وهو يقرأ قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ * ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة آل عمران الآيات 190 ـ 191].

ليقول معقباً في خشوع وتهيّب: «ويل لمن قرأهن ولم يتدبرهن».

وليس المقصود مجرد التدبّر الإيماني المحض، فهذا من ضرورات العقيدة، وإنما يُراد بذلك أيضاً التفكر العقلي الخالص والتأمل الذهني العميق الذي يفضي إلى الكسب المعرفي الصحيح. إنه لا بد من أن نعود إلى الأصول، إلى القرآن الكريم، لنستقي منه ضوابط وأسساً لوضع منهجية عامة باعتماد منهج التأمل الخالص. ولقد فعلت شيئاً من ذلك، لأكتشف أن القرآن الكريم، ومن الانطلاقة، يبسط المنهج الصحيح بهذا الصدد.

تكون المنطلقات دائماً تأسيسية، وفي المنطق نجد أن القرآن الكريم يعيد الاعتبار للعقل ويضعه في مقام خاص في منطلقيه التأسيسين: المنطلق النسقي والمنطلق التاريخي.

أما المنطلق النسقي فيتمثل في أول كلمة نزلت من القرآن الكريم ألا وهي «اقرأ». وهنا وقفة لا بد منها حتى نفقه هذه الأولية، فليس الأمر متعلقاً بأهمية القراءة وقيمتها وأهمية العلم وقيمته فقط، ولكن الأمر أعمق من ذلك: لقد كانت الجزيرة العربية ـ آنذاك ـ تغرق في الشرك فلعلّها أحوج إلى أن يكون أول ما ينزل: «وحّد». وكانت تغرق في الكفر فلعلها أحوج إلى أن يكون أول ما ينزل: «آمن». وكانت تعيش ظلماً اجتماعياً قاهراً للمرأة والطفل والعبد والضعيف، فلعلّه كان أولى أن يكون أول ما نزل هو: «اعدل». لقد كان في قريش من عتاة وصناديد الملأ المكي ـ وهم طاغوت يصد الناس عن دين الله ـ ما لعله يحوج أن يكون أول ما نزل هو: «جاهد».

إلا أنه لم تنزل «آمن» أولاً ولا «وحد» ولا «جاهد» وإنما نزلت «اقرأ»! وليس لذلك في رأيي إلا تفسير واحد يتمثل في أنه لا بدّ من تأسيس كل هذه الأفعال بدءاً على هذا الفعل، فعل المعرفة السليمة، ذلك أن الإيمان بلا «اقرأ» سيصبح خرافة، وأن الدعوة بلا «اقرأ» ستصبح تنفيراً، وأن العبادة بلا «اقرأ» ستصبح بدعة، وأن الجهاد بلا «اقرأ» سيصبح إرهاباً. وهكذا كان لا بدّ من إنارة بالعلم، فتنزّل «اقرأ» هذه على رجل أمّي، يعتز بثقافته الشفوية.

وأكثر من ذلك نرى أن التأسيس النسقي لم يكن فلتة في بداية الوحي، وإنما انتشر في نسيج القرآن من أوله إلى آخره. ويكفي أن نقول إن لفظة العلم ومشتقاتها وردت 750 مرّة في القرآن الكريم، وهذا كلام الله المبني على إعجاز الإيجاز، ومن مقتضيات الإيجاز عدم التكرار، فلا يكرّر في مساق الإيجاز إلا ما كان ضرورياً أن يكرَر لأهميته. إن الشخص العاقل ـ إن

حدثك - لا يحتاج أن يعيد كلامه نظراً لثقل اعتباره في وعيك وقلبك، **فكيف إذا كان المتكلم هو الله؟؟ إنه ليكفي أن يأتي الأمر مرّة واحدة في القرآن الكريم حتى يحتل في نفوسنا ووعينا المكان الذي يليق به، فكيف إذا تكرّر بهذا الرقم الهائل؟**

أول ما يلفت الانتباه بهذا الصدد، هو أن اختيار غار حراء، مخالف بكل المقاييس للمنهج العام للدعوة الإسلامية، ذلك أنها كانت تتقصد دائماً أن تبتعد عن مواطن الشبهات التي قد تثير في وجه الخطاب الدعوي النبوي زوابع التشكيك. فلقد اختير الرسول (ﷺ) في سن الأربعين حتى لا يقال غلام، واختير كامل الخلق حتى لا ينتقص من خلقته، ويكون الاستهزاء به حاجزاً بينه وبين دعوة الناس، واختير أمّياً حرم نعمة القراءة حتى يقطع الطريق على من سيتهمونه بنقل الكتب السابقة، وكلها اختيارات لا صلة لها بأصول الإسلام، وإنما هي مجرد مراعاة حكيمة للوضع، تجنباً للتشويش بالشبهات.

ولا يكاد يشذ عن ذلك سوى اختيار مكان انطلاق الوحي، فعوض أن تختار لحظة من اللحظات الواضحة للرسول (ﷺ) وهو وسط الناس، تحسباً لأن يتهم بما هو شائع في الثقافة السائدة آنذاك، بأنه شاعر أو كاهن أو ساحر يتصل بالجن في الأماكن النائية، اختيرت لحظة قد تلقي بشيء من ظلال الشك على مصدرية الوحي، بأن تربط نزوله، بشكل آلي، مع ما هو سائد في الثقافة الشعبية آنذاك.

إن اختيار غار حراء مع ما يمكن أن يثيره من شك، لا بد أن يكون من ورائه غاية أعظم أحوجت الإسلام إلى أن يركب هذا المركب الصعب وأن يتحمل هذا المثير المشكك من أجلها، وأظنها تكمن في إشارة سميائية إلى كون الغار المنعزل، في مكان شاهق، يوفر للرسول (ﷺ) لحظة تأمل عقلي خالص، فمقامه بغار حراء لم يكن للعبادة، إذ لم يكن عنده شرع يعبد الله به، وما يليق به أن يفعل ما تنزه عنه «الحنفاء» المعاصرون له، حين توقفوا عن العبادة قائلين: «اللهم لو نعلم الوجه الذي نعبدك عليه لفعلنا». ولم يكن مقامه فيه للدراسة، فلقد كان أمياً وليس عنده كتاب.

كان إذن يتأمل بما هو فعل تركيز جواني لتمرين الملكات العقلية والذهنية، أي بما هو إعداد فكري لمن سيحمل المشروع تبليغاً وتطبيقاً. إعداد استغرق أزيد من خمس سنوات، وفي كل مرّة كانت «الدورة التدريبية» تستغرق أياماً وأحياناً أسابيع.

ولا يعقل أن الرسول (ﷺ) الذي صنع على عين الله وأعد برعاية الله، وهيئ بأن شق صدره، وطهر وأدب فأحسن تأديبه، فصار على خلق عظيم، لا يعقل أبداً أن يكون شيء من محطات حياته قبل البعثة عبثاً، أو غير مندرج في إطار إعداده لهذا الوحي.

متى يصبح الإيمان خرافة؟ والدعوة تنفيراً؟ والعبادة بدعة؟ والجهاد إرهاباً؟

لقد أطال السلف الوقوف عند محطتي الإعداد النفسي والإعداد التربوي، ونحن نوافقهم على هذا، لحاجة النبي(ﷺ) للأول في أداء أمانة التبليغ، والثاني في الصبر على الابتلاء. ولكن، هناك إعداد ثالث أغفل أو لم يأخذ حظه في الحديث عن سيرة الرسول (ﷺ) قبل البعثة، وهو الإعداد الفكري. فلو كان الرسول (ﷺ) يعد للتبليغ فقط كالمسيح (عليه السلام)، لكان يكفيه الإعدادان النفسي والخلقي. أما وهو يهيّأ أيضاً لبناء دولة الإسلام ويؤسس المشروع الإسلامي والحضارة الإسلامية، فإنه لا يكفيه حسن خلق ولا جميل صبر، بل لا بد من ذهن لامع يقوم بتنزيل هذا على أرض الواقع، وللواقع فقه خاص به له مقتضيات وشروط، وهذا يحتاج إلى العقل ولا ينفع فيه القلب وحده.

إن الإعداد العقلي، لا يمكن أن يأتي من فراغ، بل

لا بد من بناء وتهيئة، ولقد كان ذلك من طريق الخلوة في الغار، استعداداً لاستقبال أمانة الوحي، وقد استغرق ذلك ما بين سن الخامسة والثلاثين والأربعين، من أجل بناء ملكات العقل، إن الإعداد الخلقي يتم قبل الخامسة عشرة «شاب نشأ في طاعة الله»، والإعداد النفسي يتم قبل العشرين، فهناك تتأسّس البنية النفسية للإنسان، أما الإعداد العقلي فيترك إلى المحطة الأخيرة لاكتمال النضج. وقد تمّ اختيار لحظة من لحظات هذا الإعداد وصل فيها الرسول (ﷺ) إلى قمة اكتمال تفتّحه العقلي وتهيئه الفكري بالاستغراق العميق في التأمل الجواني المفصول عن الواقع بالظلمة المطبقة والصمت الأشد إطباقاً، لتكون هي اللحظة التي اختيرت لنزول الوحي!

إن الاقتران بين ما هو نسقي وتاريخي اقتران له دلالته، وإن هذا الاقتران له أهمية تستحق معه أن تكابد لحظة قد تثير شبهة، رغم أن منهج الإسلام هو الابتعاد عن الشبه كلها.

إنه ليس هناك أي تفسير آخر لاختيار غار حراء لنزول الوحي غير هذا. إلا أن يكون هذا الغار في نفسه شريفاً، أو يكون أرضاً مقدسة، ولا دليل على ذلك. فرسول الله لم يعد قط إلى غار حراء منذ نزول الوحي. ولا ذكره، لأنه مكان دلالته في وظيفته (الإعداد للتأمل)، حتى إذا انتهت الوظيفة انتهى الانتباه إليه. ولهذا لم يشرع لنا في مناسك الحج أن نزوره، وشرّع لأهل مكة يوم يقومون فيه عنده بنسك، بل إن ذلك يعتبر بدعة. ومعنى هذا أن الأمر كان محض اقتران وظيفي لا علاقة له بقدسية المكان، سوى أنه مكان احتضن تأمل الرسول (ﷺ) وتحنثه، وأنه شهد الدقائق الأولى لنزول الوحي، وأنه كان مسرحاً للقاء الأول بين جبريل الأمين وبين الرسول (ﷺ).

لقد أجمع وعاظنا المعاصرون فوق منابرهم، على الحديث عن «فساد الزمان» وعن «الحركات الضالة» في صيغها المعاصرة، فتجد أحدهم تارة يرد على «مقال إلحادي»، ومرّة يواجه «استمارة نسوانية» أو أخرى ينتقد «فناناً منحلاً» ورابعة ينبه إلى «رواية فاسدة».

قد يكون هذا من المدافعة المطلوبة شرعاً، وباباً من أبواب الجهاد عظيم، لكن متى نفكر قبل أن يكتب سلمان رشدي روايته الفاجرة، فيقوم الواعظ بلعنها على المنبر، أن نفتح نادياً أدبياً نحتضن فيه شباب الأدب، وننظم ندوات أدبية، وننشئ دار نشر للأعمال الأدبية الهادفة، ترعى هؤلاء الشباب، إلى أن يصبحوا مبدعين يكتبون الروايات، يملآون بها الساحة ويقدّمون بها البديل، لمن لا يستطيع أن يقرأ كتاباً فكرياً جاداً، يستغني بها عن أمثال سلمان رشدي؟

لا يعقل أن يكون شيء من حياة الرسول (ﷺ) قبل البعثة عبثاً أو غير مندرج في إطار إعداده للوحي

لكن «العالم» عندنا يظن أن مهمته هي «حفظ الدين»، بأن ينفي عنه انتحال المبطلين وتحريف الغالين، ويحفظ بيضة الدين، وكأن أمر الدين قائم وجاهز ومتكامل وليس على العالم إلا أن يحفظه، في حين أن أمر الدين يبلى، وحركة التدين قد تموت في المجتمع، فالأمر لا يحتاج إلى حفظ فقط، بل إلى إنشاء من جديد، يحتاج إلى دم جديد يدفق في العروق، فكراً وتصوّراً وسلوكاً، ليدافع العتيق والمتخلّف، قبل المنحرف المستجد..!

في حين أن السلف الصالح لم يكونوا يكتفون بالمدافعة، بل كانوا يبادرون لمواجهة كل ما جد من أمورهم، فعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لم يهرب إلى الجاهزية، بل واجه طوارئ عصره بكل مسؤولية ومعاناة، عبر إجراءات تجديدية جريئة، رغم أن الرسول (ﷺ) لم يكن قد غاب إلا قبل عقد من الزمان، وكان من ذلك اجتهاده في قضية أرض السواد، وتنظيم الجيش على هدى نظام ديوان الجند،

والمال على هدى ديوان المال لدى الفرس، وتوقيفه لباب من أبواب الزكاة هو باب المؤلفة قلوبهم، وتعليقه حد السرقة عام الرمادة.. إلخ.

لكننا بعد أربعة عشر قرناً ما زال بيننا من يقول بعدم الحاجة إلى تجديد الدين لأنه جاهز.

كيف يجدد السلف ووتيرة التغيير بطيئة في زمانهم، ولا نجدد ووتيرة التغيير سريعة جداً في زماننا...؟

يضطرنا الحديث عن الاقتحام وتقديم البدائل إلى نقطة منهجية لا بد من الحديث عنها: بأي وسائل نقدم البدائل..؟ وعلى أي مستوى تتخلق هذه البدائل..؟ هل الأخذ بوسائل العصر أم الأخذ بوسائل الزمن القديم باسم «السُنّة»، وباسم «السلف» و«الاقتداء»..؟

لا يمكن إلا أن نتكلم بوسائل العصر، لقد كان الرسول (ﷺ) يتكلم بوسائل عصره، وهنا تكمن مشكلتنا: فكلما أردنا الاستشهاد برسول الله (ﷺ)، إلا وفرّغنا مناط الاستشهاد من روحه وجمدنا على الإطار التاريخي، كالذي يحكم على إنتاجية مصنع من خلال مجموع السلعة المنتجة، وهذا لا يصلح في علم الاقتصاد، فلكي نحكم على إنتاجية مصنع يجب أن ننظر إلى بنيته وليس إلى إنتاجه.

لنتخيل شخصاً بنى مصنعاً ضخماً، واستغرق منه ذلك جزءاً كبيراً من عمره وأرسى دعائم المنشآت فيه، ثم بعد 23 سنة أنتج 500 طن مثلاً، ثم توفي، هل نحكم على منهج الرجل ومشروعه وطموحه من خلال المصنع الذي بنى، أم نحكم عليه من خلال الكمية المحدودة التي أنتج، ولا نزيد عليها «اقتداء» و«اهتداء» به..؟

لقد بنى الرسول (ﷺ) مشروعاً حضارياً ضخماً، وطبيعة السنة الكونية، سنة التدرج، ألا تظهر نتائج هذا المشروع إلا بعدعقود عدّة.

لقد بعث النبي (ﷺ) في أمة أميِّة، ولكنه أول من اصطفى إليه كتبة الوحي، ودعا إلى الكتابة، وأخذ أسرى بدر ففادى بعضهم على أن يعلم كل واحد منهم عشرة من الصبية، وهو الذي جاء بوحي، أول كلمة فيه «اقرأ» لكن مشروع التدوين لم يكتمل إلا على رأس القرن الرابع الهجري، لما أصبحت العلوم الإسلامية أوسع من أن تستوعب شفوياً.

ولا يمكن أن نحكم على التجربة الإسلامية في مجال التدوين في عهد الرسول (ﷺ) باعتباره القدوة، بالاقتصار على ما أنجزه عهد الرسول (ﷺ) من المؤلفات والمدوّنات ثم نقيس عليه..! لأننا سنجد كتاباً واحداً هو القرآن وحده، وبعض صحائف من الحديث أذن النبي (ﷺ) بكتابتها، والقرآن نفسه لم يكن مكتوباً إلا على العظام وسعف النخل، لكن المهم هو الانطلاقة، والإطار الذي وضع، أما الإنتاج فهو محصور بحدود بشرية محدودة، وعلى هذا المثال يمكن أن يطرد القياس.

إننا نعيش مثلاً تداعيات «قضية المرأة»، وهي من أخطر المشكلات اليوم لأنها تفجرت على الصعيد السياسي والقانوني، لكن «الخطاب الإسلامي » الذي حارب العلمانيين والمتغربين هو أيضاً خطاب تقليدي في معظم مضمونه، يحاول أن يكرس عقلية «عصر الانحطاط » التي تنظر إلى المرأة نظرة سلبية تحقيرية وتجعل الرجل مهيمناً على مجالات التفكير والنشاط واتخاذ القرار بقراءات متخلّفة للإسلام، وركوب على نصوص اجتزئت من سياقها، وأقوى مستند عند القراءة التقليدية للمرأة هو النظر إلى حجم الإنجاز النسوي في عهد الرسول (ﷺ) ليس هو حدود الإنجاز النسوي في الإسلام، فتلك المرحلة لم تكن سوى عينة نموذجية سمح بها الزمان المحدود، ثم وقعت الأمة بعد ذلك في نكسة ومضى المشروع الإسلامي في عكس اتجاهه.

وهذا الإشكال المنهجي، وراء كل مظاهر سوء التفاهم بين تيارين كبيرين داخل مجتمعاتنا اليوم،

أحدهما يريد أن يفسح للمرأة كل مجالات المشاركة إلى أقصى حد، متوقفاً فقط عند النصوص القطعية الورود والدلالة، التي قد تحظر على المرأة ـ واستثناء فقط ـ بعض الوظائف المحدودة المعدودة، وثانيهما يسعى ـ بالعكس ـ إلى قصر نشاطها على أضيق المجالات وأقلها عدداً وشأناً بحجة أن غيرها من المجالات لم تعرفها المرأة في العهد الأوّل للنبوة والخلافة، فهي بدع محرّمة وضلالات مستجدة، انفتحت علينا كالجحيم بسبب عدوى التغريب وضلالات الاستعمار والعولمة...!

والتيار الأول، وهو الأقرب إلى الصواب وإلى فهم روح الشرع الحنيف، ينطلق من القاعدة الأصولية العظيمة «الأصل الإباحة»، ويتنسم روح الفكرة التي بسطناها آنفاً، في حين يظل التيار الثاني سجين حركة التاريخ، تختلط عليه حدود الإنجاز البشري النسبي بضوابط الاقتداء والتسنن.

ونحاول هنا أن نقدم مثالاً آخر على معاناة الفكر الساعي لتخليص الشرع من أسر التاريخ، حتى يستبين داخل منطق التشريع ما هو جوهري خالد، يمثل القوانين الكلية المطلقة، وما هو مرحلي مؤقت يراعي المرحلية والمرونة وضواغط الواقع العارض، ولكنه قد يتحول إلى عائق حقيقي في وجه الاجتهاد حين لا يتم إدراكه على هذا النحو.

إن مثال حكم الإسلام في الرقيق، يساعدنا جيداً على إدراك إشكال تفاعل الشرع مع حركة التاريخ بما لا يؤدي إلى خلط المبدأ في الحكم الشرعي بضرورات الواقع الضاغط: لا أحد يشك في أن الأصول العامة العقدية تقوم على مساواة أبناء آدم كأسنان المشط، فلا فضل إلا بالتقوى، وعلى تكريم الإنسان في خلقه وتحريره وتكليفه بالرسالة المشرفة: عبادة الله. وفي هذا الإطار نضع مجموعة من الأحكام الشرعية موضع الاعتبار المؤقت: فباب «العبد الآبق» مثلاً، لا يفهم منه أنه أمر للعبيد للبقاء في بيوت أسيادهم تكريساً لظاهرة العبودية، وإنما نفهم منه رفض الإسلام لحل المشاكل من طريق الفوضى التي ستتسبب في فساد الأموال والأعراض وتؤدي إلى اختلال العلاقات في المجتمع تماماً، كما أن الإسلام منع الانتقام وشرع القصاص، ولم يمنع الانتقام لأنه أراد أن يحرم الناس من حقهم في القود، بدليل أنه نظم هذا القود من طريق القصاص.

وإلا كيف نفهم في المقابل بقية الأحكام الشرعية المتضافرة للقضاء على ظاهرة الرق (إغلاق خمسة أبواب للرق من أصل سبعة، جعل العتق من أحسن الكفارات وأفضل أبواب البر، الحث على المكاتبة بين العبد وسيده، عدم استثناء العبيد من أي سبب للشرف الحقيقي كالإمامة مثلاً).

طرح البدائل يعني الأخذ بوسائل العصر وقد فعل الرسول (ﷺ) ذلك

إن الأزمة ليست في النصوص، بل في الرؤية لهذه النصوص. والرؤية منطلق، والمنطلق ثابت من الثوابت الكبرى يفهم في إطار حركة الحياة، والسنة الكونية. وبموجب هذا قام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ باجتهاداته المعروفة. نفهم من ذلك أن هذا التشريع جاء في إطار حركة تدريجية. وفي هذا الإطار أيضاً نفهم الناسخ والمنسوخ، والأحكام الشرعية التي تغيرت حتى يتهيّأ المجتمع الإسلامي للحكم الشرعي النهائي القطعي.

في إطار هذه الرؤية التجديدية وفي إطار التصور الواقعي لحركة تنزيل الدين على المجتمع، يصبح لازماً أن نجيب عن السؤال المطروح سلفاً بالآتي: إن طرح البدائل يعني الأخذ بوسائل العصر، وقد فعل الرسول (ﷺ) ذلك: لقد وجد الكفار يجتمعون في الأسواق التجارية فولجها عليهم، ووجدهم يجتمعون في الأسواق الدينية مثل الحج، فاقتحم عليهم هذه الأسواق، ووجدهم يجتمعون في الأسواق الأدبية



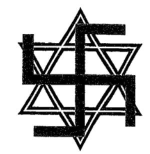
فزاحمهم فيها. وجد الأسواق الاقتصادية قائمة على الغش والاحتكار والربا، لكنه ولج هذه الأسواق، من دون أن يعني ولوجه ذاك تزكية لتلك التجمعات، لم ينظر الرسول (ﷺ) إلى الأصل الفاسد الذي تقوم عليه تلك التجمعات: فتجمعات العبادة كانت قائمة على البدعة. وشر البدع ما جمع في الحج، وأسواق الأدب كانت قائمة على المفاخرة والتشدّق والشقشقة التي نهى عنها الإسلام، والفجور في الكلام، وعلى الخمر والغزل الفاحش... لم ينظر إلى أساسها الفاسد عقدياً وتشريعياً وأدبياً واقتصادياً وإنما نظر إلى كونها ـ على المستوى التقني ـ تجمعاً بشرياً يمكّنه من أكبر قدر من الاتصال.

لقد كانت دار الندوة تمثل تجمع الصفوة الارستقراطية، والملأ القرشي الظالم، وهي محتكرة عليهم، وفيها يبرمون قراراتهم، والدخول إليها قد يفهم على أنه تزكية للدكتاتورية القائمة في هذا التجمع. ولكن النبي (ﷺ) لم يرَ هناك إلا تجمعاً بشرياً ولجه لكي يلقي كلمة الإسلام ويبلغ رسالته. كما دخل عيسى ـ عليه السلام ـ قبله على اليهود في الهيكل.

بموجب هذا نحب أن نلج إلى أمتنا في عصرنا هذا ـ كما في كل عصر ـ بالوسائل التي يتيحها العصر، وبالإمكانات التي يتيحها العصر من جمعية أو حزب أو نقابة أو منظمة حقوقية أو جريدة أو مؤسسة إعلامية أو اقتصادية ندخل كل المواقع من منطلق أصل من الأصول حاسم وهو «الأصل في الأشياء الإباحة». هذا الأصل كفيل بتحرير العقل المسلم وبتحرر الجسم والمنهج والإنسان المسلم الذي كبّل بالتآمر الخارجي وكبّل بالتكلس الداخلي، وصار المسلم كلما اخترعت وسيلة يرفضها ويحرمها، في حين كان من الأولى أن يكون هو مبدع تلك الوسيلة.

وقد عوقت الحركة الإسلامية المعاصرة بموجب ذلك، ذاتها بذاتها، وحصل من هذا التعويق أن الآخر يتفوق عليها في شكل تلقائي.

إن المقصود بالحركية إذاً، هو الحركة التي تنزل إلى الشارع وتطرح البدائل وتبتكر، والابتكار وطرح البدائل بدل النقد، يستلزم الأخذ بوسائل العصر. والمرتكز الأصولي لهذا الأخذ هو قانون «الأصل في الأشياء الإباحة» ورحم الله من قال: «واحد يوقد شمعة خير من ألف يلعنون الظلام».



كيف تعاونت الصهيونية مع النظام النازي؟!

ترجمة وإعداد: **د. عبد الله الزيات***

لقد أعطى القادة الصهاينة أثناء عصر الفاشية الهتلرية والموسيلينية من الأدلة ما يجعل من الخطأ الاعتقاد بأن الصهاينة سعوا في كفاح الفاشية، بل إنهم أعطوا ما يؤكد أنهم حاولوا التعاون معها. فالهدف الأساسي للصهيونية لم يكن إنقاذ اليهود وإنما كان إنشاء دولة يهودية في فلسطين؛ والقائد الأول لدولة إسرائيل وهو بن غوريون Ben Gurion كان أدلى في السابع من ديسمبر (الكانون) 1948 بالتصريح التالي: «إذا علم أنه كان من الممكن إنقاذ كل أطفال ألمانيا بإحضارهم إلى انكلترا، أو إنقاذ نصفهم فقط بنقلهم إلى Eretz Israél فإنني كنت سأختار الحل الثاني». فدولة إسرائيل كانت أكثر أهمية عند الصهاينة من حياة اليهود، وعدوها الرئيس كان تشابه اليهود مع غيرهم واختلاط الجماعة اليهودية في المجتمع الوطني نفسه.

لسبب ما فإن الاتحاد اليهودي العالمي كان وجّه إلى الحزب النازي في 21 من يونيو (الصيف) عام 1933 مذكرة يقول فيها: «في إنشاء الدولة الجديدة التي قامت على مبدأ الجنس نأمل بأن نبني مجتمعنا طبقاً للبناءات الجديدة... فاعترافنا بالقومية اليهودية يسمح لنا بإقامة علاقات واضحة وصريحة مع الشعب الألماني طبقاً لحقائقه الوطنية والعرقية، ولماذا بالضبط لا نريد نحن هذه المبادئ الأصولية؟ إن ذلك بسبب الذي نعلنه نحن ضد الزيجات المختلطة لمصلحة الحفاظ على نقاوة الطائفة اليهودية. لأجل بلوغ هذه الأهداف العملية فإن الصهيونية ترجو أن تكون قادرة على التعاون حتى وإن كان ذلك التعاون مع حكومة معادية أصلاً لليهود، وفي حالة ما إذا قبل الألمان هذا التعاون فإن الصهاينة سيجتهدون في إقناع اليهود في خارج ألمانيا على أن يتخلوا عن المشاركة في المقاطعة ضد ألمانيا».

وهكذا كان؛ حيث بدأ الصهاينة عام 1933 التعاون الاقتصادي مع النظام النازي وأنشأوا شركتين وهما La Haavara Campany في تل أبيب وLa Paltreu في برلين، بهدف ضمان نقل يهود أثرياء إلى الشرق الأوسط، وقد شارك بن غوريون Ben Gurion وغولدا مائير Golda Meir في هذه العمليات، واستمر التعاون حتى عام 1941.

....

* أستاذ جامعي / ليبيا

خرافة الهولوكاوستو Holocausto هي خدمة لإنشاء أراضي دولة صهيونية إمبريالية في الشرق الأوسط:

في ما لحق عام 1945 بدأت الصهيونية المؤيدة من جانب الامبريالية الانجليزية ـ الأمريكية تبني خرافة سياسية لم يبنِ النظام النازي بموجبها شيئاً سوى برنامج عملاق ضد اليهود، وقد احتفظت النازية بهذه الصورة حتى اليوم، وقد تكوّنت تلك الصورة من عناصر عدة:

1 ـ خرافة عدالة Nüremberg:

فقد تُستَّر على حقيقة مفادها أن Nüremberg لم تكن محكمة دولية؛ لأنها لم تكن قد تشكلت إلا من الامبرياليات المنتصرة في الحرب، وإضافة إلى ذلك فإنها لم تفصل إلا في جرائم المهزومين في تلك الحرب، ولم يجلس في قفص الاتهام المخصص لمجرمي الحرب تشرشل ولا ستالين، ولا ترومان، بالرغم من أن الأخير كان مسؤولاً عن الكارثة الذرية في اليابان، التي تسببت في مئات الآلاف من الضحايا، وبالرغم من أن ستالين أمر بإقامة مجزرة آلاف من الموظفين البولنديين (وهي مذبحة منسوبة إلى النازيين).

2 ـ نظرية التصفية الجسدية العرقية والهولوكاوستو:

بالرغم من أنه لم يوجد مستند مكتوب يأمر فيه هتلر بإبادة اليهود («الحل النهائي» كان يعني ـ بالنسبة إلى زعماء النازية ـ إبعاد اليهود عن ألمانيا وأوروبا إلى مدغشقر أو شرق أوروبا)، فبالرغم من أن الخبرات التقنية التي أكدت عدم الإمكانية الاصطناعية لغرف الغاز، وبالرغم من أن رقم الستة ملايين الذين «قتلوا» كما صرح في Nüremberg والمتناقص في ما بعد إلى ثلث هذا العدد ـ على الأكثر ـ كما صرّح بذلك المتهمون بالجريمة، فإن خرافة الهولوكاوستو استمرّت تنتشر.

إن كلمة الهولوكاوستو Holocausto في الأصل هي كلمة توراتية لها دلالات دينية وظفت في خدمة الأهداف الصهيونية، مع تعسف المعنى التاريخي من البربرية النازية الفاشية.

وبالرغم من الطابع المختلق لجزء كبير من يوميات آنا فرانك Ana Frank فإنها ما زالت تقدم كـ«وثيقة تاريخية».

فتقديم قمع النازية لليهود تصفية عرقية (التصفية العرقية تعني إبادة شعب أو طائفة عرقية، والطائفة اليهودية لم تُبَدْ في الفترة المشار إليها، بل إنها عرفت أوجها الممتاز اعتباراً من العام 1945)، والحديث عن التصفية العرقية الكبرى في التاريخ، يفيدان في تغطية جرائم كثيرة وصرف الاهتمام عن تصفيات عرقية كبرى، يعكر ذكرها صفو مزاج المنتصرين في الحرب مثل: إبادة عشر الهنود الحمر في أمريكا، ومذابح العبيد في أفريقيا، والإبادات المتوحشة التي قام بها ستالين؛ فـ 60 مليوناً من مجموع 80 مليوناً من سكان أمريكا الأصليين كانوا قد قتلوا في أمريكا الجنوبية منذ غزوها، والحرب العالمية الثانية نفسها تسببت في موت 50 مليون نسمة، عشرون مليوناً منهم من السوفيات، وتقريباً عشرة منهم من الألمان، ومن يتذكر اليوم مذبحة درسدن Dresdn في 13 من فبراير (النوار) 1945، عندما حصدت القنابل الفوسفورية الإنجليزية والأمريكية أرواح مائتي ألف ضحية مدنية في ساعات قليلة؟

الهولوكاوستو كلمة توراتية لها دلالات دينية وظفت في خدمة الأهداف الصهيونية

فكلمة هولوكاوستو Holocausto تشير إلى إرادة جعل الجريمة «المرتكبة» ضد اليهود من جانب النازية حدثاً خاصاً، دون مقارنة ممكنة مع ضحايا أخرى للنازية، ولا مقارنتها حتى بأي جريمة أخرى في التاريخ كله لأن معاناة اليهود وأمواتهم كان لها طابع مقدس، وهكذا استطاع أن يقول أي حاخام: «إن إنشاء دولة إسرائيل كان استجابة الرب إلى دولة إسرائيل»،

ولكن إسرائيل لم تنشأ بواسطة الرب، وإنما أنشأتها الامبريالية الغربية التي لها مصالح في وضع أقدامها في وسط الأمّة العربية.

3 ـ خرافة «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»:

كيف تُنشأ أكثرية يهودية في بلاد مسكونة بشعب عربي فلسطيني أصلي في هذه البلاد؟ لقد تبرّعت الصهيونية بالحل الذي رأته يمكن في التالي: إنشاء مستعمرة من السكان، وطرد الفلسطينيين، واستبدالهم بالهجرات اليهودية، واستفراغ الأرض الفلسطينية من أهلها، وتملك أراضيهم، كل ذلك كان نية متعمّدة ومنهجاً مخططاً.

ولأجل أن تقنع الصهيونية الآخرين بأن فلسطين كانت قبل الصهاينة أرضاً صحراء، هدمت (وما زالت) مئات من القرى الفلسطينية بواسطة الجرافات؛ بما في ذلك بيوت تلك القرى وسياجاتها وحظائرها ومقابرها، ففندق هلتون في تل أبيب مقام فوق أطلال مقبرة عربية.

وسياسة الإبادة التي تمارسها إسرائيل لها في رئيس الوزراء الحالي المجرم آرييل شارون مثال دموي واضح؛ في غزو لبنان سلح الميليشيات الكتائبية التي نفذت برامج المذابح في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا.

4 ـ حاول اللوبي الإسرائيلي عبر وسائل الاتصال التي يسيرها في الولايات المتحدة الأمريكية وفي أقطار غربية أخرى أن يخفي ما عبّر عنه أستاذ جامعة القدس يسهايهو ليبوتش بكل وضوح وجلاء حين قال: «قوة القبضة اليهودية تستمدها من القفاز الحديدي الذي تبطنه الدولارات فتجعل لكمته خفيفة».

يجب أن يدير الشعب اليهودي ظهره للصهيونية:

إن من المؤسف جداً أن المجتمع اليهودي العالمي ـ بما في ذلك أصحاب أسماء لامعة كانوا قد قدموا إلى الإنسانية أعمالاً رائعة ـ كان خضع إلى صهاينة عنصريين واستعماريين: فاليوم عندما يدعو آرييل شارون السفاك العنصري يهود أمريكا اللاتينية إلى الهجرة إلى إسرائيل والانطلاق إلى الكفاح الذي يدفع إخوانهم إلى الأمام في الوطن الكبير، في سبيل التحرر الوطني والاجتماعي، يجب أن نذكر الملاحظة التي قدمها حديثاً الشاعر اليهودي خوان خلمان الذي أسف بشكل عميق على رؤية مجتمعه اليهودي في إسرائيل يتحول من مطارَد إلى مطارِد، ومن مجتمع مسحوق إلى مجتمع ساحق. فالسياسة الصهيونية المتناقضة والغربية تبني نصراً ولد يتيماً من خلال مبادئ هتلر العنصرية.

السياسة الصهيونية المتناقضة تبني نصراً ولد يتيماً من خلال مبادئ هتلر العنصرية

ولنقترب أكثر إلى الموضوع من خلال السؤال رقم 46 من «صفحة من الحقيقة» الذي نثبته في سياقه المستمر التالي:

46) هل وجد تعاون بين النازيين والصهاينة؟

ـ نعم؛ فكلاهما كان مهتماً ومعنياً بإخراج اليهود من أوروبا وكانت بينهما علاقة صداقة أثناء الحرب (انظر رسالة الصداقة لإسحاق شامير الوزير الإسرائيلي الأول السابق إلى هتلر في عام 1941 المسجلة من قبل الكاتب اليهودي ل. برينير L. Brenner في (The Iron wall) حول مهزلة «الهولوكاوستو» التي نشرها معهد المراجعة التاريخية:

- Newport Beach, Ca 92659 EE.U.U. P.O.Box2739

1) ما هو الدليل على أن النازيين قد قتلوا عمداً ستة ملايين يهودي؟

ـ لا يوجد أي دليل على ذلك؛ فالشيء الوحيد الواضح هو ما تبينه الشهادة الفردية الشخصية للذين بقوا على قيد الحياة، وهذه الشهادة متعارضة ولا أحد من أصحاب هذه الشهادة ادعى أو زعم أنه كان قد حضر بالفعل أي عملية للقتل بالغاز.

لا توجد براهين محددة من أي نوع، لم يوجد صابون معمول من الأجساد البشرية، لم توجد شاشات معمولة من الجلد البشري (كما قال يهودا باور مدير متحف الهولوكاوستو في إسرائيل. (انظر Bs. As Herald, April 25, 1990, p.2)، لا توجد أرشيفات ولا إحصاءات سكانية.

2) ما هي البراهين الموجودة الدالة على أنه لم يمت ستة ملايين يهودي على أيدي النازيين؟

ـ توجد براهين كثيرة بما في ذلك طبيعة الطب الشرعي، الطبيعة القضائية والطبيعة الجغرافية السكانية والطبيعة التحليلية وطبيعة المقارنة؛ فكل هذه الأمور تجمع على إثبات عدم إمكان هذا الرقم الذي ربما مثله في الواقع 1000 شخص فقط (ألف شخص).

3) هل صحيح أن سيمون ويسينتهال أكد ذات مرة أنه لم توجد معسكرات إبادة في الأراضي الألمانية؟

ـ نعم. في (Books & Bookemen) عدد أبريل 1975 زعم ويسينتهال أن خنق اليهود بالغاز كان قد حدث في بولونيا.

4) إذا كانت داتشاو Dachau في ألمانيا وسيمون ويسينتهال يقول إنه لم توجد معسكرات إبادة، فلماذا إذاً يقول آلاف من مقترعي الحرب في الولايات المتحدة إن داتشاو كانت معسكر اعتقال؟

ـ لأن بعد استيلاء الحلفاء على داتشاو، حُمل آلاف من المقترعين الأمريكيين للتجنيد إلى داتشاو نفسها أو مروا بها، وهنالك كشفوا له عن مبان من التي قال إنها كانت غرف غاز، ولأن الوسائل العامة للنشر كانت واسعة ولكنها كانت في حقيقتها تخلو من المصداقية، أكد أولئك المقترعون أن داتشاو كانت معسكراً للقتل بالغاز.

5) أوستشويتث Auschwitz صارت في بولونيا وليس في ألمانيا، هل توجد أدلة على أنه قد وجدت غرف غاز أقيمت لأجل قتل البشر في Auschwitz أو قريباً منها؟

ـ لا؛ فقد عرضت مكافأة من خمسين ألف دولار لمن يكشف دليلاً ما من هذا القبيل، وقد رصدت النقود لذلك في أحد المصارف، ولكن لم يقدم أي أحد أي دليل معقول يمكن تصديقه، فمدينة أوستشويتث أعيد تشكيلها بطريقة موسعة عندما استولى عليها السوفيات بعد الحرب؛ فقد أقاموا فيها بنايات مختلفة لأجل أن تظهر فيها «غرف غاز» عدة، وهي حالياً مركز سياحي كبير لأهل بولونيا.

6) هل من دليل علمي يؤكد عدم وجود غرف غاز في أوستشويتث؟

ـ نعم؛ ففي فبراير (النوار) من العام 1988 قام الانجليزي فريد لاتشر Fred Latcher ـ وهو خبير في تخطيط وصناعة فرق الاغتيال المستعملة في سجون الولايات المتحدة ـ بأول بحث قضائي في أوستشويتث في «غرف الغاز» وقد أظهرت الدراسات التي أجريت وتحاليل المواد التي قدمت إلى المعامل أن تلك الأمكنة المزعومة لم تستعمل بأي حال من الأحوال، ولم يستطع اعتبارها غرف غاز. وقد قبلت دراسة العالم الإنجليزي Latcher دليلاً في الدفاع أثناء الحكم على إرنست زندل Ernst Zündel في كندا عام 1988.

7) إذا لم تكن مدينة أوستشويتث معسكراً للإبادة فماذا كانت حقيقتها النهائية إذاً؟

ـ لقد كانت منطقة صناعية معقّدة لميناء كبير، وكانت بها صناعات المطاط التأليفي وقد استخدم فيها السجناء يداً عاملة.

8) من أنشأ أول معسكرات الاعتقال؟ أين ومتى استعملت لأوّل مرّة؟

ـ معسكرات الاعتقال الأولى في العالم الغربي ظهرت لأول مرّة تقريباً في الولايات المتحدة الأمريكية أثناء حرب الاستقلال الأمريكية؛ فالبريطانيون اعتقلوا آلاف الأمريكيين الذين مات كثير منهم بسبب الأمراض أو بسبب الضرب؛ ويمكن أن نذكر بشكل نموذجي اندرو جاكسون Andrew Jackson (رئيس الولايات المتحدة الأميركية بعد الاستقلال (1829 ـ 1837) وشقيقه. وقد مات هذا

الأخير في واحد من هذه المعسكرات. وفي مرحلة لاحقة هندس البريطانيون معسكرات الاعتقال في أفريقيا عندما غزوها لغرض اعتقال نساء وأطفال هولنديين أثناء حرب البوير 1899 - 1902 (La guerra Boer)، وعشرات الآلاف من الأشخاص ماتوا في معسكرات الاعتقال الجحيمية في جنوب أفريقيا التي كانت فيها ظروف الاعتقال أكثر سوءاً ــ إلى حد بعيد ــ من أي معسكر للاعتقال في المانيا أثناء الحرب العالمية الثانية.

9) في ماذا اختلفت معسكرات الاعتقال الألمانية عن معسكرات الاعتقال الأمريكية التي اعتقلوا فيها اليابانيين والألمان المقيمين في الولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية؟

ـ اختلفت فقط في التحكم والسيطرة، أما في ما عدا ذلك فلا يوجد فرق له معنى، اللهم إلا أن الألمان اعتقلوا أشخاصاً قد يكوِّنون حقيقة أو افتراضاً تهديداً لأمن المجهود الحربي الألماني، بينما الأمريكيون اعتقلوا كل الذين اعتقلوهم بسبب انتمائهم العرقي فقط.

10) لماذا حبس الألمان اليهود في معسكرات الاعتقال؟

ـ لأنهم اعتبروا اليهود يشكلون تهديداً مباشراً لسيادة وبقاء الأمة الألمانية، ولأن اليهود أبدوا عدم تناسب دائم في المؤسسات والمنظمات الشيوعية التي تستهدف قلب النظام، ومع ذلك فليس اليهود فقط هم الذين استهدفوا من قبل النازية، وإنما كل المشتبه في أنهم يتآمرون على الأمن الوطني واعتبروا خطرين انتهوا إلى الاعتقال.

11) هل صحيح ان اليهودية العالمية «أعلنت الحرب» ضد ألمانيا؟

ـ نعم؛ وسائل النشر الشعبية في العالم كلّه ظهرت بعناوين تقول: «اليهودية تعلن الحرب ضد ألمانيا» إضافة إلى ذلك بدئ في مقاطعة اقتصادية عالمية للمنتجات الألمانية.

12) هل حدث هذا قبل أو بعد بداية انتشار الضجيج حول معسكرات الإبادة؟

ـ لقد حدث قبل ذلك بست سنوات؛ فاليهودية أعلنت الحرب على ألمانيا في 1933 (انظر Daily Express, Marzo 24, 1933, Inglaterra).

13) ما هي أول بلاد انتهت إلى قصف المدنيين بشكل جماعي؟

ـ إنها بريطانيا العظمى في الحادي عشر من مايو 1940.

14) كم يهودياً كانوا في الأراضي الألمانية قبل الحرب أصبحوا لاحقاً مراقَبين من قبل الألمان؟

ـ أقل من أربعة ملايين.

بأي قدر يستفيد اليهود حالياً من خرافة (الهولوكاوست)؟!

15) إذا لم يكن اليهود الأوروبيون قد أُبيدوا من قبل النازيين فماذا حدث لهم إذاً؟

ـ في ما بعد الحرب استمر اليهود في أوروبا مع استثناء حوالى 300 ألف، ومن هؤلاء من مات بالفعل لأسباب عدة أثناء الصراع، ومنهم من استطاع أن يدخل إلى إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية والأرجنتين وغيرها، وغالبية اليهود الذين كانوا قد غادروا أوروبا غادروها بعد الحرب وليس أثناءها، وذلك كلّه لم يكن مانعاً من أن يجعل هؤلاء ضمن الهولوكاوستو المزعوم!

16) كم يهودياً هربوا من داخل الاتحاد السوفياتي؟

ـ أكثر من مليونين، والألمان لم يملكوا أبداً داخل منطقة نفوذهم هذا الرقم من السكان اليهود.

17) كم يهودياً هاجروا قبل الحرب، وبقوا على الأقل خارج منطقة نفوذ الألمان؟

ـ أكثر من مليونين، (دون أن ندخل في الحساب الذين امتصتهم منظمة URSS).

18) إذا لم تكن أوستشويتث Auschwitz معسكراً للإبادة فلماذا اعترف العميد رودولف هوس (يجب ألا يشتبه برودولف هِس) بالعكس؟

ـ لأن هوس عُذب (وهو أمر مؤكد في Legions of Deach لـR. Butler انظر المقال رقم 1 ع1 من مجلة Revision) وبهذا الشكل أجبر على إعطاء إفادة غير صحيحة.

19) هل يوجد دليل على أن الأميركيين والبريطانيين والسوفيات قد وظّفوا التعذيب بعد الحرب لأجل إرغام جزء من الموظفين الألمان على الاعتراف؟

ـ توجد أدلة كثيرة على أن التعذيب قد وظّف قبل محاكمات Nüremberg وأثناءها وحتى بعدها في محاكمات أخرى على جرائم الحرب.

20) بأي قدر يستفيد اليهود حالياً من خرافة الهولوكاوستو؟

ـ بالقدر الذي يجعلهم طائفة اجتماعية ناجية، أو بمنأى عن كل نقد، ويمدّهم بصلة مشتركة تسمح بالمراقبة أو التحكّم من جانب زعمائهم؛ فهي أداة فعّالة في جمع حصاد الأرصدة، وتسمح بتبرير مساعدات اقتصادية إلى إسرائيل زادت منذ 1970 على 54 مليون دولار تقدّمها الولايات المتحدة.

21) وبأي قدر تفيد خرافة الهولوكاوستو دولة إسرائيل؟

ـ تبرر ملايين الدولارات التي تدفع إليها في مفهوم «التعويضات» التي قبضتها إسرائيل من المانيا الاتحادية (ألمانيا الشرقية كانت قد رفضت أن تتحمل مع ألمانيا الاتحادية التي تحملت وحدها دفع 50 مليون دولار).

فالهولوكاوستو مستعمل من قبل الصهيونية الإسرائيلية للتحكم في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية في علاقاتها مع إسرائيل، وتقوية المساهمة الأمريكية في جلب النقود إلى الدولة الإسرائيلية، وتمويلها بالمال الذي ترغبه وهو في كل مرّة أكبر من سابقه.

22) وبأي قدر أفاد الهولوكاوستو السوفيات؟

ـ سمح لهم بإخفاء أبحاثهم الحربية الخاصة، كما سمح لهم بإخفاء فظاعاتهم المرتكبة ضد الإنسانية سواء التي كانت قبل الحرب العالمية الثانية أو أثناءها أو بعدها.

23) وبأي قدر استفاد البريطانيون من خرافة الهولوكاوستو؟

ـ بالطريقة نفسها التي استفاد منها فيها السوفيات.

24) لأي استعمالات ولماذا أنتج الغاز Zyklon-B؟

ـ لأجل إبادة القمل المسبب لحمى التيفوس، فهو مستخدم في تبخير وتطهير المساكن والمباني وصوامع الحبوب والملابس، ويمكن الحصول عليه دون صعوبة حتى اليوم.

الهولوكاوستو توظفه الصهيونية للتحكم في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية

25) لماذا استعمل هذا الغاز ولم يستعمل آخر أكثر مناسبة للإبادات الجماعية؟

ـ إذا كان النازيون قد أرادوا استعمال الغاز لإبادة أحياء من البشر كان عليهم أن يختاروا غازاً آخر من الغازات التي يمتلكونها في حوزتهم؛ فالزيكلون ب Zeyklon ليس فعالاً إلا في الاستعمال السلمي مثل التطهير والتبخير.

26) كم كل الوقت الذي يستلزم تهوية منطقة مبخرة بالغاز زيكلون ب؟

ـ تقريباً حوالى عشرين ساعة، والإجراء بشكل عام هو معقد وتقني، وعلى الذين يقومون به أن يستعملوا كمامات واقية من الغاز، ولا يمكن أن يقوم بهذه العمليات إلا فنيون ذووا قدرة تقنية عالية.

27) أكد هوس آمر Auschwitz أن رجاله دخلوا الغرف الغازية لأجل إعادة تحريك أو تقليب الجثث بعد عشر دقائق من موت اليهود بداخلها، كيف تفسّر ذلك؟

ـ لا يستطاع تفسيره بأي طريقة كانت؛ لأن رجال هوس لو كانوا قد فعلوا حقاً شيئاً كهذا لانتهوا إلى معاناة القدر نفسه الذي لاقاه اليهود.

28) أكد هوس في اعترافاته أن رجاله كانوا يشعلون

السجائر عندما كانوا يستخرجون اليهود الأموات في غرف الغاز بعد عشر دقائق من انتهاء العملية؛ ألم يكن غاز الزيكلون ب Zyklon B غازاً اشتعالياً؟

ـ بلى، وهو بدرجة عالية، وواضح أن من عذب هوس ليجبره على اعترافاته لم يكن متخصصاً في الغازات.

29) إذا كان اليهود المخصصون للإعدام يعرفون قدرهم الذي كان ينتظرهم فلماذا ذهبوا إليه دون أي مقاومة أو أي احتجاج؟

ـ لم يقاوموا ولم يحتجّوا لأنه ـ ببساطة ـ لم توجد نيّة لقتلهم، ولأنهم وببساطة أيضاً احتُجِزوا وأجبروا على العمل.

30) كم يهودياً مات في معسكرات التجميع تقريباً؟

ـ حوالى 300 ألف يهودي.

31) كيف ماتوا؟

بشكل رئيسي ماتوا بسبب العدوى المتكرِّرة بحمى التيفوس، وهو مرض يظهر وينتشر في الأمكنة التي يحشر فيها الناس بكثافة في مكان واحد لفترات زمنية طويلة في وضع غير صحّي، وهذا المرض ينتقل بواسطة القمل، وقد تسبّب في خسائر بشرية كثيرة في أوروبا المعمورة بالسكان في حروب ذلك العهد. ماتوا أيضاً بسبب الضعف الناتج عن الجوع ونقص العناية الطبية قبيل نهاية الحرب، وذلك ما أسفر عنه تحطم كل مواصلات السكك الحديد والقطارات، بعد أن حدثت انجرافات أرضية كثيرة بسبب قصف الحلفاء.

32) ما هو الفرق بين ستة ملايين و300 ألف من اليهود الأموات أثناء تلك الفترة المأسوية؟

ـ الفرق هو 5700000، وانطلاقاً من ذلك فإنه وبشكل متعارض مع الدعاية للهولوكاوستو لم تكن هنالك نية مبيتة لاحتجاز أحد.

33) كثير من اليهود الذين نجوا من «معسكرات الإبادة» وبقوا على قيد الحياة أكدوا أنهم كانوا قد رأوا أكداساً من الجثث المكوّمة في الحفر والجثث المحروقة، ما هي كمية المحروقات التي يحتاج إليها للقيام بتلك العملية؟

ـ كمية لا بأس بها، أكثر من الذي نص عليه الألمان، مع النقص الحاد في المحروقات الذي كان يعاني منه الألمان في ذلك العصر.

34) هل يمكن أن تفنى الأجساد البشرية بشكل تام إذا أحرقت في حفر؟

ـ لا؛ إنه غير ممكن بهذه الطريقة، ففي الحفر المفتوحة لا يمكن إيجاد الحرارة اللازمة لذلك.

35) الكتّاب الذين يؤكدون وجود الهولوكاوستو يقولون إن النازيين كانوا قادرين على إحراق الجسد الإنساني في وقت قريب من عشر دقائق، كم من الوقت يستغرق إفناء جسد إنساني في النار حسب الشهادة الاختصاصية من قبل عمّال محارق الموتى حالياً؟

ـ ساعتان تقريباً.

36) لماذا وجدت أفران الإحراق في معسكرات الاعتقال؟

ـ لتهيئة الجثث المسببة عن طاعون حمى التيفوس بشكل فعال وصحي.

37) مع افتراض عمل كل المحارق في كل المعسكرات المقامة من قبل الألمان بمعدل 100 جثة لكل فرن ما هو المقدار الأقصى من الجثث التي كان من الممكن أن تحترق أثناء كل الفترة التي قيل إن تلك المحارق المقامة لهذا الشأن كانت تعمل خلالها؟

ـ حوالى 436600 جثة.

38) هل يمكن أن يشتغل فرن احتراق بمعدل 100 جثة بشكل مستمر؟

ـ لا؛ فخمسون جثة للفرن تعتبر تقديراً مرتفعاً (بمعدل 12 ساعة يومياً)، وافران الاحتراق يجب أن تنظف بشكل اعتيادي وخاصة عندما تكون في استعمال مستمر.

39) ما هي كمية الرماد المتبقية من كل جسد محترق؟

ـ بعد أن تطحن العظام بشكل تام فإن كمية

الرماد تعادل تقريباً ما تحمله علبة حذاء.

40) إذا أحرق النازيون ستة ملايين شخص فماذا حدث إذاً لرماد أجسادهم؟

ـ إنه شيء ما زال لم «يشرح» بعد؛ فستة ملايين من الجثث يجب أن تخلف وراءها أطناناً من الرماد، ومع ذلك فلا نملك أي دليل على وجود أي مخزون كبير من الرماد بهذه الكميات الكبرى.

41) هل الصور الجوية التي التقطها الحلفاء لـ Auschwithz أثناء الفترة التي يفترض أن غرف الغاز أثناءها كانت تشتغل على أشدّها تبيّن وجود غرف غاز؟

ـ لا؛ ففي الواقع لا تبيّن هذه الصور أي علامة أو دليل لكميات كبيرة من الدخان من المفترض أنها كانت قد وجدت بشكل مستمر فوق المعسكر، ولا تبيّن الصور «الحفر المفتوحة» التي ادُّعي بأنها كانت تحرق فيها الجثث.

42) ماذا تشرع بشكل أساسي قوانين Nüremberg الألمانية الصادرة في عام 1935؟

ـ تمنع الزواج والعلاقات الجنسية بين الألمان واليهود بطريقة مشابهة للقوانين الموجودة اليوم في إسرائيل.

43) هل يوجد أصول أو مصادر أمريكية لهذه القوانين الألمانية؟

ـ عديد من الولايات في أمريكا كان لها قوانين تمنع الزواج والعلاقات الجنسية بين الأشخاص من أعراق مختلفة، وكان ذلك قبل ظهور النازية بوقت كبير.

44) ما الذي أكدته هيئة الصليب الأحمر العالمية في ما يتعلّق بالهولوكاوستو؟

ـ التقرير الذي أعدّه ممثل الصليب الأحمر العالمي الذي زار Auschwitz في سبتمبر (الفاتح) عام 1944 أفاد أن المعتقلين سمح لهم باستلام مراسلات وأوسمة، وأن الضجيج المتعلّق بغرف الغاز لم يكن مؤكداً بعد.

45) ما هي الورقة التي لعبها الفاتيكان أثناء الفترة التي قيل إن الستة ملايين كانوا معتقلين خلالها؟

ـ لو كان مخططاً احتجازياً أو اعتقالياً فإن الفاتيكان سيكون بالتأكيد عالماً بذلك، ولكن بما أنه لم يوجد أي مخطط أو أيّ نيّة لاعتقال من هذا النوع فإن الفاتيكان قد عري عن أسباب يتبنّى بها علناً موقفاً مختلفاً عما اتخذه من مواقف.

46) هل وجد تعاون بين النازيين والصهاينة؟

ـ نعم؛ كلاهما كان ذا مصالح، ومهتماً بإخراج اليهود من أوروبا، وكانت بينهما علاقات صداقة أثناء الحرب (انظر رسالة الصداقة لإسحاق شامير الوزير الإسرائيلي الأول السابق لإسرائيل إلى هتلر التي كانت في عام 1941 والمسجلة من قِبل الكاتب اليهودي L. Brenner في .Wall The Iron

ما حقيقة الصور التي نشرت وادعي أنها كانت من معسكرات الاعتقال الألمانية؟!

47) ما الذي سبَب موت آنا فرانك Ana Frank قبل الحرب العالمية الثانية بعدة أسابيع؟

ـ إنها حمى التيفوس.

48) هل كانت يومياتها أصلية؟

ـ لا؛ فالبراهين المجموعة من قبل Ditlieb Flderer في السويد، والمجموعة من قبل الدكتور Robbert Faurisson في فرنسا تدل بشكل قاطع أن المذكرات المشهورة هي تزوير أدبي (وهي تدليس بقي واضحاً عندما بعث الكاتب Meyer Livin إلى والد فرانك وقد وضّح الكاتب حقوقه في جعل الوضع مأسوياً في اليوميات الأصلية؛ أي أنه كان قد أعاد كتابتها.

49) ماذا حدث مع الصور الكثيرة التي أخذت في معسكرات الاعتقال الألمانية، وهي صور تبيّن أكواماً من الأجساد التي أنهك أصحابها الجوع، هل هي صور مزوّرة؟

ـ الصور يمكن أن تكون مزوّرة دون شك، ولكن الأمر أكثر سهولة إذا ضمناه شرحاً ماكراً لصورة أو

قصاصة تصويريتين أصليتين؛ فمثلاً هل يدل كوم الجثث المنهكة بالجوع على أن أصحابها قد ماتوا خنقاً بالغاز؟ أو يدل على أنهم جوّعوا عمداً حتى الموت؟ أو أن الصورة تكشف ضحايا طاعون حمى التيفوس الجارفة؟ أو أن أصحاب تلك الجثث قد ماتوا نتيجة عدم وجود الأغذية في معسكرات الاعتقال في نهاية الحرب؟

إن صور الأكوام من رفات الأطفال والنساء الألمان المقتولين بواسطة قصف الحلفاء وظفت صوراً لضحايا اليهود.

50) هل هي أشرطة وثائقية مثل الهولوكاوستو؟

ـ لا؛ هذه الأشرطة لا يستطيع أحد أن يدعي بأنها تاريخية، وإنما هي تلفيقات معمولة انطلاقاً من التاريخ، ولسوء الحظ قبلها كثير من الناس على أنها تمثيل لما حدث حقيقة وهو جدير بالتصديق.

51) كم نشر من الكتب التي تفند فيها تأكيدات الرؤية الرسمية للهولوكاوستو؟

ـ مائة كتاب على أقل تقدير، ويوجد أكثر قيد النشر.

52) ماذا حدث عندما عرض معهد المراجعة التاريخية .I.H.R خمسين الف دولار مكافأة لمن يمكنه أن يثبت أن اليهود قتلوا خنقاً بالغاز في Auschwitz؟

ـ لم يتوصل إلى أي دليل استحق الجائزة المعروضة، بل إن أحد الناجين من «الهولوكاوستو» طالب المعهد بدفع غرامة مقدارها سبعة عشر مليون دولار تعويضاً من المعهد لهذا المدّعي لأن عرض الجائزة جعله في قلق استحال معه نومه، مما جعله يتعرض لخسارة تجارية، وقد رأى ذلك المدعي أن الجائزة مثلت نفياً مهيناً للأحداث الثابتة.

53) ماذا يوجد فعلاً من التأكيدات التي تقول إن الذين جادلوا في أمر الهولوكاوستو هم ضد السامية أو هم النازيون الجدد؟

ـ إنها وصمة عار؛ إن الموضوع هو عبارة عن تحريف وجذب للانتباه إلى أشياء وتحويل الأنظار من أشياء إلى أخرى، ومحاولة إثارة زوابع ضد أفعال محدّدة وأدلّة قاطعة؛ فالبحاث الذين فندوا مزاعم الهولوكاوستو موجودون في كل الأيديولوجيات (ومن ذلك أنموذج معروف أكثر من غيره وهو باول راسينر Paul Rassinier العضو القديم في المقاومة الفرنسية وعضو الحزب الاشتراكي، والمعتقل ضمن معسكرات الاعتقال النازية الأكثر شهرة، وهو واحد من الذين كانوا قد أعادوا النظر في الهولوكاوستو وناقشوا في حيثياته وما تعلّق به) فمنهم الديموقراطيون ومنهم الجمهوريون، ومنهم الأحرار، ومنهم الاشتراكيون، ومنهم المسيحيون، ومنهم اليهود، ومنهم غير ذلك، ولا يوجد أي ارتباط بين تفنيد الهولوكاوستو ومعاداة السامية، أو النازية الجديدة.

الكتّاب اليهود الذين يشككون في صحة الهولوكاوستو في تزايد مستمر

وبالفعل فإن الكتاب اليهود الذين يعترفون بشكل واضح أن الأدلة التي تدعم الهولوكاوستو اتضح بشكل لا يقبل الخفاء عدم كفايتها، هم في تزايد مستمر.

54) ماذا حدث مع البحّاث الذين ناقشوا وثائقية الهولوكاوستو؟

ـ لقد كانوا هدفاً لحملات تشهيرية، وقد طردوا من مناصبهم الأكاديمية، وفقدوا مرتباتهم، ودمرت أملاكهم، وتعرّضوا لعنف جسدي؛ بل تعرّضوا لتهديدات بالموت، ومحاولات اغتيال؛ كما حدث ضد معهد المراجعة التاريخية .I.H.R في الرابع من يوليو (ناصر) 1984 عندما حطمت مكاتب المعهد ومخازنه بشكل كامل وتعرّضت لاعتداء بإشعال حريق فيها.

55) لماذا يوجد قليل جداً من المنشورات حول وجهة نظر المعهد .I.H.R وحول المراجعة بصفة عامة؟

ـ لأسباب سياسية؛ فالمؤسسة الرسمية لا ترغب في أي مناقشة عميقة حول الأمور التي تطوق خرافة «الهولوكاوستو» اليهودي.

الصحوة الإسلامية.. رؤية مستقبلية

محمد أحمد شفيع*

تحديد مفهوم «الصحوة الإسلامية»

إن كلمة «الصحوة» مأخوذة لغوياً من فعل صَحَا يَصْحُو، ومعناه مستيقظ من النوم أو ذهب عنه السكر بعد أن كان مسيطراً عليه.

ومن هنا استعملت كلمة «الصحوة الإسلامية» لتدل على استيقاظ المسلمين واعتزامهم الخروج من فترة النوم الفكري والانحطاط الثقافي الديني الحضاري، حيث بدأوا يشعرون من جديد بعظمة شخصيتهم الدينية والثقافية والحضارية والتاريخية الإسلامية ويعتزون بها، ويستشعرون بل ويحسون إحساساً شديداً بالأخطار المحدقة بحاضرهم ومستقبلهم كأمّة إسلامية عريقة لها شخصيتها وهويتها الدينية الحضارية المتميّزة، والتي أصبحت هدفاً لأعداء الإسلام والمسلمين، وبخاصة منهم بعض ساسة الغرب وكتّابه ومفكّريه وأجهزة الإعلام فيه، والذين ما يزالون خاضعين لعقلية تراث قديم ومُعَادٍ للإسلام والمسلمين، ويتمثل في الروح الصليبية والعقلية اليهودية اللتين لم تتقبلا الإسلام منذ أيامة الأولى وإلى يوم الناس هذا.

كما تتضمن ظاهرة «الصحوة الإسلامية» اقتناع المسلمين بضرورة العودة إلى مبادئ الإسلام الأصيلة التي جاء بها القرآن الكريم والسنّة النبوية الصحيحة، والعمل على التقريب بين شعوب الأمّة الإسلامية، وبناءَ مجتمعات إسلامية قوية في مجالات الحياة الدينية والدنيوية حيث تستطيع المحافظة والدفاع عن كيانها وتراثها وكرامتها وتاريخها وحضارتها.

إن ظاهرة «الصحوة الإسلامية» هي إذاً في الواقع ثورة فكرية ثقافية حقيقية تهدف إلى العودة إلى تعاليم الإسلام وحماية الأمّة الإسلامية وتقدمها في جميع المجالات.

هذا ومن الجدير بالذكر أن ظاهرة «الصحوة الإسلامية» و«التجديد الديني» تُعدُّ إحدى المميزات الذاتية الأساسية لدين الإسلام.

ولتوضيح ما نقوله ينبغي أن نُذَكِّرَ بما يعرفه الجميع، وهو أن الأنبياء والرسل السابقين عليهم كانوا يبعثون إلى شعوب معيّنة ولفترات محدّدة؛ وعندما تنتهي تلك الفترة المحدّدة يبعث الله سبحانه وتعالى رسولاً جديداً يقوم بتجديد التعاليم الدينية بأمرٍ وَوَحْيٍ من الله تعالى... وهكذا... حتى

---

* كاتب / النيجر

بعث الله نبينا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، فجعله خاتم الأنبياء والمرسلين، وكلّفه بتبليغ آخر رسالة إلهية إلى البشر؛ ولذلك جعل الله تعالى من دين الإسلام ديناً حيّاً وتقدمياً صالحاً لكل زمان ومكان ولكل شعوب البشرية.

ونظراً لختم النبوة والرسالة، فإن الله سبحانه وتعالى جعل من العلماء العاملين ورثة للأنبياء كما ورد ذلك في الحديث الصحيح المشهور. وقد وعد الله تعالى ـ كما جاء في حديث نبوي صحيح ـ أن يُعْطِي هذه الأمة في كل قرن علماء يجددون لها دينها. ومعنى التجديد هنا هو التذكير بالإسلام الصحيح الذي جاء به القرآن الكريم والسنّة النبوية الصحيحة، وليس معناه إدخال عناصر جديدة على الإسلام لم تكن موجودة من قبل، لأن الله تعالى يقول:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة الآية: 3].

وهنا يجب أن نذكر أننا نفضل اصطلاح «التجديد الديني» الوارد في الحديث على اصطلاح «الإصلاح الديني» الذي يستعمله بعض الكتّاب والمفكرين المسلمين المعاصرين الذين تأثروا بالكتابات الغربية التي تتحدث عن «الإصلاح الديني» (Réforme Religieuse) بالفرنسية، لأن الغربيين يتحدثون في ذلك عن الإصلاحات التي أدخلها البروتستانت على المسيحية كما يتصوّرها الكاثوليك، وهي إصلاحات وتغييرات حقيقية، ولا وجود لمثل ذلك في الإسلام!!!

إن حركة «التجديد» الإسلامية قد وردت الإشارة إليها ـ كما قلنا سابقاً ـ في حديث مشهور صحّحه الإمام الحاكم، ويصرح هذا الحديث بأن الله سيبعث لهذه الأمة على رأس كل قرن من يجدّدُ لها دينها. وهو حديث رواه الكثيرون من كبار علماء السنّة النبوية ومن بينهم أبو داود في سننه، وأحمد بن حنبل في مسنده، والحاكم في مستدركه، والحافظ البيهقي في كتاب المعرفة، وغيرهم من أئمة الحديث.

يجب أن نقوم بالنقد الذاتي لأنفسنا ونعترف بأخطائنا وخروجنا في كثير من الأحيان عن جادة الصحوة الإسلامية الصحيحة

ونحن نعتقد بأن ظاهرة «الصحوة الإسلامية» الصحيحة ما هي إلا مظهر من مظاهر هذا التجديد الديني الموعود، وهي ظاهرة إسلامية تعد ـ كما قلنا ـ إحدى مميزات هذا الدين الحي التقدمي الخالد.

كان الغرب الرأسمالي يعتقد أنه بعد نهاية الاتحاد السوفياتي لم يعد يخاف من أي إيديولوجية فكرية ثقافية عالمية ترفض الانسياق وراءه والذوبان فيه؛ ولكنه فوجئ بظاهرة «الصحوة الإسلامية» المعاصرة، والتي أصبحت تمثل في نظره العقبة

الوحيدة أمام سيطرته الثقافية الفكرية الشاملة على العالم، وفرض نظام العولمة الثقافية الحضارية عليه، ذلك النظام الذي يسميه الغرب: «النظام العالمي الجديد».

ويرى المفكرون والكتّاب والمؤرِّخون الغربيون أن من الصعب جداً أن يتمكن الغرب من القضاء على هذه «الصحوة الإسلامية» المعاصرة، لأنها ـ كما يعترفون ـ تنبع من الشعوب والأقليات الإسلامية، وليس من الحكومات أو الأحزاب، بينما لم يكن النظامان النازي والشيوعي يعتمدان على غير الحزبين النازي والشيوعي، ولذلك سهُل القضاء عليهما عندما تمّ القضاء على زعماء هذين الحزبين!!!

إن ذلك إذاً تحديد لمفهوم الصحوة الإسلامية وأصولها في نصوص السنّة النبوية، ونبذة من تاريخها الحديث، وموقف الغرب منها.

وبالنسبة لنا نحن المسلمين، فإنه مع اعتزازنا الكبير بهذه الظاهرة الإسلامية الكبرى ـ وهي ظاهرة «الصحوة الإسلامية المعاصرة» ـ فإنه يجب أن نقوم بالنقد الذاتي لأنفسنا ونعترف بأخطائنا وعيوبنا وخروجنا في كثير من الأحيان عن جادة الصحوة الإسلامية الصحيحة، وهو ما منع كثيراً من حركات الصحوة الإسلامية المعاصرة من تحقيق الأهداف الإسلامية السامية التي من طبيعتها أن تحقق عزة الإسلام والمسلمين، ولذلك يجب علينا ترشيد صحوتنا الإسلامية.

وسنشير في ما يلي إلى رأينا في تحديد بعض من تلك الأخطاء المؤسفة بهدف العمل على تجنّبها وتحاشيها.

النقد الذاتي لمسيرة بعض حركات «الصحوة الإسلامية» المعاصرة

تميزت بعض حركات الصحوة الإسلامية في عصرنا بأخطاء عدة من بينها ما يلي:

1 ـ روح الجمود والتحجّر والانغلاق والانعزالية، حيث لا يعمل قادتها على تفهّم أحوال العصر ودراستها، من أجل العمل على إيجاد حلول ومواقف إسلامية سليمة للمشاكل التي تنشأ يومياً عن تطوّر الحياة العصرية.

إن هذا الموقف المتحجّر المَيّت يتنافى تماماً مع روح الإسلام الأصيل، ذلك الدين الحي التقدّمي الخالد، والذي يستطيع أن ينظم كل حياة الإنسان في كل العصور، إذا أُحْسِنَ استعمال كلياته الأساسية ومقاصده وقواعده العامة بحسب ما نجدها في محكم القرآن الكريم والسنّة النبوية الصحيحة، وكما درسها بكل دقّة علماء الإسلام القدامى والمحدثون أمثال الإمام سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام في كتابه القيم «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» والإمام المحقق المجتهد أبو إسحاق الشاطبي الأندلسي في كتابيه «الموافقات في أصول الشريعة» و«الاعتصام» والدكتور يوسف القرضاوي في كتبه الكثيرة.

لا يرفض الإسلام الأفكار والعلوم والإتجاهات الحديثة التي لا تتنافى مع مبادئه ومفاهيمه الأساسية، لكنه لا يقبل الانصهار والذوبان في تيار الفكر البشري الحديث

إن النظرة الصحيحة لروح الإسلام تثبت أن هذا الدين الحنيف يشتمل على ثوابت جوهرية لا تتغيَّر ولا تتبدّل بتغيّر الأمكنة أو الأزمنة مثل قواعد الإسلام الخمس وأحكام الميراث ومصارف الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله بمفهومه الإسلامي الصحيح وتحريم الخمر والزنى

وغيرها من الواضحات الثوابت.

أما ما سوى الثوابت التي لا تتغير، فإنه خاضع لنظر العلماء الراسخين واجتهادهم في كل زمان ومكان للعمل على تحقيق مصالح البشر ورفع الضرر ودَرْءِ المفاسد عن الناس.

2 ـ وعلى عكس ذلك تماماً، فإن هناك بعضاً من مفكري الصحوة الإسلامية المعاصرة الذين ينزعون إلى الخضوع لمقتضيات الفكر الغربي العلماني أو اللاديني المعاصر، وهم يحاولون أن يفسروا مواقف الإسلام من مشاكل الحياة البشرية طبقاً لمقتضيات هذا الفكر الغربي، وذلك لمحاولة إظهار الإسلام على أنه عصري ومتطور يساير الأفكار والمفاهيم والقوانين العصرية!!!

وإذا أردنا أن نعرف موقف الإسلام تجاه هذين الاتجاهين المتطرفين: اتجاه الجمود والتحجر واتجاه الاستسلام للفكر الغربي ومسايرته، فإن علينا أن نرجع إلى مبدأ الوسطية والتوازن والاعتدال في الإسلام، وهو المبدأ الذي يمثل جوهر ديننا الحنيف، ويعتمد عليه الإسلام في أمور الحياة بل وحتى في العبادات كما قال تعالى:

﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ [سورة المائدة الآية: 77].

وطبقاً لهذا المبدأ العام فإن الإسلام هو نظام تقدمي وحَيٌّ، وهو لا يرفض الأفكار والعلوم والاتجاهات الحديثة التي لا تتنافى مع مبادئه ومفاهيمه الأساسية بل يأمر بالإفادة منها؛ ولكنه في الوقت نفسه لا يقبل الانصهار والذوبان في تيار الفكر البشري الحديث والتسليم المطلق بكل ما جاء به، بل إن للإسلام هويته المتميّزة وثوابته الجوهرية التي تجب المحافظة عليها وحمايتها والدفاع عنها.

3 ـ يمتاز الكثيرون من دعاة الصحوة الإسلامية المعاصرة بالتطرف والتنطع والغلو في مواقفهم؛ وهو شيء يرفضه الإسلام الصحيح الذي يدعو ـ كما قلناه آنفاً ـ إلى الوسطية والتوازن والاعتدال في كل شيء من أمور الدنيا والآخرة بل وفي عبادة الله نفسها!!!

ومن أمثلة هذا التطرف والغلو تكفير المسلمين ونسبتهم إلى الشرك بسبب بعض المعاصي التي يرتكبونها أو البدع التي يخترعونها أو يعملون بها مما لا يمسّ أحوال العقيدة الإسلامية، وغير ذلك مما هو مذموم حقاً في الإسلام، ولكنه لا يبيح تكفير المسلمين، لأن الحكم على المسلم بالكفر هو أمر خطير يجب تحاشيه، إلا إذا كان سبب التكفير واضحاً لا شك فيه.

علينا أن نرجع إلى مبدأ الوسطية والتوازن والاعتدال في الإسلام وهو المبدأ الذي يمثل جوهر ديننا الحنيف

ومن أمثلة ذلك أيضاً التعصب وعدم التسامح مع غير المسلمين، واتخاذ مواقف سلوكية متشدّدة ضدهم، بينما نرى الإسلام يأمر بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة؛ وهذا يشمل أيضاً غير المسلمين ممن لا يظهرون مواقف العداء ضد الإسلام والمسلمين:

﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [سورة العنكبوت الآية: 46].

4 ـ تمتاز بعض حركات الصحوة الإسلامية المعاصرة بإهمال قاعدة تربوية إسلامية عظيمة وهي قاعدة «التدرج» في تحقيق الأهداف؛ وقد سنّها الإسلام وعمل بها في مختلف المجالات، فهو مثلاً لم يفرض أركان الإسلام الخمس مرّة واحدة، بل بدأها بتوحيد الله سبحانه وتعالى، ثم بعد مدة وجبت الصلاة، وهكذا فرضت الأركان الأخرى بالتدريج؛

والإسلام لم يحرّم الخمر مرّة واحدة بل على ثلاث مراحل، والله سبحانه وتعالى لم ينزل القرآن الكريم مرّة واحدة بل على مدى 23 سنة، ولم يقم الرسول ﷺ بتنظيم الدولة الإسلامية وهياكلها إلا في المدينة المنورة بعد الهجرة النبوية... إلخ.

ولكن بعض حركات الصحوة الإسلامية المعاصرة تهمل هذه القاعدة الهامة فتحاول مثلاً فرض أنظمة إسلامية متكاملة فورية في بلدان لم يتم فيها واجب التعريف بالإسلام وتثقيف أهله ثقافة إسلامية عميقة، وإعدادهم إعداداً مناسباً يسمح بتأييدهم الكامل للدولة الإسلامية عند إعلانها حتى يقوم الجميع بحمايتها واحترام أحكامها، والتضحية في سبيل الدفاع عنها. وإن إهمال تلك القاعدة التدرجية الطبيعية التربوية الإسلامية قد أدّى كثيراً إلى الإضرار بالإسلام والرجوع إلى الوراء والفشل الذريع لدى الكثيرين من أبناء الصحوة الإسلامية المعاصرة.

تلك إذاً أمثلة بسيطة لبعض أخطائنا في مجال الصحوة الإسلامية المعاصرة، وهناك أمثلة عديدة غيرها، ولكن هذه المقالة الموجزة لا تتسع لاستقصائها.

وفي ما يلي سنتناول نقاطاً هامة تمثل بعض الأسس الضرورية لترشيد الصحوة الإسلامية المعاصرة وإنجاحها طبقاً لروح الإسلام الأصيل.

الصحوة الإسلامية
ضوابط لنجاح مستقبلها

إن الضوابط الصحيحة الكفيلة بنجاح مستقبل الصحوة الإسلامية المعاصرة نجدها في القرآن الكريم والسنّة النبوية الصحيحة وسيرة نبينا محمد ﷺ. ونشير في ما يلي إلى أمثلة محدودة منها ولكنها في غاية الأهمية:

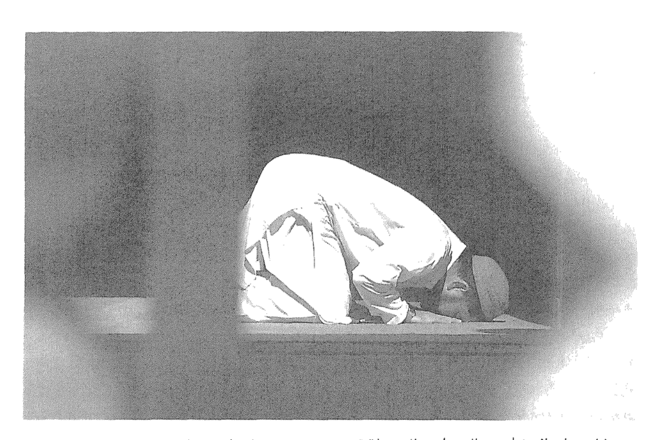
1 ـ يجب أن تعتمد هذه الصحوة الإسلامية على قيادات فكرية ثقافية لها معرفة راسخة وتفهّم حقيقي لمبادئ الإسلام الأساسية ومفاهيمه الصحيحة ومقاصده العامة وأساليبه الحكيمة في الدعوة والإعلام، ذلك الإسلام الأصيل المؤسس على محكم القرآن الكريم والسنّة النبوية الصحيحة، وليس إسلام البدع والخرافات والترهات والمحدثات في الدين، إذ كل بدعة في الدين ضلالة وكل ضلالة في النار، كما أعلنته السنّة النبوية الصحيحة بكل وضوح ودون أي تردد.

يجب أن تعتمد هذه الصحوة الإسلامية على قيادات فكرية ثقافية لها معرفة راسخة وتفهّم حقيقي لمبادئ الإسلام الأساسية ومفاهيمه

2 ـ يجب أن تعتمد الصحوة الإسلامية على مبدأ الوسطية والتوازن والاعتدال كما دعا إلى ذلك القرآن الكريم والسنّة النبوية الصحيحة، وهو ما يوجب علينا تجنّب التعصّب والتطرّف والغلو في شؤون الحياة الدينية والدنيوية.

3 ـ يجب أن تعتمد الصحوة الإسلامية المعاصرة في مجال الدعوة على أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة والمناقشة والحِوار بأحسن الطرق السلمية وليس بأسلوب الإكراه والقوة والعنف.

4 ـ يجب أن تعتني الصحوة الإسلامية عناية كاملة بالمحافظة على الشخصية والهوية الثقافية الحضارية للمسلمين دون أية مجاملة ولا تنازل في كل ما يتعلق بثوابت هذه الهوية الإسلامية. وفي الوقت نفسه فإن ذلك يجب أن لا يمنع المسلمين من أن يكونوا تقدميين ومتفتحين



للحوار والتفاهم والتعاون والصداقة مع الحضارات والثقافات والعقائد الأخرى، وبخاصة العقائد السماوية الأخرى ويجب أن يكون هذا الحوار على أساس الاحترام المتبادل بين الجميع، وسيادة مبادئ العدالة والمساواة والسلام بين الشعوب، كما قرر ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾

[سورة الممتحنة الآية: 8].

إلى آخر الآية الكريمة.

5 ـ يجب أن تعتني الصحوة الإسلامية بدعوة المسلمين إلى دراسة الإسلام دراسة حقيقية متعمِّقة لتفهّم تعاليمه والتفقّه فيها، إلى جانب ضرورة العناية بالعلوم العصرية والصناعات والتكنولوجيا النافعة، وتعلم اللغات الحية العالمية المهمة، وذلك لتكوين أمة إسلامية تقدمية وقوية في كل الميادين، كما أمرنا بذلك الإسلام الأصيل.

6 ـ تجب العناية بمجال الإعلام الإسلامي باستعمال كل الوسائل الإعلامية الحديثة لمصلحة شرح الإسلام الصحيح للمسلمين وغير المسلمين، والعمل على الدعوة إلى وجوب عدم الخلط بين الإسلام والتطرف والإرهاب، ذلك السلوك غير المقبول وغير الصحيح. والذي يسير عليه اليوم ـ مع الأسف الشديد ـ معظم ساسة الغرب ومفكريه وكتابه ومؤرِّخيه ووسائله الإعلامية الهائلة!!!!

7 ـ يجب أن تعتني الصحوة الإسلامية بنقطة هامة، وهي العمل على الدعوة إلى عدم الخلط بين التقاليد السيئة لبعض المجتمعات الإسلامية وبين تعاليم الإسلام الصحيحة، فالإسلام شيء، وتقاليد الشعوب الإسلامية شيء آخر قد يتفق مع تعاليم الإسلام وقد يناقضها.

8 ـ العمل على تقوية التقارب بين المجتمعات الإسلامية رغم اختلافاتها الفرعية في بعض الجزئيات الدينية غير الجوهرية.



الشباب المسلم والتنمية

د. سامبي خليل ماغاسوبا*

1 ـ تعريف التنمية:

منذ قديم الزمان والحضارات الإنسانية، في تغيّر مستمر، تارة بسرعة، وأخرى ببطء، وقد انطلقت تلك الحضارات من مرحلة جمع الطعام حتّى وصلت إلى مرحلة الصناعة الآلية، أي أنّ المجتمع الإنساني قد تغيّر بشكل تدريجي من مرحلة المجتمعات البدائية المتنقلة الصغيرة، إلى المجتمعات الضخمة المعقّدة المستقرّة، ويبدو أنّ هذا التغيّر يرتبط بمحاولة الإنسان المستمرة لإشباع حاجاته المادية والاجتماعية والنفسية، ولذا قام الصراع بين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة، والطبيعة من جهة أخرى، مما أدّى إلى تفتق الذهن عن حلول كانت أساس التغيّر، وبتراكم تلك الحلول الناجحة انتقل المجتمع من وضع إلى وضع آخر[1].

وترجع الحلول في حياة الإنسان، إمّا إلى التنقل أو الاكتشاف أو الاختراع. وسواء تمّ التغير بأيّ طريق من هذه الطرق، فإنّ هناك اتّفاقاً على أنّ العملية إنسانية في الأساس، أي أنّها تتمّ من طريق تفاعل متغيّر في المجتمع مع الجهاز العصبي للإنسان، مما يدفع إلى محاولة تغيير الوضع لإرضاء حاجة كامنة في نفسه[2].

وأعني بالتنمية في هذا الصدد، التنمية المتكاملة التي تركز على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية لتحقيق أهدافها، وتعتمد في سيرها على إرادة التقدم في المجتمع لأنّ الإرادة هي الأساس لتقدم الشعوب، والعلم والمال هما سبيل الشعوب في بناء اقتصاداتها، فهي عملية إرادية لا تتحقق إذا لم يكن أفراد المجتمع راغبين حقاً في تحقيقها عن إيمان صادق، بأنّ الجهد الواعي للإنسان يمكنه من السيطرة على الطبيعة وتسخيرها لخدمته[1].

وهكذا يبدو لنا من هذا العرض السريع الموجز، أنّ التنمية عملية قديمة في تاريخ الإنسانية، تحدث بتنقل المجتمع من وضع متدن إلى وضع أحسن، وذلك في كل مستويات الحياة.

2 ـ التنمية في الإسلام:

يبدو أنّ التنمية من المفاهيم التي عرضها الإسلام وأولاها اهتماماً بالغاً، وهي تتمثّل في قيام المجتمع الإسلامي باستخدام الموارد المادية والبشرية التي وضعها الله تعالى تحت تصرّفه أفضل استخدام، وذلك في ظلّ المعرفة الفنية السائدة، وتوزيع الناتج بما يحقق للنّاس حدّ الكفاية المتناسب مع حجم الناتج، عبادة لله تعالى وقياماً بمهام الخلافة[4].

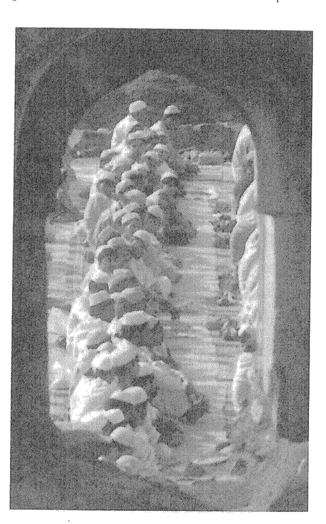
وللتعرّف الدقيق إلى طبيعة هذه التنمية لا بدّ من الإشارة إلى جوانب معيّنة ذات الصّلة بهذا الموضوع

* جامعة باماكو/ مالي

لعلّ من أبرزها: النظام الاقتصادي الإسلامي الذي يعتبر جزءاً لا يتجزّأ من النظام الإسلامي الشامل، وتحقيق المصلحة العامة، بمراقبة ضمير الإنسان ذاته على نشاطه الفردي، مع التوازن بين الفرد والمجتمع والتعاون بينهما، وذلك لما يحقق المصلحة العامة وفقاً لما أملته الشريعة الإسلامية.

ومن الواضح أنّ الإسلام يهدف بطبيعة هذا النظام إلى توزيع الثروة من طريق التكافل الاجتماعي الذي يتحقق من طريق الزكاة التي تؤخذ من الأغنياء لتردّ على الفقراء والمساكين،،، إلخ.

كما أن التنمية الإسلامية تعتمد نظاماً إدارياً يتميز بخصائص أساسية توحي بحتمية انسجام المفاهيم والممارسات الإدارية مع نص وروح القرآن الكريم والسنّة الشريفة، واجتهادات أئمة المسلمين، وقيام نظام اتخاذ القرارات على مبدأ المشاركة والتشاور في



مختلف القضايا الإدارية والسياسية والاقتصادية وغيرها، حيث إنّ مبدأ المشاركة (الشورى) هو من المبادئ الإسلامية العامة والراسخة في أعماق الفكر، مع وجود نظام حوافز مادية ومعنوية كافية تكفل كفاءة وفعالية الأداء الفردي والمؤسسي، مع الاهتمام بمبدأ الجدارة والكفاءة، حيث يجب أن تنسجم عملية التوظيف بمختلف مراحلها (التعيين والترقية والعزل) مع هذا المبدأ.

أضف إلى ذلك السياسة الاقتصادية التي تشكل جزءاً حيوياً من النظام التنموي الإسلامي، وهي تهدف إلى تحليل المشكلات وبيان سبل مواجهتها، بالإضافة إلى تسخير المصادر والإمكانات والفرص المتوفرة من أجل إنجاز الأهداف التنموية الشاملة[5]. أي أنها تهدف بصفة عامة إلى تحقيق المحافظة على التوازن والاستقرار والرفاه الاقتصادي العام.

أمّا أهداف التنمية في الإسلام فأهمّها ما يلي:

- تعزيز قوة ومنعة المجتمع الإسلامي، وبالتالي المحافظة على استقراره الاقتصادي والاجتماعي والعام.
- توفير السلع والخدمات بكميات ونوعيات ملائمة، وتطويرها باستمرار وبشكل يعزز الرفاه العام للأفراد والجماعات في المجتمع، حيث لا حرية لشعب يأكل من وراء حدوده.
- الحفاظ على استقلالية المجتمع المسلم، ومحاربة التبعية الاقتصادية والسياسية وغيرهما.
- تفعيل الاقتصاد الإسلامي وتنشيطه في مختلف القطاعات الإنتاجية المادية والصناعية والتكنولوجية والزراعية وغيرها.
- العدالة بمختلف أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها[6].

3 ـ الشباب المسلم والتنمية:

لا يخفى عنّا ما للشباب المسلم من دور مهمّ في تنمية المجتمع، إذ هو العمود الفقري الذي يستوي عليه

المجتمع، والدماء التي تجدّد فيه روح الأمل، وعلى عاتقه يقع عبء تطوّر المجتمع وتنميته على مستويات الحياة عامّة ومن ذلك إسهامه الفعّال في استثمار الثروة الخاصة والعامّة وفقاً للأطر الشرعية المعروفة بأشكاله وموضوعاته، ومشاركته في إدارة شؤون الدولة وتطويرها على الأصعدة كلها، بتوظيف جهوده وأوقاته وإمكاناته البشرية توظيفاً أمثل من خلال العمل المخلص والبنّاء، واستعمال التكنولوجيا الحديثة والملائمة لزيادة الإنتاج، حتى يتمّ تحقيق الكفاية والفعالية والكفاءة في إنجاز الأهداف التنموية بمختلف جوانبها، ومشاركته في مقاومة الهدر في الطاقات الإنتاجية والاستهلاكية في مختلف القطاعات. وليتمكّن الشباب المسلم من تحقيق ذلك ينبغي له الاعتماد على وسائل معيّنة من أهمّها:

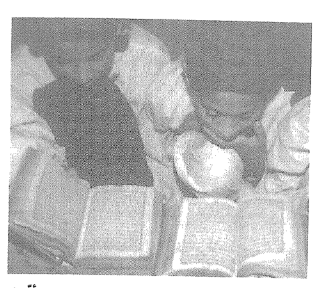
1 ـ فهم الدين فهماً صحيحاً، أي أن يكون عميق الفهم لدينه فإنه عماد الأمر كله وعصمته، وهو القوة الحقيقية في مواجهة شؤون الحياة، والأسلوب النقي في المعاملة مع الفرد والأسرة والمجتمع.

2 ـ معرفته مسؤوليته على النحو الذي أراده له الحق تبارك وتعالى، وذلك حتى يستطيع المضي قدماً في مسيرة الحياة، عارفاً مسؤوليته الفردية، والتزامه الأخلاقي، حافظاً حدود الله تعالى.

❖ التغلب على نفسه، إذ لن يكون الشباب قوّة فعّالة إن لم يتحرر من مطامعه وأهوائه، ويتمكن من كبح غرائزه وشهواته، وتوجيهها إلى الطريق الذي رسمه دينه فيصل بذلك إلى مرحلة أعظم في القوّة والسيادة.

❖ أن يكون قادراً على أن يربط بين التجدد والأصالة، وأن يقبل الحركة والانفتاح والتلقي مع الاحتفاظ بقاعدته الأساسية في الإيمان بالله العظيم، والقيم الثابتة[7].

❖ التزوّد بالثقافة الإسلامية بصفة عامة وباللغة العربية بصفة خاصة، أي الاهتمام بهذه اللغة ومحاولة إتقانها، مهما كانت قوميته، لأنّ الحرص



على هذه اللغة هو الحرص على الدين، لأنّها للمسلم كما هي للعربي تعبر عن هوية وانتماء مادام القرآن الكريم للمسلمين جميعاً.

ولما كان الشباب المسلم مدعوّاً في الدرجة الأولى إلى تبليغ الرسالة تبليغاً صحيحاً نقياً، فهو حريّ بإتقان هذه اللغة، لفهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ومقاصد الشريعة، ومصطلحات الدين ومفاهيمه، وخاصة موضوع التعامل مع الآخرين.

لذا اعتبر بعض العلماء المسلمين تعلم اللغة العربية فرض عين[8] إذ عليه تتوقف صحة الاجتهاد. فإن كان ثمّة علم لا يحصل الاجتهاد في الشريعة إلا بالاجتهاد فيه فهو لا بدّ مضطر إليه[9].

❖ إدراكه الخطر الكامن في تنافس الدول الرأسمالية والشيوعية على اقتناء شبابنا بوسائل متنوّعة، وبالخصوص عبر العولمة بجوانبها المتعددة[10].

وغير هذه من عوامل ينبغي أن يتمسّك بها الشباب المسلم حتى يؤدي دوره المطلوب لتحقيق التنمية الفعّالة في المجتمع الذي ينتمي إليه.

وليتمكن الشباب المسلم من أداء دوره خير أداء في مجال التنمية، لا بدّ للمجتمع من القيام بتربية الشباب تربية إسلامية صحيحة انطلاقاً من القيم والمثل الإسلامية العليا، وتبصيره بكلّ ما يشكل خطأ في حياته، وتزويده بالعلم الصحيح الملائم لتنمية

مجتمعة، وغير ذلك من شؤون أشرت إلى بعضها آنفاً.

وفي نهاية هذا العرض، يطيب لي أن أورد جملة من الملاحظات أراها مفيدة للشباب المسلم هي:

1 - أن على الجمعيات الإسلامية العمل الجاد لتكوين الشباب المسلم، والأخذ بيده إلى كلّ ما هو مفيد للأمّة، ومساندته للإفادة من التقدم التكنولوجي الحديث.

2 - توجيه الشباب المسلم إلى الاهتمام بالتراث الإسلامي، لإحيائه واستغلاله لاستعادة الهوية الإسلامية الصحيحة، حيث لا شعب بلا تراث ولا تراث بلا شعب وإنّ الشعب المسلم لا ينسجم إلا مع فنونه وتراثه.

3 - توفير المنح الدراسية للشباب المسلم في كل التخصصات حتى يتمكّن من إثبات وجوده في مجتمعه، ويشارك في تقرير مصيره.

4 - دعم الجمعيات الشبابية مادياً ومعنوياً، وتنظيم اللقاءات الدورية بينها حتى تتمكّن من وضع برامج عمل منظمة.

والسؤال المطروح في هذا الصدد هو؛ هل للشباب المسلم دور فعّال في تنمية مجتمعهم اليوم؟

نعم هناك شباب مسلم واع وملتزم، يشارك في تنمية مجتمعه على كل الأصعدة، ويعمل حثيثاً عبر الجمعيات الشبابية والطلابية للتوعية الإسلامية، مع قلّة إمكاناتها المادية، والضغوطات المفروضة عليها من جهات مختلفة.

ولكن مع ذلك تسري في جسم هذا الشباب أمراض خطيرة، منها؛ سيطرة الطمع وحبّ المادة ممّا أنساه أداء رسالته المقدّسة أحياناً، فانحرف وانجرف وراء المادّة رغبة في تحسين أوضاعه، ربّما يعود ذلك إلى عدم تكوينه تكويناً صحيحاً يدرك واجباته ويؤدّيها حقّ الأداء، ويراقبه في ذلك ضميره الحيّ. متجرّداً من التعصّب القبلي أو الإقليمي، متسلحاً بمبادئ الإسلام الصحيحة، مستنيراً بالعلم الذي هداه الله به، إذ يعدّ تخليه عن تطبيق ما تعلّمه جهلاً ونفاقاً وخيانة، كما قال الشاعر:

وَإذَا الْفَتَى قَدْ نَالَ عِلْماً ثُمَّ لَمْ
يَعْمَلْ بِهِ فَكَأنَّهُ لَمْ يَعْلَمِ [11].

الهوامش

(1) انظر. الدوافع الإنسانية للتنمية الاقتصادية، دافيد ماكللنلاند، ترجمة د./ عبد الهادي الجوهري، وآخرين. إسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2000م، ص1.

(2) انظر: المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(3) انظر: مستقبل التنمية في الوطن العربي، مجموعة من الدكاترة، عمان، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع 1997، ص 81.

(4) انظر: المرأة بين تعاليم الدين الإسلامي ووضعها الراهن في مصر، دكتورة / هدى حلمي، القاهرة، دار القلم للنشر والتوزيع، 1999م، 312-314.

(5) أنظر: مقدمة في التنمية والتخطيط الاقتصادي د./ حربي محمد عريمات، عمان، دار الكرمل للنشر والتوزيع، 1997م، ط2، ص 123.

(6) انظر: المصدر نفسه، ص: 129.

(7) انظر: الشباب المسلم قضاياه ومشكلاته، أنور الجندي، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، 1994م، ص. 56.

(8) أنظر. البعد الديني للغة العربية، وأثرها في التضامن العربي والإسلامي، د./ محمد شيخاني، دمشق وبيروت، دار قتيبة، 2001، ص: 76.

(9) انظر: المصدر السابق نفسه، ص: 77.

(10) انظر: بحثيّ بعنوان: العولة في ميزان الإسلام، الملتقى الإقليمي لدور المرأة المسلمة، والشباب المسلم في مواجهة التحديات المعاصرة، بتنظيم القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، باماكو من 18 إلى 21 مارس 2002م.

(11) الرسالة الغلاوية، الشيخ سيدي المختار الكنتي، مخطوط في المعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت رقم 3273، الورقة الأولى.

المصادر

1 - البعد الديني للغة العربية، وأثرها في التضامن العربي والإسلامي، د./ محمد شيخاني، دمشق وبيروت: دار قتيبة، 2001م.

2 - العولة في ميزان الإسلام، د./ سامبي خليل ماعاسوبا، أعمال الملتقى الإقليمي لدور المرأة المسلمة والشباب المسلم في مواجهة التحديات المعاصرة بتنظيم القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، باماكو، من 18 إلى 21 مارس، 2003م.

3 - الدوافع الإنسانية للتنمية الاقتصادية، دافيد ماكللنلاند، ترجمة د./ عبد الهادي الجوهري، وآخرين، إسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2000م.

4 - الرسالة الغلاوية، الشيخ سيدي المختار الكنتي، مخطوط في المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم 3273.

5 - الشباب المسلم قضاياه ومشكلاته، أنور الجندي، القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع، 1994م.

6 - مستقبل التنمية في الوطن العربي، مجموعة من الدكاترة، عمان دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، 1997م.

7 - المرأة بين تعاليم الدين الإسلامي ووضعها الرّاهن في مصر، دكتورة / هدى حلمي، القاهرة: دار القلم للنشر والتوزيع، 1999م.

8 - مقدمة في التنمية والتخطيط الاقتصادي د/ حربي محمد عريفات، عمان: دار الكرمل للنشر والتوزيع، 1997م.



التنوع الثقافي وانعكاساته

د. محمد السماك *

في عالم تتلاشى فيه الحدود السياسية وتتداخل فيه الثقافات الوطنية، فإن الحديث عن واقع التعددية الثقافية وانعكاساته سياسياً ووطنياً يستوجب التوقف ملياً أمام الأمور الثلاثة الآتية:

الأمر الأول، هو تحوّل القضايا الوطنية (مثل حقوق الأقليات وحتى الأفراد وحرية العبادة وسواها) إلى قضايا عالمية. وكذلك تحوّل القضايا العالمية (مثل السلام والتنمية وحركة رؤوس الأموال والاستثمارات والخدمات وتبادل السلع) إلى قضية وطنية.

الأمر الثاني، هو أن القرار الوطني في دولة ما لم يعد ملكاً لأصحابه فقط. ولكن عملية اتخاذه باتت جزءاً من عملية أوسع تلعب فيها عناصر ما وراء الحدود الوطنية دوراً أساسياً. وبالتالي فإن الممثّلين المنتخبين المكلّفين بتسييس وإدارة أمور شعب ما أو دولة ما، أصبحوا رهينة نظام عالمي له حساباته ومصالحه وقوانينه الخاصة التي لا تلتقي بالضرورة مع المحلي - الوطني منها، والتي كثيراً ما تتناقض معها أيضاً.

أما الأمر الثالث فهو انحسار فرص المحافظة على التنوّع الثقافي وتآكل المساحات الوطنية التي توفر لهذا التنوع قوة استمراره. إن الشعور بالاختناق الذي بدأت تعاني منه ثقافات متعدِّدة يعود إلى انفلاش ثقافة واحدة على العالم ومحاولة فرض قيمها وتعميد هذه القيم مقياساً للتخلّف أو للتحضّر (اسبيرانتو ثقافية Cultural Esperanto).

يقول المستشرق الانجليزي مونتغمري وات في كتابه «الفكر السياسي الإسلامي»:

إذا ألقينا نظرة عامة على العلاقة بين الدين والسياسة، فإن من المفيد الاهتمام أولاً بموقع الدين في حياة الفرد.

فبالنسبة للشخص الذي يشكل الدين عنده معنى خاصاً، وليس مجرد تعلّق شكلي، يمكن التأكيد على نقطتين:

❖ النقطة الأولى، هي أن الأفكار التي تتضمنها ديانته ترسم له الإطار الثقافي الذي يحيط بنشاطاته وبأعماله كلها. ومن خلال هذه العلاقة تكتسب نشاطاته أهميتها. كما أن هذه العلاقة قد تؤثر بطرق معيّنة على البرنامج العام لحياته.

❖ النقطة الثانية هي أن الدين من حيث أنه يؤدي بالمؤمن إلى وعي المضمون الأوسع الذي تقوم عليه الأهداف الممكنة لحياته، فإن من الممكن أن يولِّد - الدين - لديه الحوافز المحركة لسائر النشاطات التي يقوم بها. وبالفعل فإن من دون هذه الحوافز الدينية، لا يمكن القيام ببعض هذه النشاطات.

* كاتب وباحث / لبنان

ومن خلال هاتين النقطتين يتبيّن لنا كيف أن الدين يحتلّ موقعاً مركزياً في حياة الإنسان، ليس من حيث أنه يقرر الكثير من التفاصيل (مع أنه يفعل ذلك بالفعل في بعض الحالات)، ولكن من حيث أنه يوفر للإنسان أهدافاً عامة في الحياة، ويساعده على التركيز وعلى تجميع قواه من أجل تحقيقها[1].

وهذا يعني أن لا قيمة لحياة الإنسان إذا لم تكن له خلفية ثقافية يستمد منها معنى لحياته، وبالتالي فإن تذويب أي ثقافة خاصة هو تذويب للقيم التي تقوم عليها إنسانيته، وتدمير لها. وعندما يتداخل الدين مع الثقافة، أي عندما يكون الدين مكوّناً بامتياز، أو المكوّن الأساس للثقافة، يأخذ الدفاع عن الخصوصية الثقافية بعداً مقدساً على النحو الذي نشهده اليوم في مواقع متعددة من العالم، بما في ذلك - بل وخاصة - في عالمنا.

إسلامياً، تكوّنت عناصر الثقافة والتقاليد الثقافية الإسلامية ونمت وتطوّرت بتناغم أساسي مع الدين. وهذا يعني أن فك الارتباط بين الدين والثقافة الإسلامية يجرد هذه الثقافة من هويتها ويقتلعها من جذورها الروحية، وهو شأن الثقافة المسيحية أيضاً، بل وسائر الثقافات الشرقية كالهندوسية والبوذية وسواهما. وعلى العكس من ذلك فإن الثقافة الغربية الحديثة - والمعولمة - تكوّنت خارج الدين وفي أحيان كثيرة قامت على تحدّيه وعلى التناقض معه. وهذا يعني أن نموّها أو تطوّرها يتطلب دائماً الإبقاء على حالة فك الارتباط بين الدين والثقافة. وهي لا تستبعد القيم الدينية فقط، إنما تسفّهها وتحمّلها تبعة ومسؤولية ما تعانيه الشعوب المتمسّكة بالدين وبثقافته من تأخّر اجتماعي ومن تردٍ اقتصادي. أدّى ذلك إلى قيام الهوّة الواسعة بين ما هو إلهي وما هو بشري، بين ما هو مقدس وما هو دنيوي، حيث الهيمنة دائماً وبالضرورة للدنيوي.

من هنا التناقض بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية تحديداً، والثقافات الشرقية عموماً.

إن التشخيص الأوروبي لواقع العالم الإسلامي يقوم أساساً على هذا التناقض. فالغرب يعزو تأخر المجتمعات الإسلامية إلى تمنّعها عن فك ارتباطها الثقافي بالدين. وهو يرى أن هذه المجتمعات تقصر عن مواكبة المسيرة الحضارية لأنها غير قادرة على أن تحذو حذوه بصناعة ثقافة لا دينية.

في الثقافة الغربية الدين ماضٍ. والتمسّك بالدين هو ارتداد عن المستقبل. من هنا فإن الثقافة الغربية لا ترفض الإسلام كإسلام، ولكنها ترفض الدين بالمطلق، إسلامياً كان أو مسيحياً، من حيث هو مكوّن لثقافة عصرية تقود إلى مستقبل إنساني أفضل. وتعتبر التمسّك به حجر عثرة في وجه انتشار الحضارة الإنسانية وعولمتها.

في الثقافة الغربية الدين ماضٍ والتمسك به ارتداد عن المستقبل

ويصل التباين بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية (أرجو أن تلاحظوا هنا أنني أشير إلى الغرب وليس إلى المسيحية، لأن التعاليم والقيم المسيحية منفصلة تماماً عن ثقافة الغرب وحضارته) إلى نقطة اللاالتقاء عندما يعتبر الغرب أن نجاحه وتفوّقه هو ثمرة أخذه بالرأسمالية وبالعلمنة، وعندما يعتبر في الوقت نفسه أن فشل العالم الإسلامي وسقوطه (كما يقول المستشرق ارنست رينان في كتابه «الماركسية والعالم الإسلامي» ص 97-98) هو ثمرة التزامه بالدين. أما العالم الإسلامي فإنه يعزو تفوق الغرب إلى ممارسة الاستعمار النهبي، ويعزو تأخّر الشعوب الإسلامية إلى ما تعرّضت له من استعمار وابتزاز وإلى ما واجهته من محاولات استهدفت ولم تزل تستهدف مسخ شخصيتها وثقافتها الدينية في محاولة لإضعافها ومن ثم تدجينها واستتباعها.

في الثقافة الإسلامية إن الله خلق الناس مختلفين

(1) Montgomery Watt, Islamic Political Thought, Edinburgh Uni. Press, 1968, P.28.

اثنياً واجتماعياً وثقافياً ولغوياً ولكنهم في الأساس «أمة واحدة» كما جاء في القرآن الكريم:

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْ﴾

[سورة يونس الآية: 19].

أي ان اختلافاتهم على تعدّدها لا تلغي الوحدة الإنسانية.

تقوم هذه الوحدة على الاختلاف وليس على التماثل أو التطابق. ذلك أن الاختلاف آية من آيات عظمة الله ومظهر من مظاهر روعة إبداعه في الخلق. يقول القرآن الكريم:

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾

[سورة الروم الآية: 22].

والقاعدة الإسلامية كما حددها الرسول محمد ﷺ هي «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى». وبالتالي فإن الاختلاف العرقي لا يشكل قاعدة لأفضلية ولا لدونية. فهو اختلاف في إطار الأمة الإنسانية الواحدة، يحتم احترام الآخر كما هو وعلى الصورة التي خلقه الله عليها.

إذا كان احترام الآخر كما هو لوناً ولساناً (أي اثنياً وثقافياً) يشكل قاعدة من قواعد السلوك الديني في الإسلام، فإن احترامه كما هو عقيدة وإيماناً هو احترام لمبدأ حرية الاختيار التي تعتبر عطاء إلهياً فضّل الله به الإنسان الذي خلقه من طين على الملائكة الذين خلقهم من نار ونور، ثم إنه التزام بقاعدة عدم الإكراه في الدين. وهي قاعدة جوهرية حيث الـ «لا» هنا نافية وليست ناهية. بمعنى أنها لا تعني عدم إكراه الناس على الإيمان ولكنها تعني أنه لا يكون إيمان بالإكراه. وهذا فرق كبير.

يقول القرآن الكريم:

﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ ..﴾ [سورة البقرة الآية: 148].

وفي ذلك إشارة واضحة إلى تعدّد التوجهات. ويقول أيضاً:

﴿..وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ..﴾

[سورة البقرة الآية: 145].

ذلك أنه مع اختلاف الألسن والألوان، كان من طبيعة رحمة الله اختلاف الشرائع والمناهج، وهو ما أكده القرآن الكريم بقوله:

﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [سورة المائدة الآيه: 48].

إن وحدة الجنس أو اللون أو اللغة ليست ضرورة حتمية لا يتحقق التفاهم بدونها. لذلك لا بد، من أجل إقامة علاقات مبنية على المحبة والاحترام، من الحوار على قاعدة هذه الاختلافات التي خلقها الله، وأرادها أن تكون، والتي يتكشّف للعلم أنها موجودة حتى في الجينات الوراثية التي تشكّل بعناصرها شخصية كل منّا وتمايزاتها.

في ضوء هذه المبادئ العامة التي تقول بها الثقافة الإسلامية، فليس صحيحاً أن الدول لا تقوم إلا على هوية واحدة. هناك دول انهارت مثل هايتي، أو تفتّتت مثل كوريا رغم وحدة الهوية واللغة والجنس. وهناك دول قامت وازدهرت رغم تعدد هوياتها، كالولايات المتحدة مثلاً التي رغم أن مجتمعها قائم على الهجرة، فقد تراجعت عن تمسّكها بشعار «القدرة الوطنية National Crucible» في ثقافتها العامة. فالإسبانية كلغة وكلسان ثقافي بدأت تنافس الإنجليزية في معظم الولايات المتحدة الأمريكية. ولا تزال قضية ازدواجية الولاء الوطني لليهود الأمريكيين بين إسرائيل والولايات المتحدة قضية ساخنة وغير محسومة. ولقد منحت مقاطعة كوبيك في كندا حق استخدام وسائل قسرية لمنع سيطرة اللغة الإنجليزية في المقاطعة على حساب اللغة الفرنسية التي تعتبرها لغتها الأم.

بل إن بعض الدول الأوروبية التي تبدو ظاهرياً موحّدة الهوية لم تكن كذلك. فشعوب الغال في فرنسا لم تصبح أسلاف الفرنسيين إلا بعد أن قرّرت ذلك كتب التاريخ الفرنسي. واليوم تعترف كل من فرنسا وإسبانيا بالثقافات الموازية في مجتمعاتها وبأن لأصحاب هذه الثقافات هويتهم أيضاً. وفي المملكة

المتحدة تبرز معالم الثقافة القومية للاسكتلنديين والويلزيين، بقدر ما تبرز مثل هذه المعامل لدى الفلمنك في بلجيكا والكتالونيين في جنوب اسبانيا وشرقها والباسك في شمالها.

ثم ان هناك دولاً منقسمة على ذاتها اثنياً (البوسنة)، ودينياً (ايرلندا الشمالية)، وقبائلياً (الصومال) حيث إن تركيب هوية وطنية واحدة لأي منها لا يبدو مهمة ممكنة.

يقودنا ذلك إلى أمرين أساسيين:

الأمر الأول، هو أن تحديد الهوية لم يسبق إقامة الدولة، إنما جرى ذلك في ما بعد، ومن خلال اللغة والثقافة العامة المعتمدة في برامج التعليم والتربية. **الأمر الثاني**، هو أن وحدة الهوية ليست شرطاً لا غنى عنه لوحدة الدولة. في ضوء هذه الإشكالية يمكن القول إن بناء الوطن لا يتطلّب بالضرورة فرض هوية واحدة على جماعات منقسمة بعمق اثنياً أو دينياً، بل إن بناء الوطن يكون بإدارة صيغة العيش الواحد بين هذه الجماعات ومن خلال اعتماد ثقافة احترام الاختلافات والتباينات القائمة في ما بينها.

لقد توحّدت إيطاليا في عام 1861م وتوحّدت المانيا في عام 1871م على أساس وحدة الثقافة والدم. وانهارت الامبراطورية النمساوية ـ الهنغارية في عام 1918م على أساس عدم استيعاب تعدّد الثقافات والاثنيات في صيغة تجمع بين هذه التعدديات على قاعدة الاعتراف واحترام خصائصها وخصوصياتها في ظل شرعة دستورية واحدة في وطن واحد. وهو ما حلّ بالإمبراطورية العثمانية كذلك رغم كل المحاولات التي قامت بها لتجنّب هذا المصير.

لم تقم الدول التي انبثقت من انهيار الإمبراطوريتين التاريخيتين على أساس هوياتها العرقية أو الدينية المحدّدة، بقدر ما قامت على أساس تقاسم النفوذ بين ورثة الإمبراطوريتين سواء كان ذلك في البلقان، أو في الشرق الأوسط، أو في أفريقيا حيث رسمت حدود الدول وحددت هوياتها الوطنية من دون أي حساب لانتماءات سكانها القبلية أو العرقية أو الدينية. وربما تعود الانفجارات السياسية التي تشهدها القارة السوداء بين وقت وآخر والتي تصاحبها مجازر جماعية (في رواندة وحدها ذهب أكثر من مليون إنسان خلال أشهر عدة فقط ضحية الصدامات العرقية). إلى هذا الأمر، ليست الشعوب معادن قابلة للتذويب والانصهار. يمكن أن يلعب العِلم بذرّات المادة وبأجزاء الذرة ليغيّر من معالمها، أو ليصهرها في مادة أو في مواد أخرى. ولكن عندما يتعلّق الأمر بالثقافة وبالخصوصيات الإنسانية، فإن عملية الصهر بالقهر أي بالإلغاء والتذويب مآلها الفشل. أمامنا تجربة الاتحاد السوفياتي، وتجربة الاتحاد اليوغوسلافي السابقين، وحتى تجربة تشيكوسلوفاكيا. وما نشاهده اليوم من محاولات لإثبات الذاتية الثقافية الحميمة من سينكيانغ في شرق الصين حتى الباسك في شمال اسبانيا دليل على ذلك. ولذلك فإن مقولة الانصهار الوطني ربما لا يشفع لها سوى حسن نيات أصحابها. لا معنى لما تقول به العولمة اليوم من أن للإنسان حقاً في الثقافة دون أن يعني ذلك بالضرورة أن له حقاً في ثقافة خاصة. صحيح أن الثقافة غير ثابتة وغير محدّدة في طبيعتها، إلا ان حركيتها وانفتاحها لا يلغيان خصوصيتها.

الثقافة غير ثابتة وغير محددة لكن ذلك لا يلغي خصوصيتها

إن الأمّة، كما يقول المستشرق والمؤرّخ الفرنسي ارنست رينان هي «استفتاء شعبي يومي». وفي ضوء هذا التعريف الذي يصحّ في العديد من الدول والمجتمعات، فإن العيش الواحد أو حتى العيش المشترك يكون بالحب أو لا يكون. وهو يثمر ويزدهر بالاختيار الإرادي الحرّ وليس بالاستجابة المستكينة إلى القضاء والقدر. فالاستجابة، استكانة أو قسراً، سرعان ما تنقلب إلى ارتداد وتمرّد عندما تتوفّر لها أول فرصة للانفكاك من زواج الإكراه. ولكن عندما يقوم الزواج ـ الوطني ـ على الحب والاحترام والإرادة الحرّة، فإنه ينجب ذريّة صالحة ازدهاراً واستقراراً ويرسي دعائم الوطن الصالح ويكون زواجاً شرعياً وسراً مباركاً.

الكِتَابُ وثقافة الطفل المسلم

د. مفتاح محمد دياب*

ثقافة الطفل الواعية والجيدة هي الثقافة التي تراعي ميول الأطفال القرائية ورغباتهم واحتياجاتهم وفقاً لخصائص المرحلة العمرية التي يمرّ بها الطفل، في إطار من المثل السليمة والقيم الجديرة بأن تغرس في الطفل لتساعده على تكوين شخصية قوية طموحة تجعله يساهم في بناء صرح المجتمع الذي ينتمي إليه من أجل تحقيق طموحه وتطلّعه نحو حياة سعيدة فاضلة ومستقبل مشرق.

والمجتمع، من خلال مؤسساته الثقافية والإعلامية المختلفة، هو المسؤول الأول عن ثقافة أطفاله على المستويين الشعبي والرسمي، والمؤسسات الثقافية والإعلامية الموجودة في المجتمع تقع عليها مسؤولية تقديم الثقافة الجيّدة للأطفال، هذه الثقافة من شأنها بناء الطفل بناءً قوياً يمكن للمجتمع أن يعتمد عليه اعتماداً كبيراً في عمليات التنمية من جوانبها المختلفة، الاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية... إلخ.

والثقافة الواعية السليمة التي يجب أن توجّه وتقدّم للطفل المسلم يجب أن تهتم بمقاومة ما علق في أذهان أطفالنا من معلومات خاطئة ومشوّهة نتيجة الغزو الثقافي الأجنبي الذي يتلقّاه الطفل المسلم بسبب عدم توفّر وسائل وقنوات ثقافية إسلامية تلبّي احتياجاته ورغباته في التطلّع إلى ولوج آفاق جديدة ومعرفة العالم من حوله.

وهذا الأمر يدعو إلى بداية إنتاج ثقافة إسلامية أصيلة تستطيع أن تقف في وجه الثقافة الخارجية التي لا تعبّر عن روح المجتمع وآماله وطموحاته المستقبلية. وهذا يعني الاهتمام بوسائل ووسائط وقنوات الثقافة، كالكتب، والمجلات، والإذاعة المسموعة والمرئية والخيالة (السينما) والمسرح وبرمجيات الحاسوب والوسائط الالكترونية الحديثة وغيرها، على أن تبذل الجهود على كل المستويات الرسمية والشعبية والطاقات العلمية، حتى يتمكن المجتمع الإسلامي من تقديم ثقافة إسلامية فعلية للطفل المسلم على الوجه المطلوب، ووفق الأسلوب المناسب لتقديمها.

ولا يزال الكتاب يأخذ الدور الأول ويلعب الدور الطليعي في هذا المجال.

ويعد الكتاب من أهم وسائط الثقافة وأقدمها، عرفه الإنسان منذ عصور ماضية قبل أن يعرف الأنواع الأخرى من الوسائط الثقافية والعلمية وما يزال يقوم بدوره في التثقيف والتعليم حتى وقتنا الحاضر،

* أستاذ جامعي / ليبيا

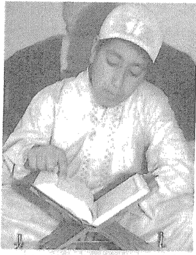
بالرغم من ظهور الوسائط والوسائل الإلكترونية المتقدمة التي أخذت تنافس الكتاب في نقل الثقافة والمعرفة للإنسان. وما يزال الكتاب من أقوى الوسائط وأكثرها انتشاراً بين الناس بسبب المواصفات التي تتوافر فيه ولا تتوافر في غيره.

ومن أجل أن يؤدي الكتاب بجميع أنواعه ومضامينه الدور المطلوب منه في تثقيف الطفل المسلم في مراحل الطفولة المختلفة، لا بد من أن تتوافر فيه العوامل التي تجعله كتاباً جيداً، سواء من حيث الشكل أو من حيث المضمون والموضوعات التي يتناولها.

وكتب الأطفال تتعدد موضوعاتها التي يتم من خلالها نقل الثقافة للطفل، فهناك الموضوعات القديمة كمصادر التراث الشعبي والمصادر التاريخية والآداب والفنون، وهناك الموضوعات الحديثة والمعاصرة كالعلوم الحديثة وموضوعات الحياة اليومية للأفراد مثل القضايا الاجتماعية والقصص الواقعي الذي يضم قصص كفاح الإنسان في كل العصور من أجل عزّته وحريته وكرامته، ثم الموضوعات الخيالية التي تهدف إلى توسيع آفاق الخيال عند الطفل.

ويعد المظهر الخارجي للكتاب من العوامل المهمّة التي تساهم في جذب انتباه القارئ الصغير وشدّه لقراءته، ويؤكد عدد من الرسامين والفنانين الذين يقومون بتصميم كتب الأطفال أن المظهر الخارجي للكتاب المقدم للأطفال يعتبر على قدر كبير من الأهمية، وهو في بعض الأحيان أهم من محتويات الكتاب الداخلية، خصوصاً في كتب الأطفال الصغار جداً ـ أي مرحلة الطفولة المبكرة وما قبلها ـ حيث إن الأطفال في هذه المرحلة العمرية هم أكثر انجذاباً للكتب التي يتوافر فيها المظهر الجذاب والمغري، وإن هذه القضية هي التي تشكّل في ما بعد حب الاستطلاع الفكري عند الأطفال عموماً.

الصور والرسوم لها دور كبير في توضيح ما لا تستطيع الكلمات أو النصوص توضيحه أو نقله للأطفال، فالصور قد لا توضح النص فقط، ولكن قد تعطي بعداً آخر لموضوع الكتاب، فتمنح «الشخصيات ملامحها ووجودها وتكسوها وتصنعها داخل إطار المكان»، والصور كما يقول «بول فوشير» تؤثر بقوة في حساسية الطفل «إلى درجة أنها تنطبع في نفسه بشكل لا يمحى، وهي بذلك تضاعف من القدرة السحرية التي تختص بها القراءة».



الصور والرسوم لها دور كبير في توضيح ما لا تستطيع الكلمات أو النصوص توضيحه أو نقله للأطفال

والصور أو الرسوم في كتب الأطفال تساعد الطفل وتعطيه القدرة على فهم النص واستيعابه، وبعد ذلك تقوده إلى أن يتمثل المضمون أو المحتوى فيكون قادراً على إدراك أبعاد الصورة أو الرسم من خلال ما أحدثته فيه من انفعالات مختلفة.

ويدخل في ناحية الشكل أيضاً الألوان التي يجب أن تكون معبّرة تعبيراً دقيقاً عن الأشياء المستخدمة لأجلها، ومن المفضل استخدام الألوان الزاهية التي تجذب الطفل إليها.

والقدرة على استخدام اللون المناسب في كتب الأطفال تعطي هذه الكتب طاقة قوية تؤثر في جذب القارئ إليها، كما أنها تساعد على تنمية الذوق الفني والجمالي عند الأطفال بدءاً من كتب الطفولة

المبكرة، والكتب المصوّرة، ومروراً بالطفولة المتوسطة والمتأخرة ثم المرحلة المثالية التي تقل فيها الصور تدريجياً.

كذلك تدخل حروف الطباعة بصفتها عاملاً آخر يجب أن يتوافر في الناحية الشكلية أو الخارجية لكتب الأطفال، حيث يجب أن يراعي «التنبيهات المتعلّقة بالحرف من حيث الحجم، وباللغة العربية من حيث ضبط الحركات لتتسنى للطفل استقامة القراءة ومن ثم استقامة المعنى والفهم، فحجم الحروف المستخدمة في طباعة كتب الأطفال يجب أن يكون مناسباً لمرحلة الطفولة المراد تقديم الكتاب إليها حيث لا تكون هذه الحروف كبيرة وهو ما قد يؤدي بالطفل إلى الاستهتار بها وعدم الإقبال على قراءتها ولا تكون صغيرة جداً فتسبّب تعباً لعيني الطفل وتؤدي إلى ضعف بصره في المستقبل».

أما الورق الذي يجب أن يستخدم في كتب الأطفال فيجب أن يكون من نوع جيّد، ولا يفضل استخدام اللون الأبيض اللماع لما يسبّبه من إجهاد لعيون الأطفال نتيجة انعكاس الضوء عليه، ويستحسن استخدام لون مناسب كاللون الزبدي مثلاً.

أما من حيث المضمون ـ المحتوى الداخلي ـ فإن الكتب الموجهة إلى الأطفال المسلمين يجب أن تمدهم بخلفية ثقافية عن حضارتهم الإسلامية أولاً لينطلقوا منها بعد ذلك نحو معرفة ثقافات الشعوب والحضارات الأخرى قديماً وحديثاً.

فالطفل المسلم يجب أن يكون ملماً بكيفية بدء البعثة المحمدية، وصبر الرسول وأصحابه على الشدائد في سبيل نشر دعوة الحق والتبشير بها بين البشر من جميع الأجناس، وانتصار هذه الدعوة، وإقبال الناس عليها لما تحمله من توحيد للخالق، وما تنادي به من أخوة وعدالة ومساواة بين أتباعها وتكوين الدولة الإسلامية بعد ذلك، وبداية نشوء الحضارة الإسلامية ومميزاتها وما قدمته للبشرية كافة.

ويجب ألا تهمل كتب الأطفال الإسلامية العمل على تثقيف الطفل المسلم بموضوعات وقضايا حديثة وجارية، قريبة مما يراه ويسمعه كل يوم. فهذه الموضوعات هي ذات أهمية وقيمة عالية في تنمية عادة القراءة وتطويرها، ومساعدتهم على اكتشاف أنفسهم وما يحيط بهم، ومعرفة موقعهم من الأحداث التي تمر بهم والظروف التي يعيشون فيها، وهذه في الواقع خبرة وجدانية فريدة يحصل عليها الأطفال، فتساعدهم على النمو السليم والارتباط بالبيئة والتكيّف معها.

البناء الفكري الثقافي إذا تم بطريقة سليمة فإنه سيثمر في المستقبل عقولاً مسلمة مفكرة مبدعة

كذلك بإمكان كتب الأطفال منح الطفل القدرة على أن يعي القضايا التي تمر بها الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر، وما يقوم به أعداؤها من محاولات لتمزيقها والتشكيك في عقيدتها التي تدين بها.

وهذا الوعي يجعل الطفل المسلم في ما بعد يدحض كل الافتراءات التي يدسها الحاقدون لتفكيك أواصر الأخوة الإسلامية، ويقف شامخاً في وجه الذين يحاولون تشويه الدين الإسلامي وإعطاء صورة غير سليمة عن المسلمين من أجل وقف المد الإسلامي وانتشاره في مختلف قارات العالم بعد أن تبين صدق ما يدعو إليه وما ينادي به من وحدانية في العبادة ومثل سامية وقيم فاضلة أساسها أن لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح.

وهذه المضامين التي تقدمها كتب الأطفال إلى الطفل المسلم يجب أن تكون مناسبة لمستوى الطفل العقلي والعاطفي، وأن تكون اللغة المستخدمة فيها مناسبة أيضاً لكل مرحلة، وأن يكون أسلوب الكتابة واضحاً ومعبراً عن هذا المضمون.

خاتمة

إن الاهتمام بثقافة الطفل المسلم ضرورة من ضرورات عصرنا الحاضر، تمليها علينا الظروف التي يعيشها العالم الإسلامي، ومحاولاتنا للتقدم والنهوض من الركود الذي نعيش فيه منذ أمد غير بعيد بفعل عوامل وأسباب عدة، منها محاولة القوى الاستعمارية السيطرة على شعوبنا وثرواتنا، ومنها صراعنا الداخلي الناتج عن اختلاف وجهات النظر ومحاولة كل مجموعة أو فئة فرض وجهة نظرها دون تمحيص أو معرفة أنها صالحة ومعبرة عن أماني وتطلعات الأمّة الإسلامية وتدور في إطار القيم والمثل التي ينادي بها الإسلام. وإذا كان هذا العامل له جذور في الماضي كظهور بعض الحركات والفِرق والطوائف التي تدّعي أنها تمثل روح الإسلام حتى وإن كان باقي الأمّة الإسلامية يرى غير ذلك، فإن الاستعمار عمل على تغذية هذه الحركات بمختلف الوسائل لأنه يعلم أن كثرة الآراء ووجهات النظر المتعصبة لا بد من أن تؤدي إلى الصراع بين أفراد الأمّة وبذلك يسهل التحكّم فيها وتسييرها كما يشاء.

لقد حاول الاستعمار العودة إلى السيطرة علينا بطرق أخرى كالتبعية الاقتصادية والتربوية والثقافية، وان الغزو الثقافي الذي يتعرّض له العالم الإسلامي من حانب أعدائه ما هو إلا محاولة لإبقائه ضمن مناطق النفوذ والسيطرة الأجنبية.

وإذا أرادت الأمّة الإسلامية أن تعود كما كانت، أمّة قوية يخشى الأعداء شوكتها، ويخاف بطشها كل من تسول له نفسه أو يوسوس له الشيطان القيام بعمل من شأنه الإساءة إليها؛ فلا بدّ من أن تبدأ بالأساس الأول في البناء الفكري الثقافي الذي إذا تمّ بطريقة سليمة فإنه سيثمر في المستقبل عقولاً مسلمة مفكرة مبدعة، مخترعة، صانعة، تعمل على بناء حضارة إسلامية جديدة حديثة تقدم للعالم مثالاً على سماحة الإسلام وسمو المبادئ والمثل والقيم التي ينادي بها من أجل حياة سعيدة للإنسانية على اختلاف ألوانها وأجناسها تضم خيري الدنيا والآخرة، وهذا الأساس هو الطفل المسلم.

فالأمّة الإسلامية يجب أن تبذل كل الجهود والإمكانات التي من شأنها الرفع من مستوى الثقافة المقدمة للأطفال المسلمين وتكوين أجهزة ثقافية وإعلامية قادرة على التخطيط السليم والواعي والمنظم لكل ما يخص ثقافة الطفل في العالم الإسلامي.

هذه الثقافة التي ندعو إليها يجب أن تأخذ في حسبانها رغبات الطفل المسلم واحتياجاته بما يتناسب مع مراحل النمو المختلفة للأطفال، وأن تعرِّف الطفل المسلم بتراث أمّته الخالدة وتاريخها المشرق المجيد ومساهمتها في الحضارة الإنسانية، وأن تعمل على إعداده إعداداً إيجابياً سليماً في المجتمع الإسلامي ليأخذ مكانه ويشق طريقه ويعي دوره في بناء مجتمعه ويكون مستعداً لتحمّل مسؤولياته في الدفاع عن الإسلام والمسلمين إذا اقتضى الأمر ذلك.

والثقافة الإسلامية للأطفال يجب أن تعمل على تقوية الالتزام بالنظام واتباع الأنماط السلوكية التي ينادي بها الإسلام لدى الطفل، كحب الآخرين، والمساواة والعدل، وأن تهدف إلى خلق روح التضامن والتعاون بين الأطفال المسلمين، وأن توقظ فيهم مواهبهم واستعداداتهم، وتقوّي فيهم ميولهم وطموحاتهم وتنتهي بهم إلى الشغف بالقراءة والمثابرة عليها، لأن القراءة هي مفتاح العلم والثقافة

والمعرفة، وخير مثال على أهميتها في حياة المسلم هو أن أول أمر إلهي نزل على رسول الله (ﷺ) هو الأمر بالقراءة «إقرأ».

وقد حرص المسلمون الأوائل على تنفيذ هذا الأمر وحرصوا على استمراريته والعمل به من جانب الأجيال الإسلامية المتعاقبة، فكان من ثماره حضارة «متكاملة» سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وعلمياً لم يرَ العالم قبلها حضارة أتت بما جاءت به الحضارة الإسلامية من تقدير لقيمة الإنسان الذي جعله الله خليفته في الأرض، وما زال العالم حتى وقتنا الحاضر يكتشف مع فجر كل يوم جديد جزءاً من تراثها العلمي والثقافي الذي قدّمته من أجل رفاهية الإنسان وسعادته وحريته.

والطفل المسلم في الوقت الحاضر هو عماد المجتمع الإسلامي وعدته في المستقبل.

فهو الذي سيكون العالم، والمناضل، والقائد، والمبشّر، والمخترع، والحكيم، والمعلم، والمصلح... إلخ، فلا بد إذاً من الاهتمام بتكوين شخصيته ومفاهيمه وثقافته وعلمه.

ويمكن أن تساهم كل وسائط الثقافة المختلفة من كتب ومجلات وسينما وإذاعة مسموعة ومرئية ومسرح... إلخ، في تكوين مفاهيم وأساسيات ثقافة الطفل المسلم، ولكن يبقى الكتاب هو الوسيط الذي يمكننا أن نعتمد عليه اعتماداً كبيراً في تثقيف الطفل المسلم لما يتوافر فيه من عناصر تجعله رفيقاً وصديقاً وحبيباً للطفل لا تتوافر في بقية الوسائط الأخرى مثل مقدرته ـ الكتاب ـ على تقديم «الحقائق» والمفاهيم والأفكار إلى الطفل مثبتة على الورق، وذلك يجعل الطفل يتعامل معها وقتاً طويلاً، وبأناة تامة، كما يمكن له أن يعود إليه في أي وقت يشاء، في حين أن هذه الأمور لا تتهيّأ للأطفال من خلال الإذاعة والمسرح والخيالة «السينما» إذ كثيراً ما تغيب عن ذهن الطفل الصور والقيم بعد وقت قصير.



فمن أجل الاهتمام بمستقبل الأمة الإسلامية يجب أن نحرص على إقامة حركة نشر قوية تتولى إمداد أطفالنا بالكتاب الذي يجدون فيه المعلومات والمتعة والتسلية، الكتاب الذي تكون معلوماته ومحتوياته دافعاً لتفكير الطفل المسلم وحثه وحفزه على النهل من العلوم الحديثة واكتساب خلفية ثقافية عن ماضيه وتراثه وحضارته لتكون جسراً يربطه بالحاضر ويعبر عليه نحو المستقبل.

ويمكن أن تساهم في إنعاش حركة نشر كتب الأطفال في العالم الإسلامي المؤسسات الرسمية والشعبية على السواء حيث إن الهدف الذي تسعى إليه هدف واحد يرمي إلى بناء المجتمع الإسلامي القوي المتميّز الخالي من العنصرية والتعصّب والعبودية والجهل، دستوره ودليله القرآن الكريم والسنّة الشريفة

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾
[سورة التوبة الآية: 105].

صدق الله العظيم.

المراجع

1 ـ ذكاء الحر. الطفل العربي وثقافة المحتمع. بيروت. دار الحداثة، 1984م.
2 ـ مفتاح محمد دياب. «ثقافة الطفل العربي». الناشر العربي. ع5، يوليو 1985م.
3 ـ مفتاح محمد دياب. مقدمة في أدب الأطفال. طرابلس: المنشأة الشعبية العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1985م.
4 ـ مفتاح محمد دياب. «في تاريخ أدب الأطفال ودور الثقافة الإسلامية فيه». «تراث الشعب». س3، ع11، أكتوبر ـ نوفمبر ـ ديسمبر 1983م.



البعد الديني لمفهوم الإرهاب في السياسة الصهيونية

د. دهام العزاوي*



لا شك في أن المتفحص لطبيعة الصراع العربي الصهيوني لا يمكن أن يجده صراعاً سياسياً يقبل التفاوض والحوار للوصول إلى حلول وسطى، بقدر ما يجده عداءً دينياً مستحكماً يرى في وجود العرب والمسلمين على أرض فلسطين المقدّسة تعويقاً لنبوءة توراتية طال انتظارها بعد أن حقّق الله لإسرائيل التفوّق والسيطرة على القدس أو كما يسمّونها (اورشليم) عام 1967م، مما يفسح لها المجال لإقامة هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى الذي آن الأوان لهدمه حتى يأتي المسيح (عليه السلام) ليحكم العالم ألف سنة يحقق فيها العدل والسلام قبل أن تقوم الساعة. وبهذه الرؤية الدينية تكون الصهيونية العالمية قد كشفت عن وجهها القبيح حين حوّلت النزاع العربي ـ الصهيوني من نزاع سياسي إلى صراع أيديولوجي يحكمه البعد الديني، مما دفعها إلى تصعيد هجومها على كل من يقف ضد أطماعها

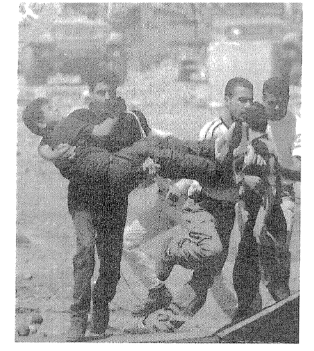
* أستاذ جامعي / ليبيا

مستخدمة في ذلك الأساطير التوراتية. هذا في الوقت الذي أخذت على عاتقها إغراء القوى الكبرى لدعمها تنفيذاً لوصايا الرب الذي اعتبر اليهود شعب الله المختار، ومن يعترض على ذلك فإن الله سوف يغضب عليه ولا يستحق الحياة الكريمة، الأمر الذي أدى إلى تطور الثالوث المعروف في الفكر الصهيوني بالرب والشعب والأرض والذي وصف أرض الميعاد بأنها الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات.

ومن المؤكد أن تلك الأساطير تتفق مع طبيعة المعتقدات التي تفسّر أحداث التاريخ لخدمة الأهداف الدينية التي صاغها الفكر الصهيوني وأقنع بها تياراً واسعاً من المسيحيين المتصهينين والتي تقوم على أسطورة الاختيار الإلهي لبني «إسرائيل» على أساس عرقي، وأسطورة نقاوة الدم اليهودي، وأسطورة الوعد الإلهي، وأسطورة المعاداة للسامية[1]، وأسطورة المذابح ضد اليهود (الهولوكوست). ومن يشاهد الانحياز الأمريكي الغربي لمصلحة الكيان الصهيوني يدرك قوة التيار اليميني الصهيوني المؤمن بالأفكار الصهيونية والذي أخذ يتمركز في أجهزة صنع القرار الأمريكي والغربي وبالضد من المصالح العربية والإسلامية. إن فرضية هذه الدراسة تقوم على ان سياسة الإرهاب التي تمارسها إسرائيل حيال الشعب العربي في فلسطين والقائمة على القتل والتهجير والتشريد وهدم المنازل واستباحة المحرمات قائمة على أساس ديني، فالمجتمع الصهيوني مبني على إيديولوجية سياسية ذات طابع ديني تحركها مشاعر العداء والكراهية لكل ما هو عربي ومسلم، أو بالأحرى لكل ما هو مغاير للناموس اليهودي التوراتي المحرف، ولا يشك أي محلّل واقعي في أن ما تقوم به إسرائيل من ممارسات إرهابية يومية حيال أبناء شعبنا العربي في فلسطين وآخرها اغتيال الشيخ الشهيد أحمد ياسين لا يأتي في إطار الصراع السياسي والاقتصادي المستمر للسيطرة على فلسطين فحسب بقدر ما يأتي من عقيدة دينية مشينة تعلي من شأن اليهود على ما عداهم من الشعوب الأخرى التي تبقى في نظر اليهود أفاعي ينبغي تهشيم رؤوسها كما ورد في أحد أسفار التلمود. إن هذه الفرضية يعزّزها السؤال عن سبب اتفاق اليهود على تسمية دولتهم بإسرائيل بدلاً من أي اسم آخر؟ وعن سبب الإصرار اليهودي الصهيوني على جمع شتات يهود العالم في أرض فلسطين؟ وكيف يمكن تبرير أعمال الحفر والهدم والتنقيب الصهيوني تحت المسجد الأقصى بدعوى البحث عن هيكل سليمان؟ بل كيف يمكن تبرير قيام إسرائيل بحرق المسجد الأقصى عام 1969م؟ ولماذا تطالب فئات واسعة من المجتمع اليهودي اليوم بنسف المسجد الأقصى بالطائرات والقنابل؟ ثم على المستوى الخارجي لماذا تنبري أقلام المئات من الكتّاب الأمريكان والغربيين إلى تلميع صورة الكيان الصهيوني الإرهابية وعرضها برداء الدولة المحبة للسلام وبأنها واحة للديموقراطية وسط غابة من الغوغاء والإرهابيين المسلمين؟!! ألم يخاطب الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر أعضاء الكنيست الصهيوني عام 1979م بقوله: (إن علاقة أمريكا بإسرائيل أكثر من علاقة خاصة، فهي علاقة متأصلة في وجدان وأخلاق وديانة معتقدات الشعب الأمريكي نفسه وأننا نتقاسم معكم تراث التوراة)؟[2] ثم لماذا تمنّى الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغن أن تقوم الحرب النووية في عهده لكي يرى نهاية العالم وتتحقق النبوءة التوراتية بعودة المسيح (عليه السلام) إلى أرض فلسطين؟ ألم يقل الرئيس بوش الإبن بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م إنها حرب صليبية جديدة؟ ولماذا

ما تقوم به إسرائيل من ممارسات إرهابية يومية حيال أبناء شعبنا لا يأتي في إطار الصراع السياسي والاقتصادي المستمر للسيطرة على فلسطين فحسب بقدر ما يأتي من عقيدة دينية مشينة تعلي من شأن اليهود على ما عداهم من الشعوب الأخرى

يسمح الغرب للإعلاميين والكتّاب والمحللين بأن يقولوا ما يشاؤون من عبارات التهجّم والتشنيع بالإسلام ووصفه بعبارات الإرهاب والتخلّف والتحجّر ولا يسمح لأي كاتب مهما كان لونه وجنسه بأن يكشف حقائق الإرهاب الصهيوني في فلسطين المحتلة؟ ألا يعد ذلك إرهاباً فكرياً تمارسه القوى الفاعلة في الساحة العالمية تأييداً للكيان الصهيوني؟ إن الإجابة عن الأسئلة الأخيرة يجيب عنها مستوى الدعم اللامحدود الذي تقدمه الولايات المتحدة للدولة الصهيونية. فقد شجّع الدعم الذي أخذ يقدّمه التيار اليميني الصهيوني المتطرّف الحركة الصهيونية و«إسرائيل» على تشريد مئات الآلاف من الفلسطينيين من سكان القدس فمنعت عودتهم، وصادرت ممتلكاتهم، وقامت باعتقال الذين لم يرحلوا منهم، ثم فتحت باب الهجرة اليهودية إلى القدس، وأبعدت الشخصيات الفلسطينية البارزة عنها، ونزعت الملكيات، وأغلقت المساجد والمدارس والمحال والمصارف العربية، وقامت بحفريات حول الحائطين الغربي والجنوبي للمسجد الأقصى، وضمّت القدس إدارياً وسياسياً للسيادة الإسرائيلية، وأعلنتها عاصمة أبدية لـ«إسرائيل»، وحلّت مجلس أمانة القدس العربي، وألغت القوانين العربية واستبدلتها بقوانين إسرائيلية. أما على المستوى الدولي فقد نجحت إسرائيل في استخدام تعبير معاداة السامية لتشويه واغتيال صورة وسيرة أي شخصية سياسية وفكرية وإعلامية تنتقد الكيان الصهيوني وتفضح سياساته الإرهابية مثلما حصل مع الكاتب الفرنسي المسلم روجيه غارودي الذي كشف عن الأباطيل والأساطير المؤسسة لإسرائيل وقد استطاع الصهاينة بخبثهم المعهود توظيف مخرجات السياسة الدولية لمصلحة مشروعهم الاستعماري، فنجحوا في الربط بين الإرهاب والإسلام في محاولة خبيثة لتشويه صورة هذا الدين الحنيف باعتباره سبباً للتخلّف الحضاري في العالم، وأنه يشكّل تهديداً للحضارة الغربية، وأنه دين يمثل بربرية مطلقة تقف حجر عثرة في وجه العالم



المتحضّر! كما استطاعوا توظيف الدوائر السياسية والإعلامية في الغرب لمحاربة الدين الإسلامي باعتباره مصدراً للإرهاب والتطرّف على الرغم من أن الإرهاب أصبح ظاهرة عالمية لا يرتبط بدين أو عقيدة فضلاً عن كونه مبهم الهوية والاتجاه بحكم اختلاف النظرة إليه بين الأمم وعدم اتفاق الدول على تعريف دولي موحد لهذه الظاهرة. ولا يزال الكيان الصهيوني يواصل سياسته في دعم المئات من الكتّاب والمحلّلين والسياسيين ومراكز البحث العلمي والمؤسسات الفكرية التي تصور الإسلام بهذه الصورة البعيدة عن جوهر الحقيقة فضلاً عن دعم الكثير من الشخصيات السياسية المؤثرة في صنع سياسة بلادها وعلى نحو يغيّر من سياسة تلك البلدان نحو العالمين العربي والإسلامي. ويمكن تلمّس حقيقة هذا الأمر في السياسة الأمريكية التي أفرزت لنا صعود الكثير من الشخصيات اليهودية والمسيحية المتشبعة بالأفكار الصهيونية كالرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغن الذي كان يتمنى على الله أن يكرمه بأن يضغط على المفتاح الذي يشعل الحرب النووية مع الاتحاد السوفياتي حتى يرى معركة هرمجدون (وهي المعركة الحاسمة لنهاية العالم). وكذلك بات روبرتسون أحد القادة الكبار للحركة المسيحية الصهيونية في أمريكا والذي كان يملك نفوذاً كبيراً في مجلس الأمن القومي الأمريكي في عهد ريغن والذي رافق الجنرال موشي

دايان حينما احتلت القوات الإسرائيلية الضفة الغربية عام 1967. ومنهم اليوم الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن الذي وصف أحداث الحادي عشر من سبتمبر بأنها حرب صليبية جديدة، ووصف العراق وإيران بأنهما ضمن محور الشر الذي يهدد استقرار العالم وأمريكا، وكذلك وزير الدفاع رامسفيلد ووزير العدل جون اشكروفت الذي يقيم كل يوم قداساً قبل ذهابه إلى عمله، وكذلك القس جيري فالويل الذي هاجم الإسلام والنبي محمد (ﷺ) في الآونة الأخيرة وهو الأمريكي الوحيد من غير اليهود الذي كرّمته إسرائيل بمنحه ميدالية جابوتينسكي ويعد من الأصدقاء المقرّبين لرئيس الوزراء الصهيوني الحالي شارون، وقد رافقه أثناء دخوله إلى بيروت عام 1982م. ويشير ديفيد ديوك وهو عضو سابق في الكونغرس الأمريكي إلى قوة ونفوذ اللوبي اليهودي في أمريكا بإشارته إلى أن اليهود في أمريكا هم وراء أغلب عمليات الإرهاب المنظم في العالم بحكم سيطرتهم على مفاصل السياسة الأمريكية المتمثلة بالصحافة والإعلام والاقتصاد، وفي الولايات المتحدة تنتشر اليوم مئات المنظمات اليهودية التي تدعم إسرائيل وتسعى إلى تلميع صورتها وتشويه صورة العرب والمسلمين. بل إن الكثير من تلك المنظمات بدأ يستخدم أساليب قسرية لمنع الناس حتى من الوصول إلى الانترنت لمشاهدة جرائم اليهود وإرهابهم حيال الشعب الفلسطيني. فاليهود وإسرائيل يتخوّفون من أي شخص غربي يطلع على حقيقة ما تقوم به إسرائيل من جرائم إبادة جماعية ضد العرب والمسلمين في فلسطين وغيرها، ولذلك لا يمكن استبعاد لجوء إسرائيل إلى أعمال التصفية والإرهاب الجسدي والفكري ضد كل شخصية فكرية أو سياسية تحاول كشف سجلها الإرهابي في العالم مثلما حصل مع رئيس وزراء السويد اولف بالمه الذي تشير أصابع الاتهام إلى دور الموساد الصهيوني في اغتياله عام 1986 بسبب مواقفه المؤيّدة للعرب والفلسطينيين. ولا شك أن هذا الأسلوب الإرهابي في تصفية الخصوم هو جزء من سلوك اعتادت الدولة الصهيونية على ممارسته مع كل شخصية سياسية دولية تفضح جزءاً من ممارساتها الإرهابية البشعة حيال شعبنا العربي في فلسطين والذي تفنّن الفكر الصهيوني في ابتداع مختلف أساليب القتل والتعذيب والتشريد وهدم المنازل واقتلاع المزارع وقطع كل سبل الحياة وعلى نحو لا يقارن بأي جرائم إنسانية أخرى حيث تبقى مذابح دير ياسين ودير البلح وكفر قاسم وصبرا وشاتيلا ونابلس وجنين ورفح مرتبطة بأسماء إرهابية صهيونية لا يمكن أن تقارن جرائمهم بأي جرائم ارتكبها النازيون بحق شعوب العالم، مثل: بن غوريون وغولدا مائير ومناحيم بيغن وشامير وبيريز ونتنياهو وباراك وشارون. تلك الأسماء التي انطلقت في كل توجهاتها حيال الشعب الفلسطيني من رؤية إيديولوجية ودينية تحتقر العرب والمسلمين وتصفهم بأقذع أوصاف الكراهية والحقد والإرهاب، ومن ينظر إلى شريعة اليهود المتمثلة بالتلمود وبروتوكولات حكماء صهيون ويقارنها بالممارسات الإرهابية والعنصرية للكيان الصهيوني، يجد تطبيقاً عملياً للمبادئ التي أقرّها أحبار اليهود قبل آلاف السنين عن علاقة اليهود بما يسمّونهم بالأغيار والتي ينبغي أن تؤسس على الاحتقار والازدراء والتهميش والقتل. فاليهود شعب مقدس، كما ورد في سفر التثنية وحتى بهائمهم مقدّسة لا يجرى عليها ما يجرى على البشر الآخرين ولا البهائم الأخرى من الأمراض والعقم... والمهمة الإلهية لهؤلاء اليهود هي «أكل الشعوب» التي يدفعها «الرب» إلى هؤلاء اليهود ليحكم عليهم بهذا المصير الرهيب. وتمكن الإشارة إلى شهادات الكثير من اليهود للتدليل على أن ممارسة الاحتقار والإرهاب مع ما يسمونهم الأغيار كان ولا يزال الصفة المميّزة للعقيدة اليهودية التلمودية.

اليهود في أمريكا وراء أغلب عمليات الإرهاب المنظم في العالم.

ديفيد ديوك

عضو سابق
في الكونجرس الأمريكي

ويشير إسرائيل شاحاك وهو رئيس لجنة حقوق الإنسان في إسرائيل سابقاً في كتابه (الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود) إلى أن إهدار دماء الأغيار وإبادتهم هو أمر مباح في تلمود اليهود. فاليهودي الذي قتل غير اليهودي مذنب فقط بخطيئة ضد شرائع السماء التي لا تعاقب عليها المحكمة، أما التسبّب في موت غير اليهودي بطريقة غير مباشرة فلا يعتبر خطيئة أبداً. وإذا وقع القاتل غير اليهودي تحت سلطة التشريعات القضائية اليهودية يجب إعدامه سواء كانت الضحية يهودية أم لا، ولكن إذا لم تكن الضحية يهودية واعتنق القاتل اليهودية فلا يعاقب)،[3] والأمر الذي استخلصه الكثير من حاخامات اليهود من هذا النص التلمودي هي إمكانية قتل جميع غير اليهود المنتمين إلى شعب عدو، بل ضرورة قتلهم، والأمر المهم في هذا أن هناك ترويجاً لهذه الفكرة في أوساط الجيش الإسرائيلي منذ عام 1972م لتوجيه الجنود المتدينين. وأول نصيحة رسمية من هذا النوع جاءت في كرّاس نشرته قيادة المنطقة الوسطى في الجيش الإسرائيلي والتي تقع الضفة الغربية تحت سيطرتها حيث يقول الحاخام (زيميل) في هذا الكراس: «في حالة احتكاك قواتنا بمدنيين خلال الحرب أو غارة على مدينة، إذا لم يتوافر دليل بعدم إلحاقهم الأذى بقواتنا فهناك إمكان لقتلهم، بل إن الشريعة تحض على قتل حتى السكان المدنيين».

وفي رسالة بعثها أحد الجنود الإسرائيليين إلى الحاخام شمعون وايزر ويطلب منه إصدار فتوى في ما إذا كان من الجائز قتل العربي الأعزل من السلاح من الشيوخ والنساء والأطفال الذين ليس لهم مشاركة في الحرب؟ أم أننا نقوم بما يحدث في الحرب العادلة التي يقتل فيها الجندي عدوه الآخر المسلح؟ وهل يجوز تقديم الماء للجندي أو المواطن العادي الذي يستسلم؟ فرد عليه الحاخام أن أفضل شيء لغير اليهودي هو القتل مثلما أن أفضل شيء للأفعى هو تهشيم رأسها. وبناءً على هذا الفكر المتوحش يمكن تفسير أن جميع الحالات التي قتل فيها يهود من الجيش أو منظمات إرهابية مسلحة عرباً غير محاربين مثل مجزرة كفر قاسم 1956م أطلق سراح القتلة أو أدينوا بأحكام غالباً ما يفرج عنهم قبل نفاذها، [4] وهكذا يبدو أن إبادة غير اليهود واجبة في حالة الحرب حتى وإن كان المُباد امرأة أو طفلاً أو شيخاً كبيراً، أما في حالة السلم فمحظور على أي يهودي إنقاذ حياة أي من هؤلاء الأغيار حتى وإن كانوا على مشارف الموت وهذا الأمر ينطبق على تحريم علاج المريض غير اليهودي، فعلاجه حرام حتى وإن كان مقابل أجر، ومن المسموح تجريب عقار على وثني أي غير يهودي إذا كان ذلك يخدم غرضاً معيناً. ولقد صيغت هذه المبادئ الشرعية في كتاب صغير ترجم إلى الانجليزية وعنوانه (الشريعة الطبية اليهودية) ونشرته إحدى المؤسسات الإسرائيلية بناءً على فتوى الحاخام اليعازر يهودا وهو كبير قضاة مدينة القدس. ومن بين ما جاء في الكتيّب أنه يحظّر انتهاك السبت لإنقاذ حياة مريض غير يهودي في حالة بالغة الخطر، ويحظر توليد المرأة غير اليهودية يوم السبت. أما العفّة مع غير اليهودية فغير موجودة في التعاليم التلمودية. فإذا ما أخذ اليهودي رغبته من المرأة غير اليهودية فيجب قتلها كما تقتل البهيمة حتى لا يتعرّض اليهودي بسببها للمشاكل. ومن المفترض أن جميع غير اليهوديات عاهرات وفق التصوّر اليهودي؟!!، أما لعن الأغيار والدعاء عليهم فيشكل ركناً أساسياً من عقيدة اليهود، فإذا ما شاهد اليهودي حشداً من الأغيار فينبغي أن يلعنهم.. ويحض التلمود الرجل اليهودي الذي يمرّ بجوار بناية مأهولة بغير اليهود أن يدعو الرب لتدميرها.. ولقد أصبح من العادات الشعبية المألوفة عند اليهود البصق ثلاث مرّات عند مشاهدة كنيسة أو مسجد مع ذكر الآيات التلمودية التي تشتم الاغيار.. كما لا تجيز التعاليم التلمودية الثناء على غير اليهود أو على أعمالهم إلا إذا أسفر ذلك عن ثناء أكبر على اليهود والأشياء اليهودية. وحينما تسلّم الكاتب الصهيوني عجنون جائزة نوبل في الآداب في منتصف السبعينات أثنى على

الأكاديمية السويدية التي منحته الجائزة، إلا أنه سرعان ما عاد وقال في راديو الكيان الصهيوني أنه لم ينسَ بأنه لا يجوز الثناء على الأغيار ولكن كانت هناك ظروف أجبرته على ذلك، ويقصد مراسم تسليم الجائزة. وطبقاً لهذا المبدأ الخطير يحظر مشاركة اليهود في الاحتفالات الشعبية لغير اليهود إلا إذا كان الامتناع يثير العداوة وفي هذه الحالة لا يسمح إلا بإبداء أدنى حد ممكن من الابتهاج.. كما تمنع إقامة صداقة إنسانية بين اليهود وغيرهم[5]. وما يمكن تأكيده هنا أن هذه العقيدة العنصرية التي لا نظير لها في التاريخ البشري والإنساني لم تقف عند اليهود المتدينين الذين يحتكمون إلى المصادر الدينية وإلى فتاوى الحاخامات، فلقد تحوّل هذا الفكر الديني المتعصّب إلى ثقافة انتمى إليها تقريباً كل اليهود حتى أولئك الذين اختاروا الإلحاد في الدين أو انتموا إلى حركات يسارية لا دينية. فكل اليهود المتدينين والعلمانيين في هذه العنصرية المتوحشة باتوا اليوم سواء، ويشهد على هذه الحقيقة البشعة إسرائيل شاحاك الذي يقول: «إن دراسة الأحزاب الراديكالية والاشتراكية والشيوعية تقدم العديد من الأمثلة حول شوفينيين وعنصريين يهود مقتنعين انضموا إلى تلك الأحزاب لأسباب تتعلّق بالمصلحة اليهودية، وهم يؤيدون التمييز الموجه ضد الأغيار، والكيبوتس وهو مؤسسة عمالية اشتراكية إنما تمثل مؤسسة عنصرية مغلقة بوجه غير اليهود من مواطني إسرائيل»[6]. ولقد أثبتت التجربة الفلسطينية مع الأحزاب الاشتراكية الصهيونية صحة تلك المقولة فمعظم الممارسات العنصرية وجرائم الإبادة والتهجير والتشريد التي مورست بحق الشعب الفلسطيني إنما كانت في ظل حكومة حزب العمل والأحزاب اليسارية الأخرى. وأمام هذه الأفكار العنصرية المتوحشة التي صبغت الفكر اليهودي وممارسات اليهود الإرهابية في الأرض العربية في فلسطين يسأل المرء عن جدوى شعارات السلام التي يتبارى حولها بعض القيادات العربية وحول فحوى السلام وطبيعته في ظل حكومات إسرائيلية تسربلت بأفكار وثقافة عنصرية وشوفينية تسعى إلى تطبيقها على أرض الواقع عبر سياسة الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني القائمة على الإرهاب والقتل والتهجير ومصادرة الحقوق والأراضي وضمّها إلى الدولة الصهيونية التي تسعى في نهاية المطاف إلى ابتلاع وتصفية القضية الفلسطينية تمهيداً لإقامة دولة صهيون الكبرى من النيل إلى الفرات. وعلى هذا فحتى لو صالح العرب والمسلمون (وهم الأغيار) اليهود فلن يكون جزاؤهم سوى التسخير والاستعباد تنفيذاً لأوامر رب اليهود (يهوه)، ذلك أن رجمة الرب يهوه ستكون مرهونة بمدى قدرة اليهود على إبادة البشر والحجر والشجر والبهائم، ولا شك أن هذا ما يحرص جميع سياسيي الكيان الصهيوني على الالتزام به وتنفيذه حرفياً عبر سياسة الإبادة الجماعية التي ما جاء سياسي صهيوني إلا وكان في مقدمة أولوياته زيادة الإمعان في قتل وتهجير وتشريد وإبادة الشعب العربي في فلسطين.

من ينظر إلى شريعة اليهود ويقارنها بالممارسات الإرهابية للكيان الصهيوني، يجد تطبيقاً عملياً للمبادئ التي أقرّها أحبار اليهود قبل آلاف السنين بما يسمونهم بالأغيار

وصدق الله العظيم حينما وصفهم بقوله:

﴿..ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

[سورة آل عمران الآية: 75].

الهوامش

1 ـ محيي الدين عبد الحليم، دور العامل الديني في حسم الصراع العربي الإسرائيلي، صحيفة الشرق القطرية، في 13/3/2003م.

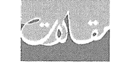
2 ـ رضا هلال، المسيح الصهيوني ونهاية العالم، مكتبة الشروق، القاهرة، 2001م.

3 ـ ورد في د. محمد عمارة، الإسلام والآخر، من يعترف بمن ومن ينكر من؟ مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2002م، ص 32.

4 ـ المصدر السابق نفسه، ص 34.

5 ـ المصدرالسابق نفسه، ص 43.

6 ـ المصدرالسابق نمسه، ص 47.



الشيخ عبد الواحد يحيى (روني كينون) والنهضة الروحية في الغرب

د.عبد الإله بنعرفة*

● أول محاولة لتعريف القارئ العربي بهذه الشخصية

لقد عرف الغرب في القرن العشرين نهضة روحية كبيرة كان وراءها عالم فرنسي مسلم اسمه الشيخ عبد الواحد يحيى. وقد كان أثره على النخب الفكرية والثقافية والسياسية بليغاً حتى دخل الكثير منهم في الإسلام. ورغم هذه النهضة الروحية فإن المسلمين ظلّوا في غفلة منها وعنها لأسباب ترجع في معظمها إلى عدم تبيّن الجوانب المشرقة في الحضارة الغربية والتهافت وراء التيارات المادية من تلك الحضارة. ويعتبر هذا البحث أول محاولة لتعريف القارئ العربي بهذه الشخصية الفريدة من نوعها بتقديم ترجمة عنها وقراءة تمهيدية لأحد كتب الشيخ عبد الواحد يحيى.

لعل من المفيد أن يبدأ الحديث عن الشيخ عبد الواحد يحيى بالقول حين سئل مرّة أن يحدث الناس عن نفسه فأجاب: «شخصية روني كينون لا تهمّنا ولا تعنينا».

حقاً لقد كان الشيخ يكره الحديث عن نفسه، بل كان خامل الذكر لا يرى له شفوفاً على غيره، زاهداً متقشفاً، عليل الصحة، ضعيف البنية مع طول ظاهر. لقد كان لهذا الرجل من التأثير في الأوساط والنخب العلمية في الغرب القدح المعلى، فأسلم تحت تأثيره الكثيرون. ويمكن اعتباره باعث النهضة الروحية في أوروبا والغرب عموماً، حتى كان الجنرال ديغول يناديه «بالأستاذ المربّي». وهو وصف له وزنه حين يصدر من رئيس أكبر دولة علمانية في أوروبا. فمن ترى يكون هذا الرجل المسلم الذي لم يسمع به العرب والمسلمون إلا القلّة منهم؟

من هو روني كينون؟



ولد روني جان ـ ماري، جوزيف في مدينة بلوا الفرنسية (Blois) يوم 15 نوفمبر 1886 م. وكان وحيد والديه، كان أبوه يعمل مهندساً خبيراً، أما أمّه فاسمها آنا جولي. وكان روني كينون ضعيف البنية عليل الصحة مما عطّل التحاقه بالمدرسة فتولّت خالته مدام دورو تدريسه في المنزل الجميل على ضفاف نهر اللوار Loire حتى بلغ سن الثانية عشرة.

نشأ الولد في وسط ديني مسيحي حيث عمّد سنة بعد ولادته عام 1887م في كنيسة القديس ساترنان، وأعيد تأكيد التعميد عام 1897 في كنيسة القديس نيكولا بمسقط رأسه بلوا. ابتدأ روني كينون دراسته الإعدادية إلا أن صحته المعتلّة كانت تضطره للغياب المتكرّر، مما حدا بوالده أن ينقله إلى إعدادية ثانية عام 1901م نظراً لما لقيه هناك من المشاكل. في السنة التي تلتها بدأ روني دراسته الفلسفية الأولى على يد أحد المتخصصين في فلسفة اليونان قبل سقراط، ثم مع أحد القساوسة فلمع نجمه في سماء هذه المادة

* أستاذ جامعي / المغرب

حتى نجح في امتحان البكالوريا ـ شعبة الفلسفة. كما حصل على البكالوريا في الرياضيات الأساسية، وحاز جائزة الشرف من ثانويته. هذه النتائج الطيبة فتحت له أبواب المدارس العليا في فرنسا كمدرسة البوليتكنيك Polytechnique والمدرسة العليا لتكوين الأساتذة في باريس العاصمة.

إثر هذا النجاح قرّر روني كينون الاستقرار في الحي اللاتيني من مدينة الأنوار، ثم انتقل بعد سنة إلى جزيرة القديس لويس في قلب باريس على نهر السين العظيم الذي يخترق العاصمة. يتعرّف هناك على الأوساط العلمية والثقافية ويحصل على شهادة التربية الدينية التي منحها اياه أصدقاؤه من رجال الدين المسيحيين؛ كما يسافر عام 1906م برفقة خالته إلى مدينة لورد Lourdes المشهورة بتقاطر الحجاج المسيحيين عليها.



شارل ديغول

كان ديغول يناديه بالأستاذ المربي

1906 ـ 1912م سنوات بحث:

يرسب روني كينون في كوليج رولان الذي كان قد تسجّل بها في باريس. ويوصف في التقرير السنوي بالحساسية المفرطة فيضطر مترجمنا لمغادرتها. والسبب الحقيقي في هذا الرسوب هو صحته المعتلة وزمانته المستمرة. أثر هذا الحادث أبلغ الأثر على روني كينون فانصرف كلية عن المدارس العليا واهتم بالدراسات الباطنية التي كانت تجذبه. تعرّف إلى بابوس (الدكتور أنكوس) الذي أدخله إلى المدرسة الهرمسية، ثم أصبح عضواً في النظام المارتيني والمحفل الإنساني. هذه التجربة الجديدة كانت سبباً في كتابته لرواية «حدود العالم الآخر».

في سنة 1908م عيّن سكرتيراً في مكتب المؤتمر الروحاني ليغادره بسبب توجهات رئيسه الدكتور أنكوس المادية. أنشأ إثر مغادرته «نظام المعبد الجديد» إلا أن هذه التجربة وئدت في المهد، فابتعد عن الأوساط الباطنية في بلده. بعد ذلك يصبح عضواً في محفل طيبة الذي هو فرع من محفل فرنسا الكبير إلى حدود الحرب العالمية الأولى. يتعرّف خلال هذه الفترة على بطريرك الكنيسة الغنوصية لفرنسا ويشبك علاقات متينة مع مجموعة من الشخصيات لعل أبرزهم ليون شامبورونو الذي اعتنق الإسلام فصار يدعى عبد الحق.

بدأت أول أعمال روني كينون بالظهور عام 1909م حيث أصدر تقريرين علميين في مجلة «سلوك» ومناظرة في مجلة «أكاسيا»، ورسالة توضيحية في مجلة «فرنسا المسيحية اللاماسونية». وكان يوقع أعماله باسم «أبي الهول». وبسبب مواقفه من الدكتور بابوس فقد فصل من جل المنظمات التي كانت خاضعة لهذا الأخير. مع نهاية سنة 1909م يعيّن أسقفاً غنوصياً «بكنيسة الإسكندرية الغنوصية» ويؤسس مجلة «الغنوص». أصدر كينون مجموعة من الأبحاث في هذه المجلة. وكان حكمه على هذه الكنيسة انتقاداً قوياً حيث يقول: «إن الغنوصيين الجدد لم يتلقوا أي معرفة تذكر لافتقادهم إلى سلسلة الإسناد التي لا سلوك ولا تربية من دونها. ويمكن اعتبار تجربتهم محاولة لإعادة إنشاء هذه السلسلة من خلال جمعهم لبعض الوثائق المتفرِّقة والتي يمكن لكل واحد أن يحصل عليها». ويضيف: «إن مجموع هذه المذاهب الروحانية الحديثة ليست إلا مادية جديدة في مستوى آخر، وهمّها الوحيد أن تطبق على الروح مناهج العلم الوضعي التي يتوسل بها في دراسة العالم الطبيعي الفيزيائي... هذه المناهج التجريبية لا يمكنها أن تصف إلا ظواهر جزئية لا تستطيع أن ترقى إلى تأسيس نظرية في الإلهيات، لأن من طبيعة المبدأ ألا يُحدَّد بالظواهر الجزئية. ويعتبر كل ادّعاء بحيازة معرفة العوامل الملكوتية بوسائل مادية، مغالطة كبرى لأن مبادئ هذه المعرفة هي في الإنسان وليست بخارجة عنه في العناصر والأشياء المادية».

من روني كينون
الى عبد الواحد يحيى

ولتدارك هذه النقص فإن كينون كان دائم البحث عمن يأخذ بيده ويرشده إلى الحق. ويشاء الحق أن يوجهه وجهة الإسلام والإيمان فيتعرّف إلى شخصية الرسّام السويدي أكيلي.

كان لهذا اللقاء أثر في حياته، فقد تمّ عام 1910 م حيث تعرّف إلى الرسّام والمفكّر السويدي جان غوستاف أكيلي الذي اعتنق الإسلام عام 1897 فصار اسمه عبد الهادي. وكان هذا الفنان شغوفاً بالشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي الحاتمي. وكان إسلامه على يد شيخ الأزهر مفتي المالكية العلاّمة السيد عبد الرحمن عليش الكبير، وكان لهذا الشيخ نفوذ علمي وسياسي قوي، وتخرّج على يديه أقطاب النهضة العربية والإسلامية في بداية القرن أمثال الشيخ محمد عبده...، والشيخ عليش من تلامذة الأمير عبد القادر الجزائري الدرقاوي، في السلوك والتربية الروحية.. وقد أمضى أكيلي ست سنوات في القاهرة وأصدر فيها مجلة إسلامية. ساهم عبد الهادي أكيلي مع روني كينون في مجلته «العرفان» بعدة أبحاث بلغت خمسة عشر بحثاً، وتوثقت بينهما الصلة وفاتحه في الإسلام والتصوّف، وعمره آنذاك 26 سنة. إثر هذا التوجّه الجديد في حياة مترجمنا توقفت مجلته عن الصدور بسبب مواقفه الجديدة. وكان إسلامه سبباً في ابتعاده أيضاً عن الأوساط الباطنية في فرنسا وأوروبا.

1912 ـ 1921م:

بعد تحوّل روني كينون إلى الإسلام ودخوله في الطريقة الشاذلية، صار يحمل اسم عبد الواحد يحيى. واسمه الفرنسي روني René ويعني بالفرنسية المولود مرّتين. يتزوّج من فتاة شابة تشتغل معلّمة في قطاع التعليم الحر، وقد تعرّف إليها حين كانت تعمل مساعدة مع خالته مدام دورو التي مرّ ذكرها. كانت صحّته المعتلّة سبباً في إعفائه من التجنيد الإجباري بسبب الحرب العالمية الأولى، فوجدها فرصة سانحة لإكمال دراسته.

في عام 1915م يحصل على إجازة الفلسفة من جامعة السوربون بدرجة حسن، ويعمل كأستاذ مساعد في كوليج سان جرمان. يتابع بعد ذلك دراسته حيث يحصل على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة عام 1916م. شهدت السنة التالية وفاة والدته فغادر إلى سطيف بالجزائر برفقة زوجته وخالته حيث يمضي هناك سنة ثم يعود إلى مدينة بلوا ليدرس بها. يأخذ كذلك تحت كفالته قريبة له صغيرة السن، لكن المقام لم يطب له في مدينته فيغادرها إلى باريس من أجل إكمال الدكتوراه. وبسبب استقلاله الفكري ومجاهرته بأفكاره فإن أستاذه المشرف على الدكتوراه يرفض منحه تلك الشهادة. لم يكن ذلك ليمنع عبد الواحد يحيى من متابعة عمله حيث يصدر في السنة التالية رسالة الدكتوراه تحت عنوان «مقدمة عامة لدراسة المذاهب الهندوسية».

شهرة ونشاط وانتصار للإسلام

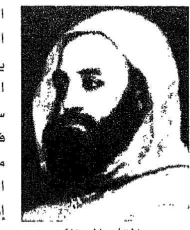
إثرها بدأت إصداراته تتوالى. كما عيّن مدرساً للفلسفة عام 1922م في معهد البرجوازيين الأحرار. ذاع صيته وطبقت شهرته أوروبا، واجتمع إليه الناس من كل حدب وصوب غربيين وشرقيين. أصدر كتاب شعوذة الباطنية Théosophisme وكتاب «الشبهة الروحية» ينتقد فيه التيارات الباطنية الجديدة التي تتستر على ماديتها بطلاء روحي، وقد شنّ معتنقو مثل هذه المذاهب حملة شعواء على صاحب الكتابين. كما اشتغل محافظاً بخزانة مركز الدراسات الهولندية بجامعة باريس. وشهد عام 1924م صدور كتابه القيم «شرق غرب» الذي أحدث هزة في الأوساط الفكرية والثقافية بسبب الأفكار الجديدة التي يطرحها فيه والتي لا تتمشى مع تلك التي كانت سائدة وقتئذ. ومن خلال هذا الكتاب يرى عبد الواحد يحيى أن الوضع في تفاقم وخصوصاً في الغرب، أما الشرق الأصيل فإنه ما زال بخير حتى ولو قلّت فيه نخب الخاصة الحاملة للإحسان. أما الغرب فقد تبيّن أنه افتقد كل إمكان للرجوع عن هذه المادية المفرطة التي قطعته عن مصادر الوحي. وليس هناك من حلّ أمام النخب الغربية سوى أن ترتبط بالدين القيّم، دين الإسلام

الذي يحمل كل عناصر الأصالة والتجديد لمصلحة الإنسانية جمعاء. إن هذا الدين لم ينقطع أبداً عن مصدر الوحي، وهو القلعة الوحيدة أمام هجمة المادية. كان لهذا التحليل وقع الترياق على قلوب الكثيرين من المتعطّشين لقوة روحية تخرجهم من ضلالة المادية إلى نور الإيمان. فدخل الناس بعد بضع سنوات من هذا التاريخ، أفواجاً في هذا الدين متابعين شيخهم عبد الواحد يحيى. ولم يكن هؤلاء من عامة الناس وبسطائهم بل كانوا من العلماء والقادة النافذين في مجتمعاتهم. ولعل أبرزهم فريتغوف شيون، وتيتوس بوخارت (إبراهيم) ومارتن لينكز، وميشال فالسان (مصطفى). وهؤلاء هم الرعيل الأوّل من العلماء الذين أدخلوا بدورهم العشرات من النخب في الإسلام وأسّسوا لنهضة روحية حقيقية في الغرب ما زالت آثارها بادية للعيان حتى رأينا بعضاً منهم وقد ألقى دروساً بالعربية في الدروس الحسنية التي تعقد بالمغرب إبّان شهر رمضان الأبرك. لقد لعبت المدرسة الصوفية الدرقاوية بعلمائها ورجالاتها دوراً كبيراً في النهضة الروحية والعلمية والفكرية التي عرفها الشرق والغرب.

كان كينون يساهم بشكل فعّال في مجلة «حجاب ايزيس» وفي «المجلة العالمية للقلب المقدس». تعرّف أيضاً إلى بعض الأوساط التي كانت تقول انها تنحدر من آخر بقايا الهرمسية المسيحية. وصدرت له كتب أخرى منها كتاب «أزمة العالم المعاصر» الذي لقي نجاحاً كبيراً. وقد أعيد طبعه عشرات المرّات في طبعات فاخرة وشعبية. وقد وصف هذا الكتاب ليوبولد زيكلر قائلاً: «إن الحداثة في هذا الكتاب قد قيست وحسبت وكيلت بمقاييس خالدة فتبيّن أنها مرجوحة إلى الغاية».

1928 ـ 1930م:

تعتبر هذه السنوات برزخاً في حياة الشيخ عبد



عبد القادر الجزائري

العقل الذي تمجده الحضارة الغربية ما هو إلا صنم تم تشييده على حساب الوحي

الواحد يحيى. فلقد توفيت زوجته الفرنسية في 15 يناير 1928م، ولم يرزق منها بولد، فتفارقه قريبته التي احتضنها في السنة التالية. يتعرّف إلى سيدة أمريكية ثرية مات عنها زوجها فيقرران السفر معاً إلى مصر في 15 مارس 1930م. ما كان يظنه عبد الواحد يحيى سفراً موقتاً سيتحول إلى إقامة دائمة في بلاد النيل.

سيعيش الشيخ خامل الذكر، زاهداً في الدنيا معرضاً عن بهجتها، مقبلاً على العلم والتربية والسلوك الإحساني، وسيصدر عام 1931م كتاب «رمزية الصليب». سيلازم المدرسة الشاذلية في مصر مع الشيخ عليش وسيتزوج بالسيدة فاطمة هانم بنت الشيخ محمد إبراهيم ثم يتخلى عن ممتلكاته في فرنسا ليستقر نهائياً في بلاد الإسلام. وقد وصفه، لما زاره القديس الهندي الشهير رامانا ماهارشي، بـ«الصوفي الكبير».

كانت حياة الشيخ حتى الحرب العالمية الثانية موزّعة بين التأليف والمراسلات العديدة وزيارة الأصدقاء وخاصة العبادة والخلوة. أما مكتبه فكان قريباً من الأهرام ومن أبي الهول الذي كان يوقّع به بعض مقالاته سابقاً. كما كان يصلّي كل صباح في مسجد سيدنا الحسين وقد رزق عام 1944م بطفلة من زوجته المصرية. كما ظهرت تتمة كتابه «أزمة العالم المعاصر» في سنة 1945م بعد نهاية الحرب العالمية الثانية التي جاءت تأكيداً لما كان قد ذكره في كتبه. وقد خلص إلى القول إن العالم يعرف نهاية دورة وجودية ستعقبها قومة روحية ستدشن لعصر ذهبي جديد مع دورة وجودية جديدة. يخلص الشيخ عبد الواحد يحيى في نقده للعالم الغربي إلى القول إن الغرب قد أوقع قطيعة منذ نهاية القرون الوسطى مع مصادر الوحي التي تحدد العلاقة بين الحق والخلق. إن وظيفة الشيخ تمثلت في هذا النقد الأصيل والعميق للحضارة الغربية القائمة على الحداثة التي أمضى

جهده في إظهار عوراتها وخطورتها على العالم والإنسان. ويعقب النقد عنده بناء الحضارة الإنسانية الأصيلة التي تمثلها رسالة الإسلام كدين قيم مهيمن على سائر الشرائع والأديان. إن الإنسانية بالنسبة إليه قد دخلت في عصر مظلم بتأثير من الحضارة الغربية المعاصرة. وهو يقسم مراحل البشرية منذ ظهورها إلى دورات وجودية. وهذا الطرح موجود في الهندوسية التي تسمي هذه الدورة الوجودية المظلمة (كالي يوغا)، كما نجد هذا التقسيم عند العلماء المسلمين وخاصة عند الشيخ محيي الدين بن العربي الذي يتحدث عن الدورات الوجودية وعن دورة الملك، وهو يصدر في ذلك من الحديث النبوي الشريف الذي يقول فيه النبي (ﷺ)، ما معناه «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض».

فهناك دورة زمانية تامّة منذ خلق الله سيدنا آدم عليه السلام. وبالنسبة للشيخ عبد الواحد يحيى فالعقل الذي تمجده الحضارة الغربية منذ النهضة الأوروبية ما هو إلا صنم شيّدوه على حساب الوحي. ويتجلى هذا الانتصار في استبداد حملة السلاح على حملة الفلاح. ومع ذلك فالصراع قائم حتى يومنا بين هاتين الفئتين رغم اختلاط المراتب وعدم تعيّنها بالنسبة للملاحظ السطحي. لقد كان الشيخ عبد الواحد يحيى يرى أن اختلاف الشرائع ليس مدعاة لاختلاف مصدر الوحي، بل على العكس من ذلك، فالشرائع مصدرها واحد ووحيد وهي متحدة الأصول مختلفة الفروع.

اختلاف الشرائع ليس معناه اختلاف مصدر الوحي

في عام 1947م سيرزق بطفلة ثانية، وبعدها بولدين أحمد وعبد الواحد. ولتأكيد انتمائه إلى الأمّة الإسلامية فقد طلب الجنسية المصرية وحصل عليها عام 1949 م قبل أن يرحل في سابع يناير 1951 عن هذه الدنيا. وكانت آخر كلمة يفوّه بها هي كلمة الاسم المفرد «الله».

أثر الشيخ في الأوساط الشرقية:

نظمت الجمعية السياسية الهرمسية في شهر ديسمبر 2001م ندوة في باريس تحت عنوان «روني كينون: قراءات ورهانات». وقد صدرت أعمال الندوة في المجلد السنوي للجمعية، وهو يضم عدّة محاور يهمّنا منها فصلان خاصان بتأثير الشيخ عبد الواحد يحيى في بعض الأوساط في تركيا وإيران.

وكما يذكر أحد كتّاب هذه المقالات وهو مارك سيدويك الأستاذ بالجامعة الأمريكية في القاهرة، فإن روني كينون لا يثير فضول عامة الناس إليه وإنما يهتم به العلماء والنخب الفكرية. وقد ترجمت بعض كتب الشيخ إلى التركية مثل كتاب «أزمة العالم المعاصر» وكتاب «شرق وغرب»، إلى جانب بعض المقالات التي ترجمها مصطفى طهرالي الأستاذ بجامعة اسطمبول الذي تعرف إلى كتب عبد الواحد يحيى حين كان يدرس في فرنسا لتحضير رسالة الدكتوراه إبّان السبعينات.

أما في ما يخص الوضع في إيران، فإنه مختلف شيئاً ما حيث تعرّفت النخب المثقفة إليه قبل ذلك التاريخ تحت تأثير العالم الإيراني الكبير المقيم في الولايات المتحدة الأمريكية سيد محمد نصر حيث درّس في أرقى المعاهد والجامعات هناك ولا يزال. وقد عرف الشيخ عبد الواحد يحيى أثناء عمله في الأكاديمية الملكية الإيرانية للفلسفة سابقاً، ومن بين من كان يعرف كتب الشيخ عبد الواحد يحيى، ثلاثة من الأساتذة الذين عيّنهم الخميني في لجنة إصلاح الجامعات الإيرانية بعد الثورة الإسلامية. وقد وجد من بين محبي الشيخ عبد الواحد يحيى معارضون وموالون للنظام الإيراني. ومن بين النظريات التي كانت محط جدل ونظر في الأوساط الإيرانية العالمة خلال السنوات الأخيرة، نظرية «الوحدة المتعالية للأديان». وهو عنوان كتاب لأحد تلامذة الشيخ عبد الواحد يحيى وهو فريتغوف شيون. وقد اعتبرت الملكة إليزابيث عاهلة إنجلترا هذا الكتاب أعظم ما ألّف في القرن العشرين.

ويمكن القول إن تأثير الشيخ عبد الواحد يحيى ظهر أيضاً في العديد من الدول الإسلامية وبخاصة منها تلك التي لها تكوين أكاديمي وجامعي معترف به بحسب مقاييس الجامعات العالمية، وأخص بالذكر بعض النخب في شمال أفريقيا.

قراءة تقديمية لكتاب «أزمة العالم المعاصر»:

ينقسم هذا الكتاب إلى تسعة فصول مع مقدمة تمهيدية. أما فصول الكتاب فهي: العصر المظلم، المقابلة بين الشرق والغرب، المعرفة والفعل، العلم المقدس والعلم الدنيوي، الفردانية، الفوضى الاجتماعية، الحضارة المادية، الاستعمار الغربي، نتائج. يقع الكتاب في نحو الـ 200 صفحة من القطع الصغير.

يتحدث في المقدمة عن الدعوى الزائفة الذي يلهج بها الغربيون عن وجود تقدم غير متناه، فينتقد هذه الدعوى ويخلص إلى القول إن هذه الحضارة الغربية التي تسمي نفسها كذلك قد تختفي فجأة من غير أن يشعر أحد بذلك. ويعطي مثالاً من الحرب العالمية الثانية التي كادت أن تذهب بها، لذا ظهرت أفكار مشوّشة عدة عن نهاية العالم والتاريخ وما شاكلها، وهي أفكار مادية صرفة حدثت بسبب الفوضى الفكرية وانعدام المرجعية الروحية العليا التي تخبر عن مآل الإنسان كما ورد ذلك في الوحي.

ومع أننا نعتبر أن هذه الأفكار خطأ محض فعلينا أن نعرف الأسباب التي أدّت إليها: «إن للخطأ وجوداً سلبياً، وليس هناك خطأ مطلق على الإطلاق، بل إن هذه الكلمة فارغة من محتواها» (ص 16). وهو هنا يتابع ابن العربي الحاتمي حين يقول في كتابه مواقع النجوم (ص 144): «إن كل باطل فهو عدم محض وكل وجود فهو حق. فليس في الوجود باطل أصلاً. فإن قلت إن الكفر باطل والكذب كذلك وهو في الوجود، فمسلم أن الحروف التي ينطق بها الكافر أو الكاذب في الوجود هي حق، فإنها قد وجدت، وأما المعاني التي تحت هذه الحروف فعدم، وهي مثلاً أن لله شريكاً، تعالى سبحانه...».

في الفصل الأول المعنون بالعصر المظلم، يقرر عبد الواحد يحيى استناداً إلى ما ذكره حكماء الهند أن كل دورة إنسانية تنقسم إلى أربعة أعصر: العصر الذهبي والفضي والنحاسي والحديدي. والإنسانية تندرج في سقوطها من علياء الشموخ إلى حضيض

مؤلفات الشيخ عبد الواحد يحيى

- ❖ سلطان الكم وعلامات الزمان
- ❖ مبادئ الحساب اللامتناهي في الصغر
- ❖ أزمة العالم المعاصر
- ❖ تصوف دانتي
- ❖ الثلاثية الكبرى
- ❖ ملك العالم
- ❖ الرموز الأساسية للعلم المقدس
- ❖ أشكال أصيلة ودورات كونية
- ❖ نظرات حول التصوّف الإسلامي والطاوية
- ❖ أعمال متفرّقة
- ❖ رموز العلم المقدس
- ❖ مقدمة عامة لدراسة المذاهب الهندوسية
- ❖ شعوذة الباطنية: دراسة لديانة مغلوطة
- ❖ الشبهة الروحانية
- ❖ شرق وغرب
- ❖ الإنسان وصيرورته حسب الفيدانتا
- ❖ السلطان الروحي والسلطة الزمنية
- ❖ القديس برنار
- ❖ رمزية الصليب
- ❖ الأحوال المتعدِّدة للوجود
- ❖ نظرات حول السلوك
- ❖ سلوك وتحقق
- ❖ نظرات حول التصوّف المسيحي
- ❖ دراسات حول الماسونية والفتوة
- ❖ دراسات حول الهندوسية
- ❖ تقارير علمية

وفضلاً عن هذه الكتب هناك ما يزيد على ثلاثمائة وخمسين مقالة يمكن أن تشكل عشرة مجلدات إذا تمّ جمعها.

الانحطاط. والعالم الغربي هو الآن في هذا العصر الحديدي المظلم. ثم يقول إن «الحقائق التي كان بوسع الإنسان أن يعرفها قد اختفت وأصبح من الصعب الوصول إليها، وعدد من يعرفونها هم في تناقص مستمر. وعلى الرغم من أن كنوز الحكمة الفطرية لا يمكن أن تنسحب من العالم فإنها تتغلف بمجموعة من الحجب تجعلها عصية على الكشف» (ص 21). ثم يسأل في الصفحة الموالية عن السبب في هذا الانحدار من الأعلى إلى الأسفل. فيقرر أن هذا الانحدار مناقض تماماً لفكرة التقدم اللانهائي التي شغفت بها الحداثة الغربية، ثم يجيب قائلاً إن نمو كل التجليات يفترض ابتعاداً متنامياً عن الأصل الذي صدرت منه. وهذه الفكرة هي شرح لقول النبي (ﷺ)، ما معناه: خير القرون قرني ثم الذين يلونهم...

ثم يخلص في الصفحة 38 إلى انتقاد ما يعرف بالمذهب الإنساني والعلوم الإنسانية كمظاهر أولية سبقت ظهور العلمانية الحديثة في الفكر الأوروبي، حيث اعتبروا الإنسان الغاية من كل شيء وقاسوا عليه كل شيء، وتناسوا الحق الذي هو مصدر الوجود.

في الفصل الثاني الذي يقابل فيه الشرق مع الغرب يذكر أن هذا الفصل هو من نتائج الفكر المعاصر، وأن البشرية لم تعرف هذه الفروق من قبل رغم وجود حضارات أصيلة مختلفة. ولكن الاختلاف لا يعني التعارض التام في ما بينها. والشيخ عبد الواحد يحيى يعتبر الحضارة الإسلامية وسطاً بين حضارات الشرق القديم والحضارة الغربية الحديثة:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾

[سورة البقرة الآية: 143].

وهي من حيث هذه الحيثية والوسطية تعتبر الفرصة الأخيرة أمام الغرب لكي يتصالح مع السماء. إن التقابل بين الشرق والغرب لم يكن له معنى حين كانت الحضارة الغربية مرتبطة بمصدر الوحي، ولكنه اصبح إجراء ضرورياً بعد أن انقطعت تلك الحضارة عن أصولها المشرقة.

وسطية الحضارة الإسلامية تعتبر الفرصة الأخيرة أمام الغرب كي يتصالح مع السماء

في الفصل الثالث المعنون بالمعرفة والعمل، يستعرض عبد الواحد يحيى النظريات الفكرية التي تمجد الحركية والعمل على حساب المعرفة مثل البراغماتية التي تنفي وجود أي شيء خارجها. ويميّز هنا بين الحضارة الغربية المعاصرة التي تمجد الفعل على الفكر، وحضارات الشرق التي تعطي لكل واحد من هذين العنصرين حقه مع مراعاة المراتب الوجودية حيث يكون التفكّر والتأمّل والمعرفة في درجة أعلى. وهو هنا يتحدّث عن ثنائية العلم والعمل، وفضل العالم على العابد معروف في الدين الإسلامي، وكما ورد في الخبر: «تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة». ويستعرض أيضاً الفلسفات التي تستند إلى فكرة التقدم وتعتبر كل شيء من خلال التاريخ والصيرورة التاريخية بأنها نظريات طبيعية، أو كما وصفها القرآن دهرية:

﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [سورة الجاثية الآية. 24].

ويعتبر الشيخ أن النظريات الميتافيزيقية هي خارج الطبيعة وأنها غير محكومة بالدهر لأنها ليست من التاريخ بل هي فوق التاريخ، إنها مبادئ ثابتة وخالدة كفكرة وجود الخالق.

في الفصل الرابع يميّز بين العلم المقدّس والعلم الدنيوي. هذه التفرقة هي أيضاً من نتائج الحداثة الغربية لأن الحضارات الأصيلة لا تقيم مثل هذا الفرق، بل هناك علم مقدس يتعلّق بالذات الإلهية وسائر العلوم الأخرى هي نتائج وترجمة لهذا العلم، لذا فليس هناك فرق بينهما. إن العلم المقدّس هو السبب، والعلوم الفرعية نتائجه.

في الفصل الخامس يعتبر عبد الواحد يحيى «الفردانية» نفياً لكل مبدأ علوي خارج عن الذات الفردية والجزئية. ومن هنا تقلص كل حضارة إلى الجانب البشري والإنساني فيها من غير اعتبار للخالق. والمعرفة عنده حقيقة خارجة عن الإنسان من حيث مصدرها. فكل فكرة حقيقية هي ملك لكل من يستطيع فهمها. أما إذا كانت مغلوطة فليس من داع لتبنّي اختراعها. إن الحقيقة ليست منتوجاً للعقل

البشري، بل إنها توجد باستقلال عنا، وما علينا إلا أن نعرفها ونتمرّف إليها. خارج هذه المعرفة لا يوجد سوى الباطل: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل»، وهي أصدق كلمة قالها الشاعر (لبيد) كما أخبر بذلك رسول الله (ﷺ). إن تاريخ الفكر الغربي يضع العقل على رأس الهرم ويعتبر نتاج ذلك العقل العقلانية ثم يكفر بما عداه. والعقل الذي يتحدثون عنه عقل ناقص محكوم بالحس والمادة وليس عقلاً منوراً بالشرع كما هو الشأن في الحضارات الشرعية. ثم يستعرض نقداً مختصراً للفلسفة الغربية بتمجيدها لهذا العقل الجزئي في مقابل العقل الكلي الذي تتحدث عنه الأديان السماوية.

في الفصل السادس يتعرّض عبد الواحد يحيى للفوضى الاجتماعية، وهو لا يعير الجوانب الاجتماعية كبير اهتمام لأنها ليست إلا ظلاً من ظلال المبادئ التي يجب أن تحكم الكون، وكل نهضة لا تقوم على ترتيب عناصر البناء من الأساس والقواعد إلى ما يتفرع عنها فليست إلا نهضة خارجية لا بد أن تموت وتختفي. إن التقويم الحقيقي هو الذي يبدأ من المبادئ ليصل إلى النتائج لا العكس كما هو الشأن في كل الظواهر الاجتماعية.

في الفصل السابع بعنوان «الحضارة المادية»، يتابع عبد الواحد يحيى نقده للحضارة الغربية المعاصرة في مظاهرها المادية ونظمها ونظرياتها الفكرية. وتتجلى المادية الغربية في اعتبار المادة كمحدد وحيد، ولا شيء خارج المادة. والعلوم الوضعية التي ظهرت في العصر الحديث ما هي إلا تطبيقات على المجال الحسّي المادي، ولا وجود للعلم خارجها حسب هذه الحضارة. فالحواس هي المحدّدة لكل شيء، بل هي الإدراك الوحيد في الإنسان. وهذه مغالطة عظمى لأن للإنسان مدارك متعدّدة بعضها أعلى من بعض.

في الفصل الثامن، يتطرق عبد الواحد يحيى لمسألة الاستعمار أو الاكتساح الغربي. لقد كانت الفوضى الغربية منحصرة في الغرب حتى العصر الحديث، لكنها اكتسحت كل العالم. وعلى الرغم من أن هذا الاكتساح كان يشمل فقط الجانبين السياسي والاقتصادي لأن الشرق الأصيل الواثق من نفسه وحضارته لم يكن يسمح للغرب أن يخترقه بأكثر من ذلك، فإن الوقت الراهن بدأ يحمل معالم تطور خطير حيث ظهرت عناصر شرقية ممسوخة تحمل أفكاراً غربية هدامة تريد أن تبثها في مجتمعاتها. وعلى الرغم من أن الغرب يضخم أمر هذه الأقلية الصاخبة فإن دورها منحصر في بعض الأوساط رغم الدعم الكبير الذي تتلقاه من الغرب. وقد تبدو هذه الأقلية في بعض الأحيان وكأنها تناوش الغرب من الناحية السياسية، لكنها في الواقع تفكر نفس التفكير وتحمل الفكر نفسه، فهي نخب غربية في مجتمع شرقي.

ثم يخلص في الأخير إلى القول إن المبادئ الأصيلة في الحضارة الشرقية يمكنها حل المشاكل التي يواجهها العلم المعاصر، من باب الحقيقة غير الخاضعة لتقلّبات العصر والزمان والأمزجة المتشاكسة والأغراض النفسية الضيّقة. إن الحقيقة هي بمعزل عن هذه الحدود الضيّقة. ثم هو يدعو إلى إنشاء نخبة خاصة من العلماء والعرافين في الغرب، قليلة العدد يمكنها أن تؤثر في الجموع الكثيرة من غير أن تشعر حتى بوجودها أو بوسائل عملها.

المصادر:

كل المصادر والمراجع المتوافرة حول الشيخ عبد الواحد يحيى وترجمته هي باللغات اللاتينية فقط، وربما يكون شيخ الأزهر المرحوم الشيخ عبد الحليم محمود هو الوحيد الذي تكلّم عن عبد الواحد يحيى في كتابه عن المدرسة الشاذلية. وهذه بعض هذه المصادر باللغة الفرنسية.

Bibliographie:

- Charles André Gillis: "René Guénon et l'avènement du troisième sceau", Editions Traditionnelles, Paris.
- ——— "Introduction à l'enseignement et au mystère de René Guénon", Editions Traditionnelles.
- Jean-Pierre Laurant: "le sens caché dans l'œuvre de René Guénon", L'Age d'Homme, Lausanne.
- Jean Robin: "René Guénon, témoin de la Tradition", Trédaniel, Paris.
- Marie-France James: "Esotérisme et christianisme", Nouvelles éditions latines, Paris.
- Paul Charcornac: " La vie simple de René Guénon", Editions Traditionnelles, Paris.
- Paul Serant: "René Guénon", La Colombe, Paris.
- Politica Hermetica, n° 16 "René Guénon: lectures et enjeux", Lausanne, L'Age d'Homme, 2002 (290p).
- René Guénon: "La crise du monde moderne", Gallimard, France, 1994 (201p).
- Xavier Accart: "L'Ermite de duqqi", Arché, Milan.



المجامع الفقهية .. لماذا؟ وإلى أين؟

- هل مجامعنا الفقهية في مستوى طموح الأمة؟
- المجمع الفقهي الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي
- المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث
- المجمع الفقهي الهندي
- مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا
- بعض المجامع أسيرة الواقع المفروض عليها (د. عبد العظيم الديب)
- حاجتنا لمن يبين الحق كحاجتنا لمن ينفذه (عبد الرحمن شيباني)
- التشدد في الفتوى بالمجامع الفقهية (د. يوسف القرضاوي)
- لا جدوى من قرارات لا تنفذ (د. محمد الدسوقي)
- معرفة الواجب في الواقع (د. علي السالوس)
- وسائل الإعلام لا تؤازر المجامع (د. وهبة الزحيلي)

إعداد: أ. الصديق بشير نصر / د. عبد العاطي محمد عبد الجليل

هل مجامعنا الفقهية في مستوى طموح الأمة؟

الصديق بشير نصر*

تزايد في العقود الأخيرة عدد المجامع الفقهية المنتشرة في العالم العربي والإسلامي. وهذا في الحقيقة عمل يستحق الثناء على أهله، وعلى كل من يقف وراءه.

والمجامع الفقهية المشار إليها هي:

❖ المجمع الفقهي لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدّة.
❖ المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.
❖ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.
❖ مجلس الفكر الإسلامي في إسلام آباد بباكستان.
❖ أكاديمية الفقه الإسلامي في دهلي بالهند.
❖ المجمع الفقهي بالسودان[1].
❖ المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث[2].
❖ مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا[1].
❖ هذا فضلاً عن مراكز البحوث والدراسات، ودور الإفتاء في البلدان الإسلامية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر الجمعية المغربية للبحوث والدراسات في فقه النوازل.

ولكن يظل السؤال قائماً: **هل أنجزت هذه المجامع ما أنيط بها؟**

قد يكون جواب بعض أعضائها: نعم. وذلك جواب متوقع منهم بحكم الانتماء. ولكن المتأمل فيها من الخارج لا يرضيه هذا الجواب. وأقل ما يقال هنا إن ثمة قطيعة ظاهرة بين تلك المجامع وجمهور الأمة.

وأضحى ما يجري داخل أسوار المجامع ضرباً من الترف الفكري بين الأعضاء لا يبرحهم إلى غيرهم، وكأنّ غيرهم، وهم في الأصل علة وجود تلك المجامع، لا يعنيهم الأمر لا من بعيد ولا من قريب.

وأكثر ما تسفر عنه جلسات المجامع ودوراتها أن تنشر قراراتها وفتاواها في مجلات المجامع. وحتى هذه فإنها ضيّقة الانتشار لا يطلع عليها إلا نخبة النخبة، أو بعض المختصّين من خارج المجامع من باب الفضول العلميّ، إن تمكنوا من العثور عليها في أرفُف بعض المكتبات الجامعية.

يبقى السؤال الثاني الذي يحتاج إلى جواب ايضاً، وهو:

لماذا لم تحقق مجامعنا الفقهية ما أنيط بها؟

ثمة أسباب، لا ريب، تكمن وراء ذلك.

من جملة الأسباب تلك:

1 ـ سيطرة الحكومات على المجامع الفقهية بشكل مباشر أو غير مباشر. وحتى تلك التي أُسّست لتكون مؤسسة مستقلة، لم تنجح في ان تكون كذلك. لأنّ استقلالها الفكري لا معنى له إذا لم يكن مؤيّداً ومصحوباً باستقلال مادي. ولهذا لم تلبث أن وقعت بين براثن الحكومات بحثاً عن جهات مموِّلة. وفي الحكاية المشهورة عن أحد الفقهاء: (مَن يَمدّ رِجلَهُ لا يَمُدّ يَدَهُ). وقد فضحت الوقائع الراهنة الحالة التي تعيشها المجامع الفقهية حيث أخفقت في اصدار فتاوى معينة

---

* كاتب وباحث / ليبيا

لشحذ همة الأمة في منازلة عدوّها.

2 ـ تحوّلُ المجامع الفقهية إلى دور للفتوى حتى أوشك أن يقتصر دورها على إصدار الفتاوى والأجوبة الفقهية عما تُستفتى فيه من أفراد ومؤسسات. بالرغم من أنّ برنامجها التأسيسيَّ كان أكبر من ذلك بكثير لكنّه اختُزل مع مرور الوقت في قَدْرٍ ضئيلٍ من الواجبات[4].

3 ـ انقطاع الصلة بين المجامع وجمهور الأمّة، أو بالأحرى انعدامها. وعلامة ذلك أننا لا نرى أدنى أثر لما يصدر عنها، لا في أوساط العامة ولا في أوساط الخاصة فأضحت المجامع بذلك أشبه بالمنتديات يلتقي داخلها النخبة من الفقهاء، يُناكف بعضهم بعضاً، ثم ينصرف كلٌّ إلى شأنهِ غير عابئ بما يجري أو يدور داخل المجتمع الإسلامي من تغيراتٍ وتحديات.

4 ـ الضعف العلمي الظاهر في بعض أعضاء المجامع لا سيما أولئك الذين مُنحوا العضوية بسبب التمثيل الدوليّ. فأكثر الدول تمنح عضوية تمثيلها في المجامع لمن ينتمي إليها سياسياً، وليس لمن تؤهله قدراته الذهنية وتحصيله العلميُّ. وهذا أحدث ضعفاً في أنشطتها.

والمجامع التي تحرّرت من هذا البلاء وقعت في بلاءٍ من نوعٍ آخر لا يقل خطورةً عن الأوّل. وهو أن العضوية تُمنح لأصحاب الشهادات (الإجازات العالية) من درجة دكتوراه. وليس كل من تحصل على هذه الشهادات يكون فقيهاً أو عالماً. ونحن نرى في واقعنا اليوم، بسبب تردي التعليم في بلداننا وتأخر مناهجه، من يحمل أعلى الإجازات وهو لا يحسن من علوم الشريعة ولا من علوم الآلة ما يؤهله لتعليم الصبيان، فضلاً عن أن يكون فقيهاً في مجمع فقهي.

وباستثناء مشاهير الفقهاء من أصحاب التآليف والتصانيف فإن أكثر أولئك الأعضاء هم من المجاهيل الذين لا تُعرف لهم آثارٌ علمية يوزَنون بها اللهم، إلاّ أطروحاتهم التي نالوا بها إجازتهم ولم يأتوا بغيرها فكانت أشبه ببيضة الديك.

د. عبد العظيم الديب



بعض المجامع أسيرة الواقع المفروض عليها

س: كيف تقيمون أعمال مجمع الفقه الإسلامي؟

ج: المتابع لأعمال مجمع الفقه الإسلامي يجد أنه دائماً مع القضايا المعاصرة، ويتضح هذا من أعماله في الدورة الرابعة عشر. فعلى سبيل المثال تمّ الحديث فيها عن «الإرهاب» والعولمة وحديث عن قضايا معاصرة أخرى منها: قضايا التأخير في المصارف «البنوك» الإسلامية وقضايا عقود الإذعان، ومنها مسؤولية سائق النقل الجماعي، وكلّها قضايا معاصرة، لكن القضية أو المشكلة ليست في عمل المجمع، ذلك أن المجمع يقوم بدوره إلا أن الأجهزة التنفيذية في العالم الإسلامي هل «أسلمت نفسها»؟ وجعلت مرجعيتها قرارات المجمع؟ هذا هو المطلوب.

المطلوب الآن هو أن تعمل الأجهزة القانونية والأجهزة التنفيذية في الدولة على وضع فتاوي المجمع موضع التنفيذ. المجمع يفتي، والمعروف أن الفتوى ليست ملزمة إنما الملزم هو القاضي «المنفذ» بالجهاز القضائي أو التنفيذي هو الذي ينبغي أن يتخذ قرارات المجمع مرجعاً له، هذا هو المطلوب منا. بمعنى آخر ـ وبلغة الصحافيين التي لا أحب أن أستخدمها ـ الكرة الآن في ملعب الأجهزة.

س: لاحظنا أن هناك عدم اتساق بين بعض آراء وفتاوى مجمع الفقه الإسلامي وبعض مجالس الإفتاء في العالم الإسلامي، أنا لا أقصد قضية معيّنة لكن الظاهرة موجودة.

ج: هناك مبدأ يقول إن الاختلاف في الفتوى شيء مشروع، والاختلاف بين الفقهاء أمر مشروع

5 ـ ضعف الصلات بين المجامع الفقهية، وقلة التنسيق بينها، بالرغم من أنه لا يخلو مجمع من المجامع الفقهية إلا وقد ورد في برنامجه ذكر ذلك. وعدم التنسيق قد يتسبب في وقوع خلافات جديدة نحن في غنى عنها[5].

6 ـ الانشغال بكثير من الموضوعات الفقهية التي أشبعها فقهاء السلف بحثاً، والتكاسل عن النظر فيما استجد من نوازل وأقضية. ونرى ذلك واضحاً في البحوث الفقهية التي تُعرضُ في جلسات المجمع. فحيثما عُرضت مسألةٌ لها نظيرها في كتب الأولين تسابق فقهاؤنا للكتابة فيها. وإذا عُرِضت مسألة جديدة أعرضوا عنها ودّ كُلُّ واحدٍ منهم لو يكفيه صاحبه عناء النظر فيها. ومن يتأمل مجلة المجمع الفقهي لمنظمة المؤتمر الإسلامي يرى ذلك بأمِّ عينه. فكثير من المسائل المستحدثة يكلف بها أحد الأعضاء أو بعضهم، ثم تنعقد الجلسة التالية للنظر فيما توصّل إليه هذا أو هؤلاء، فلا يجدون إلا الاعتذار وطلب إرجاء النظر في المسألة حتى جلسة قادمة. وهكذا تتوالى الجلسات دون الوقوف على شيء. ولعل خير مثال على ذلك تلك الاستفتاءات التي توجه بها المعهد العالميُّ للفكر الإسلامي بواشنطن إلى مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، وعددها ثمان وعشرون مسألة[6]. وقد جاء بشأنها في القرار رقم (2/3):

«.. وبعد التأمّلِ فيما قُدّم في الأمر من إجابات تبيّن أن:

- الإجابات قد صيغت بطريقة مختصرة جداً لا يحصل معها الاقتناع وقَطْعُ دَابِرِ الخلاف أو الرفض.
- لا بُدَّ من قيام المجْمَع بإزاحة الإشكالات الحاصلة لإخواننا المسلمين في الغرب».

فقرّر المَجْمَع بناءً على ذلك تكليف خبراء للنظر في الأسئلة المذكورة. وبعد مُضيٍّ نحو سنة، وفي الدورة التالية المنعقدة بعمّان في صفر 1407هـ، صَدَرَ القرارُ رقم (11) متضمِّناً الإجابة عن أسئلة المعهد المذكور باستثناء خمساً منها أرجئت الإجابة عنها. وقد جاءت أغلب الإجابات مثل سابقاتها مقتضبة غير مُدلَّلة خلافاً لتوجيهات القرار رقم (2/3) الذي عاب الإجابات الأولى بالاختصار الشديد. وقد اكتفت بعض الإجابات بثلاث كلمات فقط: (لا يجوز شرعاً). فبدت الإجابات وكأنها تصدُرُ عن شيخٍ على قارعةِ الطريق، وليس عن مجمعٍ فقهيٍّ يُفترض أنه يضم أكبر فقهاء العالم الإسلامي.

7 ـ احتكار عضوية المجامع وقصرها على نخبة بعينها، بحيث نجد بعضهم أعضاء في عدد كبير من المجامع، فضلاً عن عضوية مراكز بحثية أخرى عديدة. وهذا بقدر ما يتسبّب في إرهاق العضو بحيث لا يستطيع أن يفي بواجباته على الوجه الأكمل، فإنه يحمل في تضاعيفه اتهام العقل المسلم بالعجز عن إنجاب مثل أولئك. وفكرة الرجل الخارق الذي يقوى على القيام بكل شيء فكرة سيئة وخطيرة في الوقت نفسه لأنها تعطيل للقدرات الأخرى. ولعل سبب إخفاق بعض المؤسسات العلمية قد يرجع إلى تكليف بعض هؤلاء برئاستها وهم مثقلون بأعباء أخرى جسام ينوء بحملها فريق كامل من الناس ناهيك بفردٍ واحدٍ.

هل بات وجود اتحاد للمجامع الفقهية يلم شعثها أمراً ضرورياً؟

المجامع الفقهية والاجتهاد الجماعي

الاجتهاد هو بدل الوسع في طلب دليل ظني من أدلته التفصيلية، والمجتهدون على مراتب، أعلاها: المجتهد المطلق (المستقل). وإذا كان وجود المجتهد المطلق متعذّراً منذ زمن بعيد، فإنّه في زماننا بات مستحيلاً لما استُحدِث في حياة الناس من تغيّرٍ كبير لا يقاس عليه ما كانت عليه الحياة في العصور الخالية. وهذا الزمان الذي نحيا فيه لم يعد فيه مكانٌ للعقل الفردي الخارق الذي يُدرِكُ كلَّ شيءٍ. وما

استجدّ ويستجدُّ في حياة الناس من نوازل لم يعد لها نظيرٌ في اجتهادات الأولين يستدعي عقولاً جماعيّةً متنوِّعة التخصصات، حيث اقتضى الاجتهاد في العصر الحديث الاستعانة بضروب من العلوم المختلفة التي يستحيل أن يحيط بها واحدٌ، فضلاً عن التطور السريع لتلك العلوم وتعقُّدها. ومن المحزن أن فقهاء العصر ليس لهم أدنى إلمامٍ حتى بأيسرها وأسهلها ومع ذلك تراهم يتزاحمون على الفُتيا في أمورٍ هم أجهل خلق الله بها.

ولا شك أن مجامعنا الفقهية قد أدركت هذه الحقيقة، وسعت إلى تطوير نفسها بالاستعانة بالخبراء المتخصِّصين في العلوم المختلفة، وهذا شيء محمود بلا ريب. ولكن يؤخذ عليها أنها تنظر إلى أقوال أولئك الخبراء لمجرد الاستئناس فقط، وأنها ليست ملزمة لها. وهذا يعطّل بلا أدنى شك الدور المنوط بأولئك الخبراء، أو على الأقل يصَيِّره ثانوياً لا يُعبأ به. وتمسُّ الحاجة إلى الاجتهاد الجماعي في كثير من الأمور لا سيّما القضايا العامة التي تخص الأمّة جميعها. وهذه لا بد أن ينتهي القول فيها إلى إجماعٍ بين المجامع من أجل توحيد صَفِّ الأمة للوقوف في وجه الخطوب التي تتناوشها من هنا وهناك، ويكون ذلك الإجماعُ ملزِماً والخروج عنه خروج عن الجماعة. وإذا كانت بعض المجامع قد نصّت في قرار تأسيسها على أهمية الاجتهاد الجماعيّ للوصول إلى إجماعٍ عامٍ تصفه بأنه (إجماع كوني) فإنها تحتاج إلى أن تترجم ذلك إلى واقع ملموس[7].

أسئلة ينبغي أن تجيب عنها المجامع الإسلامية [*]

إن قيام المجامع الفقهية بالدور المنوط بها خير قيام سيكون له الأثر الحسن في معالجة المسائل الخلافية. وينبغي أن تجعل ذلك في قائمة أولوياتها لأن اتفاق كلمة الأمّة تندرج تحت أحد أهمّ مقاصد الشريعة، ألا وهو حفظ الدين، وإضاعة الدين تكون بتفرّقهم واختلافهم.

وغير مذموم، بل هو من السعة والتوسعة، ولا حرج فيه، والأمور التي لا نصّ فيها وتدخل في باب الاجتهاد من المستحيل عقلاً أن يتفق الناس حولها وذلك راجع لتفاوت العقول والأمزجة والقدرات، ولكن ـ وقدر الإمكان ـ نأخذ القدر المتفق عليه، وتبقى هناك مساحة محل اختلاف، حتى لو أخذنا برأي الجمهور «أعني جمهور الفقهاء» فهذا أفضل من الأخذ برأي واحد أو اثنين.

أما النوع الآخر فهناك بعض المجامع هي أسيرة للواقع الذي فرض عليها أن تخضع له.

س: تعني أنها تكيِّف الفتوى للواقع؟

ج: نعم، وهذا في الواقع لا يجعلنا نتهم تلك المجامع، ولكن أقول أن الذين قدموا لهم القضية صوّروها على انها جائزة شرعاً فأفتوا بالجواز ولذلك فالتبعة في هذا الأمر ليست على المجمع الفقهي إنما على مَنْ قدّم له القضية وصورها، ولذلك لا بد من التذكير بالقول المشهور: لا تكتم على المستشار خبرك إن كنت تريد استشارة فلا بد من تقديم الحقيقة كاملة حتى يقول المستشار رأيه، وهناك من يكتم حقيقة الأمر ويقدم الأمر في صورة يمكن أن يجيزها المفتي، وهذا خلل يمكن تجاوزه على كل حال.

عبد الرحمن شيباني



حاجتنا لمن يبين الحق كحاجتنا لمن ينفذه

س: باعتباركم عضواً مؤسساً في مجمع الفقه الإسلامي هل يمكن أن نجد لديك إجابة عن السؤال الآتي: إلى أين وصل مجمع الفقه الإسلامي؟

ج: لقد خطا المجمع خطوات مهمة في مجال البحث وإصدار الفتاوى في شتى الأغراض، من الوجهة النظرية المجمع قائم بمهمته الذي نرجوه له ينطلق من أن للمجمع مهمتين مهمة تبيينية توضيحية،

ولعلّ الأسئلة الآتية تُعينُ على تقييم دور المجامع الفقهية لمعرفة هل هي في مستوى التحدي الذي يواجه أمتنا أم لا. وينبغي أن يجيب عنها كلُّ مجمعٍ على حدة، ومن ثَمّ يتولى الخبراء العارفون تحليل تلك الإجابات للوصول إلى الحلول الناجعة.

- ❖ إن تعدّد وجود المجامع الفقهية على مستوى الأقطار العربية والإسلامية ظاهرة طيبة، ولكن تحمل في تضاعيفها جملة من التساؤلات. فهل يفهم من هذا التعدُّد إخفاق المجامعِ الفقهية التي سبقت تأسيس مجمعكم في تحقيق ما أُنيط بها؟
- ❖ هل ترون أن تعدُّد المجامع الفقهية على مستوى الأقطار يمكن أن يعين على درء الخلافات الفقهية بين المسلمين؟
- ❖ عيب على المجامع الفقهيَّة وجود قطيعة بينها وبين جمهور الأمّة، ولذلك لم تُحدث الأثرَ المنشود، وربما أخفقت في معالجة كثير من الأمور لا سيّما ما يَجِدُّ من نوازل وأقضية، فضلاً عن إخفاقها الظاهر في معالجة المسائل التي عمّت بها البلوى في وقتنا الراهن. فكيف ترون ذلك؟
- ❖ لماذا يغيبُ في نظركم الفقه السياسي في أكثر مجامعنا الفقهية، بينما يحضر فقه العبادات؟ وهل توافقون من يرى أن أزمة الفقه الإسلامي يرجع بعضها، إن لم يكن أكثرها، لتدنّي الفقه السياسي في حياتنا الفقهيّة وداخل مؤسساتنا المعرفيَّة والجامعيَّة؟
- ❖ من الواضح جداً ضعف الاتصال بين المجامع الفقهيَّة، وربما انعدام التنسيق بينها. ألا ترون أنه بات من الواجب معالجة ذلك من أجل إحداث نهضة فقهيَّة مرْجُـوّة؟
- ❖ يُعاب على المجامع الإسلامية الفقهية عدم الاستقلالية، ووقوعها تحت تأثير الحكومات والسلطات، مما أفقد الثقة فيها. وأوضح شاهد على ذلك التأثير اختيار أكثر أعضاء المجامع وفقاً لانتماءاتهم السياسية، وليس بحسب استعداداتهم العقلية والمعرفية؟ ما رأيكم في هذا القول أولاً؟ ثم هل توافقون على مبدأ استقلالية المجامع ثانياً؟
- ❖ يرى بعض المتتبِّعين للحركة الفكريَّة في العالم العربيِّ وكذا الإسلاميِّ تحوّل المجامع الفقهيَّة إلى منتديات تضم النخبة تمارس داخلها نوعاً من التَّرف الفكريِّ. والفكر إذا لم يحدث أثراً في الأمة فلا خير يُرتجى منه. كيف يمكنُ في رأيكم معالجة هذا الأمر؟
- ❖ ما هو الجديد الذي يتميز به مجمعكم الفقهي؟ من الملاحظ أن عضوية المجامع الفقهية في زماننا الراهن توشك أن تكون حكراً على حملة درجة الدكتوراه، مع أنه لا يختلف اثنان أن الكثيرين من حملة هذه الإجازات يعانون من تدنٍ واضحٍ في مستوى تحصيلهم العلميِّ، بسبب الضعف العام الذي بدأ يشوب مناهجنا الدراسية. وهذا التوجه جعل المجامع لا تلتفت لكثير من الكفاءات العلمية المتميِّزة المعروفة بآثارها العلمية الراقية، لا لشيء إلا لأنها لا تحملُ تلك الشهادات العُليا. ألا ترون أن هذه المسألة ينبغي أن تعالج بشكلٍ جادٍّ؟
- ❖ ألا تفكرون في طرح فكرة إنشاء (اتحاد المجامع الفقهية) من أجل تقليص الهوّة بين المجامع نفسها ومن أجل توحيد الرأي في كثير من الأمور التي تعم بها البلوى في حياة المسلم المعاصر؟ والمراد بما تعم به البلوى اليوم أكبر بكثير مما تكلّم عليه الفقهاء المتقدّمون. وليس ثمة ما هو أكبر بلاءً من تمزّق الأمة، وتكالب الشعوب عليها.
- ❖ ما هي الطرائق التي يتّبعها، أو سيتّبعها، مجمعكم لتوثيق الصلة بينه وبين جمهور الأمّة؟ وإذا كانت أغلب المجامع أخفقت في مجرّد توصيل مجلتها العلميّة التي تُعدُّ منبرها الذي تخاطب منه عامّة الناس وهم السَّبَبُ الأوَّلُ لنشأة تلك المجامع، فكيف ستوَصِّلُ قراراتها وفتاواها إليهم؟

الهوامش

(1) تأسس سنة 1999م، وهو يتكون من ست دوائر: دائرة الأحوال الشخصية، دائرة الشؤون القانونية والدستورية، دائرة الشؤون الاقتصادية، دائرة الأصول والتربية، دائرة شؤون المجتمع، دائرة العلوم التطبيقية.

(2) المجلس الأوروبي للافتاء والبحوث هيئة علمية إسلامية مستقلة، مقره دبلن عاصمة ايرلندا. عقد أول احتماع تأسيسي له في لندن في شهر ذي القعدة 1417 هـ (1997م).

(3) مجمع فقهاء الشريعة هو أحدث مجمع فقهي تأسس في أمريكا بعد أحداث 11 سبتمبر، ويقوم بتحقيق جملة من الأهداف، هي:

- إصدار الفتاوى فيما يعرض على المجمع من قضايا ونوازل لبيان حكم الشريعة فيها.
- وضع خطة لإعداد البحوث والدراسات الشرعية التي تتعلق بأوضاع المسلمين في المجتمع الأمريكي، وما يجدّ من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية التي تواجههم في ذلك المجتمع.
- دراسة ما ينشر عن الإسلام والتراث الإسلامي في وسائل الإعلام وتقويمه بالرد والتصحيح.
- معاونة المؤسسات المالية بإعداد البحوث والدراسات، وابتكار صيغ التمويل وعقود الاستثمار وتقديم ما تطلبه من فتاوى واستشارات.
- دعم التعاون بين المجمع والهيئات والمجامع الفقهية الأخرى للوصول إلى ما يشبه الإجماع الكوني على الملزم من قضايا الأمة وثوابتها.
- معالجة قضية المواطنة وما تفرضه من حقوق وواجبات على المسلمين الذين يتمتعون بحق المواطنة في الغرب.
- إنشاء صندوق المجمع للزكاة والتكافل الاجتماعي.

(4) من برنامج العمل الذي تمخض عن أول اجتماع لأعضاء شعبة التخطيط لمجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في شعبان سنة 1405هـ، تحديد المنهج المتميز الذي ينبغي أن تسير عليه الموسوعة الفقهية والمعجم العام للمصطلحات الفقهية، وتحديد الكتب والمحطوطات التي لها الأولية في النشر والتحقيق. فما الذي تحقق من هذا البرنامج الطموح؟ انظر العدد الثاني من الجزء الأول من مجلة المجمع 1407هـ.

(5) ومن ذلك تلك الفتوى التي صدرت عن محمع البحوث الإسلامية بالأزهر بتاريخ 2002/11/16م التي تبيح تحديد الربح مسبقاً في استثمار الأموال بالبنوك. وهي فتوى فاسدة رفضتها جميع المجامع الفقهية الإسلامية باعتبارها معاملة ربوية محض. وثمة أمران عجيبان هنا. الأول: صدور هذه الفتوى عن مجمع علمي سبق له أن أصدر في الموضوع نفسه فتوى مغايرة في سنة 1965م. الثاني: تأييد شيخ الأزهر لهذه الفتوى الشاذة في لقاء معه أجرته مجلة المصور المصرية بتاريخ 2002/12/18م، مع أنه قد سبق وأن أفتى بخلاف ذلك عندما كان مفتياً لمصر بتاريخ 1989/2/20م (سجل 124/41).

(6) انظر مجلة المجمع الفقهي، عدد 2، الجزء الأول، 1986م.

(7) من الأهداف التي يسعى إليها مجمع فقهاء الشريعة بواشنطن «دعم التعاون بين المجمع والهيئات والمجامع الفقهية الأخرى للوصول إلى ما يشبه الإجماع الكوني على الملزم من قضايا الأمة وثوابتها».

(8) هذه الأسئلة كنت أرسلتها إلى بعض أعضاء المجامع للإجابة عنها فلم أتلق إلا ردوداً مقتضبة من بعضهم لا تجدي فتيلاً.

بيان الحق وبيان الحلول الملائمة للمشاكل التي تواجه الأمة الإسلامية في حياتها اليومية هذا جزء من المهمة. الجزء الثاني الأهم هو دعوة الحكام المسلمين إلى تنفيذ هذا الأمر. أولو الأمر في القرآن الكريم هم العلماء المنوط بهم بيان الحق، والحكام المراد منهم تنفيذه، فحاجة الأمة إلى من يبيّن الحق كحاجتها إلى من ينفذه، لكن من تناط بهم مهمة التنفيذ يحتاجون لمن يحفزهم، وليس هناك إطار أنجع للدفع من أجل التنفيذ مثل العلماء. فمهمة العلماء مهمة مزدوجة: بيان الحق من ناحية والدعوة إلى تنفيذه من الناحية الأخرى، فإذا اتضحت الحقائق ولم نجد من ينفذها فبياننا أمر سلبي.

من هذه الناحية وأعني الناحية التنفيذية فإن المجمع لم يحقق هدفه، صحيح أنه حقق هدفه التوضيحي التبييني اما التصوري الذي يعبئ الطاقات لتنفيذ ما يتوصل إليه من البحوث والدراسات فإنه غير موجود.

س: ولكن ما الوسيلة التي من خلالها يمكن تنفيذ مثل هذه المقترحات والآراء والنتائج التي تقررها البحوث والدراسات التي يقرها المجمع:

ج: لا شيء غير العلماء فإذا صلح العلماء صلحت الأمّة وإذا فسدوا فسدت لأنهم ضميرها، قل لي كيف حال علمائك أقول لك كيف حالك.

○ الدكتور يوسف القرضاوي

التشدد في الفتوى بالمجامع الفقهية



خلال زيارة الأستاذ الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي إلى ليبيا، أجرى عدة لقاءات، وألقى بعض المحاضرات في عدة جامعات ومراكز علمية، كانت إحداها يوم السبت 2002/12/28 ف في مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية بطرابلس الغرب.



المجمع الفقهي الإسلامي الدولي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي

إسم الهيئة والمقر:

المجمع الفقهي الإسلامي الدولي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي ومقره مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية.

الهدف من إنشائه:

الهدف من إنشاء المجمع الفقهي دراسة مشكلات الحياة المعاصرة والاجتهاد فيها اجتهاداً أصيلاً فاعلاً بهدف تقديم الحلول النابعة من التراث الإسلامي، والمنفتحة على تطور الفكر الإسلامي. كما يهدف المجمع إلى إحياء التراث الفقهي الأصولي وكتب الخلاف لتوفير المصادر والأمهات للدارسين والباحثين من الفقهاء ورجال الشريعة.

النشأة والتطور:

أنشئ مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة بقرار صادر عن مؤتمر القمة الإسلامي الثالث (دورة فلسطين والقدس) الذي انعقد بمكة المكرمة عام 1401/1981. وتمّ عقد المؤتمر التأسيسي لمجمع الفقه الإسلامي في مكة المكرمة في الفترة من 26 ـ 28 شعبان عام 1403هـ الموافق 7-9 يونيو 1983م. وقد خصصت الدورة الأولى بمكة المكرّمة في الفترة من 26 ـ 29 صفر من عام 1405هـ 19 ـ 22 نوفمبر 1984م، لدراسة نظام المجمع، ووضع الخطة التنفيذية لإنجاز مشاريعه العلمية، وبها تأسس مكتب مجلسه، وكوّنت شعبه الثلاث، وهي: شعبة التخطيط، وشعبة الدراسات والبحوث، وشعبة الفتوى. وبذلك أصبح المجمع حقيقة واقعة، ذا شخصية معنوية تميزه عن غيره من الأجهزة الفرعية لمنظمة المؤتمر الإسلامي. وقد بحثت شعبة التخطيط للمجمع في الفترة من 22 ـ 25 شعبان 1405 هـ 15 ـ 12 مايو 1985م المقترحات والآراء الواردة من البلاد الإسلامية وترتيبها ترتيباً أولياً. ثم شرع المجمع في دراستها وإصدار الرأي الشرعي بشأنها. وانطلق المجمع يعمل وفق خطة مدروسة قامت على أساس استفتاء عام شمل جميع البلاد الإسلامية، مستقرئاً بذلك أهم المشكلات والتحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية المعاصرة، واضعاً نصب عينيه رسالته ودوره البارز في عرض شريعة الإسلام عرضاً صحيحاً يبرز مزاياها، ويبين قدراتها الفائقة على معالجة المشاكل المعاصرة، ويحقق سعادة الإنسان في الدارين العاجلة والآجلة.

وقد عقد المجمع مؤتمراته السنوية في العديد من عواصم الدول الإسلامية الأعضاء، لدراسة أهم الموضوعات المطروحة، وأصدر قراراته العلمية بها، وتوصياته المجمعية المناسبة التي ترجمت إلى العديد من اللغات مثل: الإنجليزية، والفرنسية، والفارسية، والتركية، والأردية تعميماً للفائدة، وتعريفاً بما توصل إليه اجتهاده من أحكام شرعية في القضايا الفقهية والمستجدة منها.

* (تمّ إعداد هذه المادة من خلال مطبوعات المجمع التعريفية)

الهيكل الإداري يتكون من:

- رئيس المجمع. ويتم انتخابه من قبل أعضاء المجمع، ويرأسه حالياً فضيلة الشيخ الدكتور بكر ابن عبد الله أبو زيد.
- أمين المجمع. وهو فضيلة الشيخ الدكتور الحبيب ابن الخوجة.
- أعضاء المجمع. ويتم ترشيحهم من قبل دولهم حيث ترشح الدولة عضواً واحداً ليكون ممثلاً عنها.
- الخبراء من الفقهاء والعلماء والمفكّرين في شتى مجالات المعرفة الفقهية والثقافية والعلمية والاقتصادية من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، حيث يقوم المجمع باختيارهم ليساعدوا أعضاء المجمع في توضيح بعض القضايا.

أنشطة المجمع

1 ـ عقد الدورات السنوية لبحث القضايا المعاصرة، وبيان أحكام الشرع فيها وإيجاد الحلول للقضايا المشكلة.

2 ـ إصدار موسوعة فقهية تتناول أهم القضايا في المعاملات القديمة والمستجدة وما يناط بها من أحكام وذلك تحقيقاً لما ورد في النظام الأساسي للمجمع، وحرصاً على كتابة الفقه الإسلامي بطريقة تسهل على الدارس والناظر أخذ ما يحتاجه منه. ويشارك في هذا المشروع العلمي الهام عدد من علماء الأمة وخبرائها. وقد وزعت موضوعاته على عدد من السادة المستكتبين من الفقهاء والاقتصاديين وتمّ التعاون بشأنه مع جهات الاختصاص في الجامعات ومراكز بحث الاقتصاد الإسلامي.

3 ـ معلمة القواعد الفقهية: يقصد بهذا المشروع العلمي، جمع شامل للقواعد الفقهية مرتبة ترتيباً أبجدياً بقطع النظر عن كون القاعدة كبرى أو فرعية، وبقطع النظر عن المذهب القائل بأي

وبعد المحاضرة، توجه إليه بعض الحاضرين بعدة أسئلة، فأجاب عنها مشكورا، ومن بينهم الأستاذ الدكتور جمعة محمود الزريقي، الذي توجه إليه بالسؤال الآتي:

قرأت بعض فتاوى المجمع الإسلامي بجدة، والمجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، فلاحظت أنها تميل إلى التشدد، ولا تأخذ بأسباب التيسير، والكل يعلم أن فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي هو عضو بالمجمعين، ومن القائلين بالوسطية في كل الأمور، وبالإرشاد إلى الدين القويم ـ كما سلف أن تفضل هو بالقول، وكذلك الأساتذة الكرام ـ وهذا التشدد قد لا يكون في مصلحة المسلمين، حيث إن المسلم يرغب في تذليل الصعاب أمامه، ويجد الفتوى السهلة التي تلبي حاجاته على ألا تتعارض مع أصول الشريعة، وقديما قيل : إنما الفقه الرخصة، أما التشدد فيحسنه كل أحد، والوسطية تقتضي أن نذلل الفقه الإسلامي أمام الشباب، وأمام الجيل المعاصر، وأمام المسلمين، حتى لا ننفرهم من الإسلام، ودون التراخي أو التساهل في قواعد الإسلام الأساسية.

السؤال : ما هو رأي فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي في هذه الفتاوى المتشددة التي تصدر عن بعض المجامع الفقهية ؟

الإجابة:

أولاً: خلق الله الناس متفاوتين ومختلفين

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

[سورة هود، الآيتان: 118 و119]

والمفسرون يقولون : «وللاختلاف خلقهم» لأنه لما خلق لكل منهم عقلا يفكر به، وإرادة يرجح بها، كان لابد أن يختلفوا ويتغايروا، فلا نستطيع أن نجعل الناس نسخة واحدة، ومن أجل هذا فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يجعل نصوص دينه كلها قطعية الثبوت وقطعية الدلالة. ولو أراد أن يجمع الناس على رأي واحد، لجعل الدين كله نصوصا قطعية في ثبوتها، قطعية في دلالاتها، فلا مجال للاختلاف:

منها، مع الاهتمام بردّ كل قاعدة إلى مصدرها.

4 ـ مجلة المجمع: يصدر المجمع إثر كلّ مؤتمر مجلته السنوية التي تحتوي على:

❖ البحوث التي عرضها أعضاء المجمع والمستكتبون من العلماء والخبراء على المؤتمر.

❖ القرارات والتوصيات التي يعتمد مجلس المجمع بعد النظر والدراسة والمداولة.

الإنجازات

أولاً: الدورات

عقد المجمع عدداً من الدورات منذ تأسيسه، وقد استضافت بعض البلدان العربية والإسلامية تلك الدورات لتنعقد فيها.

ثانياً: المشاريع العلمية

1 ـ مكتبة المجمع:

زُوِّدت هذه المكتبة بجملة من المصادر والمراجع في علوم القرآن الكريم والتفسير، وفي الحديث الشريف وشروحه، وفي الرجال والطبقات، وفي السيرة النبوية الشريفة، وفي الفقه ومذاهبه، وفي الأصول العامة والخاصة، وفي الاقتصاد والتاريخ، والعقائد، وفي علوم اللغة العربية والمعاجم، وفي الطب الإسلامي. ويجري العمل باستمرار على إثراء المكتبة خدمة للعلماء والباحثين والدارسين.

ثالثاً: ندوات المجمع المتخصصة

عقد المجمع عدة ندوات في فنون العلم المختلفة في عدد من الدول منها:

1 ـ ندوة سندات المقارضة:

عقدت بين المجمع والبنك الدولي الإسلامي للتنمية بتاريخ 22 ـ 25 ذو الحجة 1407 (16ـ19 أغسطس 1987) بجدة وبحثت المحاور التالية: تصوير سندات المقارضة، والفرق بينها وبين سندات التنمية وشهادات الاستثمار. تحديد طبيعة سندات المقارضة، وهل هي عقد جديد ذو صبغة خاصة أو عقد مضاربة شرعية؟ وغطاء سندات المقارضة. وكان عدد البحوث المقدمة 11 بحثاً.

2 ـ الندوات الطبية الفقهية:

عقدت بين المجمع والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت بتاريخ 10 ـ 13 أكتوبر 1988 بدولة الكويت، وبحثت المحاور التالية: ـ زراعة خلايا المخ والجهاز العصبي. زراعة الأعضاء التناسلية. استخدام الأجنة مصدراً لزراعة الأعضاء. البيضات الملقحة الزائدة عن الحاجة. عدد البحوث المقدمة 10 أبحاث.

3 ـ الندوة الأولى للأسواق المالية:

عقدت بين المجمع والبنك الإسلامي للتنمية باستضافة وزارة الأوقاف المغربية بتاريخ 20 ـ 25 نوفمبر ،1989 بالرباط، وبحثت المحاور الآتية: الأدوات المالية التقليدية. الخيارات في السلع والمستقبليات، الأدوات المالية الإسلامية، البيان الوصفي للأسواق المالية وأهمية تنمية هذه الأسواق. وكان عدد البحوث المقدمة: 10 أبحاث.

4 ـ ندوة الإجابة عن استفسارات البنك الإسلامي للتنمية:

عقدت بين المجمع والبنك الإسلامي للتنمية بجدة بتاريخ 16-1411/5/17 (3-1990/12/4) بجدة وبحثت المحاور التالية: ـ هل يجوز للبنك بوصفه بنكاً لا مضارباً في صندوق الحصص الاستثمارية الذي أنشأه، أن يضمن قبل أرباب المال المستفيدين وكفلائهم بالنسبة للاستثمارات التي يبيعها البنك للصندوق؟ ـ هل مساهمة البنك في رؤوس أموال المشروعات الإنتاجية بالدول الأعضاء التي تقوم عليها شركات تتعامل بالفائدة جائزة شرعاً؟ وهل يجوز للبنك الإسهام في الشركات الموجودة في أسواق المال الدولية والمتعاملة بالفائدة في ظل الأوضاع الاقتصادية القائمة؟ ـ وكان عدد البحوث المقدمة: 10 أبحاث.

5 ـ ندوة استخدام الحاسوب في العلوم الشرعية:

عقدت بين المجمع والبنك الإسلامي للتنمية بجدة بتاريخ 24 ـ 26 ربيع الآخر 1410 (11 ـ 13 نوفمبر 1990 بجدة وبحثت المحاور التالية: ـ استخدام الحاسب الآلي في العلوم الشرعية. ـ وكان عدد الأبحاث المقدمة: 11 بحثاً.

6 ـ الندوة الثانية للأسواق المالية:

عقدت بين المجمع والبنك الإسلامي للتنمية باستضافة بنك البحرين الإسلامي بتاريخ 19 ـ 21 جمادى الأولى 1421 (25 ـ 27 نوفمبر 1991) بالمنامة وبحثت المحاور التالية: ـ الأسهم. الاختيارات. معوقات العمل المصرفي الإسلامي. بطاقات الائتمان وتكييفها الشرعي والبديل الإسلامي لها. عدد البحوث المقدمة: 8 أبحاث.

7 ـ حلقة دراسية للنظر في توصيات ندوة البحرين:

عقدت بمقر الأمانة العامة للمجمع بجدة وشارك فيها ثلة من الفقهاء والاقتصاديين.

8 ـ عقد ثلاث ندوات فقهية اقتصادية:

بالتعاون مع المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب بالبنك الإسلامي للتنمية في الفترة من 18 ـ 22 شوال (10 ـ 14 أبريل 1993) بجدة. وبحثت المحاور التالية: ـ قضايا العملية. مشاكل البنوك الإسلامية. حكم المشاركة في رأس مال الشركات الاستثمارية المتعاملة بالربا.

9 ـ ندوة عن: الجوانب الفقهية لمرضى الإيدز.

بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت في الفترة من 23 ـ 26 جمادى الثانية 1414 (6 ـ 9 ديسمبر 1993).

10 ـ ندوة عن: حقوق الطفل في الإسلام.

بالتعاون مع الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي في الفترة من 19 ـ 21 محرم 1415 (28 ـ 30 يونيو 1994) بجدة.

11 ـ الندوة الفقهية الاقتصادية حول قضايا العملة:

تنفيذاً لتوصية الدورة التاسعة لمجلس المجمع

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 7]

وجعل هناك الحقيقة والمجاز، والصريح والكناية، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، وهناك من يأخذ بالظواهر، وهناك من يلتفت إلى المقاصد.

حتى الصحابة أنفسهم اختلفوا في فهم النصوص، ومثال ذلك قوله (ﷺ) لأصحابه : «لا يصلينّ أحدٌ العصر إلا في بني قريظة، فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: لم يُرد منا ذلك بَل نصلي. فذكر ذلك للنبي (ﷺ) فلم يعنّف واحداً منهم»، فجماعة أخذوا بالظاهر، وجماعة أخذوا بالفحوى والمقصود، ولما بلغ النبي صلي الله عليه وسلم ذلك، لم يعنف هؤلاء ولا هؤلاء ، لأنه أعرف بطبائع الناس، ففيهم الظاهري، وفيهم المقاصدي، فترك الناس على اجتهاد هم. ولذلك لا نستطيع أن نحمل هؤلاء على هؤلاء. إن ربي رزقني هذا، كما قال الشيخ عبد اللطيف، أنا أحب التيسير، يعني الشريعة نفسها قائمة على التيسير. لقد ختم الله آية الصيام بقوله تعالى:

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾
[سورة البقرة، الآية: 185]

وختم آية الطهارة بقوله تعالى :

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [سورة المائدة، الآية: 6]

وختم الله آية النكاح بقوله تعالى :

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾
[سورة النساء، الآية: 28]

وفي آيات القصاص :

﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾
[سورة البقرة، الآية: 178]

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾
[سورة الحج، الآية: 76]

وإذا كان التيسير مطلوبا في كل زمان، فهو ألزم ما يكون في زماننا هذا، أن نيسر على الناس، قال الرسول ﷺ: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا

المنعقدة في أبو ظبي في الفترة من 1 ـ 6 ذي القعدة 1415 (1 ـ 6 أبريل 1995) التي كلّفت الأمانة العامة للمجمع بعقد ندوة حول «قضايا العملة» وبخاصة موضوع «حقيقة التضخم: أنواعه وآثاره ـ الحل الإسلامي»، وقد تمّ الاتفاق على عقد هذه الندوة بالتعاون مع مصرف فيصل الإسلامي بالبحرين وذلك في ثلاث حلقات: أولاها في (جدة) والثانية في كوالالمبور (ماليزيا) والثالثة في المنامة (البحرين).

12 ـ ندوة حقوق الإنسان:

انعقدت هذه الندوة في الفترة من 8 ـ 10 محرم 1417 (25 ـ 27 مايو 1996) بجدة، ودارت أعمالها حول أربعة محاور أساسية هي: الجانب التاريخي، حصر ودراسة حقوق الإنسان، النظرة التحليلية لحقوق الإنسان. تطور النظرة لحقوق الإنسان. التطلعات المعاصرة والمستقبلية لحقوق الإنسان.

13 ـ الندوة الفقهية الطبية حول رؤية إسلامية لبعض المشاكل الصحية:

انعقدت هذه الندوة في الفترة من 8 ـ 11 صفر 1418 الموافق 14ـ17 يونيو ،1997 في مدينة الدار البيضاء بالمملكة المغربية، بمشاركة مؤسسة الحسن الثاني للأبحاث العلمية والطبية، والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) ومجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة، والمكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية. ودارت أعمالها حول ثلاث موضوعات هي: ـ الاستحالة والمواد الإضافية في الغذاء والدواء. الاستنساخ المفطرات.

14 ـ الندوة الطبية الفقهية حول: الهندسة الوراثية، والعلاج الجيني من المنظور الإسلامي.

بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في الفترة من 13 ـ 15 أكتوبر 1988 بالكويت.

15 ـ الندوة الطبية الفقهية حول حقوق المسنين من منظور إسلامي.

بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في الفترة من 18 ـ 21 أكتوبر 1999 بالكويت.

16 ـ ندوة حول «العلاّمة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور:

فكره الإصلاحي ومنهجه في التفسير» وقد عقدت في تونس في الفترة من 13 ـ 14 ابريل 2000.

رابعاً: أنشطة أخرى

يعمل المجمع على عقد الندوات العلمية المتخصّصة بالمشاركة مع عدد من الجهات المعنية بالاختصاص، والتي يحضرها عادة رجال الفقه والطب والاقتصاد والفلك. كما يقوم المجمع بالمشاركة في المؤتمرات والندوات التي تنظمها الهيئات والمنظمات والمؤسسات والجامعات ومراكز البحوث الإسلامية في جميع أنحاء العالم الإسلامي. ويقوم المجمع بأعمال أخرى في أُطر اتفاقات التعاون ومجالات البحث والتأليف والتحقيق، والاستشارات الفقهية، وفي كل مجالات النشاط العلمي التي عقدها المجمع مع كل من: جامعة أم القرى بمكة المكرّمة. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت. بالإضافة إلى أعمال مشتركة يجري بصددها التنسيق والتعاون مع عدد من المنظمات والمؤسسات والهيئات الإسلامية التي لها أعضاء معينون في مجلس المجمع، وهذه المنظمات هي: المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة. المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية «مؤسسة آل البيت» بالأردن ـ مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بجمهورية مصر العربية. كما يجري التعاون والتنسيق بصور دائمة مع عدد من المؤسسات الإسلامية الاقتصادية ومراكز البحث، منها: ـ بيت التمويل الكويتي ـ مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة. المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب بالبنك الإسلامي للتنمية. بنك البحرين الإسلامي. بنك فيصل الإسلامي بالبحرين. رابعاً: التعاون مع المؤسسات

الإسلامية والجامعات: عمل المجمع على توسيع نطاق عمله بمد جسور التعاون المتواصل مع عدد من الجامعات والمؤسسات الإسلامية، حرصاً منه، من جهة على الإفادة من الطاقات العلمية التي تتوفر لدى الجامعات الإسلامية، ومن جهة أخرى على المساهمة قدر المستطاع في مساعدة بعض المؤسسات التي يحتاج المسؤولون عن نشاطها إلى معرفة الأحكام الشرعية لبعض القضايا التي يمارسونها والمتصلة بعدد من البلدان الإسلامية، أو بجاليات متعطشة إلى الإجابات الصحيحة عن مسائل مختلفة تعرض لها في حياتها اليومية. وقد شمل هذا التعاون: ـ وزارات الأوقاف في الدول الإسلامية. البنك الإسلامي للتنمية. رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة. المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت. مؤسسة اقرأ الخيرية بجدة. مؤسسة آل البيت بالأردن. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. جامعة أم القرى بمكة المكرمة. المعهد الإسلامي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي التابع لجامعة الملك عبد العزيز بجدة. المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن. مجمع الفقه الإسلامي بالهند. جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس.

خامساً: منشورات المجمع:

1 ـ **مجلة المجمع:** يصدر المجمع مجلته العلمية إثر كل دورة.

2 ـ **المنشورات العلمية:** عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة لابن شاس: ثلاثة مجلدات ـ بلغة الساغب وبغية الراغب للعلاّمة فخر الدين ابن تيمية: مجلد واحد. ـ المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل وتخريجات الأصحاب: مجلدان.

ـ **البطاقات البنكية**، للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان: مجلد واحد. قواعد الفقه الإسلامي من خلال كتاب الإشراف على مسائل الخلاف للقاضي عبد الوهاب: مجلد واحد.

معسرين» وحينما أرسل أبا موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم إلى اليمن، أوصاهما بوصية جامعة، فقال « يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا» وروي عنه خادمه أنس رضي الله عنه، وصية للأمة كلها «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا.. »

أنا، الله هداني، وحبب إلى أن آخذ بمنهج التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة، وحبّب إليَّ هذا والتزمت به، لأنه المنهج النبوي. وأنا لم ابتدعه، وإنما هو منهج الرسول ﷺ، وإني وجدت الرسول ﷺ، أكثر الناس تيسيرا، والصحابة من وراءه، وإن كانوا أقل منه. والتابعون قريبون من الصحابة، ولكنهم أقل، ثم من بعد التابعين كذلك، وهكذا كل عصر يصبح أكثر تشددا من العصر الذي قبله، يضيف بعض الاحتياطات، الأحوط وليس الأيسر، فكل عصر يأخذ شيئاً من الأحوط، فأصبح الفقه عندنا بهذا المجموع التراكمي في النهاية مجموعة من أحوطيات، وكل أحوط معناها أشد و أثقل، ولذلك نحن أحببنا أن نعيد الأمر إلى فطرته الأولى، إلى التيسير.

ومن تيسيره ﷺ، أن رجلاً جاءه فقال له : يا رسول الله، هلكت، وأهلكت، جامعت امرأتي في نهار رمضان !!، فقال له رسول الله : اذهب واعتق رقبة، فقال الرجل له: من أين لي المال ؟، قال له الرسول : صم شهرين متتابعين، فقال الرجل : وهل أصابني ما أصابني إلا من الصيام؟!!، فقال له رسول الله : أطعم ستين مسكينا، فقال : من أين أطعم ستين مسكينا ؟، فأمر الرسول ﷺ بعذق نخلة، عذق تمر، فقال : خذه وأطعم به ستين مسكينا، فقال الرجل أعلى أفقر مني يا رسول الله ؟ !!، والله ما بين لابتيها من هو أفقر مني، فقال له رسول الله ﷺ : خذه وأطعم به أهلك، هل رأيتم تيسيرا أعظم من هذا، لكن هناك بعض الناس للأسف يريدون أن يفرضوا تشددهم.

ومما ورثناه في تراثنا الفقهي : شدائد ابن عمر ورخص ابن عباس، ابن عمر مشدد وابن عباس ميسر، ابن عمر كان متشددا، شدد على أهله وعلى نفسه، كان إذا توضأ يحاول إن يدخل الماء إلى باطن عينيه ، والأطفال كان يبعدهم عنه،



المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث

هيئةٌ إسلاميةٌ متخصصةٌ مستقلة، يتكوّن من مجموعة من العلماء.

المقر الحالي للمجلس: الجمهورية الأيرلندية.

اللقاء التأسيسي:

عقد اللقاء التأسيسي لـ(المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث) في مدينة لندن في بريطانيا في الفترة: 21ـ 22 من ذي القعدة 1417 هـ الموافق 29-30 من شهر آذار/ مارس 1997م بحضور ما يزيد عن خمسة عشر عالماً. وكان ذلك تلبية لدعوة من قبل (اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا) وفي هذا اللقاء تمّ إقرار مسودة الدستور لهذا المجلس (النظام الأساسي).

أهدافه:

يتوخى المجلس الأوروبي والبحوث تحقيق الأهداف الآتية:

1 - إيجاد التقارب بين علماء الساحة الأوروبية، والعمل على توحيد الآراء الفقهية فيما بينهم، حول القضايا الفقهية المهمة.

2 - إصدار فتاوى جماعية تسد حاجة المسلمين في أوروبا وتحلُّ مشكلاتهم، وتنظم تفاعلهم مع المجتمعات الأوروبية، في ضوء أحكام الشريعة ومقاصدها.

3 - إصدار البحوث والدراسات الشرعية، التي تعالج الأمور المستجدة على الساحة الأوروبية بما يحقق مقاصد الشرع ومصالح الخلق.

4 - ترشيد المسلمين في أوروبا عامةً وشباب الصحوة خاصةً، وذلك عن طريق نشر المفاهيم الإسلامية الأصلية والفتاوى الشرعية القويمة.

وسائل تحقيق الأهداف:

يسعى المجلس لتحقيق أهدافه من خلال اعتماد الوسائل التالية:

- تشكيل لجان متخصصة من بين أعضاء المجلس ذات مهمة مؤقتة أو دائمة، ويعهد إليها القيام بالأعمال التي تساعد على تحقيق أغراض المجلس.
- الاعتماد على المراجع الفقهية الموثوق بها، وخصوصاً تلك التي تستند إلى الأدلة الصحيحة.
- الاستفادة من الفتاوى والبحوث الصادرة عن المجامع الفقهية والمؤسسات العلمية الأخرى.
- بذل المساعي الحثيثة لدى الجهات الرسمية في الدول الأوروبية للاعتراف بالمجلس رسمياً، والرجوع إليه لمعرفة أحكام الشريعة الإسلامية.
- إقامة دورات شرعية لتأهيل العلماء والدعاة.
- عقد ندوات لدراسة بعض الموضوعات الفقهية.
- إصدار نشرات وفتاوى دورية وغير دورية، وترجمة الفتاوى والبحوث والدراسات إلى اللغات الأوروبية.
- إصدار مجلة باسم المجلس تنشر فيها مختارات من الفتاوى والبحوث والدراسات التي يناقشها المجلس أو التي تحقق أهدافه.

مصادر الفتوى وضوابطها:

يعتمد المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث في إصدار الفتوى على:

1 ـ مصادر التشريع الإسلامي المتفق عليها بين جمهور الأمة وهي: القرآن، والسنّة، والإجماع، والقياس.

2 ـ مصادر التشريع المختلف فيها كالاستحسان، والمصلحة المرسلة، وسد الذرائع، والاستصحاب، والعرف، ومذهب الصحابي، وشرع من قبلنا، وذلك بشروطها وضوابطها المعروفة عند أهل العلم، ولا سيما إذا كان في الأخذ بها مصلحة للأمة.

كما ترتكز منهجيته على:

❖ اعتبار المذاهب الأربعة وغيرها من مذاهب أهل العلم ثروةً فقهيةً عظيمةً ويُختار منها ما صحّ دليله وظهرت مصلحته.

❖ مراعاة الاستدلال الصحيح في الفتوى، والعزو إلى المصادر المعتمدة، ومعرفة الواقع ومراعاة التيسير.

❖ وجوب مراعاة مقاصد الشرع واجتناب الحيل المحظورة المنافية لتحقيق المقاصد.

طريقة إصدار الفتاوى والقرارات:

تصدر الفتاوى والقرارات باسم المجلس في الدورات العادية أو الطارئة بإجماع الحاضرين إن أمكن، أو بـ (أغلبيتهم المطلقة)، ويحق للمخالف أو المتوقف من الأعضاء إثبات مخالفته، حسب الأصول المعمول بها في المجامع الفقهية.

وينص (النظام الأساسي) على أنه لا يحق لرئيس المجلس ولا لعضو من أعضائه إصدار الفتاوى باسم المجلس ما لم يكن موافقاً عليها من

حتى لا تسيل لعابهم عليه، لأنه يعتبر اللعاب ربما يكون خارجا من داخل المعدة، وابن عباس يضمهم إليه، ويقول: إنما هي رياحين نشمها. في الحجر الأسود ابن عمر يزاحم على الحجر الأسود حتى يدمى، وحتى يجرح، فيقولون له: لماذا هذا ؟ !، يعني دع ذلك للناس الآتية من بعيد فيقول: هوت القلوب إليه، فأحببت إن يكون قلبي معهم، الناس رأيتهم يتزاحمون عليه، القلب اشتاق أن يزاحم مع هؤلاء الناس، وابن عباس يقول: لا يؤذي ولا يؤذى.

فهذه أيها الأخوة طباع البشر، والناس أيضا تتفاوت في ثقافتها، فيهم أناس لم يخرجوا من بلادهم، ما رأى العالم، يكلم نفسه، ويرى نفسه هو العالم كله، هو بؤرة العالم، ومركز العالم، ما رأى الدنيا، لذلك يشددون على الناس، ولكن الذي أراه أننا في حاجة إلى التيسير على الناس، لنحبب الله إلى خلقه، ونحبب دينه إلى الناس، هذا هو الذي ينبغي، وأنا أتبنى مقولة الإمام سفيان بن سعيد الثوري. سفيان الثوري هذا، كان إماما له مذهب مثل أبي حنيفة في العراق، وكان إماما في الورع، وكان يسمى أمير المؤمنين في الحديث، هذا الإمام في الورع، وفي الفقه، وفي الحديث، له كلمة مأثورة، أنا أتبناها، وهو يقول إنما الفقه الرخصة، أما التشديد فيحسنه كل أحد، كل واحد يستطيع القول حرام. (حرام) لفظة سهلة، إنما حاول أن تجد لك مخرجا للناس مما هم فيه، هذا ما حاولناه.

يمكن فضيلة الشيخ أشار إلى المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، الذي شرفت برئاسته، المسلمون الذين يعيشون في هذه البلاد محتاجون أن نبقيهم على دينهم، فنفتيهم بالأيسر لا بالأحوط، فيأتي بعض الناس يشنون علينا الغارة لأننا ننحط، نحن نحاول أن نيسر على عباد الله، في ضوء الدين. وليس معنى التيسير أن نقصر النصوص قصرا على ما نريد، أن نلوي أعناقها ليّا، لا، إنما إذا كان هناك قولان متكافئان، أو متقاربان، أحدهما أحوط، والآخر أيسر، فبعض الناس يفتي بالأحوط، وأنا أفتي بالأيسر، بعضهم يسألني ما حجتك في هذا؟،

قبل المجلس نفسه، ولكل منهم أن يفتي بصفته الشخصية، من غير أن يذيل فتواه بصفة عضويته في المجلس، أو أن يكتبها على أوراق المجلس الرسمية.

اللقاء الدوري للمجلس:

ينص (النظام الأساسي) للمجلس على اجتماع دوري سنوي تعقده هيئته العامة. تتم فيه مناقشة الأبحاث المقدمة إليها في الموضوعات المختلفة التي تمسّ إليها حاجة الجالية المسلمة في أوروبا، مع تولي الإجابة عما يرد عليه من استفتاءات تتطلب الجواب الجماعي ويجيز (النظام الأساسي) للمجلس الاستعانة بأهل الخبرة، ودعوتهم لحضور دورة الانعقاد التي يعرض فيها ما يتعلق باختصاصاتهم من غير أن يكون لهم حقّ التصويت. ومنذ التأسيس إلى تاريخ إعداد هذا التعريف عقد المجلس عدة دورات:

- **الدورة الأولى:** في مدينة سراييفو بدولة البوسنة والهرسك، في الفترة 24 ـ 26 ربيع الثاني 1418 هـ الموافق 28 ـ 1997/8/30م. وكانت باستضافة صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور مصطفى سيريتش رئيس علماء البوسنة.
- **الدورة الثانية:** في مدينة دبلن بدولة أيرلندا في الفترة: 19 ـ 21 جمادى الآخر 1419 هـ الموافق 9 ـ 1998/5/11م وذلك باستضافة (هيئة المكتوم الخيرية) في المركز الثقافي الإسلامي.
- **الدورة الثالثة:** في مدينة كولون بدولة ألمانيا في الفترة: 4 ـ 7 صفر الخير 1420 هـ الموافق 19 ـ 22 /1999/5م وذلك باستضافة (جمعيات ملي جوروش التركية في أوروبا).
- **الدورة الرابعة:** في مدينة دبلن بدولة أيرلندا في الفترة: 18 ـ 22 رجب 1420 هـ الموافق 27 ـ 1999/10/31م وذلك باستضافة (هيئة المكتوم الخيرية) في المركز الثقافي الإسلامي.
- **الدورة الخامسة:** في مدينة دبلن بدولة أيرلندا في الفترة: 30 محرم 3 ـ صفر 1421هـ الموافق 4ـ2000/5/7م وذلك باستضافة (هيئة المكتوم الخيرية) في المركز الثقافي الإسلامي.
- **الدورة السادسة:** في مقر المجلس الجديد بمدينة دبلن بدولة ايرلندا في الفترة: 28 جمادى الأولى إلى 3 جمادى الآخر 1321هـ الموافق 28 أغسطس إلى 1 سبتمبر 2000م.
- **الدورة السابعة:** في مقر المجلس بمدينة دبلن بدولة أيرلندا في الفترة: 29 شوال إلى 4 ذي القعدة 1421هـ الموافق 24 ـ 2001/1/28م.
- **الدورة الثامنة:** في مدينة بلنسية بأسبانيا في الفترة من 26 ربيع الثاني إلى 1 جمادى الآخر 1422هـ الموافق 18ـ2001/7/22م.

وتمّ في هذه الدورات مناقشة عدة قضايا وموضوعات مما يهم الجماعة المسلمة في أوروبا، والإجابة عن عدد من الأسئلة الواردة.

اللجان الفرعية التابعة للمجلس

نظراً لتباعد انعقاد الاجتماع الدوري للمجلس، وانشغاله في اجتماعاته بمناقشة القضايا الأكثر أهمية، ورغبة منه في تلبية حاجة عموم المسلمين في أوروبا والتعجيل بإجابة استفتاءاتهم، فقد اعتمد في دورته الثانية تأسيس لجنتين فرعيتين للفتوى: إحداهما في فرنسا والأخرى في بريطانيا، باشرتا عملهما منذ ذلك الحين. كما أنشأ المجلس لجنة للبحوث والدراسات تتولى إصدار مجلة المجلس كما تهتم بالبحوث والدراسات التي تعين المجلس على إصدار قراراته وفتاواه.

مجمع الفقه الإسلامي الهندي

أهداف المجمع

يهدف مجمع الفقه الإسلامي الهندي من نشأته إلى تحقيق ما يلي:

1 ـ التوصل إلى حلول للمشكلات الناجمة عن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والصناعية، وبحكم التطورات الحديثة لهذه الآونة، وفق الأطر الإسلامية، استضاءا من الكتاب والسنّة وآراء الصحابة وأقوال علماء السلف.

2 ـ البحث عن الحلول لمستجدات العصر الحديث ولما دعت تغيرات الظروف إلى استئناف البحث والدراسة فيه من القضايا القديمة في ضوء أصول الفقه الإسلامي عن طريق التحقيق الاجتماعي.

3 ـ إجراء الدراسة لمصادر الفقه الإسلامي وقواعده وكلياته والنظريات الفقهية شرحاً وتأويلاً وتطبيقاً في العصر الراهن.

4 ـ عرض الفقه الإسلامي وشرحه في أسلوب عصري.

5 ـ الدراسة والتحقيق للموضوعات الفقهية في ضوء المقتضيات العصرية.

6 ـ الحصول على الفتاوى والآراء للعلماء المحققين والمؤسسات الدينية الموثوقة في القضايا المستجدة ثم نشرها بين عامة المسلمين.

7 ـ إيجاد الروابط مع جميع المؤسسات الفقهية والتحقيقية الأخرى في داخل الهند وخارجها وتبادل المعلومات عن الإنجازات العلمية.

8 ـ إعداد الفهارس على شتى الموضوعات الفقهية.

9 - انتخاب الفتاوى الصادرة من العلماء والمؤسسات الموثوقة المطبوعة منها وغير المطبوعة التي هي بمثابة تراث فقهي وعلمي، وتهذيبها وعرضها في أسلوب عصري، حفاظاً للتراث وتعميماً للفائدة إلى الأجيال القادمة.

10 ـ مسح بالمشكلات الناجمة في مجالات الاقتصاد والاجتماع والطب وأعراف البلدان المختلفة والبيئة

قلت: حجتي إن النبي (ﷺ)، ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، يعني أنا لست مع المتشددين، وأنا مع الميسرين، لكن ما حيلتنا أمام المتشددين.

أنا اعتقد، بحمد الله، أن منهجنا الوسطي، الذي يقوم على التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة، بدأ يتسع و ينتشر، ويجد له أنصارا، يكفي أن فضيلة الشيخ يؤيد هذا المنهج وهذا قد سرّني. إن هذا المنهج يكسب كل يوم رضاً وكل يوم أناسا، وهذا ما نطمح إن شاء الله أن يصبح المنهج الوسط، هو منهج الأمة الوسط كما أراد الله لها :

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾

[سورة البقرة، الآية: 143]

د. محمد الدسوقي



لا جدوى من قرارات لا تنفذ

س: ما تقييمكم لمدى اقتراب مجمع الفقه الإسلامي من القضايا المعاصرة التي يعيشها المسلمون في هذه الفترة التي توصف بأنها حرجة؟ إلى أيّ مدى وصل المجمع إلى معالجة هذه القضايا والاقتراب منها؟

ج: للمجمع نشاط محمود وطيب في دراسة كل ما يتعلق بالمشكلات المعاصرة والتي تهم العالم الإسلامي ولو راجعت الكتاب الخاص بالقرارات التي صدرت عن هذا المجمع منذ إنشائه حتى الآن لوجدت أن هذه القرارات غطت تقريباً كل المشكلات التي يعاني منها هذا المجتمع، وكانت للمجمع بحوث ودراسات قيمة ومتميزة توضح الحكم الشرعي في كل هذه القضايا، ولكن المشكلة أن هذه القرارات وللأسف الشديد لم

أضواء على المجمع الفقهي الهندي

❖ **تاريخ تأسيس المجمع:** 1989

❖ **مكانه:** نيودلهي، الهند

❖ **الرئيس المؤسس:** المرحوم القاضي مجاهد الإسلام القاسمي

❖ **الأمين العام للمجمع:** الشيخ خالد سيف الله الرحماني

❖ **الأهداف العامة للمجمع:**

ـ الاعتناء بالفقه الإسلامي

ـ الاجتهاد الجماعي في القضايا المعاصرة

ـ الحلول الشرعية للمشكلات المستجدّة

ـ تربية العلماء الشباب على مواصلة المسيرة

والعمران في الهند وخارجها، وإشعار الناس بنتائج الدراسات والتحقيقات التي تتم حولها.

11 ـ استعراض الأحكام الصادرة من محاكم الهند وخارجها حول تشريح وتطبيق القوانين الإسلامية ونشر نتائجها.

12 ـ استعراض ما يثار من الشبهات ويورد من الإشكالات حول قوانين الإسلام من جانب المستشرقين والآخرين، وتقديم الرؤى الصحيحة عنها.

13 ـ إعداد الكتب عن الأسئلة الجديدة والتحديات المواجهة للإسلام في أسلوب يوافق العصر.

14 ـ تشجيع العلماء الشباب المتفوقين وتربيتهم للدراسة والتحقيق والتعاون والترابط بين العلماء بربطهم بمركز تحقيقي واحد.

15 ـ بذل الاهتمام اللازم بتزويد متفوقي فضلاء المدارس الدينية بمبادئ ضرورية للعلوم العصرية وأذكياء متخرّجي الجامعات العصرية بالمبادئ الفقهية والدينية تقييضاً من الأجيال القادمة من يرسخ في علوم الشريعة مع المعرفة التامة بمقتضيات العصر.

16 ـ تحقيقاً للأهداف المذكورة تعقد الحلقات والندوات وتشكل لجان الدراسة وإنشاء المؤسسات العلمية والتحقيقية واستخدام كل ما يحقق الأهداف حسب الإمكانيات المتوفرة.

مجالات العمل:

1 ـ الندوات الفقهية

2 ـ ترجمة أردوية للموسوعة الفقهية الكويتية

3 ـ أنشطة ثقافية للطلاب

4 ـ المحاضرات في المدارس

5 ـ تدريب الفضلاء

6 ـ تحقيق المخطوطات الفقهية

7 ـ المؤسسة المالية اللاربوية

8 ـ الإصدارات

مسيرة الاجتهاد الجماعي التي بدأ بها مجمع الفقه الإسلامي الهند في عام 1989

أسفرت هذه المسيرة في سنة 1999م، مسفرة خلالها عن عطاءاتها المتعددة في مجالات عديدة، نجملها في الأسطر التالية:

الندوات الفقهية:

دأب المجمع على عقد ندوة فقهية كل عام لمناقشة موضوعات وقضايا تطرحها متغيرات ومتجددات اختلاف الليل والنهار، متوخياً البحث عن الحلو لها لتبصير الأمة المسلمة منارة الأحكام الشرعية في درب حياتها، استكمل المجمع عقد ثلاث عشرة ندوة في مختلف أماكن البلاد، تمّ فيها نقاش أربعين موضوعاً متعلقاً بالقضايا المختلفة، من قضايا طبية واجتماعية واقتصادية وتجارية وأصولية وغيرها، ويربو عدد البحوث المقدمة فيها على الألف.

ترجمة أردوية للموسوعة الفقهية:

تبنى المجمع مشروع ترجمة الموسوعة الفقهية الكويتية بكاملها إلى اللغة الأردية، وقد باشر المجمع المشروع قبل مدة قصيرة واستطاع خلال أربع سنوات إكمال واحد وأربعين جزءاً، وتجري ترجمة لجزأين، وأجزاء الموسوعة من الأول إلى الثانية عشرة أصبحت جاهزة للطباعة بعد أن مرّت بمراحل إعادة النظر من

جانب الفقهاء والمترجمين القديرين ثم القراءة النهائية الدقيقة كي لا يتطرق إلى الترجمة نقص قدر الإمكان.

أنشطة ثقافية للطلاب:

ومبادئ حول علوم عصرية، فكان المخيم التربوي الأول نظمه المجمع في الفترة ما بين 1 ـ 3/1992 خلال الشهر يونيو عام 1993م، والخيم الثالث التربوي تمّ تنظيمه في غازي آباد خلال الفترة 22 ـ 25/ سبتمبر 1993 للطلاب المشاركين، وركزت خاصة على إلقاء المحاضرات حول مواضيع العلوم المعاصرة.

بحثاً كتبه الطلاب من مختلف المدارس العربية للمساهمة في المسابقة، وانعقد مخيم لمدة يومين ناقش فيها المساهمون حول موضوع الوقف، ما ألقيت المحاضرات العلمية.

المحاضرات في المدارس:

كان المجمع نظم برنامج إلقاء المحاضرات على موضوعات عصرية جديدة أمام طلاب المدارس الدينية يلقيها الأخصائيون والدكاترة بغية تزويد الطلاب بمعلومات قيمة حول علوم العصر، فقد تمّ إلقاء المحاضرات القيّمة في عديد من المدارس الإسلامية الكبيرة في عدة ولايات.

تدريب الفضلاء:

وراءه تدريبهم على الدراسة المتفرغة للعلوم الشرعية والتمرّن العملي للتحقيق والبحث عن الحلول الشرعية للمشكلات المعاصرة لمدة سنتين، مع تكفّل المجمّع لكافة احتياجاتهم السكنية والغذائية والدراسية مع إعطائهم المنح الدراسية شهرياً.

تحقيق المخطوطات الفقهية:

مساهمة في عملية تحقيق المخطوطات القيمة المبعثرة في مكتبات الهند خاصة بدأ المجمع بإجراء مسح لمكتبات الهند، كما اختير كتابان للعلاّمة برهان الدين المرغيناني صاحب الهداية في الفقه الحنفي، وهما:

تعرف طريقها إلى التطبيق والالتزام، وما زالت مسجلة أو مسطورة على الورق وهذه هي المشكلة. المفروض أن تجد هذه القرارات طريقها إلى التطبيق العملي، فالفكر مهما كان ممتازاً وطيباً إذا لم يترجم إلى سلوك فإنه لا خير فيه، وديننا دائماً يربط بين الإيمان والعمل كما قال الرسول (ﷺ) الإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل، فالمجمع يقوم بنشاط علمي متميز، وفي كل دورة تعرض بحوث طيبة من خيرة الأساتذة، ويدور حول هذه البحوث نقاش ومساجلات ومداخلات علمية توضح أو تكمل أو تزيد شيئاً فات الباحث، ومن ثم تأتي القرارات في النهاية بعد هذه البلورة العلمية لتعبر عن أن هذه القرارات جاءت عن طريق الدراسات المتأنية والمناقشات العلمية الهادفة مما يميّزها عن غيرها من القرارات الأخرى، ولكن كما قلت هذه القرارات ما لم تعرف طريقها إلى التطبيق فلا جدوى منها.

س: يمكن أن نقول وباختصار أن مجمع الفقه الإسلامي بدأ يضع أسساً لما يمكن تسميته «اجتهاد معاصر» لحل القضايا الناشئة...

ج: لا شك أن كل ما توصّل إليه المجمع من قرارات هو لون من الاجتهاد المعاصر المتميز لأن الاجتهاد له صور متعدّدة، وهو أنني ممكن أن اجتهد في قضايا سبقت دراستها، وأحاول أن أقدم فيها رأياً جديداً، يتلاءم مع ظروف العصر والبيئة، والمجمع يحاول ذلك.

هناك ما نسميه بالاجتهاد الانتقائي، بمعنى أن يكون لدي في القضية عدة آراء لفقهاء سابقين فأنا أرى أن رأيين من هذه الآراء أولى بالأخذ لأنه يتناسب مع الظروف ويحقق مصلحة المجتمع في هذا العصر.

البحوث التي تقدم للمجمع تعبّر عن جهود اجتهادية، يقدمها أفراد ثم تعرض على المجمع فتأخذ صبغة الاجتهاد الجماعي، والاجتهاد الجماعي له أهمية خاصة ويتميز عن الاجتهاد الفردي، لأن الاجتهاد الجماعي غالباً ما يكون أكثر دقة وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب.

«التجنيس والمزيد» و«مختارات النوازل» وقد اكتملت عملية التحقيق عليهما وتمّ التنضيد على الكمبيوتر، وسوف تكتمل بإذن الله تعالى.

المؤسسة المالية اللاربوية:

كان المجمع نظم مخيمات ثقافية تربوية لأذكياء طلاب المدارس الدينية وتزويدهم خاصة بمعلومات في غازي آباد، ثم نظم المخيم الثاني لمدة خمسة أيام في مدرسة كبيرة واقعة في مديرية بسني، كانت المخيمات الثلاث تضمنت أنواعاً من البرامج التعليمية والثقافية موضوع البنك اللاربوي أو المؤسسة المالية اللاربوية كان شغل المجمع الشامل طوال فترة طويلة، عقدت لذلك لقاءات الاخصائيين والعلماء مرّات عديدة لمناقشة عوائق الموضوع والبدائل الشرعية لها، تمخض كل ذلك عن تقرير قيم حول الموضوع أعدّه الأخصائيون للمجمع وتواجدت كذلك بحوث عديدة حوله، والعملية بعد في الطريق إلى الغاية.

الإصدارات:

بلغ عدد الإصدارات حتى الآن، ستين باللغات المختلفة، من بينها مجلات فقهية إسلامية تحتوي على بحوث الندوات، وكتب عديدة مترجمة من العربية إلى الأردية، وبعض كتب الفتاوى وغيرها، وتمّ طبع قرارات المجمع في لغات محلية متعددة وغير محلية.

ندوة حول مقاصد الشريعة

عقد مجمع الفقه الإسلامي بالمساهمة والتعاون المشترك مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي ندوة فقهية لمدة خمسة أيام، وذلك في 21 ديسمبر لعام 2003م في جامعة همدرد نيودلهي.

تمّ افتتاح الندوة في حفلتها الافتتاحية بكلمة فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رئيس هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند الذي لم يستطع الحضور بنفسه في اليوم الأول فأرسل كلمته الافتتاحية في هذه الحفلة وقد حضرها حوالي مائتي شخص من الفقهاء والعلماء القادمين من مختلف أنحاء البلاد، وقد تحدث فيها عن أهمية مقاصد الشريعة وتفهيمها واستخدامها في حل قضايا العصر عديد من كبار فقهاء البلاد، ويجدر بالذكر منهم الشيخ خالد سيف الله الرحماني أمين عام المجمع والشيخ عتيق أحمد القاسمي سكرتير المجمع، والشيخ جلال الدين أنصر العمري نائب رئيس الجماعة الإسلامية في الهند، والشيخ الدكتور محمد اجتباء الندوي والشيخ الدكتور محسن العثماني الندوي والشيخ أسرار الحق القاسمي وغيرهم.

سلط الأمين العام الشيخ الرحماني في كلمته الضوء على ضرورة الاطلاع على مقاصد الشريعة قائلاً بأنه يجنب الإفراط والتفريط في اتخاذ الآراء الفقهية، وأكد على ضرورة استمرار مثل هذه الورشات الفقهية منوهاً بخدمات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ونشاطات المجمع، فضيلة الدكتور محمد اجتباء الندوي استحسن بداية هذه السلسلة وقال: إنها تفتح أبواب التفكير وتوقد الصلاحيات الفكرية وتكشف عن جهات جديدة من مناهج السلف على موضوع مقاصد الشريعة وتطبيقها على حالات العصر.

أفاد فضيلة الشيخ عتيق أحمد القاسمي قائلاً: إنه عقدت هذه الندوة في مدينة دلهي التي كان الشيخ الكبير العلاّمة الفذ الشاه ولي الله الدهلوي صنف فيها كتابه الشهير المسمى بحجة الله البالغة، وأضاف أن الهدف من جمع أهل التحقيق الشباب في هذه الورشة هو تزويدهم بمحتويات موضوع مقاصد الشريعة والبحث والمناقشة في الجوانب التي تحتاج إلى النظر والإضافة فيها وتدريبهم كذلك على استخدام المقاصد في حل القضايا المعاصرة.

إن الحضور في الحفلة الافتتاحية نوّهوا بخدمات جليلة لفضيلة مؤسس المجمع المرحوم القاضي مجاهد الإسلامي القاسمي رحمه الله.

ومنذ مساء اليوم نفسه بدأت الندوة واستمرت اربعة أيام ألقيت خلالها عديد من المحاضرات ودار النقاش القيم حولها.

المحاضرة الأولى في 12 ديسمبر في حفلتها المسائية قدمها فضيلة الشيخ عتيق أحمد القاسمي على موضوع مقاصد الشريعة ـ تعريفها وتطورها من الصدر الأول إلى

القرن الرابع عشر الهجري، أكد فيها على أن الإمام الجويني هو أول من قسم أحكام الشريعة إلى درجات ثلاث في كتابه البرهان في أصول الفقه، وأضاف أن الحاجة العامة في حق المجتمع تكون كدرجة الضرورة في حق الفرد، كانت المحاضرة ممتعة، استمع إليها الحضور باهتمام، وبعد انتهائها وجهوا الأسئلة إلى المحاضر الذي تكرم بالإجابة عنها، ثم تلا ذلك نشر محاضرة فضيلة الدكتور طه جابر العلواني الذي لم يستطع الوصول إلى الندوة مع كافة جهده فأرسل خطابه مسجلاً، فاستمع الحاضرون إليها واستفادوا منها على موضوع خصائص الشريعة الإسلامية.

وفي اليوم الثاني في 22 ديسمبر ألقيت أول محاضرة لفضيلة الشيخ خالد سيف الله الرحماني عن موضوع دور مقاصد الشريعة في حل القضايا المعاصرة ومشكلات الأقليات المسلمة مؤكداً فيها على أن الأحكام الشرعية تتعلق بالمصالح وأنها تتبدل بتبدّل العادات وتبدّل الأحوال السياسية والاقتصادية كما تتبدل بانحطاط في الأخلاق ونشوء قضايا جديدة، إنه سلط الضوء على أن الاكتفاء بالجزئيات الفقهية ربما يؤدي إلى الحرج والضيق ومراعاة المصالح العامة تأتي في نطاق واسع لمقاصد الشريعة، كانت المحاضرة قيمة وشاملة للأمثلة التطبيقية تبعتها مناقشة من جانب المشاركين الفضلاء من بين استفسارات وتعقيبات وأسئلة.

ثم تلتها محاضرة فضيلة الشيخ بدر الحسن القاسمي نائب رئيس المجمع الذي لم يستطع المشاركة في الورشة وأرسل محاضرته القيمة بالبريد المصور حول موضوع مصادر أحكام الشريعة ومدارجها قدمها نيابة عنه فضيلة الأستاذ بدر أحمد الندوي المجيبي.

أما في الجلسة المسائية فقد تفضّل الدكتور صلاح الدين سلطان رئيس الجامعة الإسلامية الأمريكية بتقديم خطابه الإيماني الجياش القيم فور وصوله إلى الندوة من أمريكا، وألقى فيه ضوءاً ساطعاً على الاجتهاد المقاصدي والاجتهاد الإصلاحي، مؤكداً على أهمية الجمع بين الحجة الشرعية والخشية القلبية في العلماء المعاصرين، وبعد خطابه استمع الحضور إلى محاضرة ثانية للدكتور طه

الدكتور علي السالوس



معرفة الواجب في الواقع

س: كثرة المجامع هل تعد ظاهرة صحية أم ظاهرة تؤدي إلى التضارب والاختلاف ؟

ج: كثرة المجامع ظاهرة طيبة فالحاجة إلى إنشاء المجامع ملحة ونذكر هنا أن مجمع البحوث الإسلامية أنشئ سنة 1961 ليكون الهيئة العليا للبحوث الإسلامية ويقوم بالدراسة في كل ما يتصل بهذه البحوث ويعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وتجليتها في جوهرها الأصيل الخالص وتوسيع نطاق العلم لكل مستوى وفي كل بيئة وبيان الرأي فيما يجد من مشكلات . أما مجمع الفقه المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي فأعضاؤه من الفقهاء والعلماء والمفكرين في شتى مجالات المعرفة من فقهية وثقافية وعلمية واقتصادية، ويقوم بدراسة مشكلات الحياة المعاصرة والاجتهاد فيها اجتهادا أصيلا فاعلا يهدف تقديم الحلول النابعة من التراث الإسلامي ، فالمجامع تبحث موضوعا واحدا وأحيانا تبحث في مجمعين فيكون تأكيدا وأحيانا يكتفي المجمع بما يصدره المجمع الآخر، ومجمع «فقهاء الشريعة» يهتم بأمور ومشكلات المسلمين في الغرب وفي أميركا بصفة خاصة ، وكانت الفكرة أساسا أن يكون مجمع فقهاء الشريعة في أميركا وأوروبا ثم وجدنا أن أوروبا فيها المجلس الأوروبي للإفتاء فرأينا أن يكون في أميركا فقط على أن يكون بيننا وبين المجامع الأخرى تعاون ، ولذلك مجمع فقهاء الشريعة بأميركا يضم أعضاء من كل المجامع سواء من مجمع البحوث أو مجمع الفقه بمنظمة المؤتمر الإسلامي والمجلس الأوروبي للإفتاء حتى يكون هناك تعاون وتكامل وليس تنافرا وتضادا .

جابر العلواني عن طريق الكمبيوتر حول موضوع آثار عدم رعاية المقاصد في حل القضايا المستجدة.

في 23 ديسمبر قدم فضيلة الدكتور صلاح الدين سلطان محاضرة موسّعة وممتعة وعميقة العلم على ثلاثة جوانب للمقاصد، وهي نظرية المقاصد وأنواع المقاصد وشرعية الأخذ بالمقاصد مصحوباً بالأمثلة التطبيقية الحيّة وبأسلوب منضبط وجياش ومنير للفكر، وبهذه المناسبة حضر فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي وفضيلة الشيخ محمد واضح رشيد الندوي وفضيلة الشيخ الدكتور محمد اجتباء الندوي وجميع هؤلاء الشيوخ ألقوا كلماتهم وآراءهم القيّمة عن ضرورة مقاصد الشريعة وأهمية مثل هذه الورشات الفقهية وضرورة قيام علماء العصر بالاجتهاد الواسع في ضوء مقاصد الشريعة لحل قضايا العصر.

في الجلسة المسائية لهذا اليوم نفسه واصل الدكتور صلاح الدين عبد الحليم سلطان محاضرته، وكان موضوع هذه الحفلة تاريخية نظرية المقاصد، فألقى الضوء على اهتمام الصحابة ومن بعدهم بالمقاصد في استنباط وتطبيق الأحكام الشرعية، كما سلّط ضوءاً على كتابات العلماء الأصوليين وغيرهم الذين تكلموا عن مقاصد الشريعة في كتبهم بدءاً من الحكيم الترمذي ومروراً بالعلماء المعروفين أمثال الجويني والغزالي والعز بن عبد السلام إلى الشاطبي.

أما في 24 ديسمبر فقد تابع الدكتور صلاح الدين سلطان موضوع محاضرته، فبدأ ببيان نظرية المقاصد عند الشاطبي وأسهب في ذكر أنواع مقاصد الشريعة ودرجاتها عند الشاطبي كما بين طرق معرفة مقاصد الشريعة ووصل في حديثه إلى الإمام محمد الطاهر بن عاشور فبيّن نظريته تفصيلاً وذكر إضافة الشيخ الطاهر مقصدين من مقاصد الشريعة وهما: الحرية والمساواة، واشترك الحضور في النقاش بعد محاضرة الدكتور صلاح الدين عبد الحليم سلطان وقدموا أسئلة عديدة إليه، وأجاب فضيلة المحاضر عنها، وبعد هذه المحاضرة تكرم فضيلة الشيخ برهان الدين السنبهلي بتقديم محاضرته عن موضوع علاقة المقاصد بأصول الفقه، ألقى فيها الضوء على حقيقة أصول الفقه وحقيقة المقاصد والعلاقة بينهما تبعتها تعقيبات الحضور عليها.

وفي الجلسة المسائية في اليوم نفسه قدمت كلمة الدكتور جمال الدين عطية حول مقاصد الشريعة عن طريق الكمبيوتر، ثم بعد ذلك ألقى الدكتور صلاح الدين سلطان محاضرة علمية وفقهية أصولية مفصلة عن موضوع الضوابط المنهجية لفقه الأقليات المسلمة أكد فيها على أربع نقاط:

1 - فقه الواقع

2 - الفكر المقاصدي

3 - الاجتهاد الجماعي

4 - التيسير في الفتوى

وفي 25 ديسمبر وبالجلسة الصباحية تفضل الدكتور صلاح الدين سلطان بالإجابة عن الأسئلة التي وجّهها إليه فضيلة السادة المشاركين بشأن محاضرته في الضوابط المنهجية لفقه الأقليات ثم تطرق فضيلته إلى تقديم توجيهات علمية للحضور والإخوان المشاركين أكد فيها على الاتصاف بصفات التقوى والطهر والعفاف والخشية القلبية والتبشير في الدعوة والحجة الشرعية.

وفي الجلسة الختامية قدم بعض المشاركين انطباعاتهم بشأن الندوة أعربوا فيها عن مدى امتنانهم واستفادتهم في الندوة، ومن الجدير بالذكر أن مجمع الفقه الإسلامي بالهند كان أرسل إلى جميع المشاركين إصدارات المعهد حول المقاصد منها كتاب المقاصد العامة للشريعة الإسلامية للدكتور يوسف حامد العالم وكتاب نظرية المقاصد عند الشاطبي للدكتور أحمد الريسوني وكتاب نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور للأستاذ إسماعيل وقواعد المقاصد عند الشاطبي ونحو تفعيل المقاصد الشريعة للدكتور جمال عطية قبل الندوة، ثم ألقى كل من الشيخ خالد سيف الله الرحماني والشيخ عتيق أحمد القاسمي والشيخ برهان الدين السنبهلي كلمات موجزة في أهمية وتقدير مثل هذه الندوات ودورها في التنمية العلمية والثقافية وضرورة عقدها من حين لآخر.

الندوات الفقهية التي انعقدت بمجمع الفقه الإسلامي بالهند

نظرة عابرة على قرارات فقهية جماعية

(اتخذها المجمع في ندواته الفقهية وتبلغ أربعين موضوعاً يمس شتى جوانب الحياة اليومية)

○ الندوة الفقهية الأولى

ضبط التوليد

○ الندوة الفقهية الثانية

بدل الخلو

زرع الأعضاء

الأوراق المالية

المهر

قضايا حول الربا

فائدة البنوك

الربا التجاري وحكم الشريعة فيه

الربا في التجارة الدولية

مشروع للنظام المصرفي اللاربوي

دار الإسلام ودار الحرب

○ الندوة الفقهية الثالثة

المصرفية الإسلامية

المرابحة

المؤسسات التعاونية اللاربوية

بيع الحقوق

اقتراح حول المدارس الدينية والعصرية

○ الندوة الفقهية الرابعة

التأمين

المصرفية الإسلامية

قرار الدكتور أنس الزرقاء

تبادل عملات الدولتين نسيئة

ومن أهداف المجمع إصدار الفتاوى فيما يعرض عليه من قضايا ونوازل لبيان حكم الشريعة فيها ، وكذلك وضع خطة لإعداد البحوث والدراسات الشرعية التي تتعلق بأوضاع المسلمين في المجتمع الأمريكي وما يجد من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية التي تواجههم في هذا المجتمع وبيان الحلول الفقهية المناسبة لها والإشراف على تنفيذها ، وأيضا دراسة وتحليل ما ينشر عن الإسلام والتراث الإسلامي في وسائل الإعلام وتقديمه للانتفاع بما فيه من رأي صحيح وتعقب ما فيه من أخطاء بالتصحيح والرد ، ومن الأهداف معاونة المؤسسات المالية الإسلامية بإعداد البحوث والدراسات وابتكار صيغ التمويل وعقود الاستثمار وتقديم ما تطلبه من الفتاوى والاستشارات ، وتدريب كوادرها على ذلك ، وإقامة دورات تدريبية لأئمة ومديري المراكز الإسلامية في مختلف المجالات الفقهية كقضايا الأسرة والقضايا المالية وقضايا التحكيم الشرعي وغيرها ، ومن الأهداف أيضا دعم التعاون بين المجمع والهيئات والمجامع الفقهية الأخرى للوصول إلى ما يشبه الإجماع الكوني على الملزم من قضايا الأمة وثوابتها ، وكذلك معالجة قضية المواطنة وما تفرضه من حقوق وواجبات على المسلمين الذين يتمتعون بحق المواطنة في الغرب ، أيضا من الأهداف دعم أنشطة لجان التحكيم الشرعية التي تقيمها الجاليات الإسلامية في البلاد الغربية ومراجعة ما ترفعه إليه من قرارات وتوصيات وإعداد تقنين ميسر للأحكام الفقهية في أبواب الأسرة والمعاملات المالية يكون مرجعا لجهات التحكيم الناشئة في الغرب ، وكذلك من أهداف المجمع إنشاء صندوق الجمع للزكاة والتكافل الاجتماعي في حدود ما تسمح به القوانين والنظم والحصول على موافقة الجهات المختصة على ذلك.

ومن أوجه التميز في هذا المجمع :

أولا: التخصص في أعضائه ، فالأصل في العضو أن يكون أستاذا في الفقه والأصول أو على الأقل من حملة الدكتوراه في الشريعة.

○ **الندوة الفقهية الخامسة**

التأمين

قضايا الزكاة:

- الحاجة الأصلية
- زكاة الديون
- زكاة القيمة المعجلة في التجارة
- زكاة الأحجار الكريمة والمجوهرات
- أموال صندوق الاحتياط
- المنح الدراسية للطلبة
- حيثية عميد المدرسة ومحصليها
- أموال المدارس
- العمولة في أخذ الزكاة
- زكاة المال الحرام
- مصداق كلمة «في سبيل الله»

○ **الندوة الفقهية السادسة**

الأراضي العشرية والخراجية

طريقة أداء الخراج

العشر على المحاصيل الأرضية

العشر في صورة المزارعة

النصاب وخصم المصاريف من وجوب العشر

العشر في تربية الأسماك زراعة الأبريشم - هو المنتجات الزراعية

العشر على أرض الوقف

○ **الندوة الفقهية السابعة**

الضرورة والحاجة الشرعية

الذبح الماكيني

شرائط للذبح الاختياري

شرائط للذبح الاضطراري

○ **الندوة الفقهية الثامنة**

أخلاقيات الطبيب ومسؤولياته

تدوين دستور أخلاقيات الطبيب

الأيدز

العرف والعادة

حقيقة العرف وأنواعه المختلفة

شروط اعتبار العرف

تعارض العرف والأدلة الشرعية

تغير الحكم بتغير العرف

الاشتراط في النكاح

○ **الندوة الفقهية التاسعة**

أسهم الشركة

تجارة الأسماك في المياه

البيع قبل القبض

قرار حول الذبح الماكيني

○ **الندوة الفقهية العاشرة**

قضايا الأوقاف

قضايا الحج والعمرة

البيع بالتقسيط

الاستنساخ البشري

إعلام حول الوحدة الإسلامية

○ **الندوة الفقهية الحادية عشرة**

الكفاءة في النكاح

الولاية في النكاح

حكم الأحاديث الضعيفة

○ **الندوة الفقهية الثانية عشرة**

طلاق السكران

اختلاف الفقهاء

الإنترنت والأجهزة الحديثة

○ **الندوة الفقهية الثالثة عشرة**

إنقلاب الماهية

الاستثمار بأموال الزكاة

إجراء العقود عن طريق الأجهزة الحديثة

الزواج الإجباري

مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا

أهدافه

دراسة وتحليل ما ينشر عن الإسلام، وإصدار الفتاوى والبحوث الشرعية، وإقامة الدورات للأئمة.

أعضاء المجمع

يتمتعون بالحيادية، والتخصص، والجمع بين العلم والشرع والدراية بالواقع. المجمع يضم هيئة رئاسة عليا ولجنة دائمة للإفتاء ومستشارين من مختلف أنحاء العالم.

فكرة تأسيس المجمع

جاءت فكرة المجمع بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر حين شعرت نخبة من علماء الأمة بعظم المسؤولية وثقل التبعات التي أنيطت بهم نحو المسلمين في بلاد المهجر، ومن ثم ولدت هذه الفكرة التي تقوم أساساً على إيجاد آلية شرعية متخصصة تهتم بقضايا الجاليات الإسلامية المقيمة في الغرب لا سيما في الولايات المتحدة الأمريكية.

وبعد مجموعة من الإجراءات شق المجمع طريقه نحو النور، واعترفت به الولايات المتحدة اعترافاً فيدرالياً أي على مستوى الحكومة الأمريكية.

ومجمع فقهاء الشريعة بأمريكا هو مؤسسة علمية غير ربحية تتكوّن من مجموعة مختارة من فقهاء الأمة الإسلامية وعلمائها، تسعى إلى بيان أحكام الشريعة فيما يعرض للمقيمين في أمريكا من النوازل والأقضيات.

أهداف المجمع

- ❖ إصدار الفتاوى فيما يعرض عليه من قضايا ونوازل لبيان حكم الشريعة فيها.
- ❖ وضع خطة لإعداد البحوث والدراسات الشرعية التي تتعلق بأوضاع المسلمين في المجتمع الأمريكي وما يجد من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية التي تواجههم في هذا المجتمع، وبيان الحلول الفقهية المناسبة لها، والإشراف على تنفيذها.

ثانيا: الحيادية ، فهذا المجمع ملك للأمة ومشترك علمي عام يلتقي عليه العاملون لدين الله تعالى في مشرق أو في مغرب بعيدا عن التكتلات الحزبية أو التجمعات التنظيمية المعاصرة.
ثالثا: الجمع بين العلم بالشرع والدراية بالواقع ، فبالإضافة إلى الفقهاء يوجد بالمجمع عدد من الخبراء لا يقل عددهم عن الفقهاء ، وهؤلاء يمكنون الفقهاء من الرؤية المستبصرة والفاحصة للواقع الذي تُطبق فيه الفتوى ؛لأن الفتوى -كما يقول أهل العلم- معرفة الواجب في الواقع ، أيضا توجد لجنة دائمة للإفتاء لمجمع تتكون من سبعة من الأعضاء من حملة الدكتوراه في الشريعة وهي مقيمة داخل الولايات المتحدة وتتولى الرد على القضايا اليومية التي ترد إلى المجمع وتصدر قرارها في ذلك بالأغلبية ، كذلك توجد لجنة لمستشاري الإفتاء تتكون من ثمانية من كبار أهل الفتوى في الأمة ترجع إليها اللجنة الدائمة عند الاقتضاء ، أيضا من أوجه التميز: وجود صلة وثيقة بين هذا المجمع وبين ما سبقه من المجامع ؛ فالأصل هو التنسيق والتكامل وليس المنافسة أو التنافر أو التضاد ، فالمجمع يقدم قوة إضافية للجهود القائمة تنسيقا بينها وجمعا لشتاتها وتجسيدا للصلة بينها وبين فقهاء الأمة عبر العالم.
وقد أخذ المجمع على عاتقه منذ اللحظة الأولى أن يجمع القائمون على الفتوى بين العلم بالشرع والدراية بالواقع لأن الفتوى -كما يقول أهل العلم- معرفة الواجب في الواقع ، ويتحقق ذلك من خلال ما سبقت الإشارة إليه من وجود عدد من الخبراء بالمجمع لا يقلون عن عدد الأعضاء وهؤلاء هم عيون المجمع التي بها يرى الواقع ويحيط من خلالهم خبرا بمختلف جوانبه . و توجد بالمجمع لجنة دائمة للإفتاء وهي مقيمة داخل الولايات المتحدة الأمريكية وتتولى الرد على القضايا اليومية التي ترد إلى المجمع وتصدر قرارا في ذلك بالأغلبية فإن أشكل عليها أمر رفعته إلى مستشاري الإفتاء وهم وإن كانوا متفرقين في بلدان عديدة ولكن ذلك يتم من خلال وسائل الاتصال الحديثة.

❖ دراسة وتحليل ما ينشر عن الإسلام والتراث الإسلامي في وسائل الإعلام، وتقويمه للانتفاع بما فيه من رأي صحيح، أو تعقب ما فيه من أخطاء بالتصحيح والرد.

❖ معاونة المؤسسات المالية بإعداد البحوث والدراسات، وابتكار صيغ التمويل وعقود الاستثمار وتقديم ما تطلبه من الفتاوى والاستشارات، وتدريب كوادرها على ذلك.

❖ إقامة دورات تدريبية لأئمة ومديري المراكز الإسلامية في مختلف المجالات الفقهية كقضايا الأسرة والقضايا المالية وقضايا التحكيم الشرعي وغيرها.

❖ دعم التعاون بين المجمع والهيئات والمجامع الفقهية الأخرى للوصول إلى ما يشبه الإجماع الكوني على الملزم من قضايا الأمة وثوابتها.

❖ معالجة قضية المواطنة، وما تفرضه من حقوق وواجبات على المسلمين الذين يتمتعون بحق المواطنة في الغرب.

❖ دعم أنشطة لجان التحكيم الشرعية التي تقيمها الجاليات الإسلامية في البلاد الغربية، ومراجعة ما ترفعه إليه من قرارات وتوصيات، وإعداد تقنين ميسر للأحكام الفقهية في أبواب الأسرة والمعاملات المالية يكون مرجعاً لجهات التحكيم الناشئة في الغرب.

❖ إنشاء صندوق المجمع للزكاة والتكافل الاجتماعي في حدود ما تسمح به القوانين والنظم، والحصول على موافقة الجهات المختصة على ذلك.

التخصص والحيادية

ولعل هذا المجمع يعد من المؤسسات الإسلامية المتميزة لوجوه عدة:

- التخصص، فكل أعضائه من حملة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية
- الحيادية، فهذا المجمع ملك للأمة، ومشترك علمي عام يلتقي عليه العاملون لدين الله في المشرق أو في المغرب، بعيداً عن التكتلات الحزبية أو التجمعات التنظيمية المعاصرة.
- الجمع بين العلم بالشرع والدراية بالواقع، فبالإضافة إلى الفقهاء يوجد بالمجمع عدد من الخبراء لا يقل عددهم عن الفقهاء. وهؤلاء يمكّنون الفقهاء من الرؤية المستبصرة والفاحصة للواقع الذي تطبق فيه الفتوى، لأن الفتوى كما يقول أهل العلم: معرفة الواجب في الواقع. إن المجامع الفقهية في العالم تدرس قضايا طبية كزرع الأعضاء، والتلقيح الصناعي، والاستنساخ البشري ونحوه، ولم يقل أحد إنه لا بد أن يكون الفقيه طبيباً حتى يتسنى له الإفتاء في هذه القضايا، وإنما يكفي التعرّف على تفاصيل هذه القضايا من خلال من ينتسبون إلى هذه المجامع من الخبراء، وإن كانوا لا يشاركون في التصويت عند اتخاذ القرار الفقهي.
- وهؤلاء الخبراء منهم من يحملون الخبرة الفنية كالاقتصاديين والقانونيين والسياسيين والإعلاميين، ومنهم من يحملون الخبرة العلمية الميدانية كأئمة ومديري المراكز الإسلامية، أو من يعملون في المؤسسات الإسلامية المالية أو الإعلامية ونحوها.
- وجود لجنة دائمة للإفتاء بالمجمع تتكوّن من سبعة من الأعضاء من حملة الدكتوراه في الشريعة وهي مقيمة داخل الولايات المتحدة، وتتولى الرد على القضايا اليومية التي ترد إلى المجمع وتصدر قرارها في ذلك بالأغلبية.
- وجود لجنة لمستشاري الإفتاء تتكون من ثمانية من كبار أهل الفتوى في الأمة ترجع إليها اللجنة الدائمة عند الاقتضاء مستخدمة في ذلك أحدث تقنيات الاتصالات العالمية بما في ذلك البريد الإلكتروني وموقع المجمع على الإنترنت الذي يجعل التواصل مع من هو في طوكيو يتحقق بنفس السرعة التي يتم فيها مع من هو في واشنطن مثلاً.
- وجود صلة وثيقة بين هذا المجمع وبين ما سبقه من المجامع، فالأصل هو التنسيق والتكامل وليس المنافسة والتنافر أو التضاد، ولهذا فإن عضوية هذا المجمع مبذولة لمن شاء من أعضاء المجامع الأخرى ممن تنطبق عليه شروط العضوية كما فصلها النظام الأساسي للمجمع، فالمجمع يقدم قوة إضافية للجهود القائمة تنسيقاً بينها، وجمعاً لشتاتها، ومد جسور الصلة بينها وبين فقهاء الأمة في جميع أرجاء العالم.

الهيئة الرئاسية للمجمع

تضم الهيئة الرئاسية للمجمع:

- أ. د. حسين حامد حسان رئيس المجمع.
- أ. د. علي السالوس نائب أول لرئيس المجمع.
- أ. د. وهبة الزحيلي نائب ثاني لرئيس المجمع.
- أ. د. صلاح الصاوي الأمين العام للمجمع.

أما بالنسبة للجنة الدائمة للإفتاء بالمجمع فقد أسفر الاجتماع التأسيسي للمجمع عن تكوين لجنة دائمة للإفتاء لتلبية الحاجة اليومية إلى الفتوى، وهي لا تقل عن خمسة أعضاء، ويكون صدور الفتوى فيها بالأغلبية. وتتكوّن من:

- الدكتور صلاح الصاوي أستاذ الفقه بجامعات الأزهر وأم القرى ومعهد العلوم الإسلامية والعربية بواشنطن سابقاً ونائب رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة.
- الدكتور إبراهيم الكليب أستاذ علوم الحديث بمعهد العلوم الإسلامية والعربية بفرجينيا.
- الدكتور الحسين شواط أستاذ علوم الحديث بالجامعة الأمريكية المفتوحة بفرجينيا.
- الدكتور يوسف الشبيلي أستاذ الفقه بمعهد العلوم الإسلامية والعربية بفرجينيا.
- الدكتور فؤاد الغنيم رئيس قسم الدراسات الإسلامية بمعهد العلوم الإسلامية والعربية بفرجينيا.
- الدكتور خالد بلانكنشيب رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة تمبل / فيلادلفيا.
- الدكتور أحمد شليبك أستاذ الفقه الإسلامي بالجامعة الأمريكية المفتوحة بفرجينيا وإمام وخطيب مسجد الجنة بكولومبس/ جورجيا.
- الدكتور أحمد صهيب حسن سكرتير مجلس الشريعة الإسلامية ورئيس جمعية القرآن الكريم ببريطانيا.

مستشارو اللجنة الدائمة للإفتاء

- الأستاذ الدكتور حسين حامد حسان رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد ورئيس هيئة الرقابة الشرعية بأربعة بنوك إسلامية.
- الأستاذ الدكتور علي أحمد السالوس أستاذ الفقه والأصول

د. وهبة الزحيلي



وسائل الإعلام لا تؤازر المجامع

س: إلى أي مدى وصل مجمع الفقه الإسلامي في معالجة القضايا المعاصرة والحساسة؟ وإلى أي مدى استطاع هذا المجمع أن يتّجه اتجاهاً اجتهادياً لإرساء قواعد فقهية جديدة ومتجدِّدة فيما يتعلق بالقضايا الفقهية المعاصرة.

ج: مجمع الفقه الإسلامي الدولي الذي شاركت في وضع نظامه في بداية السبعينيات من القرن الماضي، وكنا حريصين كلّ الحرص على قرار مؤتمر القمة الإسلامي الذي انعقد في مكة المكرّمة بضرورة إنشاء هذا المجمع وقد أُنشئ هذا المجمع ولقي ترحاباً كبيراً على المستويين العربي والإسلامي. هذا المجمع في حقيقة أمره مجمع متخصص في القضايا الفقهية، واستطاع على مدى الدورات التي تمّت أن يسهم إسهاماً طيباً عن طريق الاجتهاد الجماعي والمناقشات البنّاءة - كما لاحظتم - وتقديم البحوث الشاملة والفياضة والمتعدّدة الأنواع. وإذا كان الموضوع يتعلق باختصاص بعض العلماء الآخرين كانوا يدعون إلى هذه اللقاءات مثل الفلكيين والأطباء والاقتصاديين، وتعقد بالإضافة إلى الدورات الرسمية ندوات متخصّصة لإنضاج الفكر الفقهي الإسلامي، واستطاع هذا المجمع من خلال هذا الاجتهاد المعاصر أن يغطي مساحة كبيرة من الموضوعات والتي أغلبها قضايا اقتصادية وطبية، فهو لا يرجع إلى الوراء لأن ثروتنا الفقهية موجودة في الكتب المتخصصة من مثل هذه المواضع.

وللمجمع لجان متخصصة توضع أمامها الموضوعات ومحاورها، وهو في تقديري أحسن ظاهرة معاصرة بين المجامع التي نشأت بناء على ضرورة إيجاد مجامع فقهية متخصصة فهو أمثل هذه المجامع وأكثرها دقة، ولقد غطى هذه المساحة العلمية الكبيرة، ولكن المجامع العلمية وللأسف الشديد لا يكون لها مؤازرة من أجهزة الإعلام، ولذلك أغلب

بكلية الشريعة جامعة قطر، وخبير الفقه والاقتصاد بالمجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

- الأستاذ الدكتور عبد الله المصلح أستاذ الفقه بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض وعضو هيئة الرقابة الشرعية بالبنك الأهلي التجاري بالسعودية.
- الأستاذ الدكتور أحمد علي طه ريان أستاذ ورئيس قسم الفقه المقارن والعميد الأسبق بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر ورئيس موسوعة الفقه الإسلامي بوزارة الأوقاف.
- الأستاذ الدكتور وهبة مصطفى الزحيلي أستاذ الدراسات العليا بجامعة دمشق وعضو المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي والمجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي.
- الأستاذ الدكتور محمد رأفت عثمان أستاذ الفقه المقارن، والعميد السابق لكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر.
- الأستاذ الدكتور عمر الأشقر أستاذ الفقه والعقيدة بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية.
- الحفاظ ثناء المدني أستاذ الحديث بجامعة لاهور الإسلامية ورئيس هيئة الإفتاء مركز أنصار السنّة بلاهور.
- الأستاذ الدكتور عجيل النشمي العميد الأسبق والأستاذ بكلية الشريعة جامعة الكويت.

مجمع البحوث الإسلامية بمصر..

أعرق المجامع الفقهية في العالم

❖ يضم علماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.. لتوحيد الفتوى حول القضايا المستحدثة.

❖ الشعوب والحكومات الإسلامية تأخذ برأيه.. ويحول دون الطعن في الثوابت.

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف هو أعرق وأقدم مجمع فقهي في العالم الإسلامي، وهو الجهة العلمية التشريعية والرقابية على كل مصنف إسلامي أو قانون يتم صدوره في مصر للتأكد من عدم مخالفته للشريعة الإسلامية. هذا المجمع - الذي يرأسه الإمام الأكبر شيخ الأزهر - متعدد المهام، كثير العطاء، له تأثير فعّال في جميع جوانب الحياة في مصر وخارجها سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الدعوية.

وحتى يتسنى لنا فهم دوره وأعماله يتعيّن علينا التعرّف على الأزهر الشريف نفسه، الذي يعود تاريخه إلى بداية عهد الدولة الفاطمية بمصر عندما أسس القائد «جوهر الصقلي» مدينة القاهرة في السابع عشر من شهر شعبان 358هـ، وبعد أن استولى على مدينة (الفسطاط) رأى ألا يفاجئ المصريين الذين يتبعون مذهب أهل السنّة في مساجدهم بشعائر المذهب الفاطمي الشيعي. ومن ثم عوّل على بناء مسجد يكون رمزاً لسيادة الفاطميين على مصر. فشرع في بناء الجامع الأزهر في الرابع والعشرين في جمادى الأولى عام 359هـ - 970 مسيحي. وتمّ بناؤه في التاسع من رمضان 361هـ - 972 مسيحي - وأقيمت فيه صلاة الجمعة لأول مرة في اليوم السابع من شهر رمضان في هذه السنة، وبدأ جوهر الصقلي في حذف الدعاء لخلفاء بني العباس من خطب الجمعة.

وكان الجامع الأزهر يسمى في بادئ الأمر بجامع القاهرة نسبة إلى العاصمة الجديدة التي أنشأها جوهر الصقلي. أما تسميته «الأزهر» فيظهر أنها أطلقت عليه في عصر العزيز بالله الفاطمي بعد إنشاء القصور الفاطمية التي كان يطلق عليها القصور الزاهرة. وقيل: سمي بذلك لما سيكون له من الشأن العظيم بازدهار العلوم فيه. وقيل:

أطلق عليه الأزهر نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء حيث ينسب الفاطميون أنفسهم إلى بنت رسول الله ﷺ.

نشأة مجمع البحوث الإسلامية

أما مجمع البحوث فقد أنشئ كبديل لهيئة كبار العلماء بموجب قانون تطوير الأزهر رقم 103 الذي صدر عام 1961مسيحي والذي ينص على أن المجمع هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية ويرأسه شيخ الأزهر. ويقوم بالدراسة في كل ما يتصل بهذه البحوث أو يعمل تجديد الثقافة الإسلامية، وتجريدها من الفضول والشوائب، وتجليتها في جوهرها الأصيل، والعمل على نشر الدعوة الإسلامية وتنظيم بعوث الأزهر من وإلى العالم الإسلامي.

وتستهدف رسالته الربط الفكري بين علماء المسلمين وروح العصر الذي يعيشون فيه. وكان من أصداء المؤتمرات التي عقدت بدعوة من المجمع أن أخذت الشعوب والحكومات الإسلامية بمقرراتها التي تناولت النواحي المختلفة لحياة المسلمين في عصرنا هذا.

ويعد المجمع ركيزة الفكر الأكاديمي بين علماء المسلمين، وتوحيداً لاتجاهاتهم في رحاب العقيدة الإسلامية حتى لا تخرج اجتهادات فردية قد تضرّ بروح الإسلام أو تشذ عنه، فهو صمام الأمان بالنسبة للفكر الإسلامي المعاصر، تصب فيه كل الآراء المتعلّقة بالعقيدة الإسلامية وتنبع منه آراء إسلامية لا شائبة فيها حماية للدين وصوناً لأبعاد الاجتهاد وصيانة لسلوك المسلمين.

ويضم المجمع في عضويته حوالي 45 عالماً من التخصصات كافة في مصر والعالم الإسلامي كله يقومون بالبحث والتنقيب في كل الأمور المستجدة وإصدار فتاوى بالإجماع حول كل جديد.

لجنة الفتوى

ويشرف المجمع على لجنة الفتوى ومقرها الأزهر، ولجان الفتوى المنتشرة بالمحافظات المصرية. فهذه اللجان هي الجهة التطبيقية لقرارات وفتاوى مجلس المجمع، كما تقوم بإصدار شهادات إشهار الإسلام لكل من يرغب في ذلك وعلى يد علماء لجنة الفتوى التي تتألف من كبار علماء الأزهر في جميع المذاهب وتفتح أبوابها مجاناً

القرارات التي يصدرها هذا المجمع تظل مع الأسف الشديد حبيسة الأدراج، ويتناقلها المتخصصون على نطاق ضيّق، وترسل هذه القرارات إلى الدول الإسلامية والعربية ذلك أن هذا المجمع يمثل «55» دولة عربية وإسلامية وهناك إضافة إلى ممثلي تلك البلدان خبراء يغطون ما قد يوجد من نقص في الممثلين الرسميين، وهؤلاء الخبراء لهم إسهامات بالغة الأهمية في توجيه النقاش نحو ما يحقق الخير والمصلحة للأمة الإسلامية.

صحيح أن هذا المجمع لا يتصدى بشكل مباشر للقضايا الحساسة التي تمرّ بها الأمة الإسلامية لأنه يدرك إدراكاً جازماً أن قراراته لا تؤخذ بعين الاعتبار ذلك أن أداة تفعيل ما يخص تلك الدول المختلفة يكون بأيدي الساسة، فذلك المجمع يتناول بعض القضايا كقضية فلسطين، ولكن في أغلب الأحوال يكون له دور محدد من التصدي للأمور السياسية وما يشابهها، لأن القائمين على المجمع يجدون حرجاً في التحدث في مثل هذه الموضوعات.

س: الاختلاف من سنن الحياة، والفتوى ليست ملزمة، ولكن يلاحظ أن هناك فتاوى تصدر عن مجمع محلي أو إقليمي ربما تتناقض مع فتوى من مجمع آخر، فما هو دور مجمع الفقه الإسلامي الذي يتبع منظمة المؤتمر الإسلامي في التوفيق أو التنسيق بين تلك الفتاوى خاصة وأنكم على بيّنة ودراية بما يحدث في مثل هذا الإطار خاصة تلك الفتوى التي تتعلق بالمصارف وفوائدها وغيرها من الفتاوى المتعارضة؟

ج: مما لا شك فيه أن هذا المجمع يتميز بحكمة القائمين عليه، ويتميزون أيضاً بالاعتدال والحصافة ويحرصون كل الحرص على التنسيق بينه وبين المجامع العلمية والفقهية الأخرى الموجودة في البلاد العربية والإسلامية، ولذلك ينبغي أن يكون هذا التعاون كاملاً بين المجامع ولا يكون هناك أي نوع من التصادم في القضايا الأساسية من قرارات هذه المجامع وهذا فعلاً ما نجح فيه المجمع. وقد تكون هناك بعض التعديلات أو الزيادات والإضافات إذا صدر قرار من مجمع آخر فيكون قرارنا أوسع وأشمل ويتصدر لجزئيات لم تتعرّض لها القرارات السابقة.

لجميع السائلين في كل مسائل ومناحي الحياة. ولها دور فعال في مجريات الأمور السياسية والاجتماعية في مصر. فغالباً ما تصدر عنها البيانات الفقهية في أي مسألة تخص الإسلام وتهم الرأي العام.

هيئة الرقابة

كما استحدثت إدارة البحوث والتأليف والترجمة وهي من أهم الإدارات قاطبة، فهي هيئة الرقابة على المصنفات الإسلامية حيث تقوم أولاً بمراجعة المصاحف التي تطبع في مصر أو التي تدخل إليها. ولها حق الضبطية القضائية على المصاحف في الأسواق وكذلك كتب السنّة، فلا يطبع أي مصحف بمصر إلا بعد الحصول على تصريح هذه الإدارة.

كما تقوم هذه الإدارة بفحص شرائط الكاسيت والكتب التي تضم مادة إسلامية أو مصنفاً يحمل هجوماً على الثوابت.

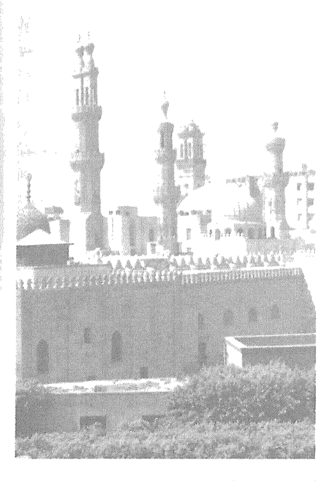
ومسايرة للوسائل الحديثة تقوم الإدارة بفحص شرائط وأقراص والأجهزة الإلكترونية التي تحتوي على مواد إسلامية.

قطاع الوعظ

ويشرف مجمع البحوث أيضاً على أكبر قطاع دعوى فعال في مصر وهو قطاع الوعظ الذي يضم ما يقرب من خمسة آلاف داعية ينتشرون في جميع ربوع مصر لنشر رسالة الأزهر حيث يلتحمون بالجمهور في المساجد والأندية والمؤسسات الاجتماعية ومختلف التجمعات العامة.

ومن أنشطة المجمع إشرافه وإنفاقه على سلسلة البحوث الإسلامية التي تصدر كتاباً مع مطلع كل شهر عربي يكون في متناول الجميع بسعر مدعم بحيث يستطيع أي فرد الحصول عليه بيسر، بالإضافة إلى مجلة الأزهر التي تضم بحوث الفكر والفقه الإسلامي.

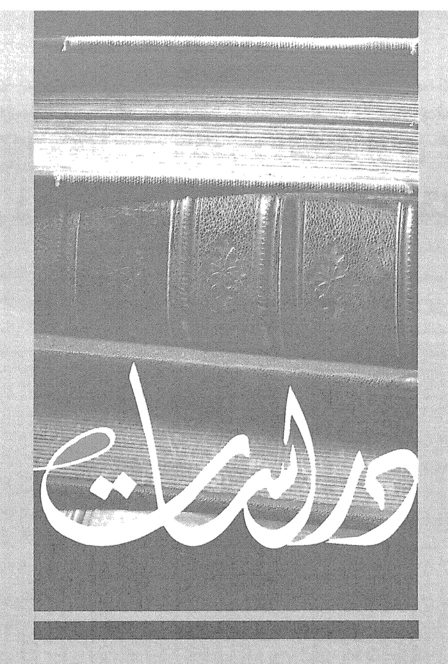
وبنص القانون فإن شيخ الأزهر هو رئيس المجمع. وبنص القانون أيضاً تمّ تعيين أمين عام له بدرجة وكيل أول وزارة. وتقلّد هذا المنصب منذ عام 61 وحتى الآن كل من: د. محمود حسب الله، د. عبد الحليم محمود، د. محمد عبد الرحمن بيصار، د. محمد حسين الذهبي، الشيخ خلف



السيد، د. عبد الجليل شلبي، د. الحسيني عبد المجيد هاشم، د. عبد الرحمن بركة، الشيخ سيد سعود، الشيخ سامي محمد متولي الشعراوي، الشيخ سيد وفا أبو عجور، وحالياً الشيخ إبراهيم الفيومي.

وقد عقد المجمع منذ إنشائه عدة مؤتمرات تصل إلى 15 مؤتمراً عاماً لجميع علماء المسلمين تناول فيها بكل حرية وحيادية كل القضايا التي تهم المسلمين، وأصدر العديد من التوصيات التي اهتدت بها الحكومات. وبالتنسيق مع الحكومة المصرية تتم مراجعة أي قانون جديد داخل أروقة المجمع حيث يتم فحصه ويعدل فيه المجمع بما يتفق والشريعة الإسلامية.. ومن أهم تلك القوانين: الأحوال الشخصية، القوانين الاقتصادية، معاملات المصارف، فضلاً عن إصدار الفتاوى والبيانات حول المعاملات الاقتصادية والجهاد والزواج العرفي والقدس واحتلال فلسطين والعراق وغيرها من القضايا الكثيرة المستحدثة.

وقد تقلد مشيخة الأزهر الشريف منذ العام 1690مسيحي وحتى العام 1996 اثنان وأربعون شيخاً، أولهم الشيخ محمد عبد الله الخراشي.



- ❖ الوقف ودوره الحضاري
- ❖ كتابة تاريخ الأمة سبيل لتحديد الهوية وللتعارف
- ❖ العربية والعولمة.. استنهاض أم استنزاف؟
- ❖ الدين وعلوم المستقبل

الوقف.. ودوره الحضاري في دعم مؤسسات التعليم والثقافة

عطية فتحي الويشي*

منذ بدايات الوحي الأولى التي أفصح فيها بكلمة «إقرأ»... والأمّة المسلمة تستشرف يوماً بعد يوم آفاقاً رحبة من مجالات التعليم والثقافية... التي تتيح للأجيال المسلمة سوانح الرقي الحضاري والفلاح في الدنيا والآخرة...!!

فلقد كان للقرآن الكريم فضلٌ كبيرٌ في تفتيح الذهنية الإسلامية على أسرار هذا الكون من خلال الدعوة اللحوحة إلى ضرورة التأمل الدؤوب الدقيق والاستقراء الواعي العميق في كتاب الكون المفتوح... بقوله عز وجل:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة الآية: 164].

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ...﴾ [سورة آل عمران الآيات: 189 ـ 191].

عند هذا الوضع يتحقق فقط الوعي والإدراك والحضور الفكري والوجداني... وتستكمل، من ثمَّ، الظاهرة الحضارية مقوّماتها وتحقيق فريضة الشهود الحضاري، وتتحقّق ميزة الشهادة على الناس...!!!

الوقف في اللُّغة، من مصدر الفعل وقف، هو: الحبس، يقال وقف فلان الشيء وقفاً، أي حبسه حبساً، وجعله في سبيل الخير موقوفاً(1). ويجمع الوقف على: أوقاف، ووقوف. **وفي اصطلاح الفقهاء:** هو حبس العين على حكم ملك الله تعالى، والتصدق بالمنفعة حالاً أو مالا»(2). وللفقهاء بشأن الوقف تعاريف متعدِّدة وتصاريف متشعِّبة.. تبعاً لمراد كل منهم ودلالة المصطلح لديه.. ويمكننا على أي حال، أن نجمل هذه التعاريف للوقف بأنه: حبس العين التي يمكن الانتفاع بها من بقاء أصلها، عن جميع

* كاتب وباحث / مصر

التصرفات الناقلة لملكيتها وتسبيل منفعتها لجهة من جهات الخير ابتداء وانتهاء.

وينقسم الوقف تبعاً لأغراضه إلى أنواع ثلاثة:

أ ـ الوقف الخيري:

وهو ما رصده الواقف لوجه لا ينقطع من وجوه البر، سواء كان على أشخاص معينين، كالفقراء والمساكين، والمسنين، وذوي الحاجات الخاصة.. أم كان على صعيد بر عام، كالمساجد، والمستشفيات والمدارس، ومعاهد العلوم الشرعية، وتدعيم مؤسسات الدعوة إلى الدين الخالص، وإعداد العدّة لمواجهة الأخطار المحدقة بالأمّة، وغيرها من المرافق والمصالح ذات النفع العام.

(ب) الوقف الذُّرّي أو الأهلي:

وهو ما كان ريعه مصروفاً على الواقف نفسه أولاً، ثم على أولاده وذريّته والأقربين من بعده... وهكذا إلى حين انقراضهم كلهم، أو حتى جيل معيّن... ثم يؤول في الأخير إلى جهة خيرية عامة للمسلمين...!!

(ج) الوقف المشترك:

وهو الحبس الذي أحبس على الذرّية وعلى جهة من جهات البر في وقت واحد، بمعنى أن الواقف قد جمعها في وقفه، فجعل لذريّته نصيباً من العين الموقوفة، وللبر نصيباً محدداً أو مطلقاً في الباقي أو بالعكس. وهذا سائغ لا يتنافى مع مشروعية الوقف، إذ يتحقق الخير ولو بقدر محدود حالاً. ولا تثريب في ذلك على الواقف، يقول الله تعالى:

﴿..مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ..﴾

[سورة التوبة الآية: 91].

وغالباً ما تؤول الحال بالوقف المشترك بمرور الزمن إلى النوع الخيري.

ولقد لَعِب الوقف دوراً حضارياً متميِّزاً في تغطية جانب كبير من متطلبات الحياة الاجتماعية، وفي سَدِّ الثغرات الاقتصادية لفئات عدة من أفراد المجتمع، كما أنه يعمل على دفع وتنمية المسيرة الاقتصادية، ويحقق المتطلبات الدينية التي تساعد على استمرارية الفكرة الإسلامية في مجتمع مترابط ومتعاطف ومتعاون يعمل على إنجاح مسيرة الأمّة الإسلامية في كل مناحي الحياة بلا معوقات أو مشاكل تفت في عضد المجتمع وتأكل في بنيان الأمة بسبب الحقد أو البغضاء التي تتولد في نفوس بعض المحرومين إذا لم يجدوا من يسد حاجاتهم بغير مَنٍّ ولا أذى، فالوقف على هؤلاء المحرومين من الفقراء والمساكين وأبناء السبيل يغلّ في نفوسهم الشرور، ويبعث في قلوبهم المودة، ويدفع سواعدهم إلى المشاركة في بناء المجتمع المسلم الذي يضن عليهم بالرعاية من صرخة الوضع إلى أنّه النزع بلا طلب أو استجداء، وإنما يقدم لهم عوائد الأوقاف الموقوفة عليهم لتحقيق الحياة الكريمة لهم بلا أدنى تمييز من باب التعاون على البرّ والتقوى.

ولقد أدّى الوقف على امتداد العصور الإسلامية دوراً متميزاً في خدمة الدين والمجتمع والعلم، واستطاع الفقهاء من خلال الأوقاف أن يقوموا بوضع قواعد موضوعية تتفق مع محددات الوقوف بأنواعها، فكان الوقف بمثابة تنظيم وتوجيه للبر والإحسان إزاء المجالات الحيوية في أرجاء المجتمع الإسلامي...!!

الوقف ومؤسسة التعليم الأولى:

ولقد كان للأوقاف سهم وافر ودور باكر في وضع اللبنات الأولى لمؤسسات التعليم والثقافة في المجتمع الإسلامي... «فأول وقف في الإسلام: هو المسجد، الذي بناه الرسول (ﷺ) عند دخوله المدينة، حيث بدأ فيه المسلمون تعلُّم القرآن الكريم، وتعلُّم القراءة والكتابة، كما ألحق بالمسجد وأسَّس هنالك إلى جانبها كتاتيب تشبه المدارس الابتدائية في العصر الحالي، لتعليم القراءة والكتابة واللغة العربية والعلوم الرياضية...»[1] فلقد بدأ التدريس أول الأمر في

المساجد والجوامع، وانتقل إلى بيوت المدرسين الخاصة، ليصل في نهاية المطاف إلى تخصيص دور العلم المُعَدَّة لهذا الغرض، يؤسِّسها الولاة والخلفاء ويطلقون عليها اسم بيوت الحكمة وخزائن الحكمة...!

وقد كان القرن الثاني الهجري باكورة نشاط الحركة العلمية، حيث كان القرن الأول عصر الفتوح والتوسع... حتى إذا استقر الأمر ودخلت في الإسلام أمم متفاوتة ومختلفة ظهرت حركة البحث العلمي ومراكز التربية في الحجاز والعراق والشام ومصر والمغرب... وربما كان أول دار للعلم عرفها المسلمون هي بيت الحكمة الذي أسَّسه العباسيون في بغداد، حيث أنشئ أول الأمر في عهد المنصور 135 ـ 158هـ، وازدهر ونما بصورة كبيرة في عهد المأمون، حتى كان من أعظم مدارس العلم آنذاك.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن المؤسسة الوقفية كان لها دور كبير في إنشاء المعاهد العلمية في بلاد المسلمين، فلم تخلُ مدرسة من تلك المدارس ولا معهد من المعاهد ولا مكتبة علمية إلا وكان لها وقف خاص يتم الإنفاق عليها من ريعه وعوائده...!

الوقف كان بمثابة تنظيم وتوجيه لأعمال البر والاحسان

ولقد أسهم الوقف في إرساء دعائم ثقافية متنوّعة في المجتمعات الإسلامية على مدى قرون طويلة من تاريخنا الإسلامي الطويل، ومن بين تلك الدعائم العلمية والثقافية:

- ❖ تشييد المساجد العامرة للعبادة وطلب العلم.
- ❖ تشييد المدارس والكتاتيب وتعيين المدرسين فيها والإنفاق على طلبة العلم.
- ❖ الإتفادة من المساجد في تطوير حلقات التعليم والتنوير.
- ❖ العناية بالمكتبات العلمية العامة والمتخصِّصة.

وقد شاركت في تمويل هذه المؤسسات الوقفية ودعمها طبقات مختلفة في المجتمع من علماء وأمراء وحكام وعامة الناس وخاصتهم، حيث كان هناك تسابق كبير بين وجهاء الأمة لإنشاء المدارس الوقفية التي انتشرت في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي المترامية...!!

ولقد لعبت المساجد دوراً كبيراً وتربوياً هاماً... حيث كانت على مرِّ العصور الأولى: مجالاً خصيباً لممارسة كل الأنشطة الفكرية والثقافية والتعليمية... فكان من وظائفها الصلاة والعبادة والتربية والثقافة وكانت تستخدم كمعاهد لتعليم الناشئة أصول الدين واللغة والأدب بمختلف فنونه...!

وكان التعليم في المساجد يتبع فيه الأسلوب القصصي الممتزج بالعلوم والحكمة والموعظة. ومن أشهر المساجد المعروفة إضافة للمسجد النبوي الشريف في المدينة مسجد الكوفة ومسجد البصرة الذي كان يضم حلقات الشعر والأدب والجدل؛ ومسجد دمشق والذي يعرف الآن بالمسجد الأموي وجامع عمرو بن العاص في مصر؛ ومسجد القيروان لعقبة بن نافع في تونس، وجامع الزيتونة في تونس؛ وجامع القرويين في فاس؛ وجامع قرطبة في الأندلس: والجامع الكبير في صنعاء؛ والجامع الأزهر الذي بناه الفاطميون في مصر وكان قبلة لكل طلاب العلم من مشرق العالم الإسلامي ومغربه... وكان يدعو للمذهب الخاص بالفاطميين وكانت تدرس فيه العلوم العقلية والنقلية بما فيها من فلسفة ومنطق وطب ورياضيات.

وكانت الكتاتيب أحد مراكز التعليم عند العرب ويقال إنه عرف في بلاد العرب قبل الإسلام على نطاق ضيِّق وقد يطلق على الكتاب أيضاً اسم مكتب، وكان الكتاب عبارة عن كتاب مستقل أو غرفة أو حجرة مجاورة للمسجد، وكانت الدراسة فيه عادة تمتد من يوم السبت إلى الخميس صباحاً وكان في بعض الكتاتيب فترة مسائية يدرس فيها الصبيان النحو والحساب وأيام العرب وتاريخهم وكان يوم الخميس يخصص عادة للمراجعة.

ويُقال: إن عمر (رضي الله عنه) لمَّا شجَّع الكتاتيب لتحفيظ القرآن ومدارسته بإنشاء أول كُتَّاب بجوار الحرم النبوي كلَّف عامر الخُزاعي بتعليم الأولاد، على أن يكون ذلك بدرس بعد صلاة الصبح إلى الضحى، ودرس بعد صلاة الظهر إلى العصر، ولمَّا خرج إلى الشام وغاب شهراً خرج المسلمون على مسيرة يوم للقائه ومعهم الصبيان، فكان يوم الخميس، فتأخَّر عنهم إلى الغروب، ثم تعِبُوا يوم الجمعة ولم يحضروا إلى الكُتَّاب فلمَّا علِم عمر بذلك أجازهم هذين اليومين من كل أسبوع[2].

وكان السلاجقة هم أول من بنى المدارس في مصر، وكانت المدارس الإسلامية الأولى مبنية على الطراز المعماري للمساجد وأشهرها المدارس النظامية (نسبة إلى نظام الملك) وكانت مجانية؛ ولعل أول من بنى مدرسة في دمشق نور الدين محمود (المدارس النورية)، كما أنشأ الأيوبيون والمماليك المدارس في فلسطين ومصر والعراق، وقد كانت أول مدرسة نظامية أنشئت في القاهرة في عهد الأيوبيين هي المدرسة الناصرية.

ولم تكن تلك المدارس، التي كانت تُدار من ريع الوقف وعوائده، مجرد أبنية تُقام أو قاعات تُرتَّب، أو مجموعة من الطلاب يتلقون العلوم وحسب... وإنما كان أكثرها عبارة عن مؤسسات ومراكز علمية راقية لها أنظمتها الخاصة وتقاليدها التي تسير عليها ومواردها المالية المستقلة التي تعطيها دعماً كبيراً في أداء وتحقيق رسالتها الحضارية والثقافية...!!!

والحقيقة: أن جميع المدارس والمعاهد العلمية التي أنشئت في التاريخ الإسلامي إنما كان يُعتمد في تمويلها وإدارتها على مؤسسة الأوقاف رغم تنوّع مهام تلك المدارس، من حيث الحجم والتخصص والإمكانات، وقد كان التعليم فيها مجاناً ويشمل جميع قطاعات المجتمع، فلم يكن التعليم فيها محصوراً بفئة من أبناء الأمّة دون فئة، بل كانت فرصة التعليم فيها متوفرة لجميع طبقات المجتمع بفضل عوائد المؤسسة الوقفية، التي تديرها وتعمل على تسهيل أداء مهامها وتحقيق رسالتها في دنيا الوجود...!!

ففي مجال التعليم الأساسي، فضلاً عن المساجد التي كانت أشبه بالمدارس متعدِّدة الأغراض والتخصصات، «بلغت الكتاتيب التي تمّ تمويلها بأموال الأوقاف في مدينة واحدة من مدن صقلية (مثلاً) 300 كتاب»[1]. وذكر أبو القاسم البلخي ان مدرسة ما وراء النهر الوقفية «كانت تتسع لثلاثة آلاف طالب، وكان يلحق بهذه المدارس أطباء لمعالجة الطلاب وحمامات لاستخدامهم ومطابخ لتقديم الوجبات لهم، ومولت الأوقاف رواتب المدرسين، بل إن كل شيخ كان يأخذ بدلاً عن نفقات رعاية دابته»[4]..!!

أما في مجال التعليم العالي، فقد كان للوقف الإسلامي دور فاعل وأصيل في مجالات الفقه والطبّ والكيمياء والصيدلة واللغات والفَلَك... حيث موَّلت الأوقاف الإسلامية كلاً من ابن رافد وابن الصرافية في أبحاثهما الخاصة بإدخال السكَّر في الأدوية حتى يستسيغها المرضى، ومن كليات الطب المشهورة، التي بُنِيت بأموال الأوقاف: «كلية طب دار الشِّفاء» التي أُنشئت عام 875هـ. والتي احتوت على مستشفى تعليمي، وعلى إسكان جامعي وإعاشة للطلاب والعاملين. وكلية ومستشفى السلطانة توربانة التي بقيت حتى عام 1927 عندما ألغى كمال أتاتورك الأوقاف..!! وكذلك كلية طب المستنصرية التي كانت بها قاعات للمحاضرات وكَرَاسٍ علمية للتخصصات الدقيقة..!!

كما مَوَّلَت الأوقاف أشهر المؤلفات الطبية، منها، على سبيل المثال: كتاب «الكليات في الطب» لابن رُشد، والذي تُرْجِم وأصبح الكتاب الأساس في تدريس الطب بجامعات أوروبا؛ وكذلك كتاب «الحاوي في الطب» لأبي بكر الرازي؛ وكتاب «القانون» لابن سينا، وكتاب «تذكرة الكمالين» لطبيب العيون: علي بن عيسى، الذي وصف فيه مائة وثلاثين مرضاً من أمراض العيون.

ولقد تعدى الاهتمام بالتعليم حدود الكتاتيب

والمدارس والمعاهد والجامعات، ليشمل الإفادة من الجوامع والمساجد، حيث كان هناك توجّه لتخصيص جزء من عوائد الوقف إلى تكليف علماء المساجد بالتدريس والتثقيف.. الأمر الذي أدّى إلى احتفاظ المساجد بمكانتها كمراكز للإشعاع العلمي والثقافي، سواء من خلال الدروس والمحاضرات والمساجلات العلمية والمناظرات... أو من خلال ارتياد مكتباتها العامرة واستمرارها في رفد مراكز العلم بما يلزمها من كتب في شتى فروع العلم والمعرفة...!!

وكانت المكتبات العامة في الإسلام ذائعة ومنتشرة في العالم الإسلامي من حدود الصين والهند شرقاً إلى حدود فرنسا غرباً وشمالاً، وقلما تخلو بلدة أو قرية من مكتبة عامة، إضافة إلى مكتبات المساجد التي كانت ملحقة بها والمباحة للجميع عدا مكتبات الأفراد ومكتبات الربط والمدارس والكتاتيب والمعاهد. واشتهرت مكتبتان عامتان كان لهما أهمية كبرى في العالم الإسلامي: الأولى مكتبة سابور في بغداد في القرن الخامس الهجري، والثانية مكتبة بني عمار في طرابلس الشام في القرنين الخامس والسادس الهجريين. وكانت المكتبات تحصل على كتبها بطرق متعدِّدة أهمها: الشراء، الوقف، النسخ، الهبات والهدايا...!!

وعلى الرغم من أن المساجد والمدارس والمكتبات وغيرها مما كان - في حدٍّ ذاته - مركزاً لإشعاع الفكر الحضاري ونشر العلوم عبر الدوائر الإنسانية المتداخلة، المحلية منها والإقليمية والعالمية سواء بسواء... بيد أنها تمثلت مع مؤسسات وقفية أخرى... قيمة فنية وتُحَفاً أثرية أغنت الفكر الإنساني بثرائها الفني والمعماري والجمالي الرائع...!! بل وأضافت إليه بُعداً ثقافياً عميقاً من جهة أخرى..!!

ولما كان الأصل المعنوي للوقف «أنه عمل من أعمال التقوى، وقربة إلى الله تعالى طمعاً في نيل ثوابه ودخول جنَّته، وبما أنه جلّ شأنه جميل يحب الجمال، وطيب لا يقبل إلا طيباً؛ فقد اجتهد الواقفون على مر الزمن في أن تكون قرباتهم الوقفية - تلك المؤسسات التي أشرنا إليها - في غاية الإتقان، وآية من آيات الجمال الفني والمعماري الأثري...»!![5]

ولعل قضية التأصيل الفقهي لعمارة الوقف وترميمه وإصلاحه ورعاية مصالحة بما يكفل دوامه واستمراره مؤبداً، دون ارتباط بحياة الواقف أو موته، باعتبار ما يتأسس للوقف من شخصية معنوية وذمة مستقلة لا تنخرب... كل ذلك أسهم في إبقاء المآثر الوقفية شامخة تفيض بالغناء وتنبض بالحيوية... ولتعكس أحد أهم الجوانب الحيوية في فكر الأمة المسلمة وثقافتها عبر العصور...!! «والحاصل من ذلك هو أن «الوقف» كان إحدى آليات تكوين الثروة الفنية والأثرية ومصدراً من مصادر تراكمها عبر العصور في مختلف البقاع الإسلامية»[6].

مولت الأوقاف أشهر المؤلفات الطبية مثل كتاب (الكليات في الطب) لابن رشد و(الحاوي) للرازي و(القانون) لابن سينا

الدور التاريخي للوقف في مجال التعليم:

وإذا أردنا أن نقف على دور الوقف في رفد وتطور الحركة العلمية والثقافية على امتداد مسيرة التاريخ الإسلامي بوجه عام... فإننا سنقابل بكم كبير من تلك المعاهد والخزانات المكتبية المتخصصة في مختلف أقاليم البلاد الإسلامية... باعتبار أن هذه الأقاليم كانت تحوي أكبر المدارس والجامعات الإسلامية، كالمستنصرية والأزهر والقرويين وغيرها من بعض المدارس العلمية في الشرق الإسلامي.. والتي كان للمؤسسة الوقفية آثار واضحة على معالم

الحركة العلمية واستمرارها في بناء مسيرة الحضارة الإسلامية... إلا أننا سنحاول، بإذن الله، التركيز على أهم تلك المؤسسات العلمية والثقافية وأبرزها، والكشف عمَّا كان للوقف من دور عظيم وخطير في تنميتها وتطورها ورقيّها على مَرّ تاريخنا الإسلامي...!!!

وفي ما يلي سنعرض لدور الوقف في دعم مسيرة التعليم والثقافة الإسلامية... وذلك على محورين أساسيين، هما:

(أ) المعاهد التعليمية،

(ب) المكتبات العلمية والثقافية.

أولاً: المعاهد التعليمية

المعاهد العلمية في بغداد:

بعد أن استقر الأمر لبني العباس أخذت الحركة العلمية تزدهر وتتطور، حتى أصبحت بغداد قبلة الوافدين من أنحاء الدولة الإسلامية، فتم تأسيس دور العلم والمعرفة فيها بفضل اهتمام الخلفاء والأمراء وتشجيعهم للعلم وأهله، فساهموا في تأسيس المدارس العلمية، التي تخرّج منها عظماء المفكرين والمجتهدين الذين كانوا رواد الحركة العلمية في التاريخ الإسلامي.

وقد روى الرحالة الشهير «ابن جبير» أنه شاهد في بغداد نحو ثلاثين مدرسة كل واحدة منها في قصر وبناية كبيرة، أشهرها وأكبرها المدرسة النظامية، ولهذه المدارس أوقاف وعقارات للإنفاق عليها وعلى العلماء والدارسين فيها، حتى بلغ ما أنفقه نظام الملك نحو ستمائة ألف دينار، وكان وقف نظامية بغداد خمسة عشر ألف دينار شهرياً، وتخرج منها أكابر العلماء وأشهرهم: الشيرازي والغزالي وكمال الدين الأنباري وغيرهم.

وقد كانت تلك المدارس والمعاهد العلمية تعتمد اعتماداً كليّاً في نفقتها ومصاريفها على ريع المؤسسة الوقفية، مما ضمن لها المحافظة على استمرارها في تقديم الخدمات العلمية والثقافية فترات طويلة من الزمن دون حاجة إلى تمويل من أحد بفضل العوائد الوقفية المخصّصة لهذا الغرض. **وفي ما يلي سنحاول الوقوف على المدارس العلمية التي كانت منتشرة ببغداد والأوقاف المرصودة لها...!!**

الوقف ساهم في تكوين الثروة الفنية والأثرية عبر العصور

المدارس النظامية:

وتعد هذه المدرسة أول مدرسة تقوم على أسس منتظمة وثوابت تربوية ناضجة، وقد احتفل بافتتاحها على نطاق رسمي من قِبَل الدولة العباسية، حيث أنشئت مع مدرستين تحملان الاسم نفسه في نيسابور وطوس، وجاء اسمها نسبة إلى الوزير نظام الملك الحسن بن علي الطوسي الذي شرع في بنائها عام 457هـ، وافتتحت في عام 459هـ، وقد اعتمدت هذه المدرسة في نفقاتها على ريع الأوقاف الملحقة بها والمرصودة لها، حيث بنى حولها أسواقاً أوقفت عليها، كما اشترى نظام الملك قرىً وخانات وحمامات ووقفها عليها.

المدرسة المستنصرية:

وهذه المدرسة لا تزال قائمة في بنائها وإدارتها وقاعاتها في وسط مدينة بغداد على الضفة اليسرى من نهر دجلة، وتعتبر أول مدرسة جمعت في دراستها المذاهب الفقهية الأربعة في مكان واحد، مما يُطلق عليه اليوم مادة الفقه المقارن.

وتعد هذه المدرسة أشهر مدرسة في التاريخ الإسلامي والتي قامت بدور كبير في تاريخ التعليم في الإسلام، وقد أنشأها الخليفة العباسي المستنصر بالله، حيث ابتدأ العمل بها عام 625هـ واكتمل بناؤها عام 631 هـ، وأنفق على بنائها 700 ألف دينار ذهباً.

وكان نظام الدراسة فيها دقيقاً ومرتباً، حيث يتم اختيار المدرس وفق شروط ومؤهلات معيّنة، كالعلم والخلق وسلامة العقيدة، وهؤلاء المدرسون أشبه بأساتذة الجامعات اليوم، من حيث مهامهم وطبقاتهم العلمية ودرجاتهم الأكاديمية، وكان المدرس يجلس على كرسي من الخشب تحت قبة صغيرة من الخشب، ويجلس الى يمينه وشماله المعيدون ليعيدوا دروسه على الطلاب.

ولم يقتصر التدريس في المستنصرية على علم الفقه، بل شمل علوماً أخرى مثل النحو واللغة والحساب والمساحات وسلامة البيئة وصحة الأبدان وغير ذلك، وكان علم الطب أيضاً من العلوم التي كانت تُدرس في هذه المدرسة، وقد خُصِّص له مبنى خاص مواجه للمدرسة كان بمثابة مستشفى لعلاج المُدرِّسين والدارسين بالمدرسة سواء...!!

وكان للأوقاف الكثيرة المحبوسة على المدرسة المستنصرية أثر واضح في تقديم الخدمات الجليلة والمتقدمة لطلابها، حيث كانوا يعيشون في غرف خاصة مجهزة بالضوء والبسط وكل ما يحتاجه الطالب من الحاجات الأساسية له.

وكان في بغداد مدارس علمية أخرى أنشئت على فترات زمنية متلاحقة أهمها: المدرسة الفخرية، ومدرسة عبد القادر الجيلاني، ومدرسة ابن الجوزي، والمدرسة البشرية، ومدرسة أبي حنيفة، ومدرسة الطبقجلي، والمدرسة المرجانية، والمدرسة السليمانية، وغيرها من المدارس التي لم يزل بعضها قائماً حتى عهد قريب... ولا تزال أوقاف عدة محبوسة عليها في وسط مدينة بغداد.

وهكذا يتضح لنا أن مجمل المدارس العلمية في بغداد كانت تعتمد اعتماداً كلياً على عوائد المؤسسة الوقفية، إذ لولاها لما كانت هناك مراكز علمية أو مؤسسات تربوية، مما يؤكد دور الأوقاف في الحركة العلمية في هذا البلد الذي احتضن الخلافة الإسلامية أكثر من خمسة قرون من الزمن.

المعاهد العلمية في مصر:

ثم أخذت المعاهد العلمية الوقفية في مصر في التواجد والانتشار، منذ البدايات الأولى للقرن الثاني الهجري... وكان جامع عمرو بن العاص الذي بناه في وسط مدينة الفسطاط هو المكان الذي اختير ليكون المنطلق الأساس لإلقاء الدروس والمحاضرات والمساجلات العلمية بين مجتمعات المسلمين، حيث اتخذه التابعيون والمجتهدون مركزاً علمياً لنشر العلم والثقافة الإسلامية.

وعقدت في هذا المسجد حلقات العلم والتدريس حتى بلغت أوجها وعظمتها في القرن الرابع الهجري، إذ كان عدد حلقات التعليم فيه مائة وعشر حلقات، وكان نظام التدريس المتبع في هذا المسجد هو نظام الحلقات المعروف في تلك الفترة الزمنية، حيث يلتقي فيه العلماء والفقهاء للمناقشة والبحث، فكان بهذا أول معهد علمي إسلامي في مصر، حيث برز فيه فقهاء لامعون أمثال الليث بن سعد، والإمام الشافعي، وبعض من فقهاء المالكية وعلى رأسهم عبد الله بن الحكم.

وللوقف أثر مهم في تطور الحركة العلمية في مصر من خلال المدارس التي انتشرت في طول البلاد وعرضها...!

ومن أجل الوقوف على أهم تلك المدارس العلمية، فإننا سنتعرض للجامع الأزهر، باعتباره أهم منبر من منابر العلم في الماضي والحاضر في حياة المسلمين، ثم نتطرق إلى بعض المؤسسات التعليمية التي كانت موجودة في مصر، للاطلاع على مدى الدعم الكبير الذي حظيت به مراكز العلم، من خلال عوائد الوقف وأرباحه.

مدرسة الجامع الأزهر:

فبعد أن دخل جوهر الصقلي قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر دخل الإسكندرية وزحف بعدها إلى الفسطاط حاضرة مصر الأولى، حيث اهتم جوهر الصقلي بتعمير المدن وبناء المدارس، فأسّس

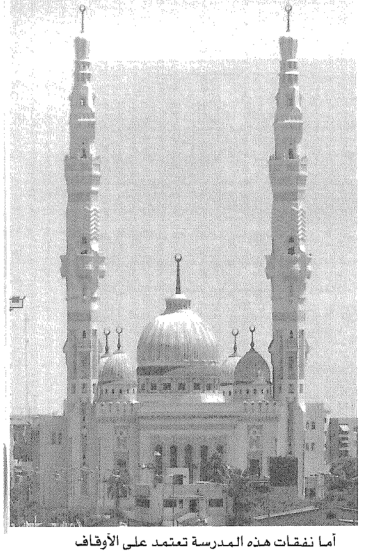
مدينة القاهرة وشيّد قصوره في وسطها والجامع الأزهر بجوارها، وقد نسبه إلى فاطمة الزهراء، وأقام حوله مساكن للطلبة وأجرى عليهم الأرزاق تشجيعاً للدراسة والبحث، ولم يفرق بين جنس وآخر ليؤدي المسجد رسالته في نشر علوم الدين ومعارفه.

أما التدريس والتعليم في هذا الجامع: فقد كان أول درس ألقي في الجامع الأزهر كان في شهر صفر سنة 365هـ وكان في الفقه والشريعة وألقاه علي بن النعمان القاضي، حيث أملاه عن أبيه، وأسماه بعد ذلك «بالمختصر» في فقه الإمام علي كرَّم الله وجهه.!

وفي سنة 378هـ اختارت دار الخلافة خمسة وثلاثين عالماً من الطبقة الأولى في المعارف الإسلامية، وجعلتهم مدرّسين في الأزهر، وأوقفت على مرتباتهم الأوقاف.. وأنشئت مساكن لهم حول الجامع، الأمر الذي أدّى إلى زيادة حلقات العلم فيه، حتى أصبح عدد الفقهاء فيه لا يُحصى لكثرتهم.

وما كاد أن يأفل نجم الأزهر نسبياً في عصر الدولة الأيوبية.. حتى عادت زهوته مع المماليك الجراكسة، وبنى الأمير الخازندار مقصورة كبيرة للدرس كانت إيذاناً بالتوسّع في رسالة الأزهر العلمية التي استمرت... وتوالت توسيعات الأزهر.. وتجديد المنارات.. وإلحاق المدارس المختلفة به: كالمدرسة الطيبرسية نسبة للأمير علاء الدين طيبرس الخازنداري نقيب الجيش في دولة الناصر قلاوون، والمدرسة الأقبغاوية وأنشأها الأمير علاء الدين أقبغا، والمدرسة الجوهرية نسبة للأمير جوهر القنقبائي خازندار الأشرف برسباي... ولعل من أكبر ما لحق بالأزهر من تجديدات ما تمّ على يد الأمير محمد علي وعثمان كتغدا وعبد الرحمن كتغدا!!

وممن تخرَّج في هذه المدرسة العريقة عباقرة العلماء أمثال: القلقشندي والمقريزي والبلقيني والسيوطي، الذين انتشرت العلوم على أيديهم، وأصبح الأزهر مصدراً للعلم والثقافة ومرجعاً علمياً يفد إليه الطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامي.



أما نفقات هذه المدرسة تعتمد على الأوقاف المحبوسة عليها من الولاة وأهل الخير، حيث كان الطلاب الذين يتلقون العلم فيها مقسمين إلى طوائف عدّة، ولكل طائفة جهة يقيمون بها وتُصرف عليهم المرتبات والمكافآت، ولكل طائفة نقيب وشيخ يرعاهم ويدافع عن حقوقهم، وهناك شيخ للجميع، ولكل مجموعة من هذه المجاميع أوقاف وعقارات يتم الصرف عليهم من ريعها، هذا غير الأوقاف العامة التي كانت موقوفة على الأزهر كله.

فقد أصبح الأزهر قبلة الدارسين في البلاد العربية يفد إليه طلاب العلم من الهند والصين وبلاد الترك ووسط افريقيا، حيث ظل الأزهر يغذي الحركة الفكرية وينشر الثقافة العربية والإسلامية على مرّ العصور بفضل عوائد الوقف التي كانت تدعم نشاطه، حتى أصبح مصدر إشعاع في العلم والدين والأدب ومركز الثقل الحضاري في كل العصور.

المدارس الأخرى في مصر:

وذكر المؤرخون أن إلى جانب الأزهر والأوقاف المرصودة له كانت هناك مدارس ومراكز للعلم والمعرفة لا تقل أهمية عن الأزهر وقتئذ، وكانت لها أوقاف خاصة بها يصرف من ريعها على تلك المدارس والتي أهمها: المدرسة الفاضلية، والمدرسة الظاهرية، والمدرسة الناصرية، ومدرسة ابن قاضي العسكر، والمدرسة الحجازية، والمدرسة الضرغتمشية، والمدرسة المحمودية، ومدرسة الأشرف شعبان، والمدرسة الحافظية... وفضلاً عن هذا كلّه، فقد كانت في مصر مدارس أخرى متعدِّدة، كالمدرسة الشريفية والصلاحية والسيونية والقطبية، وكان لكل مدرسة منها أوقاف خاصة بها يُصرف من عوائدها على الأساتذة والطلاب الموجودين فيها ولها غلات وقفية كثيرة، كما نَصَّت على ذلك الوثائق الوقفية المتعدِّدة[7]، وهو مما يشير إلى تطور ونشاط الحركة العلمية في مصر وإلى دور المؤسسة الوقفية في دعم هذه المدارس، وإمدادها بعوامل النشاط والاستمرار في دورها الحضاري... الأمر الذي يجعلنا نجزم بأنه لولا الأوقاف وعوائدها لما حظي المجتمع الإسلامي بهذا العدد الكبير من مراكز العلم ومؤسسات الثقافة والمعرفة...!!

المعاهد العلمية في بلاد المغرب:

اعتمد المسلمون في فتوحهم على تثقيف البلاد المفتوحة وبث أصول العلم والمعرفة بين أبنائها، حيث كان جيش الفتح الإسلامي يصطحب معه الخطباء والشعراء والعلماء والمفكرون، لأنهم كانوا في فتوحهم دعاة حضارة وبناة أمم، وكان هذا بارزاً في قيامهم أول الأمر ببناء الجوامع التي كانت منطلقاً أساسياً لدور العلم ومراكز المعرفة في ما بعد.

وعلى هذا الأساس بُني جامع الأنصار بموقع القيروان عام 31هـ، وأسّست حلقات العلم والثقافة فكان أوّل معهد يرعى التعليم في بلاد المغرب من أجل نشر الإسلام وتثقيف أبناء البلاد المفتوحة، وأبناء الأسر العربية النازحة مع الفتح الإسلامي الجديد.

وفي عام 51هـ: أسس عقبة بن نافع القيروان، وبنى فيها مسجده الكبير (المسجد الجامع)، وجعله مقرّاً للعلم ومدرسة للمعرفة وثكنة للجيش، حتى أصبح هذا المسجد مركزاً أساسياً لعامة ديار المغرب والأندلس من بعدها إلى أن انتقل التعليم إلى جامع الزيتونة.

وهكذا أنشئت في غرب العالم الإسلام عدة مدارس أخرى كمدرسة «قرطبة» و«إشبيليه» و«طليطلة» و«غرناطة»، وبلغ عدد المدارس في «غرناطة» لوحدها سبع عشرة مدرسة كبرى، وبلغت مدرسة «فاس» درجة عالية من حيث المستوى العلمي والشهرة في تلك الفترة.

وكان الخلفاء والولاة يهتمون بالحركة العلمية ويرعون العلماء ويشجعونهم ويوفرون لهم كل الإمكانات التي تيسّر مهمّتهم، وكان الخليفة المستنصر من أكثر الخلفاء اهتماماً بهذا الجانب، حيث عمل على نشر العلم بين طبقات الشعب.. إذ اتبع في كل مسجد أو جامع مدرسة علمية، فكان في كل حي من الأحياء مدرسة خاصة كان يدفع نفقاتها وأجور التدريس فيها.

وكانت الرحلات العلمية بين الأندلس والمغرب من جهة، و«القيروان» و«الفسطاط» و«بغداد» و«المدينة» من جهة أخرى، من أبرز سمات هذه الرُّبُط التي وثقت أواصر التعليم والثقافة بين أبناء الأمّة الواحدة.

فبعد أن فتحت تونس على يد القائد حسان بن النعمان عام 79هـ في العهد الأموي: أقام دار إمارته فيها، وأسّس حوله مسجداً ليضم المسلمين في أداء الصلاة، وليكون مدرسة يتعلّمون فيها ثقافة الإسلام وفكره، الأمر الذي جعل «تونس» ومسجدها قاعدة للانطلاق إلى بحر الروم وفتح ما تبقى في شمالي افريقيا ومركزاً للجهاد والدعوة إلى نصرة المسلمين ووحدتهم.

وقد جُدِّد هذا المسجد عام 114هـ، ليصبح معهداً

علمياً يتلقى فيه طلاب العلم تفسير القرآن الكريم وأحاديث النبي (ﷺ) على يد كبار التابعين والمجتهدين ممن نذروا أنفسهم لتعليم الناس أصول الشريعة وأحكامها، وقد أضيفت إلى هذه المدرسة العلمية مكتبة ضخمة نقل إليها الواقفون أنفس المصاحف وكتب التفسير والحديث، لتكون مرجعاً لطلاب العلم الشرعي وأصول اللغة العربية...!!

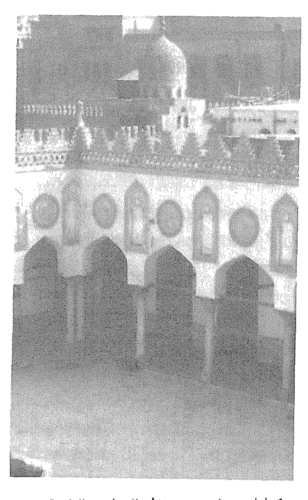
وكان التعليم في جامع الزيتونة شاملاً لجميع فنون المعرفة الدينية والأدبية والفلسفية وعلوم الطب والفلك والحساب وغيرها اعتماداً على شروط الواقفين، الذين يحبسون أوقافهم على مختلف فنون المعرفة أو على فن خاص منها... ولقد تخرّج في مدرسة جامع الزيتونة علماء أفاضل كان لهم أثر كبير في رفد الحركة الفكرية الإسلامية وتطورها أمثال عبد الرحمن بن خلدون صاحب «المقدمة».

مدرسة جامع القرويين:

بعد أن أسَّس الأدارسة دولة المغرب، وجعلوا مدينة فاس عاصمة لها، أنشأت فاطمة أم البنين القيروانية جامع القرويين، الذي ما لبث أن أصبح جامعة تدرس فيها علوم الطب والهندسة والفلك والميقات، ثم نقل علوم الفقه إليه إسماعيل بن دارس، فاستقل بذلك عن جامع القيروان.

وفي عهد الدولة السعدية، أنشأ أحمد المنصوري مكتبة في هذا الجامع، سُمِّيت بالخزانة الأحمدية أو السعدية، وتتابعت الوقوف الخيرية على طلبة العلم في هذا الجامع من وجهاء الدولة ووزرائها وعلمائها من غلات وأموال وكتب، مما كان له اثر واضح في مسيرة مدرسة القرويين ونتاجها العلمي.

إضافة لكل ما تقدم فقد أنشئت في المغرب مدارس أخرى متعدِّدة في عهد المرابطين والموحدين كمدارس سبته وطنجة وتلمسان ومراكش، وفي الأندلس مدارس «قرطبة» و«إشبيلية» و«طرطوشة» و«مالقة» وغيرها...!!



كما اهتم بنو مرين ببناء المدارس العلمية ومن أشهرها في مدينة فاس مدرسة الصفارين ومدرسة الصهريج ومدرسة العطارين ومدرسة بوعنانية، وكان لكل واحدة من هذه المدارس غلات وقفية تراعاها وتدير شؤونها وينفق منها على الطلاب والأساتذة فيها.

مدارس الشرق الإسلامي:

وفي الوقت الذي اهتم فيه الأمراء والولاة بإنشاء المدارس العلمية في بغداد ومصر وبلاد المغرب والأندلس، كان هناك اهتمام واسع آخر لنشر الحركة العلمية في بلاد الشرق الإسلامي.

وقد أنشئت المدارس في أول أمرها على نفقة المدرسين أنفسهم، ففي «نيسابور» أسَّس ابن فورك مدرسة على نفقته، وفي «مَرْو» شيّد أبو حاتم البستي مدرسة تشمل غرفاً لإيواء الطلاب ومكتبة علمية ملحقة بها[8].

ثم ظهرت بعد ذلك مدارس أخرى، مثل: المدرسة البيهقية، المدرسة الاستراباذية، والمدرسة السعيدية، والمدرسة النظامية، ومدرسة أصفهان، ومدرسة شرف الملك، وغير ذلك من المدارس التي كانت ملحقة بالمساجد والجوامع وينفق عليها من أوقافها وعوائدها.

خزانات الكتب الوقفية (المكتبات العامة):

إن المكتبات العامة هي المقياس الحقيقي لرقي الشعوب وإن كثرتها وتوزّعها وسهولة ارتيادها لا تدل على ثقافة الشعب وحسب، بل على رصيده الحضاري والفكري والتربوي... ولذلك اعتبرت المكتبة مركزاً للتربية وكانت هيئة مهمة من أقسام المؤسسات التربوية التعليمية التي ظهرت لاحقاً كالمدارس والكتاتيب والجامعات. كما لم تكن المكتبة مكاناً لتعلم الفرائض والواجبات الدينية وتلقي العلوم الأخرى فحسب بل كانت إلى جانب هذا مركزاً للبحث والدرس والتأليف. كما اعتبرت المكتبة مركزاً اجتماعياً، ومنتدى يجتمع فيه أهل البلدة أو الحي. قامت المكتبة في الإسلام من أجل غاية دينية هي تعليم الناس أمور دينهم وتفقيههم وتثقيفهم ثقافة دينية، وأنشئت المكتبات من أجل هذا في المساجد والجوامع ولذلك ظهرت أقدم المكتبات في المساجد.

ولقد ظهرت المكتبات في الإسلام وتطورت نتيجة انتشار العلم والمعرفة في العالم الإسلامي... فالمكتبات انبثقت من المجتمع الذي وجدت فيه نتيجة تطوّره وحاجته إليها وهي في الوقت نفسه ساعدت على تطور هذا المجتمع ودفعه في طريق الرقي. كانت النهضة العلمية التي بدأها الإسلام هي السبب الأعظم في اهتمام المسلمين بالكتب والمكتبات، واحترم أوائل المسلمين الكتب لأنها أوعية المعرفة.

وقد جرت العادة أوَّل الأمر في الإسلام أن يودع الناس في المساجد عدداً من نسخ القرآن الكريم وغيره من الكتب الدينية والنافعة كوقف الفائدة للمطالعين والمصلين. ومن الواضح أن مكتبة المسجد ظهرت منذ اتخذ المسلمون المسجد مكاناً للدراسة وجعل للمسجد خزانة للكتب وحملت إليها كتب كثيرة.. وكان لغالبية هذه الخزائن ولا سيما الكبيرة منها مشرفون على شؤونها وهم في الغالب من العلماء المشهود لهم بالفضل والصلاح. وكانت تعقد الحلقات في المساجد للدراسة والمناظرة كما كان يحدث في جامع بني أمية في دمشق وفي جوامع مكة والمدينة وفي الجامع الأزهر وفي جامع المنصور في «بغداد» وفي جوامع «قرطبة» و«طليطلة».

ولقد انطلقت عملية إنشاء المكتبات، ووقفها لله تعالى على طلبة العلم، على أساس حب المسلمين للعلم وأهله، وحث الإسلام عليه، كان وراء قول الفقهاء بمشروعية وقف المنقول كالكتب وأثاث المسجد، واعتبر ذلك من باب الاستحسان، ومن هنا نشأ وقف الكتب، واستمر المسلمون من أهل الخير والفضل يوقفون الكتب، نفعاً للمتخصصين، وحبّاً للثواب، وأملاً بنيل رضا الله تعالى ورحمته...!!

وفي القرن الثاني الهجري برزت مؤسسة علمية رائدة هي بيت الحكمة، حيث كان من أبرز ما احتوت عليه مكتبة، حظيت بعناية بني العباس وأبرزها المأمون الذي كان أكثرهم اهتماماً ورعاية لها، ودعماً لتنميتها، وهكذا سهّل خلفاء بني العباس للناس سبل الدرس والبحث والاطلاع في بيت الحكمة الذي أُنشئ خصّيصاً لنشر العلوم والمعارف..!

ومما يُلاحَظ في سياق هذه الأنشطة الثقافية: أنه، وإن لم يذكر فيه إشارة إلى الوقف، إلا أنه يقترب من أهداف الذين أسهموا في وقف الكتب والمكتبات بشكل صريح في المرحلة التاريخية التالية لبيت الحكمة.

وقد تنوّع الوقف بعد ذلك فشمل كتباً ومكتبات خاصة وعامة، فمن الواقفين من يجعل كتبه عامة على المسلمين دون تعيين موضع محدد، حيث تجعل في خزانة المسجد أو الجامع.. ومنهم من يخصص وقفه فيقول: «أوقفتها على المكان الفلاني أو البلدة

المحدّدة، فتجعل في مكانها أو بلدتها المعينة..»، ومنهم من يوقف مكتبته أو كتبه على أهل العلم خاصة.. ومنهم من يترك استعمالها حرّاً لكل شخص.. ومنهم من يضع شروطاً وضوابط لوقفه، فلا يمكن تجاوزها...!

وهكذا انتشرت خزائن الكتب الوقفية في أرجاء العالم الإسلامي، لدرجة أننا لا نجد مدينة إسلامية تخلو من مكتبة أو مجموعة كتب موقوفة تعين أهل العلم على التزود بالمعرفة وتوفر لهم فرصة مواكبة الأفكار والآراء الجديدة والاطلاع عليها.

وكانت هذه المكتبات والخزانات الوقفية وراء حركة الازدهار الثقافي والعلمي التي شهدها العالم الإسلامي على مدى تاريخه الطويل، فقد اعتمد على هذه الخزانات الوقفية العامة علماء أفاضل في تأليف مصنفاتهم العلمية. فقد أشار ياقوت الحموي إلى ذلك عندما أكد أنه استفاد من المراجع العلمية التي كانت موجودة في الخزائن الوقفية في «مرو» عندما صنّف كتابه «معجم البلدان»، حيث قال: وأكثر فوائد هذا الكتاب وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن...!

وسنحاول هنا التعرف إلى أهم خزائن الكتب والمكتبات العامة التي كانت وقفاً عاماً للمسلمين، أو التي ساهم الوقف في إنشائها وتنميتها وتطورها.

أولاً: خزانات الكتب العراقية

وتشمل خزانات الكتب في كل من الموصل والبصرة وبغداد وغيرها من مدن العراق، ومن بين أهم تلك المكتبات: مكتبة الموصل، والتي تعتبر أول مكتبة وقفية في الإسلام اعتماداً على ما ورد في النصوص التاريخية، وصاحب الفضل في إنشاء هذه المكتبة أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي. الذي كان شاعراً وأديباً فاضلاً، وله كتب عدّة في الفقه الشافعي.. وكان صاحب جاه ومنزلة مرموقة في الموصل، وله علاقات طيبة بعلماء ووجهاء عصره من الوزراء والأمراء كالبحتري وثعلب والمبرد...!!

وطان المكتبة الموصلية من الإشعاعات المباركة للمؤسسة الوقفية العلمية والثقافية، التي فتحت الباب واسعاً لوقفيات ثقافية تُعنى بالعلم ومصادر المعرفة وترعى المهتمين فيه ليس في العراق أو بغداد والبصرة وحسب، وإنما في مُختلف بلاد الخلافة الإسلامية...!!!

ثانياً: خزانات الكتب المصرية

وبعد أن أنشئت مكتبات العراق... والتي كانت موقوفة على طلاب العلم، اسِّست في مصر مكتبة وخزانة كبيرة هي «دار الحكمة» في القاهرة.

وقد أسَّسها الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي وحرص على توفير أموال وغلات عدة لها، لتوفير المورد المالي الكافي لاستمرارها في تقديم الخدمات للمستفيدين منها، حيث أوقف عليها دوراً وحوانيت بنيت ليستغل ريعها في الإنفاق على هذه المكتبة العامرة الكبيرة..!!

أما الكتب التي كانت تحويها هذه الخزانة فقد نقل المؤرِّخون نصوصاً تشير إلى شمولها على جميع فنون المعرفة والعلم، وأنها تحتوي على أربعين خزانة، من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة، وهناك أرقام أخرى تؤكد مدى سعة هذه الخزانة وتنوّع المصادر العلمية الموجودة فيها، وكثرة عدد نسخها،

مما يشير إلى أن هذه الخزانة تُعتبر أبرز نموذج للمكتبات التي شُيِّدت على أساس نظام المؤسسة الوقفية العلمية والثقافية.

ثالثاً: خزانة الكتب في المغرب العربي

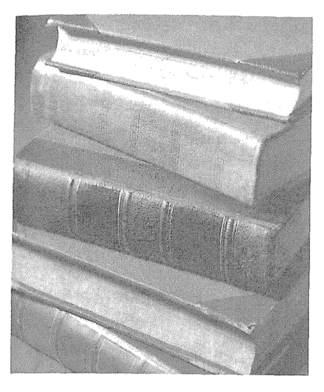
1. **مكتبة المغربي:** أسّسها الوزير أبو القاسم الحسن بن علي المغربي في ميافارقين وجعلها وقفاً عاماً لطلاب العلم. ويبدو، والله أعلم، أن مؤسسها هو الحسن بن علي المغربي، وأن نصر الدولة أضاف إليها مجموعة من الكتب في فترة حكمه لتلك المنطقة فنسبها بعض المؤرخين له.
2. **مكتبة العدة:** أسّسها ووقفها عبد الجبار بن أحمد الفجيجي في مدينة فجيج، وهي بلدة صغيرة في المغرب، وجعل وقفها على طلاب العلم، وقد جاء بمعظم كتبها من فاس وتلمسان ومصر.

اعتمد على بعض مصادرها العلمية بعض العلماء في تصنيف كتبهم واهتم الرحالون بزيارتها والاطلاع عليها. وتعرّضت هذه المكتبة إلى العبث والتخريب والإهمال بعد فترة من تأسيسها، ولذلك قام أحد أحفاد مؤسسها وهو عبد القادر بن محمد بالاهتمام بها من جديد وإعادة وقفها وكتابة وثيقة جديدة لها أشارت إلى أنها حبس معقب لا يورث ولا يقسم ولا يُباع ولا يوهب!

رابعاً: خزانات الكتب في المشرق الإسلامي

ولقد كان في بلاد المشرق الإسلامية العديد من المكتبات العظيمة الشأن، من أهمها:

1. **مكتبة فيروز آباد:** أنشأها الوزير قوام الدولة أبو منصور العادل، من وزراء الملك البويهي، الذي وقف هذه المكتبة على طلاب العلم..!
2. **مكتبة الهمذاني في «همذان»:** والتي أسّسها قطب الدين الحسن بن أحمد بن الحسن الهمذاني المتوفى عام 569هـ، وكان رجلاً حافظاً محدثاً ومن وجهاء عصره، عملها أولاً



لنفسه ودراسته ثم وقفها بجميع كتبها لطلاب العلم والمتخصصين..!!

3. **مكتبة مبارك شاه في «مرو»:** ومؤسسها هو مبارك شاه بن الحسين المروزي المتوفى عام 602هـ، والذي اتخذ داراً في بستان له جعل فيها خزانة كتب تحتوي على أنواع العلوم...!

إضافة لذلك كانت هناك مكتبات ملحقة بالمساجد والجوامع والمدارس العلمية وقفت لعامة الناس سواء كانوا طلاب علم أو غيرهم من الذين يريدون التزوّد بالمعرفة، والاطلاع على الثقافات، والمشاركة في الدراسة والنقاش والمحاورة.

وهكذا، انشئت المدارس العلمية والمراكز الثقافية في التاريخ الإسلامي لتؤدي وظيفة التعليم والتربية، ومع ذلك أقيمت فيها الشعائر الدينية، واتخذت مسجداً تُقام فيه الصلوات المفروضة، لتؤكد مدى الارتباط الروحي بين أداء العبادة والقيام بواجب العلم والدراسة، مما يدفع الناس للوقف عليها وحبس العديد من الغلات والأموال لرعاية تلك الحركة الثقافية والتعليمية.

وهذا لا شك يؤكد لنا أن عوائد الأوقاف تعتبر

المصدر المالي الأساس والوحيد لغالبية مدارس ومراكز التعليم في العصور الإسلامية المتقدمة، وبالتالي فإن الحركة العلمية الواسعة التي شهدتها الأمصار والبلدان الإسلامية والتي تدين بوجودها، إلى إنشاء المدارس واستمرار التعليم فيها، إنما هي في الحقيقة نتاج طبيعي لازدهار الأوقاف وكثرتها وديمومة عوائدها الخيرية.

ولم يقتصر أثر الأوقاف على التعليم في كونه المصدر الأساس والوحيد الذي يمد المؤسسة التعليمية مالياً، إنما تعدى الأمر إلى تدخل الوقف في تنظيم جميع الجوانب العلمية والتعليمية، حتى اعتبرت الوثائق الوقفية بمثابة لائحة أساسية تنظم شؤون التعليم وتضع الأسس التربوية والشروط التي يجب أن تتوافر في القائمين عليه، ومواعيد الدراسة وشكلها وغير ذلك.

وبهذا تكون الأوقاف ساهمت، على امتداد تاريخنا الإسلامي، مساهمة كاملة في خلق أجيال من العلماء والباحثين والمتخصصين، سواء من طريق توفير مراكز العلم والبحث، أو من طريق توفير الكتب والمراجع الأساسية... مما كان له من أثر بالغ في إثراء الفكر الإنساني بزاد وفير في شتى ميادين العلم والمعرفة والثقافة...!!

إن متابعة تاريخية للمؤسسة الوقفية وما نتج منها من معاهد علمية ومكتبات تخصصية تشير إلى الدور الكبير الذي لعبته هذه المؤسسة في إغناء المجتمع الإسلامي بالقوى العاملة والموارد البشرية المتسلِّحة بسلاح العلم والمعرفة الذي هو سلاح التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ولولا اهتمام مؤسسة الأوقاف وقيامها بالجانب التعليمي لما كان في المجتمع الإسلامي ذلك العدد الكبير من المعاهد والمدارس والمراكز العلمية المتنوِّعة والمتخصِّصة، حيث يؤكد المؤرِّخون أن عدداً ليس بالقليل من المدارس التخصصية التي أنشئت لم يكتب النجاح في مهامها لعدم وجود أوقاف تُمَوِّلها وتقوم برعايتها ورعاية القائمين عليها، مما يؤكد الدور الرائد للأوقاف في تنمية مثل هذه الجوانب البالغة الأهمية...!!

الهوامش

1) إبراهيم البيومي غانم، الأوقاف والسياسة في مصر، دار الشروق، 1419هـ، ص 110.
2) آدم الألوري، نظام التعليم العربي، د.ن.، مصر، د.ت.، ص 2.
3) نقلاً عن: عبد الملك أحمد اليد، الدور الاجتماعي للوقف، بحث مقدَّم إلى المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، التابع للبنك الإسلامي للتنمية بجدة، ص 229، وما بعدها.
4) المرجع نفسه، 229.
5 نقلاً عن: د. إبراهيم البيومي غانم، دور الأوقاف في خدمة الآثار والفنون الجميلة، موقع «إسلام أون لاين».
6) المرجع السابق.
7 المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، المقريزي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 1999م، 1/209.
8) المرجع السابق، 1/209.

المصـــادر

أولاً الكتب:

1) إبراهيم البيومي غانم ـ الأوقاف والسياسة في مصر ـ دار الشروق ـ 1419هـ.
2) إبراهيم البيومي غانم ـ دور الأوقاف في خدمة الآثار والفنون الجميلة ـ موقع «إسلام أون لاين».
3) آدم الألوري ـ نظام التعليم العربي ـ د.ن ـ مصر ـ د. ت.
4) جلال الدين السيوطي ـ حسن المحاضرة ـ د.ن. ـ القاهرة ـ 1381هـ.
5) سيدة إسماعيل الكاشف ـ مصر في عصر الولاة ـ د.ن. ـ القاهرة ـ 1950م.
6) عبد الستَّار إبراهيم رحيم الهيتي ـ الوقف ودوره في التنمية ـ مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف القطرية ـ البحث الفائز بجائزة مكتبة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني الوقفية العالمية لعام 1418هـ الموافق 1997م.
7) عبد الملك أحمد السيد ـ الدور الاجتماعي للوقف ـ المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية بجدة ـ 1984م.
8) محمد محمد أمين ـ الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ـ دار النهضة العربية ـ مصر ـ 1980م.
9) محمد موفق الأرناؤوط ـ دور الوقف في المجتمعات الإسلامية ـ دار الفكر ـ سورية ـ 2000م.
10) محمد محمد حسين ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ـ مكتبة الآداب ـ مصر ـ 1956م.
11) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ـ الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ مصر ـ 1999م.

ثانياً: الندوات والدورات

12) ندوة: نحو دور تنموي للوقف ـ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت ـ 1993م.
13) ندوة الوقف الإسلامي، والتي عُقِدَت بكلية الشريعة والقانون ـ جامعة الإمارات العربية المتحدة بمدينة العين.

ثالثاً: الدوريات

14) جريدة الحياة اللندنية ـ العدد: 13913ـ9ـ04ـ2001م.
15) مجلة الرابطة السعودية ـ العدد 434.



كتابة تاريخ الأمّة سبيل لتحديد الهوية وللتعارف

أ. د. سهيل زكار*

تتقلب اهتمامات الباحثين بين جيل وآخر، وتتركز في شكل رئيس على واحد من الموضوعات الرئيسة، فمنذ سنوات طويلة أظهر الأمريكيون المزيد من الاهتمام بالإسلام، وأظهروا خوفهم منه، وأعدوا الخطط لإيقاع ضربات مميتة به، ويمكن لنا أن نرصد مثل هذا في ما كتبه الرئيس الأمريكي الأسبق رتشارد نيكسون حول اغتنام اللحظة المناسبة، وظهرت إثر هذا كتابات تتحدث عن مخاطر الإسلام، ونشط الإعلام الغربي في هذا المجال كثيراً، والإعلام الغربي، لا سيما الأمريكي منه هو في أيدي المؤسسات اليهودية الصهيونية، ثم إن المسيطر على مدارس الاستشراق في العالم هم من الصهاينة اليهود، ورأت بعض هذه المؤسسات، أن من المفيد غزو الإسلام ومحاربته من طريق بعض المسلمين، فمنذ سنوات جاءني طالب دمشقي يدرس في ألمانيا، كلّفه أستاذه وهو يهودي بالتحضير للبحث في مسرحية الخواتم الثلاثة أو ناثان الحكيم للكاتب اليهودي الألماني لسنغ Lessing، الذي يعد من بين كتّاب عصر التنوير، وقوام هذه المسرحية، أن ناثان كان معاصراً لصلاح الدين الأيوبي، وكان صديقاً له يلعب معه بالشطرنج ويتجادل معه حول الأديان، وفي أحد الأيام ضايقه صلاح الدين وأحرجه، فقال له: انظر يا مولاي كان هناك رجلٌ حكيم امتلك خاتماً لفصه عدد كبير وشاملٌ من الألوان، وعندما مات ورث هذا الخاتم ابنه، وابنه فعل ذلك مثله، وهكذا إلى أن ولد لواحد ممن آل إليه الخاتم ثلاثة أولاد، فاحتار لمن يورث الخاتم، فعمد في النهاية إلى أن تدبر صنع خاتمين مشابهين للخاتم الأصيل، وإثر موته ادّعى كل واحد من أولاده أن ما لديه هو الخاتم الأصيل، فاختلفوا فذهبوا إلى واحد من الحكماء ليفصل بينهم، فما كان منه إلاّ أن أخبرهم أن من المستحيل إصدار الحكم حول معرفة الخاتم الأصيل، فذهب كل واحد من الثلاثة مدعياً، أنه يمتلك الخاتم الصحيح، وأراد لسنغ بالخواتم الثلاثة: اليهودية، والمسيحية والإسلام.

ولم يمضِ طويل وقت على هذا حتى فوجئت بقدوم أستاذ من ألمانيا ليلقي محاضرة في كلية الآداب - جامعة دمشق حول مسرحية لسنغ، وسألت وقتها عميد كلية الآداب: من وجه إليه الدعوة ورتّب الأمور، فأجاب بعدم المعرفة.

ثم كان أن ترافق هذا النشاط بظهور عدد من الكتابات المتجنية في لبنان، لا بل حتى في دمشق، لكن ما لبث أن تطورت الأحوال، حيث صرف جل

* أستاذ جامعي / سوريا

الكتّاب في الغرب جهودهم للبحث في المسيحية تاريخاً وعقيدة، للوصول إلى نتيجة أن المسيحية هرطقة يهودية، وأن على المسيحيين العودة إلى اليهودية، وكان لهذا نتائج مؤثرة، كان منها اعتذارات البابوية، وتبرئة اليهود من دم المسيح، وتوسّعت هذه الأبحاث فشملت اليهودية أيضاً وغيرها من ديانات العالم، وجاءت النتائج الباحثة في الإسلام بلا محصلات علمية مقبولة، لذلك تمّ الالتفات نحو ما عرف باسم «الإسلام السياسي»، ووجهت تهمة الإرهاب إلى جل المنظمات السياسية الإسلامية، ووصل الأمر إلى حد أن احتلال كل من أفغانستان والعراق بات عملاً مشروعاً، والذين يدافعون عن بلادهم وحريتهم هم إرهابيون، والأنكى من هذا صار الشيخ أحمد ياسين في غزة إرهابياً وشارون اليهودي الكافر، نعم شارون المجرم الآثم، مقاتلاً ضد الإرهاب. لقد انقلبت المفاهيم، وبتنا نعيش في غربة الإسلام، فلنبذل جهودنا كلها حتى نكون من المسلمين الصالحين، وأن نتعامل مع هذا الوضع الخطير بعلم وعقل، ورباطة جأش، ومنطق إسلامي محض، وأن نبتعد عن ردود الفعل، والرغبة في الانتقام، فالإسلام دين الهداية والمحبة لا دين القتل والانتقام.

ونحن جميعاً نعرف أن النبي (ﷺ) رفض منطق الانتقام من المشركين يوم أُحُد ودعا لهم بالهداية، ثم قال لأهل مكة يوم الفتح: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وفي هذه الأجواء المحمومة تعاملت مطولاً مع تاريخ ومحتوى جميع الديانات والعقائد، وأنا منذ سنوات أتعامل مع كل من اليهودية والمسيحية، لأن الصهيونية والصليبية صنوان، والكفر واحد، فتبين لي ان الإسلام وحده هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده عندما وصلوا إلى مرحلة القدرة على فهمه وتطبيقه، ولذلك بات الإسلام صالحاً لكل زمان ومكان، ولا يصلح زمان ومكان من دون إسلام، يقول الله تعالى في محكم التنزيل:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ * فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [سورة آل عمران الآيات: 18 ـ 22].

والمتمعن بهذه الآيات الكريمة يدرك وكأنها عنت ما نواجهه، فمن حيث المبدأ ثبت علمياً أن الإسلام وحده يتمتع بسمة الدين، لأن الدين هو النظام الشامل لجميع أوجه الحياة بشكل عادل ومتوازن وبلا تناقضات، ومن دون عسف مع التركيز على الجانب الأخلاقي والإنساني وهذا لم يتوافر في غير الإسلام. فالأناجيل عدة وهي تحتوي على ذكريات بعيدة كتبت لغايات محدّدة لسرد بعض الوصايا وللتوصية ببعض جوانب السلوك البشري، وهي كتبت بعيداً من فلسطين، ربما في روما، بغير الآرامية، من قبل أناس، أو بالأصح أجيال، جاءت بعد انتقال المسيح عليه السلام بعقود من الزمن، وهي من المؤكد لا علاقة لها بالوحي، وما من إنسان يعرف مصير إنجيل المسيح عليه السلام. ولذلك يلاحظ أن القرآن الكريم لم يستخدم كلمة «مسيحيين» بل اعتمد كلمة نصارى، والنصارى ليسوا نسبة إلى الناصرة، فالمسيح عليه السلام كان ناصرياً ولم يكن نصرانياً، والنصراني هو

الذي أخذ بالغنوصية، التي اتخذها بولص اليهودي الذي عُرف من قبل باسم شاول، فهو عندما سيطر على الكنيسة قال لأتباعه: «أنتم آخر الجليليين وأوّل النصارى».

ومثلما ضاع انجيل المسيح عليه السلام كان قد ضاعت من قبل الكتب التي أنزلها الله على الأنبياء ذوي العزم، لا سيما توراة موسى عليه السلام، فالتوراة المتداولة بين أيدي الناس ليست التي أوحى الله بها إلى نبيّه موسى عليه السلام، ومعنى كلمة «توراة»: الأسفار الخمسة، ويحتوي كتاب العهد القديم على عدد كبير من الأسفار وكان عزرا الكاتب أول من عمل على تدوين التوراة، وكان عزرا يعمل كاتباً في البلاط الاخميني الفارسي، وقد ظهر بعد موسى عليه السلام ربما بألف سنة، وعزرا الكاتب ليس هو الذي أماته الله ثم أحياه كما ورد في القرآن الكريم. واستغرقت أعمال تدوين أسفار العهد القديم ما يزيد على ألف وخمسمائة سنة، ثم إن العهد القديم ليس هو الكتاب الأساسي لدى اليهود بل كتابهم المعتمد هو التلمود الذي استغرق تدوينه في بابل نحو الستمائة سنة، وهو مثل العهد القديم من صنع الحاخامات ولا علاقة مباشرة له بالوحي.

وإذا كنا لا نعرف شيئاً مؤكداً لا حول الإنجيل ولا حول العهد القديم، ولا نعرف تاريخاً موثقاً عن حياة جميع الأنبياء عليهم السلام قبل النبي محمد (ﷺ)، كما لا نعرف أين عاشوا ولا الظروف الجغرافية والمعاشية لأيامهم، وذلك باستثناء المعلومات الموجزة التي وردت في القرآن الكريم، فإن مثل هذا ينطبق على تواريخ الديانات الوضعية مثل البوذية، والبراهمية والزرادشتية وسواها، ومقابل هذا نعرف بشكل وثائقي يقيني المكان الذي ولد فيه النبي المصطفى(ﷺ)، وأهله وعشيرته، وبيئته، وكل مرحلة من مراحل حياته العامّة والخاصة، وهو دون غيره من الأنبياء، لا بل من رجالات التاريخ نعرف قبره وتاريخ وفاته بالساعة واليوم، والشهر، والسنة.

وثبت بالدليل العلمي أن القرآن الكريم كتاب فيه كلام الله عز وجل، صدر عن إله واحد فرد صمد، لم يتغيّر ولا يتغيّر ولا يتبدّل، ولا تأخذه سنة ولا نوم، ليس كمثله شيء، وهو سبحانه خلق كل شيء، وقضى بحكمته بكل شيء، لقد قضى جل وعلا بأن يكون القرآن الكريم كلامه الذي لم يعرف - ولا يعرف - التبديل ولا التغيير، وأن فيه المنهاج الذي تحتاجه البشرية، كل البشرية دوماً وأبداً، وأنه بالإسلام نسخ جميع الشرائع الماضية، وبصلاته (ﷺ) بالأنبياء جميعاً يوم المعراج، جاء ذلك اعترافاً بإمامته وزعامته المطلقة، وأرى أنه لحكمة ربانية بقيت بعض الآثار المنسوبة للأنبياء عليهم السلام، حتى يمكن عقد المقارنات، ولاستنباط البراهين على أن الدين هو الإسلام، وأن القرآن كأنه نزل الساعة، وهو الممثل لإرادة الله تعالى.

يتحدث بعض الناس في هذه الأيام عن إسلام وسط وإسلام متشدد وإسلام معتدل هذه التقسيمات لا وجود لها إلا بالأوهام حيث هناك إسلام واحد

لكن على الرغم من هذه الوثائقية الفريدة، ولأسباب كثيرة أصيب الفكر القصصي الإسلامي بوباء الإسرائيليات، وعمد كثير من العلماء إلى الإكثار المدهش من القصص الموضوعة المعزوة إلى كعب الأحبار وسواه، مع أن معاوية بن أبي سفيان اتهمه بالكذب، وأن عبد الله بن عباس قال: «كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على رسوله أحدث الكتب بالله، تقرأونه محضاً لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيّروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم

عن مساءلتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم»، وقال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شي، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا»، وروى الإمام أحمد في مسنده: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي (ﷺ) بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي (ﷺ)، قال: فغضب وقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم به بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق، فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيّاً ما وسعه إلاّ أن يتبعني»[1].

وإنه لأمر مثير للدهشة مسألة دور الإسرائيليات الذي كان، والذي ما برح قائماً عززته الشاشة البيضاء ودعمته مؤسسات الصهيونية وما تزال تدعمه، لأن وسائل الإعلام الرئيسة في العالم بأيدي اليهود الصهاينة، فقد ذكر عضو الكونغرس الأمريكي ديفد ديوك في كتابه «الصحوة» أن المجلات الكبرى في الولايات المتحدة وعلى رأسها: التايم، والنيوزويك، ويو.اس. نيوز أند وورلد ريبوت يمتلكها يهود، وأن صحف: نيويورك تايمز، و وول ستريت جورنال والواشنطن بوست بأيدي يهود صهاينة، ومثل ذلك محطات التلفزة الرئيسة ولا سيما: الـ N.B.C. والـ C.B.S. والـ A.B.C. يديرها يهود صهاينة، والصهاينة هم المهيمنون على صناعة السينما في هوليوود، وطبعاً المصارف والأموال في أيديهم.

وصحيح أنها حالة مرعبة، لكن لا بد من مواجهتها وفق أوامر الله تعالى، وتوجيهات النبي المصطفى (ﷺ) بشجاعة وعقل وعلم، والهدف من وراء ذلك حماية المؤمنين، والسعي لهداية البشرية وتحريرها من الطغيان والتسلّط، ويكون ذلك بالدعوة إلى الإسلام:

﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران الآية: 20].

وتكون الدعوة إلى الإسلام بشكل علمي منطقي هادف، ونحن نمتلك في هذا المجال تراثاً غنياً جداً، وخبرات واسعة، شروعاً من العصر النبوي إلى بقية العصور، ولا بد أن تكون الدعوة من طريق الحوار المشفوع بالترغيب والشفقة والمحبة، والصدق بالقول والعمل، ويمتلك الإسلام من قوى الإقناع الذاتية ما هو أعظم من جوانب الضعف في العقائد الأخرى، ولعل وسائل العصر الحالية، إذا أحسن استخدامها، وتوافرت لها الخبرات والبرامج، يمكنها أن تقدم الكثير الكثير من الفوائد، مع مزيد من الاعتماد على الأقليات الإسلامية المنتشرة في جميع أنحاء المعمورة، والمهمة كبيرة وصعبة، لكنها ليست مستحيلة، وهي واجبة على جميع العلماء، وهنا أتمنى على جمعية الدعوة الإسلامية، بحكم إخلاصها، وإخلاص القائمين عليها، وما توافر لديها من خبرات كبيرة أن تتولى رعاية هذه المهمة بوضع برامج لها، أو بدعوة العلماء من أصحاب الاختصاصات، كل بحسب اختصاصه، إلى مائدة مستديرة لوضع مشاريع البرامج، ومن ثم نقلها من واقع التنظير إلى الواقع العملي.

فليبيا بما حباها الله به من موقع وإمكانات وجماهير مؤمنة وقيادة، يمكنها إقامة شبكة كبيرة من الفضائيات، تغطي العالم أجمع، فهي مطلة على البحر المتوسط، قريبة من أوروبا، موجودة في القارة الأفريقية، وقد آن الأوان لمقابلة الشر بالخير والصلاح.

وأشدد مرة أخرى على الحوار وسماع الرأي الآخر، واعتماد العلم المقرون بالإيمان، وأن يكون العمل كله خالصاً لوجه الله وفي سبيله، يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات الآية: 13].

ويقول أيضاً:

﴿..وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء الآية: 1].

وفي ذكره تعالى للشعوب والقبائل اعتراف بالتعددية، لكن دونما تمييز باللون أو النسب لأن البشر كلهم لآدم، وأكرم البشر عند الله هم أتقاهم، وهنا على بني البشر التعارف لا التصارع أو التواجه، أو التحكم، وللتعارف شروط وقواعد وأهداف، ومن أسس التعارف معرفة الذات، والإيمان والشعور المخلص بأعباء الرسالة الإلهية، ومعرفة الآخر من جميع الجوانب، وبعد معرفة الذات التعريف بها، والهدف من التعارف هو الوصول إلى الإيمان والتقوى، والتقي يخاف الله تعالى ولا يمكن له أن يظلم أو يبطش، أو يستغل، أو يغش أو يخادع، والتقي هو المبتعد كلياً عن الآثام والكفر والذنوب، ويتم التعارف بوسائط مباشرة وغير مباشرة، وبالحوار، وبالدعوة، ومن الممكن جعل الحوار طريقاً للدعوة ووسيلة لها، وفي تاريخ الإسلام ما لا يحصى من الأمثلة الموجهة المرشدة، من ذلك مع البدايات نقرأ في كتاب السيرة لمحمد بن اسحق، أنه بعد ما أنزل الله تعالى على نبيه التكليف بالرسالة، وبعد وقت قصير من الدعوة السرية أمر بالإعلان بقوله جلّ وعلا:

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾

[سورة الحجر الآية: 94].

وقال أيضاً مبيناً المنهج والطريق:

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء الآيات: 214 ـ 215].

وتنفيذاً منه (ﷺ) لهذا الأمر عمل دعوة لآله وأقربائه، فأطعمهم وسقاهم ثم حدثهم عن الرسالة التي كلفه الله تعالى بها، وحاورهم، وبعد هذا ختم حديثه وحواره بترغيب ووعد بقوله: «والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة».

والحوار ينبغي أن يكون علمياً صادقاً يقبل فيه المحاور بالرأي الآخر، مع ضمان لحرية الكلمة والتعبير، وهكذا نحن نقرأ في القرآن الكريم قصة موسى عليه السلام مع صاحبه الذي آتاه الله من عنده رحمة:

﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾

[سورة الكهف الآيات: 65 ـ 69].

وهذا السلوك من موسى كليم الله عليه السلام مثالي، فيه إقرار بالطاعة للعلم والعلماء مع أنه كان معصوماً بحكم النبوة، والإقرار بالطاعة لمن آتاه الله العلم بديهي، لأنه لا يخشى الله من عباده إلاّ العلماء، وفي الحوار ليس هناك حدود بالمواضيع، إنما مع الالتزام بالأدب والرغبة بالتوصل إلى القناعة، ونقرأ في القرآن الكريم:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾

[سورة البقرة الآية: 260].

وهنا نجد رب العزة يصغي إلى طلب فيه ما فيه من خليله، ذلك أن الإسلام ضمن حرية السؤال، وشرّع الإصغاء إلى الرأي الآخر، فعندما تسلم الصدّيق الخلافة ضمن للمسلمين حق الشورى وحرية الرأي، وحرية الرأي والعقيدة أساسية في الإسلام، لأن لا إكراه في الدين. وفي تاريخ الإسلام نحن نميّز دوماً ما بين السيطرة السياسية أو العسكرية، وبين اعتناق الإسلام من قبل الشعوب المفتوحة. والتراث الإسلامي غني جداً بأسماء العلماء وبأخبار مجالس المناظرات، حيث لم تستهدف المناظرات تحقيق النصر لواحد من الطرفين، بل كان المراد بسط الآراء وتشغيل العقل والتوسعة على الناس حتى قيل: اختلاف الأئمة رحمة للأمّة.

والمسلمون الآن بأمسّ الحاجة إلى العودة للأخذ بهذا المسلك القويم، لأن الدين عند الله النصيحة، وحين يعاود المسلمون التخلّق بهذا الخلق وقتها يكونون قادرين على الحوار والتعريف بالإسلام.

ويتحدث بعض الناس في هذه الأيام عن إسلام وسط، وإسلام متشدّد، وإسلام معتدل، وهذه التقسيمات لا وجود لها إلاّ بالأوهام، حيث هناك إسلام واحد.

ولما كان التاريخ خير مساعد على صنع الحاضر والتخطيط للمستقبل، من المفيد عقد مقارنة بين ما كان الإسلام سبباً في إنجازه إثر انتشاره، وبين الذي صنعته المسيحية في الغرب بعد انتشارها:

ارتبطت بدايات الإسلام بكتاب، واقرأ، وقلم، وبتحرير للعقل وإرشاد له نحو طرائق التفكير الصحيحة، فكانت المحصلات، أو بالحري من المحصلات، أن المدينة المنورة بعدما كانت ساحة لصراع العصبيات وسفك الدماء، ودسائس اليهود، صارت بعد الهجرة إليها واستقرار الأمور داراً للإشعاع الإيماني والفكري، داراً شهدت التطبيق الأمثل للإسلام الجديد، الذي اقرّ بأن السعادة البشرية ليست القوة والجبروت والمال، بل بالسلوك المثالي المرتبط بوحدانية الخالق والخوف من الله ومراقبته في السر والعلانية، وبعد أمد وجيز أدارت المدينة حركة الفتوحات الكبرى، وشهدت قيام إدارة جديدة رائعة، وترافق هذا كله بنبوغ ما لا يحصى عدده من العلماء، لأن التوسع السياسي والعسكري إذا لم يقده الفكر والإيمان والمعرفة الحضارية مآله إلى الاندثار كما حدث لإنجازات جنكيز خان والمغول العسكرية.

وبفضل ما حدث في المدينة المنوّرة ما من اقليم دخله الاسلام إلاّ وتبدّلت الحياة فيه كلياً، حيث أقبل الناس على العلم والتعلم، وكتب الطبقات والتراجم كبيرة جداً، فيها ما لم تعرف البشرية له نظيراً، فقد فتحت السبل أمام الجميع حتى غدا إمام فقه أهل العراق من أصل أفغاني، وإمام العربية والنحو من أصل أعجمي، وكبار المحدثين من بلاد خراسان وما وراء النهر مثل البخاري، والنسائي، ومسلم، والترمذي، وأبي داود، وغيرهم كثير.

وعكس هذا تماماً ما شهدته أوروبا بعد انتشار المسيحية فيها، حيث أغلقت المدارس، ومنع الناس من التفكير، وصارت عقوبة التفكير العرض على محاكم التفتيش والإعدام حرقاً، وكانت هناك الكثير من حروب الإبادة لإرغام الناس على ترك أديانهم، مثلما فعل شارلمان مع الساكسون، ونقرأ في نشيد رولاندو، أن شارلمان أمر رجاله بألا يقبلوا من المسلمين إلا بالسيف أو بالتعميد.

وهذه كلها حقائق تفيد أن الإسلام دين الهداية لا دين القتل، دين يقول الله تعالى في قرآنه أنه قد كتب: ﴿..مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة الآية: 32].

وهذه حقائق لا بد من تبيانها بشكل علمي للمسلمين ولغير المسلمين بطرائق متعدّدة.

وشغلت دنيانا مؤخراً بقضايا الحوار، وعقدت المؤتمرات، ومنها ما جاء بمثابة ردود فعل ومنها ما جاء أصيلاً، وأنا شخصياً لا أقبل بالسلوك بناء على ردّات الفعل تجاه أعمال أو أفكار الآخرين، بل آخذ بالعمل الأصيل الصادر عن الحاجة، فردود الفعل غالباً ما تكون انفعالية آنية توقع الإنسان بشباك المثير.

ويبقى علينا أن نواجه سؤالاً لا بدّ منه: هل المسلمون الآن قادرون على التعريف بالإسلام وبأنفسهم والقيام بأعمال الحوار مع الشعوب غير المسلمة؟ وفي حقيقة الواقع المسلمون اضعف في هذه الأيام من أن يستطيعوا القيام بهذا الواجب، ومع ذلك لا بدّ من معالجة أسباب الضعف، وحمداً لله أن الإسلام على الرغم من هذا الواقع المرير يتقدّم بفعل

قواه الذاتية بتوفيق من الله، لأنه جلّ وعلا هو الذي أنزل الذكر ووعد بحفظه.

ومن شروط الحوار القبول من جميع الأطراف، أو توافر القدرة على الجذب من الجانب المسلم للأطراف الأخرى بمعرفته ما تعانيه هذه الأطراف من جملة من المشاكل، والقدرة على العرض والإقناع بأن الحل متوافر بالإسلام، ومع هذا الشرط يحتاج الحوار إلى الكفاءة والتكافؤ بين الأطراف لا بل التفوّق الإيماني والخلقي من الجانب المسلم مع القدرة على الإقناع، وهذا غير متوافر لوجود العائق اللغوي وعوائق المعرفة. فالعالم الإسلامي يفتقر إلى مراكز الدراسة والبحث حول الآخرين. ففي العالم الإسلامي لا يكفي أن ليس لدى المسلمين مراكز لدراسة تاريخ الولايات المتحدة وتركيبتها الاجتماعية والسياسية والبشرية والفكرية والعقائدية، لا يكفي هذا، إذ لا يوجد في بلادنا الإسلامية مراكز حول أي من شعوب العالم، والأنكى من هذا عدم توافر مركز للدراسات اليهودية والصهيونية، مع فقر بالمصادر والدراسات المعمّقة. فلقد بحثت عن نسخة من التلمود البابلي في البلدان العربية، فلم أجد، وأخيراً عندما حصلت على نسخة تقع في ثلاثين مجلدة كبيرة لا أجد من يتكفّل الإنفاق على مشروع ترجمة هذا الكتاب وإعداد دراسات حوله.

إن الحاجة ازدادت من أجل كتابة تاريخ العرب والمسلمين، ذلك أن هذا التاريخ لم يكتب حتى تعاد كتابته

ولا بد من أن يكون الحوار حوار الإقناع لا حوار الترضية والتنازلات والصفقات، فما من أحد يمتلك حق التنازل في شريعة الله، ومن أقدم على ذلك عدّ خارجاً عن الإسلام، وهنا أحذّر تماماً من دعوات العلمانية وفصل الدين عن الدولة، ورفض تطبيق الشريعة، فالإسلام كلّ لا يتجزّأ. ويتوجب أن يتمتع المحاور المسلم بالمعرفة، والإيمان، وصلابة أسس الموقف والرأي، وأن يحسن استغلال الهيبة من الإسلام، فالنبي عليه الصلاة والسلام نصر بالرعب من مسيرة شهر، والرعب هنا ينبغي أن يكون مبنياً على أذى العيش مع الكفر والآثام، والظلم والاستغلال، وانعدام الطهارة عند الجانب المراد هديه إلى الإسلام، ويقتضي هذا تفوّقاً إسلامياً حضارياً وفكرياً، أو على الأقل وجود مساواة، وهنا أنا أميّز بين المعرفة والحضارة. ففي عصر الحروب الصليبية امتلك الصليبيون تفوقاً في معارف السلاح والتسليح، لكن الجانب المسلم كان أعظم تفوقاً في جوانب الحضارة، ومتمسكاً بمقاصد الحضارة المرتبطة بالتوحيد، فمن وحد التزم، ومن أشرك وجد الأعذار والمخارج وهان عليه الكثير من الأشياء.

وقد خيّل لبعضنا أننا نمتلك الآن قدرات على الحوار، لكن هذا وهم غير مقنع داخلياً، ولا يشعر به خارجياً، فالنقد والتشهير والتكفير لا يجدي، والجدل البيزنطي لا يوصل إلى نتائج مجدية، وهو أشبه بحوار الطرشان.

والمطالب كثيرة وهذا كله من الممكن تحصيله، وهو من فروع الجهاد في هذه الأيام، وعلى رأس المطالب المستعجلة إنهاء عصر التبعية الفكرية لغير المسلمين، والتبعية الاجتماعية والسلوكية وأن نبادر إلى صناعة دراسات شاملة لجميع الجوانب تجعلنا كمسلمين متفقين على وحدة الأسس والتصور والواجبات. وبحكم الاختصاص أعتقد أنه آن الأوان أن نقوم بكتابة تاريخ الأمة الإسلامية ضمن أسلوب وحدوي علمي إيجابي، ولسوف أقف مع هذه المسألة بما يكفي من وقت:

لقد استبد بأعمال التأريخ الحديثة للإسلام والمسلمين أجيال من المستشرقين والمستعربين،

الذين امتازوا بشكل عام بكراهية الإسلام، وبالتالي عملوا للنيل من تاريخ المسلمين بمكر شديد وبانعدام للإنصاف والحيادية، وبحثوا دوماً في ما أسموه دوماً باسم التناقضات، ومنذ ما يزيد على ثلاثة عقود من الزمن جرت محاولات لإنهاء التبعية الفكرية، ولإعادة كتابة التاريخ، وتحمّس العرب لهذا المشروع، وعقدت ندوات كثيرة حوله في ما بين الكويت، وطرابلس، والاسكندرية، ودمشق، وفي دمشق تأسست منذ عام 1977م لجنة قومية للقيام بهذه المهمة، ووضعت مخططاً وتصوراً، لكن حتى الآن لم يتحقق شيئٌ ملموس، لا بل تقزمت الآمال، وبات الآن هناك اكتفاء بكتابة كتاب مرجعي مختصر.

وانقضى القرن العشرون ودخلنا في عصر جديد، هو عصر الاتصالات والعولمة وشبكات المعلومات، وباتت معظم مدارس التفسير التاريخي التي أبدعها الغربيون قاصرة، وأخفق التفسير المادي للتاريخ وكذلك الفردي الرأسمالي، ونحن في عالم من المشاغل والهموم وانتقل العرب من الدعوة إلى الوحدة العربية إلى تخطيط حدود الكيانات السياسية والترافع أمام المحاكم الدولية والحروب أحياناً، ولقد بتنا الآن أشبه بأمم.

وعلى الرغم من هذا كلّه أرى أن الحاجة ازدادت من أجل كتابة تاريخ العرب والمسلمين، ذلك أن هذا التاريخ لم يكتب حتى تعاد كتابته، وهنا لا بدّ لنا من تأمين جيل من الباحثين، وإلى إعادة النظر في تصنيف المصادر، وجمع هذه المصادر، والاتفاق على الاصطلاحات العلمية، واعتماد تحقيب متفق عليه مع التوصل إلى مدرسة ـ أو مدارس ـ عربية إسلامية لتعليل التاريخ وتفسيره ومعالجة قضاياه ومن ثم كتابته بشكل وحدوي شمولي.

وإنجاز هذا المشروع يثبت لون الهوية العربية الإسلامية، وصورة هذه الهوية نعطيها لكل عربي ومسلم، ومن ثم ننشرها في الدنيا، فأهل مكة أدرى بشعابها، وآن الأوان أن نوقف استيراد التعريف بنا وبماضينا وعقيدتنا من عند سوانا، لا سيما من عند الصليبيين والصهاينة.

وصدوراً عن مواقف الغالبية العظمى من المسلمين أرى أن تاريخ الإسلام والمسلمين مرّ بالحقب التاريخية التالية، وذلك حتى ما بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

1 ـ العصر النبوي.
2 ـ العصر الراشدي.
3 ـ العصر الأموي.
4 ـ العصر العباسي في العراق.
5 ـ العصر العباسي في مصر.
6 ـ عصر السلطنة العثمانية.
7 ـ عصر الاستعمار والتمزّق واختفاء المرجعية الشرعية.

ومع هذا التحقيب هناك مساحة مخصّصة لكل من: الخلافة الأموية بالأندلس، والخلافة الفاطمية، ودولة الموحدين، وفي إطار الشرعية الكبرى يمكن التعامل مع تواريخ الدول المستقلة أو شبه المستقلّة التي ظهرت في دار السلام.

وبما أن الإسلام نظر إلى الإنسان نظرة كاملة شاملة، وحيث أن الإنسان هو صانع الحدث التاريخي وبطل التاريخ الحقيقي، أرى الإقلاع عن البحث في تاريخنا من خلال منظور الحوليات أو منظور الحكام، بل أخذه بمثابة كتل كبرى، كل كتلة تمثّل قطاعاً مهماً سواء أكان سياسياً أم عسكرياً أم حضارياً أم ثقافياً أم عقائدياً، وفي ما يلي بعض المخططات المقترحة.

العصر النبوي:

تقديم: تعريف نقدي بالمصادر والمراجع

مدخل: وضع شبه جزيرة العرب. أوضاع الدول

على أطرافها وأحوال القوى الكبرى المحيطة بها (الموقع ومزاياه ـ المياه. أنماط الحياة وأماكن الاستقرار. ظهور القبيلة. صعود مكة. ظهور قريش وأحوالها. التجارة المحلية والخارجية وأنواع السلع والقبائل. الأسواق وإسهاماتها. الأوضاع الدينية ـ الحنيفية. اليهودية. النصرانية. الوثنية. المجوسية ـ السلطة والزعامة والحروب وأهم الأيام. الأحوال الثقافية وأنماط المعرفة وفنون السوفية والقتال، والأسلحة والتسليح، دور الجمل والفرس...).

الفصل الأول: المرحلة المكية من حياة النبي (ﷺ) والدعوة الإسلامية (مكة. البيت الحرام والحج. سيطرة قريش على مكة وتنظيمات قصي بن كلاب. أحلاف قريش الداخلية بعد قصي. الايلاف. أبرز الأسر والعشائر القرشية. بنو هاشم. ميلاد النبي (ﷺ). حياته في ظل كفالة جدّه، ثم في ظل كفالة عمه. زواجه من خديجة. سجاياه وشمائله. أدواره وإسهاماته. المبعث. المرحلة السرية. الجهر بالدعوة. المسلمون الأوائل. معارضة قريش. الهجرة إلى الحبشة. عرضه (ﷺ) نفسه على القبائل. ذهابه إلى الطائف مشروع الهجرة إلى المدينة.

الفصل الثاني: المرحلة المدنية من حياة النبي (ﷺ) وتأسيس دولة الإسلام الأولى (يثرب قبل الهجرة) السكان من الأوس والخزرج. اليهود في يثرب وخيبر ووادي القرى. الصراعات. الأوضاع المعاشية. محاولات الملك. الاتصالات الأولى بين النبي (ﷺ) وعناصر من عرب يثرب. مشروع الهجرة. مصعب بن عمير ودوره. بيعة العقبة الثانية. الهجرة. دستور المدينة الأول وإقامة المسجد. المفاهيم الجديدة. التحولات الاقتصادية والاجتماعية والدينية في المدينة. تطور الدعوة...).

الفصل الثالث: الأعمال العسكرية في العصر النبوي أ): الجهاد. شريعة القتال. الغنائم. الأسرى. معاملة العدو المهزوم. الجزية والضرائب). ب): المعارك ضد اليهود). ج): المعارك ضد قريش ومكة حتى الفتح). د): المعارك ضد قبائل شبه الجزيرة بما في ذلك اليمن). هـ): المغازي إلى أطراف شبه الجزيرة). و) مراسلة الحكام والملوك والأباطرة والدعوة إلى الإسلام). ز): السلاح والعتاد وتطور الجيش وأبرز القادة). ح): عام الوفود).

الفصل الرابع: التنظيمات الإدارية والتشريعية والاجتماعية (النبي (ﷺ) من الدعوة إلى التشريع فقيادة الدولة ـ رجل الدولة ـ ظهور مفهوم أسرة آل البيت ورسوم التعامل مع النبي (ﷺ) ومع آله. الاهتمام بالتعليم. مفهوم السلطة والدولة أيام النبي (ﷺ). حجة الوداع. المرض الأخير والانتقال إلى الرفيق الأعلى. آفاق المستقبل وأزمة الحكم. أبرز شخصيات الجماعة الإسلامية...).

خاتمة

المصادر والمراجع

المحتوى ـ الفهارس.

العصر الراشدي

تقديم: تعريف نقدي بأهم المصادر والمراجع.

الفصل الأول: تأسيس الخلافة (مؤتمر السقيفة. بيعة أبي بكر. حروب الردة. الشروع بالفتوحات).

الفصل الثاني: خلافة عمر بن الخطاب (الفتوحات على جبهة الشام. مؤتمر الجابية وفتح القدس. فتوحات العراق وإيران. فتوحات الجزيرة وأرمينية وأزربيجان... فتح مصر وفتوحات الشمال الأفريقي).

الفصل الثالث: التنظيمات الإدارية (الدواوين. الخراج. الجزية. الصدقات. تأسيس مدن المعسكرات والتبدلات الاجتماعية...).

الفصل الرابع: أزمة الحكم بعد اغتيال عمر بن

الخطاب واختيار عثمان للخلافة (الفتنة الكبرى ومقتل عثمان وظهور الحزبيات).

الفصل الخامس: حركة الفتوحات ـ البرية والبحرية ـ بعد حكم الشيخين.

الفصل السابع: تعريف بأبرز شخصيات العصر الراشدي السياسية والإدارية والعسكرية والفكرية.

خاتمة.

المصادر والمراجع.

المحتوى والفهارس.

العصر الأموي

مقدمة: دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع.

مدخل: تعريف بالأسرة الأموية (أهم سماتها وذلك حتى تأسيس الدولة الأولى ثم الثانية).

الفصل الأول: الحياة السياسية.

الفصل الثاني: الحياة الإدارية.

الفصل الثالث: العلاقات مع بيزنطية.

الفصل الرابع: حركة الفتوحات (المشرق ـ المغرب ـ الأندلس وأوروبا ـ جزر البحر المتوسط ـ أرمينية وأزربيجان والخزر...).

الفصل الخامس: الجيش والبحرية.

الفصل السادس: الحزبيات السياسية والعصبيات القبلية والفرق (الشيعة. الخوارج. الزبيرية. القدرية. الجبرية. المرجئة والفئات الأخرى...).

الفصل السابع: النشاطات الفكرية والثقافية (التيارات العقائدية وأوجه النشاط المعرفي والحضاري ـ التدوين ـ الترجمة ـ الشعر ـ الأدب ـ العمارة ـ المساجد والقصور ـ الري وإصلاح الأراضي ـ الحمامات ووسائل اللهو...).

الفصل الثامن: النشاطات الفكرية الدينية (الحديث ـ التفسير ـ الفقه ـ السيرة ـ التاريخ والأخبار ـ القضاء...).

الفصل التاسع: الحياة الاقتصادية.

الفصل العاشر: الحياة الاجتماعية.

الفصل الحادي عشر: الصراعات داخل البيت الأموي.

الفصل الثاني عشر: التعريف بالخلفاء وبأبرز الولاة والقادة والساسة.

خاتمة.

جريدة المصادر والمراجع.

المحتوى والفهارس الفنية العامة.

العصر العباسي (في العراق)

مقدمة: دراسة لأهم المصادر.

مدخل: تعريف بالأسرة العباسية.

الفصل الأول: الدعوة العباسية ـ الثورة ـ تأسيس الخلافة العباسية وبناء بغداد.

الفصل الثاني: الحياة السياسية وعصر حكم الخلفاء.

الفصل الثالث: الحياة السياسية ومراحل التحكم بالخلافة (ضباط القصر ـ الديلم ـ السلاجقة).

الفصل الرابع: الوزارة والوزراء والحياة الإدارية.

الفصل الخامس: الحياة الاجتماعية (المنظمات الشعبية ـ العيارون ـ الفتيان...).

الفصل السادس ـ الحياة الاقتصادية.

الفصل السابع: أهم الثورات اللاإسلامية والمذهبية والحركات الدينية المتنوّعة.

الفصل الثامن: العلاقات الخارجية وبخاصة مع بيزنطية.

الفصل التاسع: الدول المستقلة وشبه المستقلة في المشرق والعراق والجزيرة والشام ومصر وشبه الجزيرة، وبلاد خراسان وما وراء النهر، والمغرب والأندلس.

الفصل العاشر: الأحوال الفكرية (التدوين ـ الفقه ـ التفسير ـ الحديث ـ السيرة ـ التاريخ ـ الطبقات والتراجم ـ الآداب ـ الحكايات والملاحم ـ الترجمة ـ علم الكلام ـ الفلسفة ـ الملل والنحل ـ الجغرافيا ـ علم الهيئة والفلك ـ الحيل ـ الطب والصيدلة والمشافي ـ طب الحيوانات ـ علوم البحار ـ العلوم العسكرية ـ الهندسة ـ الري ـ الفنون ـ الرياضيات والموسيقى ـ الوراقة والنشر ـ الشعر...).

الفصل الحادي عشر: التعريف بالخلفاء وبأبرز الساسة والولاة والوزراء والقادة.

الفصل الثاني عشر: القضاء.

الفصل الثالث عشر: أهل الذمة (النصارى والصابئة والمجوس واليهود...).

الفصل الرابع عشر: من أوجه الحياة الحضارية (البناء ـ السدود والأقنية وإصلاح الأراضي ـ الحياة المدنية...).

الفصل الخامس عشر: سقوط الدولة العباسية في بغداد.

خاتمة.

جريدة المصادر والمراجع.

المحتوى والفهارس الفنية.

العصر العباسي (في مصر)

مقدمة: دراسة لأهم المصادر.

مدخل: تعريف بالأوضاع في بلاد الشام ومصر (الأيوبيون في الشام ـ في مصر ـ الكيانات الصليبية ـ الخوارزمية ـ الحملة الصليبية السابعة ـ ظهور المماليك).

الفصل الأول: المغول من جنكيزخان إلى هولاكو.

الفصل الثاني: معركة عين جالوت ونتائجها.

الفصل الثالث: بيبرس وإعادة تأسيس الخلافة العباسية ونشاطاته ضد الصليبيين والمغول.

الفصل الرابع: النظام العسكري والسياسي والإداري للمماليك (التدريب ـ الاقطاع العسكري ـ مصادر المماليك وأجناسهم ومدى اندماجهم في المجتمع ـ حياة القلاع).

الفصل الخامس: العلاقات مع المغول الايلخانيين حتى ما بعد معركة شقحب.

الفصل السادس: حكم الأسرة القلاوونية وتصفية الوجود الصليبي.

الفصل السابع: العلاقات الخارجية للمماليك.

الفصل الثامن: الأوضاع الاقتصادية وحركة التجارة الداخلية والدولية.

الفصل التاسع: الحياة الاجتماعية (الأحداث ـ العامة ـ الحرافيش ـ الزعر...).

الفصل العاشر: الحياة الدينية (العلماء ـ المتصوفة ـ السلفية...).

الفصل الحادي عشر: الحياة الثقافية والفكرية والعمرانية (الآداب ـ الشعر ـ الموسوعات ـ الطب ـ التاريخ ـ العمارة...).

الفصل الثاني عشر: العصر المملوكي الثاني (المشاكل السياسية ـ العسكرية ـ الاقتصادية ـ الانحدار والانحطاط إلى الانهيار...).

الفصل الثالث عشر: سقوط الدولة المملوكية.

خاتمة.

المصادر والمراجع.

المحتوى ـ والفهارس الفنية.

يجرى إعداد مخطط للعصر العثماني مع متخصص بتاريخ هذا العصر، كما يجرى إعداد مخطط للتاريخ المعاصر مع متخصص أو أكثر.

والله الموفق إلى السداد.

دمشق 2003/9/14

العربية والعولمة.. استنهاض أم استنزاف؟

دراسة تقييمية لوضعنا اللغوي

حسن سعيد جالو *

صدرت دراسة لغوية في جامعة كاليفورنيا لوس أنجيلوس قسم اللغات، وأثارت تخوفاً عالمياً لم يسبق له مثيل، إذ بيّنت بما لا لبس فيه أن وضع عالمنا اللغوي ليس بأفضل من وضعه الفيزيائي. فهناك ستة آلاف لغة ولهجة ستختفي نهائياً خلال هذا القرن، ويذهب معها تراثها ومعارفها. وهذا بلغة الحساب والإحصاء خسارة لا تعوض[1]. لم ينبع خوف العالم من حقيقة الموت، فالحياة والموت آيتان من آياته جل وعلا، وإنما خوف العالم نابع من سرعة تحقيق هذا الموت الرهيب.

يستثني بعض الناس اللغة العربية من هذه الكارثة لما لهذه اللغة من ارتباط وثيق بالقرآن الكريم وهو وعاء الإسلام دين الله الخالد، فهو بمثابة الصدفة التي تحمي اللؤلؤة في قاع البحر. لكن هذا لا يمنعنا من الاعتقاد بأن الإسلام دين العقل والمنطق الذي يعترف صراحة بقوانين الكون السارية في الطبيعة والإنسان سأتطرق في هذا الموضوع إلى مسائل عديدة منها: العولمة باعتبارها امتداداً للخيار الغربي الرأسمالي. والمسألة الثانية: اللغة العربية بين الماضي العريق والمستقبل العسير، والمسألة الثالثة: هل من الضرورة أن نواجه القدر بكل حزم وجد ونترك الاتكاء على جدار الدين في أمور لا يمكن الحسم فيها بالدين وحده؟

(I) العولمة:

ليست جديدة، بل هي تواصل مستمر للخيار الغربي الذي له جذران: جذر مسيحي تبشيري وإنساني، وجذر استعماري عدواني واستغلالي، فهذان الجذران لا ينظر إليهما نظرة الأسود والأبيض فهما معقدان ولهما ملابسات تاريخية أكثر تعقيداً.

1) الجذر المسيحي:

ولد المسيح عليه السلام في مجتمع يهودي، وتلقى جل مبادئه منه، إلا أنه من البداية سعى إلى إصلاح عقليته الهرمة التي جعلت الله خاصاً باليهود، رغم ما يعنيه هذا الموقف من تناقض سافر مع نصوصهم التأسيسية مثل موقف إبراهيم عليه السلام من الملك الصادق ملك شالم (التكوين 14: 18-21) والنبي أيوب وسيرة إينوخ في التكوين (5: 22) وغيرهم من الأنبياء والصالحين الذين كانوا أبراراً رغم كونهم غير يهود باعتراف نصوصهم نفسها[2] لم تسعَ اليهودية إلى معانقة الأمم قبل المسيح عليه السلام فكان جهد اليهود مركزاً على تخليص أمتهم من نير الأمم الأخرى، خاصة الإغريق والرومان وغيرهم.

رغم أن المسيح لم يترك بعده كتاباً على غرار القرآن يمكن الرجوع إليه[3]، فإن تلاميذه جمعوا تعاليمه وأقواله في أربع نسخ سميت بالأناجيل الأربعة، ثلاثة منها ملخصة من مصدر سابق لم يعثر عليه فسمّوه «المصدر الملخص» (synopsis) وهذه الأناجيل هي:

* كاتب وباحث / غامبيا

إنجيل متّى وإنجيل لوقا وإنجيل مرقس والرابع مستقل وهو إنجيل يوحنا. فالإنجيل في الحقيقة مشروع تحوّل من المركزية اليهودية إلى الأممية، فكانت الرسالة في البداية تعاني الاضطهاد من أختها اليهودية التي كانت ترى فيها الانحراف الخطير عن الأصل الصحيح، فسادت الخلافات بين الطرفين نتيجة الاختلاف في التأويل[5]، ووصل الخلاف ذروته في نهاية القرن الأول المسيحي عندما منع اليهود المسيحيين من دخول معابدهم (synagûgue) نهائياً فكانت القطيعة النهائية إلى اليوم.

المصدر الثاني من معاناتها هو الأمم غير اليهودية، خاصة الرومان والإغريق الذين كانوا يحكمون البحر المتوسط وحواليه بما فيه فلسطين مسقط رأس المسيح، إلا أنه في تطور موال، دخلت هذه الأقوام إلى الدين المسيحي بفضل اعتناق إمبراطور روما قسطنطين الدين الجديد من مدينة ميلانو عام (313 مسيحي)، فهذا الاعتناق، رغم كونه سطحياً وسياسياً، فقد حوّلها من مجرد طائفة مضطهدة تلاقي القمع من كل الأطراف (شهداء المسيحية سقطوا في كامل الإمبراطورية الرومانية بدون استثناء) إلى دين له الحظوة في جميع أقاليم الإمبراطورية، هذه الخطوة العملاقة مكّنتها من السيطرة على مقاليد الأمور سياسياً واجتماعياً في العصور الموالية، كما حوّلتها من دين الفقراء المقموعين إلى دين الملوك المستبدين مع بقاء نزعته التبشيرية التي بدورها تحوّلت من اللين والإقناع إلى التسلّط والتجبّر، خاصة مع الوثنيين، بل مع اليهود أيضاً، فقد وصلت هذه الشدة ذروتها أثناء الحروب الصليبية وحروب «استرجاع» الأرض من المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية أو ما يعرف بـ (conquistadore) التي مكّنتهم في النهاية من تحرير «بلادهم» ممن يسمونهم «بالعرب الكفار» (infidel moors)، وإقامة محاكم التفتيش (inquisition). ضد من بقي من هؤلاء في الأندلس، ومن ثم ارتكاب أفظع جريمة على حق الإنسانية في العصور الوسيطة، وما زال شبحها يطارد الكنيسة إلى اليوم.

وقد أدى تحالف الكنيسة مع الملوك إلى انحسار دورها الديني، وإلى تقوية الفرق الاحتجاجية والانفصالية، ومن ثم إلى قطيعة نهائية بين الكاثوليك والبروتستانت[6] وكلاهما تحالف مع ملوك الدول القومية الجديدة، فكان أكثر هؤلاء الملوك متعطشين للحرب إلى أقصى الحدود، رغم ما يتظاهرون به من روح التدين المزيف، فهذه النزعة العدوانية هي التي قادت إلى الاستعمار وما انجر عنه من المأساة.

جاء الإسلام ليمدد في عمر اللغة العربية ويبلور جمالها عبر المحطات الكبرى في رحلتها

2) الجذر الاستعماري العدواني:

فمنذ الوهلة الأولى من سقوط الإمارات الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبرية، انطلق الوحش الأوروبي من قفصه نحو العالم الخارجي، فاحتل الضفاف الجنوبية للبحر المتوسط، فالضفاف الغربية للسواحل الإفريقية، فبدأ يتاجر مع الهند وشرق آسيا مباشرة، ولأول مرّة في التاريخ بدون وساطة، وما أن حل عام (1492) حتى قضوا على آخر إمارة إسلامية في شبه الجزيرة الإيبرية وهي إمارة غرناطة، وغزوا القارة الأمريكية بقيادة المكتشف المزعوم كريستوف كلومبس[7].

فمنذ ذلك الوقت، سعى هذا الجزء الصغير من العالم الذي لا يمثل آنذاك أكثر من 1٪ من سكان العالم، سعى إلى السيطرة على مصير العالم.

فقد جمع ثروات هائلة من أركان العالم الأربعة، بطرق جلّها غير شرعي، وسخّر لذلك شعوباً كثيرة مثل: الشعوب الإفريقية التي سخروها لخدمتهم في مستعمراتهم الجديدة في ظروف لا يتحملها الحيوان الأعجم، كما سخروا شعوباً أخرى لاستهلاك بضاعتهم المسمومة، مثل تجارة الإنجليز مع الصين بالأفيون، مع العلم أن قيادة العالم منذ ذلك الوقت لم تنتقل من هذا الجزء من العالم إلى جزء آخر، وكل ما في الأمر أنها

تحوّلت من دولة أوروبية إلى دولة أوروبية أخرى، وبقي الأمر على هذا المنوال إلى اليوم.

لقد قيل حول هذه السيطرة كلام كثير جلّه يصب في خانة التبريرات الاستعمارية مثل أقوال دافيد لندوس (David Lendos) الذي قال: «إن الغرب أخذ مكانه في العالم بجدارة طبيعية، إذ كلنا يعرف أن الغرب أخذ حروفه الهجائية من الحروف الفنيقية الساكنة، فطورها وجعل لها حروفاً صائتة (Vowels) التي بفضلها قضى على الأمية في ربوعه مبكراً لسهولتها وقدرتها على التكيّف مع الأصوات، ثم إن ظهور المطبعة في هذا الجزء من العالم، مكّنه من الاستفادة من ثورة الكتاب قبل البلاد التي اخترعت الورق، وهي الصين والبلاد التي ساعدت على انتشاره وهي البلاد الإسلامية[8]، فالأمر كذلك في الأصعدة الأخرى التي ساعدت على توزيع الثروة في العالم، كالتجارة والصناعة وغيرها من الميادين، فالغرب لم يمنع أحداً من تطوير إمكاناته ومن ثم تحقيق أحلامه، فالأمم الأخرى رغم ما توفر لديها من إمكانات، لم تقدر على استغلالها في مسيرتها الوجودية»[9]. لا يخفى على أحد أن مثل هذه المقاربات تدخل ضمن تبرير الوضع القائم اليوم والأمس القريب، والحال أن الغرب، إذا كان يتميز بشيء يجعله في صدارة الأمم، فهو عدوانيته ليس إلا. فهذه العدوانية هي التي مكّنته من إخضاع الأمم وافتكاك ثرواتها المادية والمعنوية، وقد لخّص الشاعر الانجليزي وليام بليك (W. Blake) هذه الفكرة بإيجاز ووضوح يعجز أبلغ الناس عن بيانه وذلك في بيتين من الشعر يقول فيها: «مهما يكن من أمر، فلقد كان لنا بندقية ماكسيم وهم ليس لهم».

"Whatever happened, we have got the Maxim Gun and they have not" [10]

فالتفوق الغربي لم يكن أخلاقياً ولا نفسياً ولكن آلياً، فبواسطته أخضع كل الشعوب في العالم، ومنذ ذلك الوقت، غلب بقية الأمم وأخرجها من مسرح التاريخ، فظل القوة الوحيدة المؤثرة في التاريخ وغيره خاضع له.

لكن هل يعني هذا أن تستسلم بقية الأمم؟ الجواب طبعاً لا. بل عليها أن تقاوم كما قاومت العبودية والاستعمار بالأمس، فقدرها أن تقاوم اليوم أيضاً في كل المجالات بما فيها العولمة التي هي نتاج للصيرورة التاريخية التي فرضها الغرب على كل الأمم بما فيها العرب الذين يمرّون بأدق فترة في حياتهم الثقافية اليوم.

(II) اللغة العربية بين الماضي العريق والمستقبل العسير:

1) نظرة تاريخية:

تعتبر اللغة العربية من أقدم اللغات الحية اليوم وأعرقها، فهي من حيث الأرومة تنتمي إلى الأورمة السامية، أو السامية الحامية (Hamito - Semitic Languages) مثل البابلية والكنعانية وغيرهما. فهذه المجموعة اللغوية أصيلة الجزيرة العربية ومن هناك انتشرت إلى الهلال الخصيب فشرق إفريقيا وشمالها. ماتت كل أخواتها ولم تبقَ منها اليوم إلا لغتان تواصلان حياتهما في معزل عنها، إن لم نقل في قطيعة معها هما اللغة العبرية والإثيوبية، ويقول بعض المختصين في هذه الأرومة: إن اللغة العربية أوفى لأمها من جميع أخواتها الحيّة والمنقرضة[11].

رغم أننا لم نجد نصاً عربياً يعود تاريخه إلى ما قبل القرن الثالث المسيحي، فإن الخبراء يؤكدون على قدمها وجمالها اللذين يتجليان في نظام إعرابها أحد أبرز خصائصها والقدرة الهائلة على تفريع أصولها[12] فجاء الإسلام ليمدد في عمرها ويبلور جمالها عبر المحطات الكبرى في رحلتها، منذ أن نزلت فيها الآية الأولى من آي الذكر الحكيم، ساعدتها ظروف تاريخية طيبة تتمثل في دمج الدولة الدنيوية في الدين الأزلي، فاستعربت أمم كثيرة حباً في فهم دينها الجديد الذي ظل عصياً على من يجهلها، كما استعربت أمم أخرى بدوافع مشروعه، وإن كانت غير دينية وإنما حبها للحياة ورغبتها في تحقيق أحلامها، لأن العربية أضحت لغة علم ومعرفة وثقافة، لا يتسنى للمرء أن يتبوأ مكانة مرموقة في أي مجال من مجالات العلم والمعرفة إلا بها وهذا لم يكن يقتصر على العالم الإسلامي فقط، وإنما كل العالم المعروف آنذاك،

فسخّرت الأمم التي كانت تملك الخبرات في شتى المجالات، سخّرت إمكاناتها في دراسة هذه اللغة تأصيلاً وتفريعاً، وتصنيفاً وتبويباً، إلى ما هنالك من الأعمال[13].

لقد خفيت هذه الحقيقة على كثير من الباحثين فراحوا يعزون بقاء اللغة وتطورها إلى أسباب دينية بحتة، ولا يعرف هؤلاء أن ليس هنالك دافع أقوى من حلم الإنسان، بل حتى الدين في حد ذاته قد يكون جزءاً من هذا الحلم وليس الحلم كله.

انتشرت اللغة العربية في جميع الدول الإسلامية، ليس باعتبارها لغة دينهم فسحب، وإنما لغة عن طريقها يحققون أحلامهم، فلم تستطع بل لم تجرؤ اللغات المحلية على مزاحمتها، فحتى تلك التي كتبت منها كتبت بحرفها، وكان الناس يقرأونها ليس تعويضاً عن العربية، وإنما تمهيداً إليها، إذ كل المصطلحات العلمية والتقنية عربية. مما حوّلها إلى لهجة من اللهجات العربية من حيث المعجم، مثل التركية العثمانية والفارسية في الشرق الأوسط، والسواحلية في شرق إفريقيا والفلانية وهاوسا في غربيها.

يقول علي أمين المزروعي: «إنه من المفارقات أن يكون الإنجليز والألمان الذين أوقفوا الزحف الإسلامي في شرق إفريقيا، هم الذين شجعوا السواحلية على نشر قيمهم ودينهم، والحال أن هذه اللغة متشبعة بروح الإسلام قيماً وحضارة، فالسواحلية اليوم تنتقم للإسلام من الإنجليز وذلك بطرد لغتهم من المنطقة كما طردوا الإسلام منها أول مرة[14]».

فرسالة التعريب إذن كانت تسير جنباً إلى جنب مع الرسالة الإسلامية، لذلك نرى إن الانتكاسة التي وقعت للأولى انعكست على الثانية، لسنا هنا في صدد عرض الأسباب الكامنة وراء هذه النكسة لأنها نوقشت في أكثر من عمل، لكننا نعتقد أن الأسباب الداخلية كانت أقوى من غيرها، مثل غلق باب الاجتهاد الذي بدوره غلق باب البحث والإبداع العلميين وباب الثورة الدينية داخل المجتمع الإسلامي على غرار الثورة البروتستانتية في الغرب التي في نظري وراء إطلاق المارد الغربي من قمقمه مقابل جمود عام في العالم الإسلامي، مما جعل الناس يجترون القديم اجتراراً أو ما يعرف بفترة الشروح وشرح الشروح والحواشي، وحاشية الحواشي، مع احتقان الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية دون أن يؤدي ذلك إلى الانفراج، هذا كله أدى إلى النزعة الامتثالية (conformity)، والخوف من الجديد. فقامت حروب الإصلاح الدينية في أكثر من جهة في البلاد الإسلامية لكنها كانت في كثير من الأحيان حروباً سياسية وقبلية أضرت بالمجتمعات الإسلامية في وقت حساس ودقيق جداً، إذ يصادف الحملة الغربية على العالم بما فيه العالم الإسلامي، لأن ما يعرف بالاختلافات الطائفية والمذهبية في الإسلام أضيق بكثير مما يتصوّره الناس، بالمقارنة إلى الطوائف والمذاهب في الأديان الأخرى.

رسالة التعريب كانت تسير جنباً إلى جنب مع الرسالة الإسلامية، لذلك نرى أن الانتكاسة التي وقعت للأولى انعكست على الثانية

2) العربية المعاصرة:

فغني عن القول إن الحضارة الإسلامية حضارة تبشيرية ورؤيوية (Eschatological)[15] ومن ثم فإن أي تقوقع على الذات يؤدي إلى الموت المؤكد في كل المستويات، خاصة في المستوى اللغوي، لذلك لا نستغرب من الصدمة التي أحدثتها حملة نابليون على الشرق عامة، وعلى مصر خاصة[16]. فمنذ ذلك الوقت يحاول العالم الإسلامي اللحاق بالغرب، وأكبر جهد تمّ في هذا النطاق إلى حد الآن هو ما قام به محمد علي باشا، من ترجمة وبعثات علمية إلى الغرب، وكان أكبر هذا الجهد ينصب على إحياء اللغة العربية وعصرنتها، إلا أن هذا الجهد لم يأتِ أكله نتيجة الحملة الاستعمارية على المنطقة، فالأدبيات التي كتبت في هذه الفترة جلها تمجيدية أو تنفيسية بدون أن تجد وراءها خطة مدروسة أو برنامجاً متكاملاً إلى فجر الاستقلال، وهنا كانت الكارثة، إذ كثيرة هي الدول التي ناضلت من أجل استرجاع سيادتها الوطنية وعلى

رأسها اللغة العربية، لكنها ما إن استقلت، حتى زادت تمسكاً باللغة الأجنبية، ونادى بعضهم بالتعريب قطرة قطرة بدعوى أن الطبقة الأكاديمية لا تتكلم باللغة العربية أو أن المصطلحات العلمية والتقنية كلها أجنبية إلى ما هنالك من أعذار، وهي كما ترى واهية في أكثرها، إذ تشبه بما يسمى «الديمقراطية قطرة قطرة» التي هي في حقيقتها ليست إلا دكتاتورية مغلفة بثوب عقلاني لا يقنع أحداً.

التعريب قطرة قطرة أدى إلى نتيجة وخيمة تتمثل في التعريب الإيديولوجي الذي خلق طبقة من أنصاف المثقفين لا يصلحون في العير ولا في النفير لما يفتقرونه إلى أساسيات بديهية ووسائل المعرفة، ومن الملاحظ أن أكثر هذه الفئة ينتمي إلى الأكثرية المعدمة، بينما تواصل الطبقة الخاصة المحظوظة والأقلية تواصل دراستها باللغات الأجنبية، فرنسية كانت أم إنجليزية لأن هذه اللغات هي الوحيدة التي توصل إلى سدة الحكم[17] أو المراكز الهامة في البلاد.

فالطريق إلى التعريب مسدود في كل الصعد، فلا يغرنك ما تراه أو تسمعه من بهرجات ديكورية، فوراءها حقيقة مخيفة وهي أن الناس يزدادون نفوراً من التعريب، ولكنهم لا يصرّحون ذلك علناً، خشية تعرّضهم للأذى، وهو خلاف ما كان سائداً في الماضي حينما كان الناس يدافعون عن آرائهم حول قصور التعريب أو ما يزعمون أنه قصور بصراحة تامة.

اللغة العربية اليوم تشهد تراجعاً خطيراً في كل أرجاء العالم الإسلامي، وذلك في جزءه: العربي وغير العربي، أما في جزئه الأخير، فتلاحظه في مستويات عديدة، وأهمها إبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني في كل اللغات التي كانت تستعمله في الماضي، ما عدا لغات قليلة جداً حتى هي مرشحة في المستقبل إلى إبداله[18].

هنا أريد أن أفتح قوساً واسعاً، نوعاً ما، لما لهذا الموضوع من أهمية قصوى ولما يشوبه من سوء فهم من كل الأطراف، إذ يربطه بعض الناس إلى الدين مباشرة ولو أنهم يفتقرون إلى حجج دامغة من النصوص التأسيسية. كما يسعى الآخرون إلى تهميشه وهو هام جداً، كل يدلي بدلوه. لن أتعرض هنا إلى الدال الذي دار بين دعاة اللاتينية ومناوئيها في الوطن العربي في الثلاثينيات من القرن الماضي، وأعتقد أنه قد تجاوزته الأحداث، إذ لا أحد يثيره اليوم في كامل الدول العربية، حتى أشد الناس تفرنجاً، كما لا أريد إثارته في تركيا التي أصبح الحرف اللاتيني فيها واقعاً غير قابل للتغيير.

يبقى الجزء المسلم في إفريقيا ما وراء الصحراء الذي يمتد من السودان الشرقي إلى المحيط الأطلسي، حيث تجد شعوباً كثيراً أسلمت منذ أزمنة غابرة فأصبحت الثقافة العربية جزءاً لا يتجزّأ من ثقافتها، وكانت تكتب لغاتها بالحرف العربي فيما مضى، إلا أن هذا الجزء تمّ إخضاعه برمّته تحت السيطرة الاستعمارية إنجليزية كانت أم فرنسية، وهو ما زال في تشكل مستمر، وما زالت اللغات المحلية فيه مستضعفة، زيادة على النشاط التبشيري المكثف فيه، فهو مرشح لاحتمالات ثلاثة: فإما أن يقوم بزحف ثقافي نحو الشمال أي نحو الدول العربية أو المعربة في الشمال، مع العلم أن هذه الدول أيضاً تعربت على مراحل، ما زال بعضها يأخذ مواقعه في الساحة، وهذا دليل على أن التعريب ليس أمراً مستحيلاً في الجزء الذي نحن بصدده، وإما أن يقوم بزحف داخلي أي نحو الثقافة المحلية التي هي بدورها معربة إلى حد كبير. والخيار الثالث هو اللحاق بالغرب نهائياً ثقافة ولغة وربما ديناً أيضاً.

مع العلم أن من يفوز بالمعركة في هذا الجزء فقد فاز فوزاً عظيماً لما يمثله من ثقل يؤثر في كامل إفريقيا، إذ نجد فيه ثروات هائلة، من معادن وزراعة وحيوان وإنسان، ويكفي أني كون أكبر قطر من حيث السكان في القارة، يوجد هنا وهذا القطر هو نيجيريا، فإذا فشل التغريب والتنصير في هذا الجزء، لن يكون لهما أثر دائم في الأجزاء الأخرى، وذلك على الرغم مما حققاه من نجاح فيها خاصة في جنوب القارة، كما أنهما، إذا نجحا في هذه المنطقة فإن الدفاعات الثقافية في الشمال، بل في كامل الوطن العربي، سوف تنهار عاجلاً أو آجلاً، إذ لكل ثقافة خطوطها الدفاعية، وخطوط دفاع الثقافة

العربية، توجد في إفريقيا وليس في غيرها، لأن الثقافات المحيطة بالوطن العربي تتميز بخصائص لا يمكن اختراقها بسهولة، هذه الحقيقة مع الأسف، لا تعيها الجهات الثقافية العربية، لذلك لا تتعامل معها بطريقة مناسبة، وهي نقطة هامة تسجل على انتلجانسيا العربية إن كان لها وجود!.

فالأطراف كما قلنا إذن منقسمة على نفسها: فقائل بضرورة التمسك بالحرف العربي في اللغات المحلية، خاصة تلك التي كانت تستعمله على الأقل مثل: السواحلية وهاوسا والفلانية، ويتزعم هذا الفريق يوسف الخليفة أبو بكر الذي يرى أن كتابة هذه اللغات بالحرف اللاتيني اعتداء على تراثها الديني والقومي، لأن لهذه اللغات تراكماً معرفياً من النصوص الدينية والأدبية وغيرها لا تتسنى للأجيال المعاصرة والقادمة قراءته، إذا لم تعرف الحرف العربي، والحال أن هذا الحرف أصبح مخزوناً في وجدانهم، فهو عندهم ليس مسألة كتابة فحسب، وإنما مسألة ذاكرة جماعية ومسألة جمال ووجدان لدى الإنسان الذي لا يقدر بالثمن، فالاقتراح إذن ليس إبدال هذا الحرف بحرف آخر مهما كان نوعه، وإنما إجراء تغييرات مناسبة ليتلاءم أكثر فأكثر مع الأوضاع الجديدة في هذه اللغات[19].

أما الذين يرون عكس ما يراه يوسف الخليفة أبو بكر، فكثيرون هم أيضاً وفي مقدمتهم (أحمد حمباتي با) أبو مشروع الكتابة اللاتينية للغات الإفريقية في يونسكو، فهؤلاء يرون رؤية براغماتية، مفادها أن الماضي مهما كان أثيراً فهو ماض يجب ألا يؤثر سلبياً على الحاضر، وعليه فإن الحرف العربي لعب دوراً مهماً في اللغات الإفريقية التي تبنّته مثل السواحلية والفلانية والولوف وهاوسا وغيرها، إلا أنه اليوم، لم يعد قادراً على النهوض بها وإخراجها من العزلة والتخلف.

من أهم حججهم ما ذكره أحمد حمباتي با، الذي يرى أن الثقافة الإفريقية مهددة من جهتين: الأولى القراءة الإسلامية الخاطئة التي ترى في الثقافة الإفريقية المحلية شركا بالله، والجهة الثانية هي القراءة المسيحية المتطرفة التي ترى في الثقافة المحلية نوعاً من التخليط بين المسيحية والوثنية (syncrétisme).

فبما أن الأفارقة اليوم أو أكثرهم، إما مسيحيون أو مسلمون، فلا بد من القيام بعمل ما، وهو كتابة المعارف والثقافات الإفريقية بلغات الأفارقة التي قد تكون أوفى لتراثها وأقدر على التعبير عنه من غيرها، ثم إن الذين يقومون بهذا العمل هم الأفارقة أنفسهم، لأنه كما يقول المثل الإفريقي: «إذا حضر الماعز، ينبغي ألا نقوم باليعار في مكانه»[20] فالكتابة عنده لتكون عملية، يجب أن تكون لاتينية، لأسباب عدة منها: أن القارة برمّتها استعمرت من قبل الدول الأوروبية وهذا الاستعمار أفرز فيها واقعاً، لا بدّ أن نتعامل معه بموضوعية وهو أن الطبقة المثقفة برمتها تثقفت باللغات الأوروبية ثم أنها لا تعرف الحرف العربي ولا يمكن تجاهلها أو إقصاؤها، لأنها هي التي تحكم، والسبب الثاني يعود إلى طرق استعمال الحرف العربي في الماضي التي لا يمكننا اليوم أن نتغاضى عنها، إذا أردنا أن نقوم بنقد علمي بناء، فهذا الحرف لم يقع ضبطه رسماً وإملاء بين الجهات، فكان كل جهة بل كان شيخ يقرأ بطريقته الخاصة، قد لا يفهمها غيره، باستثناء جهة واحدة وهي فوتاجالون (غينيا) التي كانت تقرأ كل الكتابات الفلانية بالحرف العربي، كما يستطيع كل فلاني أن يقرأ كل ما يكتب في فوتاجالون بغض النظر عن جهته وموطنه، فهذا يدل على ما وصل إليه الحرف العربي من ضبط ونظام في هذه الجهة، فقد ترجم علماؤها كل الكتب العلمية إلى لغتهم، والسبب الأخير هو أن الأوروبيين قاموا بمجهود كبير في اللغات الإفريقية من كتابة المعاجم وكتب الإملاء وترجمة الأعمال الكبرى والكتاب المقدس إلى اللغات الإفريقية، بل حتى إلى بعض لهجاتها، مقابل جهل تام لهذا الموضوع في الوطن العربي.

مهما يكن من أمر، فإن الثقافة العربية شهدت تراجعاً كبيراً من حيث الإقبال في هذه المنطقة نتيجة فشل المدرسة العربية فيها، خاصة في مجالي التكوين والتشغيل وهما هامان جداً، إذ الناس في العادة تحرّكهم آمالهم وأحلامهم أكثر من أي شيء آخر حتى النزعة الدينية داخلة في هذا الأمر وناشطة فيه، وإن غابت عن

الرصد في بعض الأحيان، لكن ذلك لا ينفي تفاعلها مع العناصر المذكورة.

لست هنا في صدد تقليل الظاهرة الدينية، بل في صدد رصدها ووعيها وعيا «علمياً» إذ حتى الفتوحات الإسلامية التي يعتبرها بعض الدارسين ـ سهواً ـ بأنها حروب بطولية قام بها فرسان العرب ضد الممالك والإمبراطوريات، هي في رأيي نشاط تحرّري في معظم الفترات أقبلت عليه الشعوب المقموعة والمضطهدة من قبل حكامها، رغبة في التحرّر والانعتاق، وهذا يفسّر بجلاء سرعة انتشار هذه الفتوحات في منطقة جغرافية واسعة تشمل حدود العالم المعروف آنذاك، وتجاوب الشعوب معها دونما عناء أو عناد، لأنها كانت تريد تحقيق آمالها وطموحاتها التي تتجاوز في الجوهر النزعة الدينية السطحية التي كثيراً ما تخدع الناس بدعوى الإيمان.

الفتوحات الإسلامية نشاط تحرري في معظم الفترات أقبلت عليه الشعوب المقموعة والمضطهدة من قبل حكامها رغبة في التحرّر والانعتاق

فنحن هنا لا نتكلم عن الإيمان باعتباره جوهر الأديان، وإنما نتكلم عن الإيمان الصوفي الحالم والمفارق وهو كما ترى لم يعد يؤثر كثيراً حتى في الأديان الأخرى مثل: المسيحية التي ظنها بعض الناس ـ إن خطأ أو صواباً ـ ديانة مثالية لا تهتم بالواقع، فالمسيحية اليوم تركز على طموحات الناس وأحلامهم، من أصغر القضايا إلى أكبرها[21].

أما في الجزء العربي من العالم الإسلامي، فيبدو التراجع أوضح، خاصة في الميدان التعليمي، نرى تراجع اللغة الفصحى وقواعدها في كامل الأقطار العربية، بل أصبح بعض الأساتذة في اللغة العربية لا يتكلمون بها في حصص التدريس، وعندما يتكلمون بها، فلا يلتفتون إلى قواعدها، إما جهلاً أو استنكافاً منها وكأنها لغة ميتة لم تعد جديرة بالاهتمام، كذلك نرى تراجع الإقبال عليها من حيث التخصص، فلا يتوجه التلاميذ «الممتازون» إلى التخصصات العربية الإسلامية، فمن يتوجه إليها فهو إما ضعيف العلامات أو غلطة حاسوب في حقه وفي كلتا الحالتين، يظل يلعن حظه إلى الأبد[22].

الميدان الاقتصادي هو في جوهره لم يعرب بعد، بل بقي إنجليزياً أو فرنسياً إلى اليوم، وقد يظل كذلك في المستقبل المنظور. أما الميدان الإعلامي، فهو أدهى وأمر، فنحن نلاحظ زيادة فضاء العاميات في وسائل الإعلام العربية، مرئية كانت أم مسموعة، والحال أن من يستعمل العامية في المرئيات الأجنبية، يترجم كلامه على الشاشة فوراً، كائناً من كان فلا ينظر إلى عاميته، أكانت قريبة من لغة الأم أم بعيدة عنها، فرنسية كانت أم إنجليزية. أما في الوطن العربي، فنجد الناس يتحاجون في كون عاميتهم أقرب إلى اللغة الفصحى، بل يدعي بعضهم أنهم يتكلمون الفصحى سليقياً، والحال أن العرب الأوائل أصحاب اللغة قطعوا قولهم في هذا الموضوع منذ القرن الثالث الهجري، وبيّنوا أن لا سليقيون بعد ذلك القرن[21]. فكيف يأتي اليوم أناس ويدعون بالسليقية؟ ولا يراعون في ذلك العنصر الزمني ولا الانتروبولوجي من حيث الهجرة والاختلاط بين الأعراق واللغات. كل هذه العوامل وغيرها أدّت بالفضائيات العربية تتحول إلى مراكز إشعاع للعاميات العربية عوضاً عن اللغة الفصحى الموحدة التي تدعي كل دولة عربية أنها تعمل بها وتسعى إلى إثرائها!

من غرائبهم كذلك تقليدهم الأعمى للأجانب خاصة الإنجليز، فبما أن لهؤلاء كتباً مؤلفة للأجانب غير الناطقين بالإنجليزية (English for non native speakers) فنحن أيضاً نؤلف كتباً لغير الناطقين بالعربية أو للأجانب، والسؤال هنا من هم هؤلاء الأجانب؟ أهم الأوروبيون والأمريكان؟ لكن هؤلاء لا يقبلون على تعلم العربية، إلاّ ما ندر، وحتى في تلك الأحوال، فهم يعتمدون على وسائلهم الخاصة، المعنيون إذن هم المسلمون غير العرب من الآسيويين والأفارقة؟ لكن هل يحتاج هؤلاء إلى مثل هذه الكتب؟ خاصة أنهم يحفظون القرآن الكريم عن ظهر

قلب وهم صغار، إضافة إلى بعض القواعد النحوية؟ أليست العربية في هذه الحالة لغتهم الأم؟ ما الفرق بينهم وبين العرب «الحقيقيين»؟ أليسوا كلهم يحتاجون إلى صقل مواهبهم في اللغة الفصحى؟ هل يحتاج أبناء المسلمين إلى العاميات العربية؟ أسئلة كثيرة يبررها الواقع المعيش، فقد قال لي أحد الطلبة الأجانب: «تصور إن أستاذنا في اللغة العربية لا يعرف ضمير الشأن ولا عطف البيان، فكل ما يعرفه هو (اكل ريموند كسكساً لذيذاً) عندما زار بلادنا، ولبست زوجته كاتيا روبة تقليدية»!!

الخلل في رأيي يكمن في مقارنة الإنجليزية بالعربية، البريطاني والأمريكي بالمواطن العربي، والحال أن الفارق كبير، في مستوى الواقع والتاريخ، فاللغة العربية أقدم من الإنجليزية بقرون كثيرة، إذ أقدم نص إنجليزي إلى حد الآن لا يتجاوز عمره خمسة قرون[24]. بينما أقدم نص عربي يتجاوز عمره ثمانية عشر قرناً، مما يجعل اللغة العربية اليوم أقدم لغة حية في العالم بعد العبرية[25]، وإذا أخذنا مسألة الاتصال والانقطاع بعين الاعتبار، نجد اللغة العربية أقدم من العبرية، باعتبار هذه الأخيرة انفصلت عن الحياة اليومية العملية قرابة ألفي عام إلى أن تمّ بعثها من جديد عند إنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين عام 1948.

نقول باختصار: إن البون الذي يفصل بين العاميات الإنجليزية واللغة القياسية (Formal English) سواء في أمريكا أم في المملكة المتحدة، أقل بكثير من مثيله بين العاميات العربية وبين اللغة الفصحى، ثم أن الإنجليزية اليوم بفضل وسائل الاتصال الحديثة ومحو الأمية، أصبحت موحدة أكثر من أي وقت مضى، فالمواطن الأمريكي أو البريطاني مضطر إلى استعمالها بصفة مكثفة لينجح في حياته العملية، والمواطن العربي غير مضطر إلى الفصحى بهذه الدرجة. كل هذه العوامل تجعل أي مقارنة بين اللغتين مقارنة مغلوطة في الأساس، القصد منها ترك الحبل على الغارب، ومن ثم إحلال العامية محل الفصحى[26].

هذه العقلية في الحقيقة ناتجة من فرضية (premis) خطيرة ومضلّلة مفادها أنه يكفي المرء أن يكون أبواه مسلمين ومولوداً في بلاد إسلامية ليعرف الإسلام معرفة جيدة، وهي الحالة نفسها لمن ولد من أبوين عربيين وعاش في بلاد عربية، ليعرف اللغة العربية، بل ليكون مرجعاً فيها، والخطورة تكمن في أنهما يفتيان في أمور يجهلانها، أو يتطاولان على عقائد وقواعد انعقد عليها إجماع الأمة، مثل تطاول بعض الناس على القرآن الكريم فيتعاملون معه مباشرة كأنه جريدة يومية لا تصعب عليهم قراءتها، والحال أن القرآن كتاب موحى من الله فيه علوم كثيرة يصعب على الشخص الإلمام بها، وهي متعانقة بعضها ببعض، منها ما يتعلق بالشريعة التي لا بد لمن يريد فهمها أن يرجع إلى شروحها في كتب الفقه وأصوله مع إلمام واسع بالآراء والدارس الفقهية، ومنها ما يتعلّق بالعقيدة وهي أخطر، لأنها ليست الشريعة فأرضها أوعر ومسالكها أصعب على الحاذق المتمرّس، فما بالك بالغر المتسرع؟

أما اللغة العربية الفصحى فإن الخطب أكبر والبلاء أعم، لأن هذه اللغة كما يعرف الجميع حظيت في الماضي بعناية لم تحظَ بها أي لغة في الأرض لما لها من علاقة وثيقة بالدين، فقعّدت في أزمنة مبكرة جداً ما اتفق عليه على الأقل، أما أن يركب على رأسه ويتكبر على غيره، فلن يزيد الأمور إلا تعقيداً، لأنه إن كانت بعض العلوم تقبل المدعي ساعة أو لحظة في حياضها قبل أن ينكشف أمره، فإن الإعراب والرياضيات لا يفعلان ذلك، فإما أن تعرف القاعدة، فلك فسحة للمناورة، وإما لا تعرفها، فأمرك مكشوف ورأيك مرجوح.

3) عولمة غير معدلها (An Unprepared Globalization)

إن العولمة باعتبارها تطوراً طبيعياً للنظام الرأسمالي الغربي المفروض على بقية الشعوب، لا تناسب أحداً، لكن هذا لا يمنع أن تكون هناك شعوب أكثر استعداداً من غيرها، وذلك يرجع إلى الأنظمة السياسية والنظم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها. أما في الوطن العربي، فإن الدلائل تؤكد مجيئها قبل الأوان، فلو كان من الممكن تأجيلها لفعلنا ذلك لأننا غير مهيّئين لها ويتجلى ذلك في مواقفنا

المتذبذبة، بين القديم والحديث، بين القبلي والإنساني، وبين العالمي والمحلي، فدخول لغتنا اليوم إلى المنافسة المحتدمة سوف يجعلها منافسة غير كفء مقابل سباق لغوي جهنمي لم يسبق له مثيل تقوده اللغة الإنجليزية، التي تشتكي منها كل اللغات حتى تلك المعدة إعداداً جيداً مثل اللغة الفرنسية والألمانية وغيرها من اللغات، فهذه اللغات رغم ما رصد لها من ميزانيات هائلة وتشجيعات مغرية لأبنائها وغيرهم ممن يدخلون في فضائها من كتّاب ومدرّسين وطلبة... فإنها ترى نفسها مقصرة بالمقارنة إلى المجهودات البريطانية والأمريكية في هذا الميدان، في المقابل، نجد أولئك الذين ساقهم القدر إلى الفضاء العربي الإسلامي مثل الطلبة الأفارقة، يعانون أمرين، فكثير منهم ظل مقيماً في الدول العربية ما لا يقل عن عشر سنوات دون أن يزور أهله وذويه، ليس لأنه لا يرغب في ذلك، وإنما لقلة ذات اليد وغياب التشجيع. وهذا الوضع المأساوي انعكس على مستواهم التعليمي، ومعنوياتهم النفسية[26].

هذا كلّه أدى إلى كثرة التسرّب المدرسي بل الجامعي في صفوفهم: فمنهم من انقطع عن الدراسة في مستوى الإجازة بل حتى في مستوى الدكتوراه ثم ذهب إلى الغرب ليعمل كسائق تاكسي! لسنا هنا في صدد الاستنكاف من أي عمل كان، لكننا إذا نظرنا إلى الجهد الذي بذل ليصل إلى هذا المستوى، والآمال المعلقة عليه في منطقة شحيحة في التكوين عامة، والتكوين في الثقافة العربية الإسلامية خاصة، نجد أن الكارثة كانت كبيرة، لأنك أن تكون ألف طالب ممتاز في اللغات الغربية، إنجليزية كانت أم فرنسية أسهل لك من تكوين مائة طالب متوسط في الثقافة العربية الإسلامية خاصة، وصاحب هذه السطور شاهد على ذلك، كل هذا مؤشر من مؤشرات وضعنا اللغوي في ظل العولمة، إذ أن العولمة كغيرها من المسائل، لم تأتِ فجأة أو على حين غرّة، وإنما هي مسيرة طويلة عرفها من عرفها، فاستعد لها، وجهلها أو تغافل عنها من تغافل عنها، فداهمته ليتحول إلى وقودها.

هذا عن الأجواء اللغوية، أما عن أجواء البحث العلمي وما يتعلق به، فإن الإنجليزية تستأثره كاملاً، فليس هناك لغة تزاحمها فيه، بل حتى الترجمة، فاللغات عاجزة عن مواكبة ما ينتج في هذه اللغة، فاللغة اليابانية هي اللغة الوحيدة في العالم التي استطاعت أن تواكب ما ينتج في الإنجليزية بالترجمة فور إنتاجه، هذا ما جعل دولاً كثيرة تتخذ من الإنجليزية لغة تكوين مباشر، لأنها عجزت عن الترجمة أو وجدتها مكلفة وغير فعالة[28].

العولمة كغيرها من المسائل، لم تأتِ فجأة أو على حين غرّة، وإنما هي مسيرة طويلة عرفها من عرفها فاستعد لها، وجهلها أو تغافل عنها من تغافل عنها فداهمته ليتحول إلى وقودها.

فما يقرأ لكاتب عملاق مثل نجيب محفوظ في اللغة العربية أقل بكثير مما يقرأ لكاتب مغمور في اللغة الإنجليزية أو الاسبانية، بل حتى الفرنسية، والحال أن تعدادنا السكاني يتجاوز ثلاثمائة مليون عربي وزد عليهم ضعفي هذا العدد من المسلمين، فنحن إذن لسنا أقلية في العالم، إن لم نكن الأكثرية.

وأمام هذا الوضع الغريب والمختل في موازينه، لا يمكن للغة العربية أن تسهم في العولمة إسهاماً محترماً، كما لا يمكن لها أن تنافس اللغات الأخرى في الإنتاج الكمي والنوعي وهو شرط أساسي لدخولنا العولمة بحظوظ وافرة ولا نكون وقودها. نقول هذا ما أسف شديد كحقيقة مرّة ومزعجة أيضاً، لكن كما قال نزار قباني:

«لا تَعْذِليني إنْ كَشَفْتُ مَوَاجِعي
وَجْهُ الحَقِيقَةِ مَا عَلَيْهِ نِقَابُ»

(III) مواجهة القدر بحزم وجد:

1) سوء فهم النصوص:

لقد دأب بعض الناس في مناسبة وفي غير مناسبة على الاتكاء على جدار الخوارق والمعجزات للتنفيس عن أنفسهم وعن غيرهم ظناً منهم أن هذا العمل مطلوب في

الإسلام لرفع المعنويات وإيقاظ الهمم وسد اليأس والقنوع، وذلك اعتماداً على استنتاجات ناقصة ونصوص ظنية الدلالة مثل قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾

[سورة الحجر الآية: 9].

من هذه الآية انطلق بعضهم إلى الجزم بأن الله أعطى اللغة العربية ضماناً واضحاً لصك الخلود! مع العلم أن هناك احتمالاً آخر لمعنى الآية، فالضمير المتصل (له لحافظون) يمكن أن يعود إلى الرسول (ﷺ)[29] ثم إننا حتى لو جزمنا على أنه يرجع إلى الذكر الحكيم فهو أقرب الاحتمالات إذ بعد خمسة عشر قرناً من الزمن، لم يطرأ على القرآن تحريف أو تبديل، لكن هذا لا يسحب على اللغة العربية، باعتبار الحفظ موجهاً إلى الكتاب وهو جزء من اللغة وليس اللغة كلها التي هي كائن حي كأي لغة أخرى سبق أن نزل فيها وحي من الله من لدن آدم عليه السلام إلى محمد (ﷺ).

فالاتكاء على الخوارق والمعجزات نتيجة للعجز أو التقاعس، قد لا يكون عملاً مطلوباً في الإسلام دين العقل والمنطق والواقع، لأن عملاً كهذا، إذا سوغ في ظروف استثنائية، قد يؤدي إلى تسويغ أعمال أخرى في ظروف أكثر استثناء، وهذا بدوره قد يقود الأمّة كلها إلى متاهات أخرى.

قبل عشرين عاماً، كنت اعتبر نفسي ـ وما زلت ـ مرتبطاً باللغة العربية أكثر من أي لغة أخرى في العالم، كما كنت أعتقد أن مستقبلي ومستقبل كل مسلم فيها وليس في غيرها، وأن المسألة مسألة وقت فقط، حتى يعود الجحدة والعققة إلى رشدهم ويقبلوا قدميها ويتوبوا إلى المولى عز وجل الذي لا يخلف وعده وقد قال في آية صريحة بأنه سيحافظ على الذكر ومعه طبعاً لغته العربية، فهذا الشعور لم يكن غريباً عن شباب مثلي تربوا في عائلات مسلمة وضعت كل رهانها على هذا الدين ولغته وحضارته العظيمتين.

لكن بعد عشرين عاماً من الزمن وبعد دراسة وتجربة، تعمق فهمي للدين نسبياً وزادت معرفتي لمن حولي وزاد إيماني بمدى ارتباط الإسلام بالعقل والمنطق، وأنه لا مبدّل لسنّة الله في الكون، وأن هذا القانون يسري في كل شيء بما فيه اللغة العربية. فأي تعارض إذن بين الإسلام وبين هذه القوانين، يجب الرجوع إلى فهمنا للدين فسوف نجد الخلل فيه وليس في الدين في حقيقته ولا في القوانين الكونية، هكذا تعدل موقفي وهذا حماسي فوجدتني أرى أن المستقبل ليس كما كنت أراه، بل هو نتيجة ما ينحته كياني في جدار القدر.

كنت محظوظاً في أنني تخصصت في هذه الثقافة التي هجرها كثيرون بدعوى أنها لم تعد تساير العصر، دون أن يعطونا حجة نستند إليها، شأنهم شأن أولئك الذين يريدوننا أن نتمسك بكل شيء باسم الدين دون أن يكون رأيهم مقنعاً، فهذان الفريقان في رأيي يفعلان اليوم في المجتمعات الإسلامية ما لا تفعله النار في الهشيم، وأن المعركة الحقيقية هي التي تدور بينهما وبين المثقف المعتدل المقبل على العولمة المفروضة عليه وهو لا يملك لها رداً، فكل ما يملكه هو أن يستعد لها خير استعداد حتى لا تفاجئه وتطأه بمنسمها.

2) تناقض الإتكالية:

فمسألة اللجوء إلى الدين كلّما تعلق الأمر باللغة العربية مسألة معروفة في أوساط المثقفين وغير المثقفين، وفي التيارات الدينية والقومية وغيرها، وهنا وقعوا جميعاً في تناقض صريح، فبعضهم لا يرى الفصل بين الدين وبين المسائل المتشابكة في الحياة، لكنهم عندما يتعلق الأمر باللغة، فلا يرون غضاضة ولو مؤقتاً في معانقة الدين ناسين المسائل الأخرى ذات الصلاة المباشر بالحياة. وكأن الإسلام هو المبرر الوحيد لوجود اللغة العربية، وهذا ما يرفضه بعضهم في المسائل الأخرى، خاصة السياسية مثل المواطنة على سبيل المثال.

إن ما أدّى إلى هذا التناقض الصارخ هو وعيهم جميعاً بأن اللغة العربية لم تجد إلى حد الآن دعماً مادياً يعينها على الاستمرار إلا الإسلام، وهو كما ترى غير طبيعي في عصر يتسم بالنزعات القومية والمادية لا يمكن حصرها أو السيطرة عليها، إذ باستثناء حفنة من المستشرقين ورجال المخابرات الغربيين، لن تجد من

يقبل على دراسة العربية دراسة جدية وعميقة، إلا العرب والمسلمين، وهنا تكمن المأساة، إذ أن أغلب هؤلاء الدارسين المسلمين غير العرب بصفة خاصة، لا تعمل بلدانهم باللغة العربية، ولا توجد فيها مؤسسات عربية قادرة على استيعابهم[10] ولن يجدوا عملاً بطبيعة الحال في الدول العربية، ويبقى الحل الوحيد لديهم هو المسجد الذي قد يكون غير محتاج إليهم، لأن الخبرة المحلية من إمامة وكتاتيب، قد تكون كافية خاصة في منطقة لا تدفع المقابل المادي إلى أئمتها، مما جعل كثيراً من هؤلاء الائمة يلجأون للحصول في المقابل إلى الطرق الملتوية، منها بيع آيات القرآن الكريم (حروز) أو المعالجات الخرقاء باسم «البركة» وغيرها من الدجليات والتلاعب بالعقل والمنطق، كل هذه الأساليب في الواقع، إن بررها بعض الناس تحت غطاء الثقافة الاجتماعية و«السيكولوجية» الدينية[11] فهي تضر الإسلام واللغة العربية، لأنها لا تربطهما فقط بعقلية تم تجاوزها (Archaïque)، وإنما بعقلية خرقاء منفرة، ويكفي أن نتصورها في المجتمع متعدد الديانات: المسيحية والإسلام كما هي الحال في أغلب المجتمعات الإفريقية، هل من المعقول أن ننظر إلى بني وطننا من المسيحيين وهم يدرسون في أرقى المدارس، ويتخرّجون في أعظم الجامعات، ويتقلّدون أعلى المناصب، في البلاد وخارجها، في حين نجلس كمتفرّجين أو نلجأ إلى أعمال خرقاء باسم الدين أو الثقافة الاجتماعية؟ أليس هذا العمل في حد ذاته يقدم للطرف الآخر دعائية مجانية؟ فالاتكالية الدينية في بعض الأحيان قاصرة حتى عن فهم الدين نفسه، دع عنك العولمة.

فكثيراً ما ينظر إلى الشخص حسب انتمائه الجغرافي أو العرقي، وليس حسب مقدرته وكفاءته، يمكن أن تلاحظ ذلك في كثير من المؤسسات العربية ذات الصبغة الثقافية أو الدينية أو ذات العلاقة باللغة العربية عموماً، فتوظيف شخص ذي أصول عربي أسرع من غيره، لقد تعرّض صاحب هذه السطور مع الأسف لهذه التجربة في مناسبات عديدة، في حين نجد اللغات الغربية التي كان من المفروض أن تكون أكثر التصاقاً بالعرق والجهة، لكنها على العكس أقل التصاقاً بهما اليوم، مقارنة إلى العربية التي كان من المفروض أن تتجاوزهما، فأنت إذا كنت متخصصاً في الآداب الإنجليزية أو الفرنسية وأنت عربي، لا ينظر إليك باعتبارك عربياً، لأنهم يعرفون جيداً أن هذه اللغات منذ أن تمّ تقعيدها بقواعد، تجاوزت حدود العرق والجهة، فالقيمة الوحيدة التي ينظر إليها هي المعرفة والقدرة على التواصل مع الآخر.

أليس من حق اللغة العربية أن تعامل بعدالة مع اللغات الأخرى حتى تكون حظوظها وافرة في هذا الخضم اللغوي؟ فكيف نعامل حذاقها بالحيف في الوقت الذي نريدهم فيه أن يقبلوا عليها؟ ألا يكون هذا التصرف مدعاة للتنفير منها؟

لست هنا ضد ربط اللغة العربية بالدين الإسلامي فهو أجلى من أن ينفى، كما أنني لا أقلل تأثيراته، فهي عظيمة في كثير من الميادين، خاصة في ميدان العقيدة والشريعة، وإنما أردت أن يكون هذا الربط صادقاً وواعياً، وقبل كل شيء نابعاً من إيماننا بهذا الدين، وليس مجرد نزعات عرقية أو قومية نتخبط فيها خبط عشواء، متناقضين مع أنفسنا ومع غيرنا، فعندما تكون هناك مصلحة مادية أو معنوية، ننسى الدين والأخوة الدينية، رغبة في استئثارها من دون الناس جميعاً، وعندما تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، نلجأ إلى الدين لنربطه بأوضاعنا الثقافية، بل بكل أوضاعنا حتى تلك التي لا علاقة له بها[12] فهذا الموقف المتناقض انعكس سلبياً على وضعنا اللغوي فخبى الحماس في قلوب الشباب، إذ قارنوا بين المتمسّكين باللغة العربية وثقافتها وبين المتمسكين باللغات الغربية. فكان الفرق هائلاً وقد نتج من هذه المقارنة موقفنا: موقف مؤسف ولكنه صريح، إذ يتمثل في رفض اللغة العربية رفضاً مبالغاً فيه ينم على خلفية إيديولوجية تكره كل ما يمت اللغة العربية بصلة بعيدة أم قريبة، نجد هذا الموقف غالباً عند بعض الفرانكفونيين، وموقف ثاني لا يقل خطورة من الأول، لكنه يداهن بذكاء وخبث كبيرين، في الظاهر يحب العربية وفي الباطن يسخر منها ويتآمر عليها [33] وبين

هذين الفريقين فريق ثالث ليس بذي نفع ولا بذي خطر فهو هامشي لا يكاد يذكر.

3) تجربة تستحق الاهتمام:

ما دمنا نتكلم عن الصدق في ربط اللغة بالدين ربطاً واعياً، فأرى أنه من الضروري أن أذكر تجربة معاصرة وفريدة من نوعها، تكاد تكون معجزة إن جاز لي استعمال هذه الكلمة فقد ذكرها الأستاذ ربحي كمال في كتابه القيم: «دروس في اللغة العبرية[14] هي تجربة اليعيزر بن يهودا المهاجر اليهودي الليتواني الذي هاجر إلى القدس عام 1881. لكن لماذا تجربة اليعيزر ابن يهودا بالذات وليس غيرها؟

تجربة اليعيزر لأسباب عديدة: منها أنها ناجحة حسب الخطة التي وضعت لأجلها، ولو كانت فاشلة، لما ذكرها أحد، ثم أن اليهودية على الرغم من عدائها أو عداء بعض معتقديها للإسلام، فهي شبيهة به في نواح كثيرة، منها: العقيدة التوحيدية والتطور التاريخي أي إحلال الأمة الدينية مكان الأمة العرقية، ربط اللغة بالدين ربطاً نهائياً، مكانة التوراة العبرية في حياة اليهود شبيهة بمكانة القرآن الكريم في حياة المسلمين، فلولا التوراة العبرية لضاع اليهود في خضم الأمم، كذلك لولا القرآن لضاع المسلمون واللغة العربية في العصور الحالكة، خاصة في فترة الاستعمار، وأهم من ذلك كله هو أن اليهود أنفسهم يعترفون بأيادي الإسلام البيضاء عليهم، فلولاه لضاعوا أو قضي عليهم ثقافياً ودينياً، خاصة في العصور الوسطى في الأندلس[15] وأنهم لم ينعموا بالحرية والراحة خلال تاريخهم الطويل إلا في ظل الدولة الإسلامية في الأندلس[16].

أخيراً الشبه الموجود بين العربية والعبرية باعتبارهما أختين شقيقتين، ولما عانته كل واحدة منهما في حياتهما، بقيت العبرية قابعة في المعابد ومجالس الأحبار بعيدة عن الحياة النابضة قرابة ألفي عام، إلى إنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين عام 1948. ثم انطلقت، أما العربية فرغم حيويتها فهي مبعدة عن الحياة العملية وأضحى من يتكلم بها في الشارع، ينظر إليه نظرة تحمل معاني شتى بل وصل أحد الفنانين الناجحين إلى السخرية منها في أنجح مسرحية في الوطن العربي (واد سيد الشغال) لا أحد استنكر أو أبدى ملاحظة عابرة، فلو صدرت هذه السخرية من الأجانب، لقامت الدنيا ولم تقعد، أما ما دامت صادرة من أحدنا، فلا بأس!!

لنرجع إلى الموضوع الأساسي وهو تجربة اليعيزر ابن يهودا، يقول ربحي كمال: «إن الحركة الصهيونية نشأت في روسيا لم تكن مقصورة على الدعوة إلى الهجرة إلى فلسطين وتأسيس المستعمرات فيها فحسب، بل كانت ترمي، بالإضافة إلى ذلك، إلى إحياء الثقافة اليهودية واللغة العبرية (...) وفي عام 1881 هاجر اليعيزر بن يهودا مع زوجته إلى فلسطين وأقام في القدس، وظل مدة أربعين عاماً يناضل باستمرار من أجل إحياء اللغة العبرية وجعلها لغة المخاطبة والمحادثة (...) فرض على نفسه وعلى زوجته وأولاده التحدث بالعبرية، فأشار عليه أصدقاؤه بالعدول عن هذا الجنون، وألا يكون سبباً في إتعاس ولده الذي لن يستطيع الاشتراك مع لداته.

أسس في القدس رابطة المتكلمين باللغة العبرية ونشرها بين ظهراني الناشئة اليهودية، وكان بيته محجاً للشباب المثقف، إلا أنه لقي صعوبات جمة منها موقف الحاخامات اليهود منه الذين كانوا يعتبرون اللغة العبرية مقدسة لا يليق التحدث بها في الشارع، لكنه رفض ذلك فوشوا به لدى السلطات العثمانية بأنه ثائر فاعتقل، فلما توفيت زوجته، رفضوا دفنها في مقبرة اليهود بجبل الزيتون في القدس. أما المشروع الكبير الذي أنجزه اليعيزر بن يهودا فهو تأليف قاموس اللغة العبرية القديمة والجديدة، قد ثبت له بعد الاستقراء أن مفردات اللغة العبرية في ذلك الحين لم تكن تصلح إلا للتخاطب في شؤون نظرية وروحية مجرّدة، لكنها غير كافية (...) وانكب دون كلل ولا ملل ينقب عن كنوز اللغة العبرية في كتب الأقدميين: في العهد القديم والتلمود واللغات السامية، وقد ثابر مدة أربعين عاماً على إصدار المعجم العبري الكبير وقد أعد منه تسعة مجلدات في حياته، ويصدر المعجم العبري الكبير الآن في ستة عشر

مجلداً مدققة ومنقحة من قبل المحققين واللغويين[17].

هذه التجربة جديرة بالاهتمام، لأنها كما قلنا سابقاً، ناجحة، ومن يزر الكيان الصهيوني، ير ذلك بأم عينه، حيث يتكلم الناس ذوو أصول مختلفة وأعراق متباينة وثقافات متنوعة باللغة العبرية التي قربتهم إلى بعضهم بعض، وجعلت منهم أمة واحدة، ولو مؤقتاً، هذا ما كان يسعى إليه اليعيزر بن يهوا إذ قال حكمته المشهورة التي يعرفها المثقف والأمي معاً: «لا حياة لأمة لا لغة لها، ولا لغة لأمة لا تستعملها في حياتها اليومية»[18].

الخاتمة والمقترحات:

ظل ميدان اللغة منذ فجر التاريخ ساحة صراع بين الأمم. من أجلها قدم الإنسان أغلى وأنفس ما يملكه ألا وهو النفس، ومن أجلها كتب لبعض الأمم البقاء رغم بساطتها وإمكاناتها المتواضعة. في حين اندثرت أمم وصلت من الحضارة ذروتها ومن العلم غايته. فطبيعة الأمم بالأمس، لا تختلف كثيراً عن طبيعتها اليوم، لذلك فهي اليوم تتصارع صراعاً حاداً في ميدانها كما كان الوضع دائماً وكما يبدو في المستقبل المنظور، إذ تنفق من أجلها ميزانيات خيالية تفوق كل التصورات. فهي إذ تقوم بهذا العمل فلأنها تعرف جيداً أن النصر لا يكتب لأمة من أجل تفوقها العسكري، وإنما لأجل تفوّقها الثقافي الذي لا يخفى على أحد أن اللغة جوهره إذا كان له جوهر.

العولمة آتية لا ريب في ذلك، وهذا ليس من باب القدرية التاريخية، وإنما من باب الواقعية التاريخية نفسها، وهي كما قلنا سابقاً: استمرار لتطور الرأسمالية الغربية التي استعارت من المسيحية بعدها التبشيري الرؤيوي، مع العلم أن للغة العربية أيضاً البعد نفسه، فهو عامل مهم، ولكنه ليس حاسماً في هذه المعركة، لأن العولمة لائكية (Secular) إلى حد كبير، العامل نفسه، ليس لصالحنا مائة بالمائة فعدد الذين يدخلون في المسيحية في العالم أكبر من عدد الذين يدخلون في الإسلام، فالقارة الإفريقية على سبيل المثال إلى وقت قريب كانت الأغلبية فيها مسلمة، أما اليوم فقد رجحت كفة المسيحية خاصة بعد أن بدأت تأخذ مواقع لها في المناطق الإسلامية التقليدية مثل شمال إفريقيا وغربيها[19].

فأمامنا إذن خيارات قليلة وكلها تتطلب مزيداً من المجهود العملي والفكري، وعلى رأسه القطع نهائياً مع التعريب قطرة قطرة فهو مضيعة للوقت، بل علينا أن ننزل اللغة العربية إلى الميدان فوراً، من حظيرة البناء إلى المخبر، ومن المساجد إلى المعامل، ومن المهندس إلى العامل اليومي، مع جهد مستمر لإيجاد مصادر المعلومات ومراجعها.

اليهود أنفسهم يعترفون بأيادي الإسلام البيضاء عليهم، فلولاه لضاعوا أو قضي عليهم ثقافياً ودينياً، خاصة في العصور الوسطى في الأندلس وأنهم لم ينعموا بالحرية والراحة خلال تاريخهم الطويل إلا في ظل الدولة الإسلامية

كل ذلك لتكوين ثقافة أنتروبولوجية تجعل من ثقافتنا جزءاً لا يتجزأ من ثقافة العالم، لا ثقافة الملائكة يتخصص فيها المستشرقون هواة الغرائب والطرائف. وهو عكس ما نراه اليوم في جل الفضائيات العربية التي تفتقر إلى العنصر العالمي لذلك لا يشاهدها إلا العرب أو من يحنون إلى الشرق البريء. وهذا ما جعل الشباب وكثيراً من المثقفين الذين يبحثون عن التنوّع الثقافي يتوجهون إلى القنوات الأجنبية أو القنوات الخاصة، وأخيراً علينا أن نرجع الأمل إلى دارسي العربية لأن أهم حافز للناس هو رغبتهم في تحقيق آمالهم وأحلامهم، وليس الحماس القومي والديني، وإن كانا داخل اللعبة.

فاللغة الإنجليزية التي يتفاخر بها شباب اليوم، هم في الواقع لا يحبونها ولا يحبون الأنجلو-سكسونيين، وإنما يحبون تحقيق أحلامهم المجسدة - إن صواباً أو خطأ - في اللغة الإنجليزية وتوابعها أي أنه في كلمة واحدة «النجاح» (success) لا شيء غيره وهو خلاصة أيديولوجيا العولمة: أليست جديرة بهذه المشقة وهذه المعاناة الجاثمة على صدر كل واحد منا، حيث لا يمكن إسقاطها بمجرد انتفاضة؟

المراجع

1 _ **Russell G. Schuh:** Hundreds of African Languages Face Extinction. University of California Los-Angels. Departement of Linguisitics.

تتحدث هذه الدراسة عن اللغات المعرضة للانقراض في العالم وهي ستة آلاف لغة ولهجة، في القارة الإفريقية وحدها سبعمائة لغة ولهجة، في القديم كانت اللغات تنقرض وليس في ذلك أي غرابة، لكن هذه المرة، كانت العملية أسرع مما كانت عليه في السابق، حين كانت تأخذ عشرات السنين، بل مئات السنين في بعض الأحيان، مع العلم أن أهم أسباب هذه الكارثة هي العولمة.

2 _ **Jacques Dupuis:** Toward a Christian Theology of Religious Pluralism. New York, ORBIS, 1997 PP. 25-56.

3 _ هذه الرواية مسيحية اعتمدناها لتكون متسجمة مع مصادرهم الموثوقة، وهي بطبيعة الحال محطئة في الإسلام، لأن المسيح عليه السلام مثله مثل الرسل عليهم السلام من قبله، بعثه الله إلى قومه بكتاب أوحي إليه من الله جل وعلا وهذا الكتاب هو الإنجيل قال تعالى ﴿وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور، ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين﴾ (المائدة: 46).

4 - **Understanding the Bible:** The Old and the New Testament Cambridge University Press, London, Cambridge, 1996.

5 - **Marie Vidal:** Un Juif nommé Jésus: une lecture de l'Evangile à la lumière de Torah, Albin Michel, 1996.

هذه الكاتبة يهودية أرادت أن تؤصل المسيح داخل الفكر اليهودي وأنه لم يكن شاذاً عنه، بل إن دخول غير اليهود في فكره هو الذي شوّش تعاليمه التي لم تكن شاذة عن تعاليم الأخبار. فهي بعملها هذا لم تسئ إلى المسيحيين فحسب عندما اعتبرتهم «جهلة» ومن ثم عليهم أن يقرأوا كتابهم على ضوء التوراة، بل المسلمين كذلك، إذ هم لا يعتبرون المسيح مجرد حبر من الأحبار، وإنما رسول من الله.

6 - C-D. Darlington. The Evolution of Man and Society, George Allen and Unuin-London.

7 _ Ibid. PP. 327-357

8 _ **David Lendos** Richesse et Pauvreté des nations, Tr. Par Jean François Sonnet, Paris, Albin Michel, 2000/cf Ziauddin Sardar. Post-modernism and the Other: the New Imperialism of Western Culture, London-Chicago, Pluto Press. 1998

9 _ Ibid, PP. 24-67

10 _ Walter Rodny How Europe Underdeveloped Africa. Washington,1974 PP. 45-47

11 _ إسرائيل فولفنسون. تاريخ اللغات السامية، دار المعارف القاهرة، 1926.

12 _ المصدر نفسه، ص ص. 260 _274، أنظر كذلك نبيل علي في قدرة اللغة العربية المعلوماتية وكفاءتها في عصر المعلومات «العرب وعصر المعلومات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والآداب لدولة الكويت عدد: 184، أبريل/ نيسان 1994. ص ص. 347_449.

13 _ عبد الرحمن ابن خلدون. المقدمة، ودار المدينة المنورة والدار التونسية للنشر، 1984، ج1، ص ص. 196 _ 197.

14 - **Mazurui Ali Aminu.** The Secularization of an Afro-Islamic Language: Church and market place in the spread of Kiswahili, Journal of Islamic Studies Oxford University Press, Vol I. 1990 PP. 24-53

15 _ **Henri Sanson,** Universalité du Christianisme et Universalité de L'Islam, Islamochristiana, Rome, Pisai. 1987. PP. 47-59.

16 - **Ibrahim Abul Lughod,** Arab Rediscovery of Europe: Study in Cultural Encounters Princeton University Press. Princeton, New Jersey, 1963 PP.9-60.

17 - **Omar Assous:** Arabization and cultural conflict in Algeria, North Eastern University, Boston Massachussett, 1985.PP. 55-56

18 _ **Mazrui Ali Aminu,** Opcit; PP. 24-56

19 _ يوسف الخليفة أبو بكر. الحرف العربي واللغات الإفريقية، تونس ألكسو. 1992، ص ص. 11 _ 37.

20 - **Amadou Hampate Ba.:** Aspects de la Civilisation africaine, Paris Présence Africaine, 1972 PP 28-34

من مداعبات أحمد حمباتي با اللطيفة والساخرة في آن معاً، أنه عندما اقترح عليهم في اليونسكو بضرورة إنقاذ الثقافة الإفريقية، ضحك الحاضرون من الأوروبيين قائلين: «إنهم لأول مرة يسمعون شيئاً إسمه «الثقافة الإفريقية» فرد عليهم قائلاً: «لو لم تكن وراءها إلا هذه الضحكات البادية على وجوهكم، فالفائدة عظيمة للغاية، لأنكم محرومون من الضحك البريء في ثقافتكم الأوروبية».

21 _ المؤتمر العالمي للشباب المسيحي، روما يونيو 2000، جمعت فيه الكنيسة الكاثوليكية قرابة مليون ونيف شباب من جميع أرجاء العالم، وبرهنت بذلك على اهتمامها بالشباب وقضاياهم.

22 _ مجلة فيصل السعودية، عدد 218، يناير 1995. ملف كامل عن اللغة العربية بأقلام ثلة من العلماء والباحثين.

23 _ قطب الريسوني، تلوث اللسان العربي، المرجع نفسه، ص ص. 39_45.

24 - Lamin Sanneh Translating the Message· The Impact of Missionary On Culture. New York. ORBIS. 1993.

25 _ إسرائيل فولفنسون، المرجع السابق ص ص. 217 _ 248.

26 _ مرزوق بن تنباك. اللغة العربية بين العامية والفصحى، مجلة الفيصل، سبق ذكرها. ص ص. 26 _ 31.

27 _ عبد الله صالح سانا. مدخل لقضايا المسلمين في غرب إفريقيا· دراسة في الإنسان والمجتمع، القارئ العربي للتوثيق والأعلام والنشر، القاهرة ب. ت. يصف الأستاذ عبد الله ظروف الطلبة الأفارقة وهو واحد منهم في جامعة الأزهر الشريف، هذا الكتاب هام جداً لمن يريد أن يطلع على موقف بعض المثقفين غير العرب من اللغة العربية التي أفنوا أعمارهم في دراستها فهو موقف جدير بالدراسة لما يتسم به من تعبير تلقائي حر بعيد عن المجاملات التمجيدية.

28 - **Kaplan Robert** B. Language Planing Ltd., Clerendon Pheladelphia, 1997 PP.123

29 _ أبو الفداء إسماعيل ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، دار الجيل، بيروت، ب ت. ج2، ص ص. 530_535.

30 - **Bour John.** 2000 years of Christianity in African History; 1962-1992 Nairobi Paulines, 1994. PP256-367

31 - **Nicolas Guy** Dynamique de L'Islam au Sud de Sahara, France POF, 1981. PP.83-135

32 _ **Monteil Vincent** l'Islam Noir, Paris, Seuil 1980

33 _ Omar Assous Opcit PP. 40- 62

34 _ Ibid. PP. 84- 86

35 _ ربحي كمال، دروس في اللغة العبرية، مطبعة محمد الهاشم الكتبي دمشق، 1971، ط5، ص ص. 60_63.

36 _ المصدر نفسه ص ص 55_69.

37 _ المصدر نفسه والصفحات نفسها.

38 - **Steven J.Zipperstein.** Elusive Prophet Ahad Ha'am and the Origins of Ziônism University of California Press Berkly Los Angels 1993

(أحد هعم) كان زعيم الصهيونية الثقافية، في حين كان (هيرتزل) زعيم الصهيونية السياسية، كان (أحد هعم) يؤثر في أتباعه أكثر من (هيرتزل) ثم أنه هاجر إلى فلسطين حيث توفي عكس هيرتزل.

39 _ John Bauer. Opcit. PP 526-527



الدين وعلوم المستقبل

عمر لطفي العالم*

❖ **ربَّ معترض يقول:** إنَّ ما سمَّيته علماً مستقبلياً أو إرهاص ثقافة قادمة لا محالة، يستوي في ذلك علم الأحياء وعلم الأشياء، لا يعدو كونه حكماً على مجهول، أو نبوءة زائفةً يكتنفها الشك ويلفُّها الغموض. فهُمْ - أصحاب الفكرة وأهلُ الكشوف - ليسوا أسعد حالاً ولا أوفر حظاً، هُمْ مثلُنا في غفلة مما يصنعون! ومن يضمن ألا ينقلب السحر على الساحر، وألا يتأسى القزم الصغير بمارد القمقم الأسطوري الكبير؟! فما تميل شمس ولا يعسعس ليل، إلا ويطالعنا خبر لافت بإنجازٍ مثير، في واحد أو أكثر من حقول العلم والمعرفة، لا يسع المرء أمامها إلا أن يقف مشدوهاً وِقفة المخبول: ترى هل جاوز الإنسان الحد؟ ويحه هل جاس المنطقة الحرام؟ وهل.. بات على أذرع من حل الأحجية الكبرى.. لغزِ الموت والحياة؟! بجرة قلم، ربما بتصريح فروسي على إحدى شاشات المرئية، أو بتدبيج بحث في أحسن الأحوال، بهذه البساطة يوضع حلٌّ فوري لقضية مزمنة تتشابك فيها حزمة من علوم، واصطرع عليها الخلق رجوعاً إلى أول عملية تهشيم رأس لطرد عفريت تسلّل إلى جوف الجمجمة من فتحة الأنف..؟!

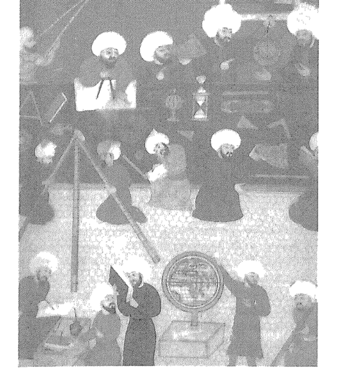
ليس المنطق الديني الحالي الذي يعالج أعند العلوم، ما كان منه على سبيل التباهي بغنى التراث، أو البرهان على حيوية النص المقدس ومرونته، أغنى منهجاً من ذلك الجراح الذي شحذ شفرته لكنه لم يعثر على الشيطان!!

ومنذ قرعت الكنيسة طبول الحرب على أيام داروين، لأنه أهان الجنس البشري، ومرق على سفر التكوين، يوم خاطب الجموع الغفيرة التي احتشدت لسماع نتائج بحوثه الجريئة حول الأصل بالقول: (إذهبوا فابحثوا عن جذوركم في الأدغال والغابات)، منذ ذلك الحين وحتى صدور ردِّ الفعل المعاكس عقب نجاح أول عملية استنساخ، تتفاوت الرؤى حول جدوى الدفاع عن قضية متأرجحة، لا لفراغ على الجانب الميتافيزيقي، ولا لحجة بالغة على الجانب التطبيقي، بل لخصائص معرفية وقواعد حوارية، ما كان ينبغي تجاهلها في معرض الفعل ورد الفعل، بما يصطلح على تسميته بعبارة (كاتيشيسم) في سياقات هذا النوع من الحوار.

ومنذ حدوث أول مواجهة ساخنة بين العلمانيين الأوروبيين وأصحاب الأناجيل، والتي وجه فيها البابا غريغور لوماً شديداً للمفكرين الذين يتألون على كفايات الكتاب المقدّس في الرد على أسئلة الطبيعة وشعور هؤلاء بالإلغاء، تشابه الموقف الاجتهادي الإسلامي من الموقف المسيحي الرسمي من المستحدثات العلمية الحساسة تشابهاً تبعياً، أقرب ما يكون إلى حالة احتواء منه إلى وجود تقاطع بين سفر وسورة أو آية وإصحاح.

حَقٌّ، باطلٌ، خَطأ صوابٌ، جمع بين النقيضين حول نقطة واحدة أو أكثر ليس مهماً، والمهم عندي أنها لُقيا والتفافٌ، حالَةٌ من التقاطع المنهجي والمرجعي في

* كاتب وباحث/ سوريا



الرؤية الدينية الواحدة لقضايا خلافية بين العلم والعلمانية على جانب، وجبهة دينية متحدة في الشكل، متنافرة في المحتوى والسيرة والتاريخ على الجانب الآخر.

ليس من العدل أن يطالبني أحَدٌ بأن أقتفي له اثر الواقعة وأن أحصي الوقائع عدداً، فهذا مطلب يشق على أي باحث يريد أن يختصر المسافة لدخول الحقيقة من أيسر أبوابها.

غير أن هذا الاعتذار لا يمنع من التذكير بطائفة من الجدليات العقدية، التي ما تزال قائمة منذ أن مال الطرفان بالخلاف إلى شكله الحواري المنظم. نحن في نظر كنيسة واحدة على الأقل، مذهَبٌ منشقٌّ عن النصرانية. ونحن في ميزان المذهبية الكاثوليكية نقف صفاً، لا فرق بيننا وبين الكنائس المسيحية المخالفة الأخرى، ولا خلاص لنا، أي لا جنة تُرتجى ولا رضوان في ما يسمى بالديمومة.

ونحن ثالثاً وفي أحسن الأحوال، (معتقدٌ) يمكن للآخرين أن يتسقطوا فيه بعض جوانب الحق والخير والجمال.

ولم يدخل هذا التطور الأخير، أو الاعتراف الجزئي (الاستخفافي) حيِّز الحوار، إلا بعد تدخّل الكنائس الأنغليكانية والبروتستانتية، وظهور كتب مثل كتاب القس الانجليزي (جوهن هيك): (للّه أسماءٌ عِدَة).

وبرغم هذه النظرة الدونية، فكلما أطبقت كماشة العلم على ما تبقى من قناعات قروسطية مهلهلة، أو تعرَّضت المصالح الامبريالية للخطر، هُرعت الكنيسة لطلب النجدة من جميع (المؤمنين)، للوقوف صفاً في وجه العدو الملحد، بغض النظر عمّا ألمعنا إليه من تفاوت وتناقض وخلاف.

من ذلك أن المؤتمر الدولي الذي التأم في مدينة القاهرة تحت شعار (الإجهاض)، خلال تسعينات القرن المنصرم، وشاركتْ فيه وفود مثلت مختلف العقائد والطوائف والأديان، انتهى بشهادة المراقبين الغربيين إلى صوغ قرارات وتوصيات، فاز فيها الفاتيكان بحصة الأسد، ولم تخرج في جوهرها ـ كما ذُكر، مخالفة لمعتقدات قروسطية قدمها الشارحون الأولون لمقولات الرسل والقدِّيسين ونصوص الكتاب المقدّس.

ليس من العدل أن يطالبني أحَدٌ بأن أقتفي له أثر الواقعة وأن أحصي الوقائع عدداً، فهذا مطلب يشق على أي باحث يريد أن يختصر المسافة لدخول الحقيقة من أيسر أبوابها

لقد ورثت الكنيسة المسيحية فلسفة (يونان) القائلة: إن الإنسان منذ آدم وحواء لا يتكوّن ولا يتخلق، بل يضعه الرب جاهزاً، وأن الروح تُزرع في لحظة التلقيح. وتدافع الكنيسة أيضاً عن آراء وراثية سادت في العصر الوسيط، إذ ترى إن الحيوان المنوي للرجل يُعد ناقلاً للإنسان كلّه، وعلى هذا فكلُّ تبديد للمادة المنوية هو بمثابة قتل متعمد. والأدهى من هذا، أن الإنسان ينتقل كروح جاهزة من فم الرب إلى رجل الدين، مع تفويض كامل بإدارة هذه الحقيقة في حال توافر شرط العصمة. وضُبطت الأمور لاهوتياً لتنسجم مع هذا الاعتقاد. وهكذا مُسحت خطيئة آدم الأولى (بالصلب)، فيما أسند إلى الوسطاء في الأرض محو الخطايا بالتعميد والاعتراف.

وانطلاقاً من مبدأ (كل إجهاض جريمة)، وإنْ نتج عن حالة اغتصاب أو خللٍ وراثي شديد، تتمسّك الكنيسة بموقفها من التحريم، ولو خالف القناعات العلمية، أو العقلية، أو العقائد الأخرى مجتمعةً أو فرادى. وفي خطوة استرضائية لا تخلو من دهاء، طوَّرت الكنيسة أسلوب تعاملها، فركبتْ موجة العلم - والحديث دائماً للصحافة الغربية - وراحت تتحدّث بلسان علم الأجنَّة. واعتمدت صورياً على معلومة أكيدة من علم الوراثة الحديث، مفادها: إن كلَّ بويضة ملقّحة تحتوي بالضرورة على العناصر الوراثية الكاملة للإنسان الذي سوف ينمو منها. لكنها تجاهلتْ ما تبقّى من تلك المعلومة، وهو تطوّرها وما قد تؤول إليه في ظروف غير طبيعية. يجدر بالذكر هنا، أن أيَّ كائن جديد يتكوّن في الأصل من 24 زوجاً من المورثات، تتساوى فيها حصة الذكر وحصة الأنثى بواقع 24 خلية لكل طرف. وللعلم أيضاً، فإن الحديث حول تاريخ مراحل النشوء التي يمرُّ بها الجنين البشري، وفكرةُ استحقاق هذا الجنين للفظَيْ (النفس والروح)، ترجع إلى العام 1866م حيث وضع أسسها الفيلسوف هيجل.

وانطلاقاً من قناعات وثوابت علمية، هاجم العلمانيون أفكار الفاتيكان هذه بعنف، واستندوا في هجومهم إلى:

1- لو أن باب الخلود غدا مفتوحاً متاحاً أمام كل بويضة ملقّحة، لتضوَّر الناس جوعاً، ولأصبح الحكم بالإعدام موجباً على كل أنواع الحيوانات والنباتات في كوكبنا، لأن الإنسان وحده هو الكائن الحيّ الذي الذي لا يبلى؟!

2- ولأجل هذا، كان عالم الأحياء الانجليزي (ريتشارد داوكنس) على حق حين أطلق عبارة (أنانية النوع) على هذا النمط من التفكير، ووصف إجهاض بويضة بشرية واحدة ملقّحة بشيء يقطع الأنفاس، لأنه يثير فزعاً خلقياً وغضباً يزيد على قتل أي حيوان.

3 - والحكم قد يكون عادلاً بالميزان الحيوي الخلوي أيضاً: (فالألم الذي تعاني منه سمكةٌ يسحبها صياد من الماء بصنارته، يزيد كثيراً على ما يسبّبه طبيب لمضغة عمرها ثلاثة أشهر). وربما كان من الصحة القول - خُلقياً وحيوياً: (إن الذي يأكل بيضة دجاجة ملقحة، لا يزال بعيداً من الوصف بأنه يأكل ديكاً). والكنيسةُ في موقفها الداعي إلى تحريم الإجهاض بجميع أنواعه، اعتمدت على الفقرة 1398 من القانون الروماني لحقوق الكنيسة، والذي نصّ على حرمان كل مؤمن من حقوقه الدينية في حال المخالفة، بينما انطلق العلمانيون في إجازتهم من حق مدني وهو موقع المرأة المساوي لمنزلة الرجل، وليس بصفتها نجماً يُزيّنُ غرب قبة السماء لو ماتت على فراش الولادة كما تصفها أساطير الهنود الحمر.

نحن متلهِّفون بالطبع لسماع الطريقة التي ردَّ بها الفقهاء المسلمون. وما أسوقه هنا لا يعدو كونه عيِّنة مختارة من ردود. وما عداها سأنيخ بكلكل القراءة عليك. في هذا الطوفان المعلوماتي، لا تكفي ثقافة أحادية لتشكيل رادع فقهي يذود عن بيضة الدين. أقول ذلك ابتداء وأضيف: وهذا التسلح المعرفي المسطح لا يشكل اليوم أدنى قيمة معرفية تنقذ سفينة الإيمان من الغرق...! وحين يُحتسب الجهل أو الخطأ، لا يُحسب ذلك على القائل بمفرده، بل على القضية التي يدافع عنها. ولكي أختصر فهذا واحدٌ من أشهر علماء الفقه في هذا العصر أعطى رأيه. يجوز أم لا يجوز، سؤالٌ طرحه طبيب متخصصٌ في علم الأجنّة، ردَّ عليه العالم الشرعي بالقول: (لقد ربط الفقهاء بين الإجهاض والحركة، فلا إجهاض مع ثبوت حركة الجنين والعكس صحيح).

لا تكفي ثقافة أحادية لتشكيل رادع فقهي يذود عن بيضة الدين

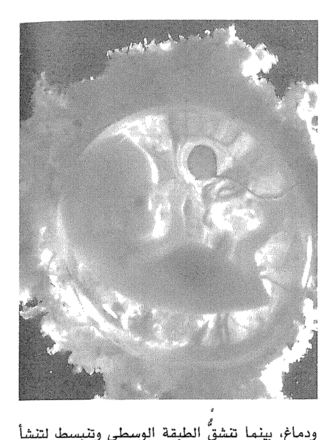
ولقد اسقط في يد الفقيه حين ردَّ الطبيب مستنكراً: (وماذا عن حالات حمل صحيحة لم تُسجّل خلالها أي حركة؟!). سأكون مضطراً لتقديم بسطةٍ -

ولو قصيرة ـ حول ملابسات الحمل من آخر ما توصّلت إليه استطلاعات الطب الحديث في هذا المجال، فقد تجيب عن أسئلة يجهلها المشرعون، أو قد تحلُّ بعض ما استشكل فهمه في الدين.

❖ كان المصور السويدي لينارد نلسون أول من أدخل عدسة تصوير الى رحم امرأة حامل. وبعد عشرين سنة من نشر لقطاته المدهشة في منتصف الستينات، حقّق فتحه المبين الثاني، إذ فاجأ العالم ببعض أعاجيب التخلق الخافية، حين حقق بدقة متناهية تفاصيل اللقاء الحار بين البويضة والنطفة، قبل الانتقال المندمج في عنق الرحم للشروع في بناء الكائن الجديد. ولعل أروع مشهد قدَّمه، كان لملايين النطف وهي تصول وتجول من حول البويضة، في شوق عارم للأنثى الوحيدة. حتى إذا أذن صاحب القرار بالدخول، ونازعها غيرها من المنتظرين الذكور، انقبضت خاصرتها فتسلل، وأطبقت غلافها عليه، فمنعت البقية الباقية من المشاركة في الدخول.

هي تختار قرينها إذاً. فإذا رجعنا إلى العلم وسألناه: لِمَ؟ سكت ولم يُجب. ومن العسف الصارخ أن نُلحّ عليه بالسؤال. فقد تكون الإجابة مسوّغة وقد لا تكون، وقد تبقى طي المجهول أبداً.

إن العائد المرتقب من عرض واقعة التلاقح بالنسبة لنا ليست ذات جدوى طبية بقدر ما هي جدوى فلسفية. فخلال ثلاث ساعات لا غير، يبدأ علماء الأجنة بالتحدث حول حياة جديدة، رغم الجهل المطبق بخطى التحريض الأولية للنمو. وفي اليوم السادس أو السابع من التخصيب، تحدث الوقائع الأهم في نظرهم. فالجنين الذي لا يزيد طوله على عُشر المليمتر والمسمى (بلاستوسيست)، يأخذ في الحركة نحو الأمام عبر العنق ليلتصق بجدار الرحم ويبني عشاً. وهناك تنطلق إشارة البدء لإنشاء النموذج المقترح. فإذا تحوّلت الكتلة الدموية (علقة) إلى ما يشبه كيساً مفتوح الفم (مضغة)، وجدرانٍ مؤلّفة من ثلاث طبقات خلوية قابلةٍ للعزل، تحوّلت الطبقة الخارجية إلى جلد وشعر، وجهاز عصبي



ودماغ، بينما تنشقُّ الطبقة الوسطى وتنبسط لتنشأ منها أعضاء الجسم الداخلية: الخلايا الدموية ـ العضلات والعمود الفقري، أما الطبقة الداخلية فتتحوّل إلى جهاز للهضم والرؤية. في هذه المرحلة الدقيقة من التطور، أي حين تكون الأجنة قد كوَّنتْ هيكلاً واضحاً، فإن جميع الحيوانات الفقرية تبدو شديدة التشابه. فالسمك والتمساح والعصفورُ والإنسان تتمتع بهيئة رأسية متطابقة تقريباً، وذيلٍ مثل ذيل السمكة وفتحتي خيشوم. وهذا يعني أن مورثات (هوكس) التي تصدِرُ الأوامر للخلايا الشغالة (بالتصوير) النهائي، هي مستودع الإعجاز، لأنها ترسم الحدود النهائية والملامح لكل الأنواع.

يستوقفنا هذا المشهد لنسترجع بذاكرتنا قصة النشوء الأولى أو القضية الخلافية الأخطر حول أصل الإنسان. هنا حيث يتمّ التصوير في الأرحام، ويغشى الابهام الطبقات الخلوية الثلاث، فلا يدري أحَدٌ، لا العدسة ولا العينُ المجرّدة ولا (المنجمون) ماذا تخبّئ هذه الكتلة الدموية الحالكة من مفاجآت، هنا تتكرّر سيرة الإنسان الأولى من نقطة الصفر تقريباً، لتُلقيَ بظلال كثيفة من الشك على فرضيةٍ علمية

ألحقتْ إهانة كبرى بالجنس البشري.

من جانب آخر فإن الظلمات الثلاث التي تحدّث عنها أصحاب النيات الطيِّبة في معظم التفاسير ليست ظلمات مادية، ولا يمكن فهمها على هذا الوجه بعدما اقتحمتها عين (الكاميرا) فكشفت عنها الغطاء، وأفقدتها بريق الإعجاز والتحدّي الذي لم تكن طبيعة العصر تسمح بأكثر منه!!

إن المعرفة لا تتوقف، إن المعرفة تتراكم وتتكامل وتتشكّل، أجل لا تولد دفعة واحدة. وإذا رغبت في معرفة المزيد حول الطريقة التي تمّ بها هذا الكشف العلمي المبين فدونك الواقعة:

لقد تمّ اكتشافها في (إست) ذبابة، ولقد وقع الاختيار على هذه الحشرة المزعجة لما تتحلى به من دورة حياة قصيرة تسمح بتتبع آليات العمل.

ففي غمرة الدهشة هذه، طرح العلماء على أنفسهم سؤالاً مهماً يتعلق بمدى تشابه آليات الدفع الوراثية بين الأنواع. وجاءت تجربة العالم الأمريكي (وليام ماك جينس) بمثابة الرد الحاسم. إذ زرع فريقه مورثاً بشرياً من نوع (هوكس) في جنين ذبابة فاكهة (دروسوفيليا) بعدما شلّ نشاط مورث هوكس الخاص بالذباب بوساطة الطفرة الجينية. يجدر بالذكر هنا أن كلا المورثين الدافعين في الإنسان والذبابة ليس واحداً. عمل المورث البشري في حوض الذبابة. ونما الرأس تماماً بحسب النموذج. وبرغم التشابه الشديد القائم بين التطور الجيني للذبابة والديكة والإنسان، فمن غير الواضح كيف تمّ تحريض خطوات التطوّر البدئية. واللافت للنظر أن تطور الحيوانات على اختلافها، والنبات، الذي يتم بتحريضٍ من مورثات (هوكس) التي سبق ذكرها، دليلٌ على أنّ هذه المورثات حافظت على كتلتها (أي كتلة الخلقة الأولى) خلال العمل في الأنواع كلها، بصفتها مفتاح السر لخطى التطور الحاسمة كلها. وهذا في حدّ ذاته مؤشر على أن عمليات التطور التي تحققت بنجاح، حافظت على خصائصها منذ ملايين السنين، وإذا تغير شيءٌ، فعددُ أنواع المورثات لا غير. فإذا لم يتبدل في هذه الفرضية شيء، نكون اقتربنا كثيراً من (وسطية) بين (ما ينقله) الدين (ويثبته) العلم الحديث حول وجود (يد حكيمة دافعة)، وأن التطور موجودٌ ولكن ليس بالصورة التي أرادها داروين قطعاً، بل على طريقة افتراق الأنواع كما شاهدنا في قرار تصوير الأجنّة. وليس على أصحاب المدرسة (السلفية) أن يثوروا ويغضبوا إن عجزوا عن التزحزح من مواقعهم فنحن في خاتمة الأمر في (جامع) لا في (كنيس)!!!

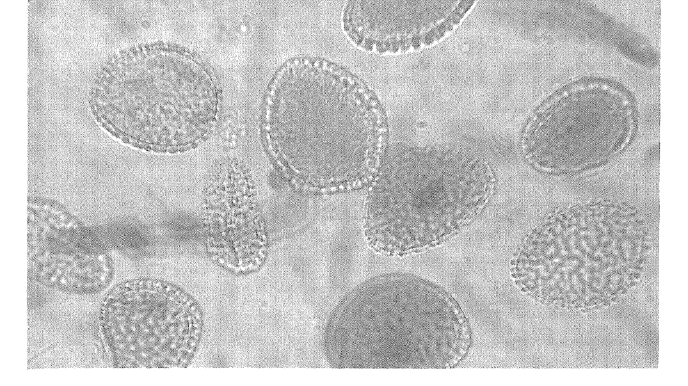
وبعد انقضاء أربعة أشهر ونصف الشهر، بدءاً بلحظة الانقسام الخلوي، يتوقف العمل في جميع أنواع الخلايا، ويحصل الإنسان على سحنةٍ غير قابلة للاستبدال، وإنْ ظلّت الأعين مغلقةً حتى الأسبوع الخامس والعشرين تقريباً. فإذا حدث ووقعت ولادة غير طبيعية في منتصف فترة الحمل، فسوف يتمتّع الوليد بفرص قوية للحياة.. إذا توافرت العناية الطبية الكافية. ومن ذلك كلّه نخلص إلى الاستنتاجات الآتية:

1) إن تكامل النمو يقع بعد 18 أسبوعاً أو 126 يوماً تقريباً.

2) وأن فرص الحياة لولادة مبكرة، أي بعد 18 أسبوعاً قوية أيضاً.

وبهذا فحين استند الفقهاء إلى ما جاء في الحديث النبوي الشريف لتحديد الصفة الآدمية الشرعية على الجنين، لا يكونون ابتعدوا كثيراً عما قرّره علم الأجنة الحديث. وعلى هذا أيضاً، فلا الإنسان يوضع في الرحم جاهزاً بحسب المعتقد المسيحي، بل يتطور (يتخلق)، ولا الحركة من عدم الحركة معيار صحيح للإذن بالإجهاض من عدمه. وتبقى مسألة واحدة في ما احتج به العلم من أسباب:

همْ ـ العلمانيون على حق بالطبع في ما ذهبوا إليه من احتمالات حدوث خطأ ما في السجل الوراثي، لا يتوقعون معها إنساناً كاملاً، والرأي عندهم أن نتدخل فنضع حداً مبكراً لهمومٍ. وربما دموعٍ وآلامٍ، أو أن نقف متفرّجين حائرين. من ذا الذي يملك جواباً؟ وعلى الذين يطيقونه أن يتفضلوا أولاً فيقدموا لنا تعريفاً



محدداً قاطعاً مانعاً لكلمات الحياة والنفس والروح، تحظى بإجماع الفقهاء والمخبريين.

لست فقيهاً، ولم تطعني نفسي يوماً لركوب هذا المركب الخشن. لكنني سأتقدم بسؤالين، واحد أوجّهه إلى العلماء والعلمانيين: لماذا التفكير (بالقتل) في الوقت الذي بدأتم تتحدثون فيه عن خريطة لإصلاح أخطاء في الطبيعة؟ أليس الجنين المعاق ابنُ الثمانية عشر أسبوعاً، يشكّل حالة مرضية تستدعي علاجاً لا قتلاً كأي حالة مرضية أخرى، مع فارق واحد أن الأول غائب والآخر مولود؟!

أما السؤال الثاني فإلى (رجل الدين): إن مبرِّرات القتل في نظر الشريعة الإسلامية تكمن في حالتين: القتل العمد والفساد في الأرض. ومع توافر القصد الطيب والعقلانية العلمية، أين موقع الشر في الإقدام على الإجهاض؟! وكما سبقت الإشارة، فالأوساط العلمية تتحدّث اليوم عن (أخطاء للطبيعة) ينبغي إصلاحها. وقد أفادت هذه الفكرة في تحقيق وثبة هائلة مع دخول علم الوراثة حيِّز التطبيق في المجال الطبي. ولكي لا يكون حديثنا رجماً بالغيب، فلا بدّ من جولة مع أبجديات هذا التخصّص توصلنا إلى بداية الخيط. لقد عرف الإنسان وراثة الصفات منذ أبعد العصور. إلا أن فكرة تحسين النوع بوساطة الاختيار المتعمّد أو التصفية المقصودة لجملة الصفات السيِّئة بما يعرف (تحسين النسل) لم تبرز إلا خلال السنوات السبعين الماضية. واكتسبت الصحة الوراثية سمعة مذمومة حين تحوّلت إلى عنصرية إتنية، وأفضت إلى تصحيح الخطأ لدى الملايين، الشيء الذي تولى هتلر والوطنيون الاشتراكيون أمر تنفيذه. وكان الباحثون قد فكّروا قبل هذا في (صنع) إنسان بصنع الوحدة الأساسية أي الخلية. وأفلح الباحث (ميللر) وتلامذته في الحصول معملياً على (شيء) يتمتع بصفات الخلية من حيث التركيب، لكنَّ (خليتهم) لم تنقسم وبالتالي لم تتكاثر. وما لبث الجهد أن تحوّل نحو التعمّق في دراسة الخلية نفسها. وفي السنة التي ناقش خلالها ألف عالم جيني من أربعين بلداً فكرة تفكيك (الكتلة البشرية الخلقية) بإشراف المنظمة الدولية وكان ذلك في العام (1996م)، تمخض المشروع بأسبقيات مختلفة عن الحصول على مخططات دقيقة للجينات، شكل الانجليز بمخططهم آخر فصل فيه، واحتفل رسمياً بما يسمى نشر الخريطة الوراثية للإنسان في آخر القرن المنصرم.

فإذا تركنا الجانب التقني، وأرهفنا السمع لما يقول له العلماء، أسمعونا كلاماً عذباً يدعو للبهجة والتفاؤل. وهو يتمثل في رغبة الطب وعلم الأحياء بوضع حلٍّ جذري لكثير من الآلام التي لم تنفع معها طرق المعالجة التقليدية. ولخص الباحثون طريقتهم

الجديدة (بالتوظيف المتعمّد) لما كان يجري في الهواء الطلق منذ مليارات السنين. وبدلاً من استخدام الأشعة السينية التي عادة ما تؤدي إلى تدمير عشوائي لا يمكن إصلاحه في جسم المصابين على سبيل المثال، فإن إدخال تعديلات على كتلة الخلقة بات شيئاً في متناول اليد. من ذلك أن سبب أحد أمراض الدم الخطيرة المميتة في الغالب، خطأ في حرف واحد ضمن ملايين الحروف في مكتبة كتلة الخلقة. إن حامل هذا الخلل لا يستطيع إنتاج مادة خضاب الدم (الهيموغلوبين) على نحو سليم. وتصحيح مثل هذا (الخطأ المطبعي) أصبح وشيكاً الآن. أما طريقة العلاج فتتلخص في أخذ الخلايا المنتجة من نقي العظام، وتعريضها لعدوى فيروسية غير مؤذية تؤدي في الختام إلى استبدال المورثة المصابة بالخلل وربما الحرف غير الصحيح بمفرده.

كذلك الحال بالنسبة لأمراض الربو، والضغط الشرياني، والسكر وتآكل الدماغ. ويولي الباحثون جينات الأمراض اهتماماً خاصاً بعد تسليط الضوء على ألف مورث من أصل خمسة آلاف تمّ ضبطها، تتهم بالتسبّب بمثل هذه الأمراض، كما تمّ التعرف على نحو أربعمائة مرض وراثي. ولا ينقضي أسبوع تقريباً إلا ويكتشف الباحثون مقاطع معينة من حامض (د.ن.أ.) يشتبه بتورّطها في الأمراض الوراثية. إن المقصود بالمورثة أو الجينة، ذلك المقطع من الحامض النووي الذي يحمل المعلومات اللازمة لإنتاج بروتين معيّن. وتتمثّل حروف الهجاء هذه في الحروف الأربعة: (أدنين - جوانين - تيمين - سيتوسين) ضمن سلسلة المركبات الكيميائية.

وحقق العلم تقدماً كبيراً. فبعدما كان تحديد الجينة الواحدة يستغرق عشرة أعوام، اختصرت المدة لعدة شهور. وبعد نشر المخططات الجديدة، أصبح نحو 75 في المئة من كتلة الخلقة مقسماً إلى مقاطع صغيرة. ولا يلزم الباحث سوى التفتيش عن الجينة المشتبه بها في تلك المقاطع التي تشبه علامة فارقة. وللمزيد من التوضيح، فقد ضرب علماء الأحياء مثلاً حياً على الكيفية التي تحدث بها الغلطة المطبعية، إذ شبّهوها بالأحرف اللاتينية الثلاثة (O.G.D.) فلو أن هذه الحروف اصطفتْ على هذا النحو (G.O.D.) لغدا معناها (إلهاً) بالانكليزية، ولو رُصفت بطريقة مخالفة على (D.O.G.) لأنشأت معنى مذموماً.

بعدما كان تحديد الجينة الواحدة يستغرق عشرة أعوام، اختصرت المدة لعدة شهور. وبعد نشر المخططات الجديدة أصبح نحو 75 في المئة من كتلة الخلقة مقسماً إلى مقاطع صغيرة

لقد سمعنا رأي (المتدينين) في هذه المسألة، فكيف يفكر الباحثون؟ لا يوجد ناظم فكري واحد وتعليل ذلك: إن الصعوبة في علم (الوراثة الجزيئي) يتمثل في عدم وجود فاصل واضح يسمح للمرء بتجاوزه أو تركه. إن الأجيال السابقة من علماء الأحياء تجزم بوجود فواصل بين الأجناس، أنواع النبات وأنواع الحيوان لا يجوز تجاوزها. وبينما علم البيئة يدعو إلى احترام الحدود ومعارضة إنتاج مخلوقات تولد توليداً، نعرف اليوم أن تلك الحدود تخترق يومياً. وعلماءُ الدين - بحسب الباحثين - يرون أن هذه النقطة هي النقطة الأخطر في عالم المعرفة، لأنها هي التي قد تحمل معها الإجابة القاطعة حول مسألة الخلق الأول.

وتفسير ذلك ان هناك مورثاتٍ (قافزة) تغير موضعها في كتلة الخلقة (بغض النظرِ عن النوع). وقد ثبت أن الفيروسات والبلاعم تقطع الحواجز بين الأفراد وحتى بين الأجناس دون عناء. من هنا جاء الاعتقاد بأن فيروس الايدز انتقل من القرد إلى الإنسان، إذ يصعب تفسير الشبه الشديد بين أصل فيروسات هذا المرض لدى القرد والإنسان بدون هذا الافتراض. أما عن طريقة الانتقال فلا يملك العلماء سوى التخمين حتى الآن.

كذلك الحال بالنسبة لوباء الأعصاب المميت لدى الأغنام. فقد انتقل كما يعتقد بطريق التغذية بالبروتين إلى الأبقار فسبّب لها الجنون. وربما انتقل هذا المرض إلى البشر من طريق الغذاء وهو ما يسمّى (أعراض كروتيس ـ فيلد المتزامنة). ويتكوّن جزء غير يسير من كتلة الخلقة البشرية ـ في ما يفترض ـ من نص جيني أحضرته الفيروسات معها، والمقصود الأمراض والمتغيرات. ويقف الباحثون أحياناً على شَبَهٍ مُحير بين الجينات الحيوانية والجينات النباتية، إذ يميل المرء إلى الاعتقاد، بأن الواحدة نسخة من الأخرى، وذلك ما تريده الداروينية. ومما يعزز هذا الرأي، هو تسلح البكتيريا بترسانة ضخمة من الأدوات الكيميائية، التي تجعلها قادرة على قصِّ بعض النصوص الجينية، وإدخال نصوص أخرى بدلاً منها.

ويبرِّر الباحث تدخّله، لأن الإنسان ما انفك يتدخل منذ ألوف السنين في كتلة الخلقة. وما تهجينُ المزروعات وإنتاجُ المطاعيم الطبية إلا نتاج لتغييرات جينية منتخبة دقيقة. ففي التهجين الذي قد لا يعرف الكثيرون منه إلا اسمه، نتدخل عملياً في محتوى الخلقة بطريق الاصطفاء.

الإنسان ما انفك يتدخل منذ ألوف السنين في كتلة الخلقة. وما تهجينُ المزروعات وإنتاجُ المطاعيم الطبية إلا نتاج لتغييرات جينية منتخبة دقيقة

وإلى وقت قريب، كان ينظر إلى المادة الوراثية في الإنسان على أنها مغلقة محميّةٌ من أي تدخل خارجي، كما كان ينظر إلى حامض (د.ن.أ.) على أنه مدفون في البروتين ضمن الصبغيات (Chromosome)، وأن الجزئيات الكيميائية لا تهتك غشاءَها إلا من خلال عمليات نقل معقّدة.

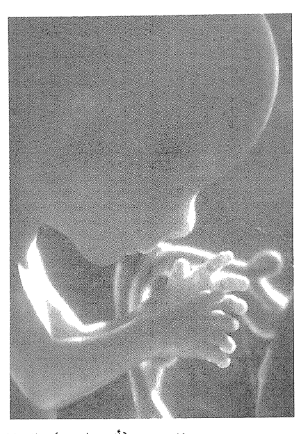
وحين اكتشف المهتمون أن كتلة الخلقة أو الرصيد الوراثي البشري غير مغلف بالبروتين كما ظنّوا، وأنها تحتوي على عشرات الآلاف من العناصر الارتجاعية، أخذتهم الدهشة. والمقصود (بالارتجاعية) مقاطع مكتسبة تساوي في حجمها مقاطع الجينات العادية. واستناداً إلى العديد من الخصائص اللغوية، فالاعتقاد يسود بأنها ناشئة عن فيروسات ارتجاعية، تستطيع ـ على سبيل المثال ـ كتابة نفسها في كتلة الخلقة كما هي الحال في مرض الايدز(HIV). وإن أهمية هذه الكتابة مجهولة حالياً في (كتاب الحياة).

والفيروسات الارتجاعية هذه (خصوم) أذكياء كما يُستَدل على ذلك من فيروس مرض الايدز. فهو ينتقل من فرد لآخر، ويقتحم كتل الخلقة، ويؤدي في النهاية إلى النقص المناعي القابل. ويجزم الباحثون باستحالة القضاء على هذا الوباء قبل التعرّف إلى حيل هذا الفيروس، الشيءُ الذي يستدعي بالضرورة التدخل في كتلة الخلقة، والقاعدةُ نفسها تنطبق على مرض السرطان لإطفاء الجينة الوَرَمية.

فالرأي إذاً: إن الإنسان حين يقلد لا ينتهك حدوداً مقدّسة، لأن الحدود سقطت عملياً منذ زمن بعيد، إما في الطبيعة بتسرب العناصر الارتجاعية، أو من خلال المداخلات والتجارب البشرية. هذا فضلاً عن أن الكتلة البشرية تحتوي على أشكال وألوان غير مفهومة أو غير ذات معنى. فقد عبثت وعاثت فيها الفيروسات الارتجاعية. وباختصار: إن كتلة الخلقة ليست محراب الحياة الذي لم تمسسه يد. وبهذا أيضاً يصل الباحثون إلى أن ما يُسمى (أزمة خلقية) أمرٌ مصطنع وغير موجود عملياً انطلاقاً من هذا الفهم. وأن الأزمة ـ إنْ وُجدت بمرجعية دينية أو غيرها ـ فلا تكمن في مبدأ التدخّل، بل في الأحوال التي تشكل موضوعاً للتدخل.

غير أن الإجهاض وما يتّصل به من فلسفة لمسألة (كتلة الخلقة البشرية)، لا تشكل حالة شاذَة في قائمة الأسئلة الصعبة التي تفتق عنها العلم، وننبري لها الآن بطلب الجواب.

وكأي شيء في الجسم البشري، يبدأ التعامل معه محدوداً ضيقاً، ثم لا يلبث أن يكبر ويتسع، وتتبدّل النظرة إليه من عضوٍ هامشي إلى قضية خلقية كبرى،



تفلت من مبضع الجراح إلى اهتمامات المفكِّرين ورجال القانون، وتلك ـ لعَمْري ـ إحدى الحقائق الكونية التي تتصل بالمغزى من وجود هذا الإنسان!! إننا لنجد عدداً من الأعضاء التي كانت تباع على قارعة الطريق في بومباي أو سواها، تزحزحت بالتجربة تاركةً المجال في المكانة لغيرها. ولتوضيح الأسباب المستترة خلف هذا القرار، لا مندوحة من الاستئناس بدايةً ببعض التجارب التي نزعتْ عن تلك الأعضاء هالات التقديس، حين باتت تُصنع مع لُعب وأدوات تسلية الأطفال، كالقلوب والفصوص الرؤية وغضاريف الأنف والأذن. فقد قام الباحث (فايسمان) وغيره بعزل خلايا الجلد وبعض الأعضاء الداخلية لفأرة، وزوّدوها بالغذاء اللازم مدّة تزيد على عشر سنوات. فقد لوحظ بعد التجربة أن الأعضاء لم تتغير، وحافظت على حيويتها السابقة، بينما الفأرةُ ماتت عملياً منذ زمن بعيد. والتجربةُ نفسها أجريت على مريض توفي بالانسداد التاجي، فعاد القلب ـ وهو العضو المعياري المتهم دوماً ـ عاد إلى العمل بعد نزعه وتزويده صنعياً بسائل مُغذٍ.

بيّنتْ التجربتان أن قرار الحياة ليس رهناً بجميع الأعضاء، وان الموت الحقيقي لا يكون إلا بموت الدماغ الذي يعقبه تصدع كامل في النظام الحيوي، الذي يحفظ له التوازن بتنسيق مع المحيط.

لكي لا نستقبل الزمن بعُدد بائرة ينبغي أن نفرّق جيداً بين ما يريده الله وما تقتضيه حركة الحياة

وخلايا الدماغ لا تعرف خلال الحياة كلها أي تجديد. وهي مديدةٌ تصاحب الإنسان رحلة العمر ما دام على قيد الحياة. كيف لا، والدماغ بحق هو عضو الحضارة كما حرص الباحث (هابشتر) على تسميته!؟

وقد أمكن بعد أخذ ورد زراعة القلب، واستبدال الشرايين والكلى وغيرها، إلا الدماغ فهو العضو الوحيد الذي استعصى حتى الآن، وسيبقى هاجس العلماء إلى وقت طويل.

ومع ثبوت مراض عضوية ترتبط بالجملة العصبية مثل مرض (ألزهايمر)، والشلل الارتعاشي (باركنسون)، وبعض أمراض الحواس لا سيما العين، فقد افتتح الباحثون فرعاً متواضعاً جديداً بعد علم جراحة الأعصاب، هو زراعة الخلايا العصبية. لم تبدأ جراحة الدماغ إلا مع نهاية القرن الماضي، حين أجرى الجراح الايطالي (فرانشيسكو دوراتي) أول عملية في روما سنة 1884م. أما مبدأ الزرع الذي تحدّثنا عنه، فلا يقوم على أساس تعويضي، أي استبدال العضو المصاب بشبيه له من إحدى المصادر البشرية أو الحيوانية أو الصنعية. فالأمر يختلف بالنسبة للدماغ. والمداخلةُ تقوم على التعويض الخلوي، وبالعقاقير المناسبة وباستعمال تقنية البدائل الدّماغية. وبحسب البعض، فقد أخذ الدماغ يفقد هالته الأسطورية، ويتحوّل تدريجاً إلى عضوٍ يشبه بقية الأعضاء. وموضوع التعرّف إلى خفايا هذا الجهاز المعقّد، تحوَّل إلى علم للحيلة لا يقل في مستواه عن حادث اكتشاف الانشطار النووي أو الهندسة الوراثية.

وللمرة الأولى في تاريخه، كشف النقاب عن وجود أبجدية كيميائية للغة الأعصاب، وبدا الحديث جدياً حول ما يسمّى (أخطاء كتابية) بصفتها بواعث للمرض. إن الدعوة القرآنية الكريمة إلى إنعام النظر في النفس والآفاق، تحفّزني على التوسّع في ما اعتبره مدخلاً طبياً لنتائج أخلاقية. فبعد تحضير (سائل خلوي) من جنين أنثى خنزير، من التلافيف الدماغية بطول لا يزيد على نصف السنتمتر، وإذابته على هيئة خلايا مبعثرة عددُها في حدود 12 مليون خلية عصبية أخضعتْ لمحرضات المرض، وتسبح في ربع ميللتر من السائل ضمن حقنة بلاستيكية، حُفر ثقب دائري لا يزيد قطره على قطر قطعة نقود معدنية لكشف المادة السنجابية في الدماغ.

تُغرس الإبرة في دماغ مريض بالشلل بعمق 10 سنتمترات، فيما يوزّع السائل على 60 نقطة من المذنبات النووية وأغلفتها، وعلى كل منشأة دماغية تشارك في عمليات الدفع الآلية التي تفتقر لمادة (الدوبامين)، التي تلعب دور ساعي البريد في حالة الإصابة بمرض باركنسون. لكن المادة الأكثر استعمالاً في علاج أمراض كهذه، هي الخلايا العصبية المسحوبة من الأجنة البشرية. ولم يكتف الجراحون بأخذ الخلايا العصبية من الجنين المُجهض فقط، بل أخذوا معها أجساماً خلوية أخرى وزرعوها. فما كان منها إلا أن نمتْ بغير ضابط في جمجمة الملتقّي، وضغطت الكتلة النسيجية على مركز التنفّس فتوقف قلب المريض ورئتاه عن العمل في نهاية المطاف. واتُّبِعت تقنية أخرى لمحاولة علاج مرض ألزهايمر، حيث زُرعت مضخة دوائية تحت الجلد، تدفع كميات صغيرة جداً من الدواء المساعد على نمو الأعصاب لبضعة شهور فوق المسطحات الدماغية التالفة في الخلايا السنجابية. وكان الغرض تقوية العصبون المغذي، الذي أصبح غير قادر على وقف التدهور العقلي للمريضة. وتمّ حتى الآن تعيين مئة إشارة ونحو 300 مستقبل عصبي.

كشفت النتائج المتحصِّلة عن بعض التقدم. لكن التجارب أسفرت عن جانب سالب باختلاط الظواهر السلوكية لدى المتلقين. وقدم الباحثون فرضية لحالة مرضية ممن أدخلت في أدمغتهم خلايا بديلة. فلدى مثول أحد القتلة المتلقين أمام القضاء، ردَّ على تهمة القتل بأنه لم يرتكب، وأن الفاعل.. هي تلك الأشياء التي أدخلها الجراحون في رأسه..؟!!

كثيراً ما يقع (المؤمنون) في خطأ التقدير فيضعون الدين في غير موضعه الصحيح، حين يستفتونه الردَّ على أسئلة ليست من طبيعته، أو يقحمونه لإيجاد حلول لمعضلات نشأت عن ممارسات وتطبيقات لا يد له فيها. من هذه الأسئلة المحرجة: ما رأي الإسلام في طفل الأنبوب؟ وما رأي أصحاب الفضيلة في حق الأمومة لبويضة ملقحة نمتْ في غير الرحم الأصلي؟ وما رأي الشرع في ما يسمى (رصاصة الرحمة)؟ أسئلة حوباء نبتت في بيئات ضالة، وحضارات رفعت راية العصيان في وجه الأديان منذ قرون!! إن مثقفنا (التقي) ليفخر بشهادة عالية أدلى بها فيلسوف معاصر: (لم يقبل المسلمون شيئاً على علاّته). لكن الذين قرأوا (هـ. بيكر) فهموه على حرف، فهو لم يُرد العلوم التطبيقية بل الفلسفية التي كانت سبب العداء ثم القطيعة الكاملة بين الباحثين والكنيسة. وكان لهذا المسلك العلمي ما يبرِّره، فقد وجد رجال الدين في دراسة الفلسفة (الأفلاطونية بالذات) روحهم الإسلامية في صورة أخرى أروع وأعظم نمواً وأكثر تفضيلاً. وكثيراً ما لوحظ ذلك التأثير المزعوم في المصطلحات والألفاظ الشرعية التي أكثر القاضي عبد الجبار من استعمالها بحسب مؤرِّخين معاصرين.

كثيراً ما يقع (المؤمنون) في خطأ التقدير فيضعون الدين في غير موضعه الصحيح، حين يستفتونه الردَّ عن أسئلة ليست من طبيعته، أو يقحمونه لإيجاد حلول لمعضلات نشأت عن ممارسات وتطبيقات لا يد له فيها

صحيح أن القرآن الكريم أورد غير إشارة علمية

وفي أكثر من موضع. لكنه ـ القرآن الكريم ـ لا يفعل ذلك على سبيل التخصص، بل من باب الإعجاز الذي يترك الباب مفتوحاً ولا يقيّده بزمن ولا ميقات. وتلويح المؤمنين على الدوام بضرب أو أكثر من ضروب الإعجاز تلك، فعلٌ محمود إذا اقترن بإلمامة متعمِّقة في المجالين. وهو مذمومٌ إنْ لم يتعدَّ حدود التخمين والجمع السطحي. وقد أدى شطط بعض المفسرين وإسرافهم في تطويع النص المقدس إلى استعداء أحد رجال اللاهوت حين زعم: (إن إخفاق المسلمين وتراجعهم في الإلهيات، ألجأهم إلى الاستعانة بالبراهين والأدلة العلمية الحديثة).

والعقل الإسلامي متهم بالنكوص، وبجاهزية ناقصة للنظر والتحرّي والإفلات من قيود القوالب الفكرية الجاهزة. وأرجع بعضهم ذلك إلى هنةٍ تمسك بتلابيب البنية النفسية العربية. وحين تحدث ابن المقفع عن مناقب العرب (في الامتاع والمؤانسة)، ذكر: (أهل بلد قفر ووحشة من الأنس، احتاج كل واحد منهم في وحدته إلى فكره ونظره وعقله). أي أنهم لا ينقلون العلم عن أحد، أي أن العربي لا يحيا (في) الأشياء بل يحيا (معها). وهو في انفصاله عنها، تراه يلحظها، ويدون صفاتها كما يرصد الصانع عدّته.

(وقد علموا أن معاشهم من نبات الأرض.. فوسموا كل شيء بسمته.. ثم علموا أن شربهم من السماء، فوضعوا لذلك الأنواء. واحتاجوا إلى الانتشار في الأرض وأقطارها فسلكوا بها البلاد). هذا يعني أن أشياء الطبيعة تستخدم في أحد شيئين، النفع والضرر، وهو يقف منها موقف المعتزل المحايد الذي لا يحب ولا يكره. أما الذي ينغمس فيه فهو اللغة، يتذوّق ألفاظها وتراكيبها كما يتذوّقون الطعام والشراب. والعربيُّ لم يكن ينظر إلى تلك الأشياء على أنها مجسّدة لقوانين، ولو فعل لازدادت عنايتها بها ـ لا لأجل عائده منها ـ بل استخراجاً للقوانين الخافية وراءها.

ترى لأي مدىً أنصف هذا الحكم العرب؟ وهل كان العقل العلمي العربي على تلك الدرجة من الخور والضحالة والضمور؟!

في حكمي على هذه المسألة سأمضي إلى النص، أستفتيه وأستنطقه..! وأولُ ما يحضرني في هذا السياق قصة جميلة معبرة. تقول المصادر العربية: (إن الطبيب ابنَ جميع كان جالساً يوماً في دكانه بفسطاط مصر وقد مرَّت عليه جنازة. فلما نظر إليها صاح بأهل الميت، وذكر لهم إن صاحبهم لم يمت، وأنهم إن دفنوه فإنما يدفنون حيّاً. قال: فبقوا ناظرين إليه كالمتعجبين من قوله. ولم يصدِّقوه فيما قال. ثم إن بعضهم قال لبعض: هذا الذي يقوله ما يضرّنا إن نمتحنه، فإن كان حقاً فهو الذي نريده، وإن لم يكن فما يتغيّر علينا شيء. فاستدعوه وقالوا: بيِّنْ الذي قد قلت لنا. فأمرهم بالمسير إلى البيت، وأن ينزعوا عن الميت أكفانه، وقال لهم: احملوه إلى الحمام، ثم سكب عليه الماء الحار، وأحمى بدنه ونطله بنطولات، وغطسه، فرأوا فيه أدنى حس، وتحرك حركة خفيفة فقال: أبشروا بعافيته! ثم تمّم علاجه إلى أن فاق وصلح، فكان ذلك مبدأ اشتهاره بجودة الصناعة والعلم، وظهرت عنه كالمعجزة. ثم إنه سئل بعد ذلك: من أين علمتَ أن ذلك الميت، وهو محمول وعليه الأكفان أن فيه روحاً؟ فقال: إني نظرتُ إلى قدميه فوجدتهما قائمتين، وأقدامُ الذين قد ماتوا منبسطة، فحدستُ أنه حي، وكان حدسي صائباً.

إنَّ من تخصص في الطب أو تلقى ثقافة حرّة، يعرف ان الطبيب العربي كان على حق، وان ما قام به ينطبق على أحدث الفحوص السريرية في وقتنا الحاضر، وأنّ العَرَضَ الذي أشار إليه وهو تشنّج القدم، لا يمثل حالة وفاة كاملة بالمعنى البيولوجي. إن ابن جميع المتوفى سنة 1003 مسيحي، تقدم على عصره بإنجازه هذا عشرة قرون تقريباً.

ولطالما اتهم العلم العربي بأنه علم موسوعي لا يعرف التخصّص. إذاً فانظر إلى ما كتبه الطبيب عبد اللطيف البغدادي واسمه الأول موفق الدين بالخصوص: (أوصيك أن لا تأخذ العلوم من الكتب وإن

وثقت من نفسك بقوة الفهم. وعليك بالإستاذين في كل علم تطلب اكتسابه. ولو كان الأستاذ ناقصاً فخذ عنه ما عنده حتى تجد أكمل منه. وإياك أن تشتغل بعلمين دفعة واحدة، وواظب على العلم الواحد سنة او سنتين أو ما شاء الله. فإذا قضيت منه وطرك فانتقل إلى علم آخر. ولا تظن أنك إذا حصَّلت علماً فقد اكتفيت بل تحتاج إلى مراعاته لينمو ولا ينقص).

وهكذا يكون العرب قد وضعوا اللمسات الأولى لشيء نطلق عليه اليوم اسم (التخصص). فميزوا جيداً بين دراسة أكاديمية وثقافة عامة. ووضعوا بحنكة فائقة قاعدة البناء المعرفي وتنمية العلوم.

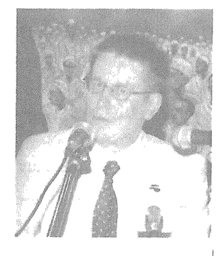
ليست هذه محاولة لاحصائية بوقائع وقواعد عامة، بل انماطاً تعكس عقلية المداوي العربي. وكان في الإمكان المضي قدماً وعلى هذا النسق مع عباقرة آخرين لرسم الإطار العلمي العام الذي تحرك من خلاله المفكر العربي. ولعل الأهم من التحدّث عن أبجديات علمية مثل الشك والتجربة والاستنتاج، وأدبيات البحث العلمي التي نجدها واضحة بارزة لدى الرازي وابن سينا وابن البيطار وغيرهم، أن نُعرج على الأهم، ألا وهو موضوعية العلم وتحرّره من الخرافة والشعوذة التي سادت ذلك العصر.

جاء في كتاب (مفتاح الطب) إنّ - أبا الفرج بن هندو - رأى في بلاد العجم جماعة كانوا ينفون عن الطب صناعته. قال وقد كان زعيم الفرقة النافية للطب يعادي أستاذي (أبا الخير ابن الخمار) الفيلسوف، ويُغري العامة بإيذائه، فاشتكى الزعيم رأسه، واستفتى أبا الخير في دوائه فقال: ينبغي أن يضع تحت رأسه كتابه الفاني الذي نفي فيه فعل الطب. ليشفيَهُ الله. ولم يداوه. ومثل هذه الحادثة التي يُشتم من خلالها بعض التطرف، ربما جاءت ردّ فعل على الاستخفاف بهذا العلم. إن الصورة المقابلة لهذه العقلية التي بلغت حدّ التشنج في طلب العلم والإيمان به، بدتْ رجعيةً حجرية على الجانب الأوروبي: (.. كان إذا تقيح الجرح وغلى فيه الدود - تقول سيغريد هونكه - غطى الأوروبي جرحه وربطه كي لا تسقط الديدان، ثم رشّ عليه العطر وماء الورد لأنه مبارك..). ومثلُ هذا ما زال موجوداً بين ظهرانينا، فثمة فئة تعتبر المرض ملزماً.. قدراً محتماً لا ينبغي التفكير في علاجه!!

والخطر على العلم والبحث هو في توسيع الدائرة، والنظرُ إلى هذا على أنه ابتلاءً لا تنبغي معارضته. والقبول به بل والصبرُ عليه دون محاولةٍ للأخذ بأسباب الشفاء، فيه مثوبَةٌ وجزاء ومغفرةٌ وأجر كبير؟! لا يمكن أن نحمل المسيرة العربية وزر التخلّف العلمي. وإذا كان من شيءٍ نحمله جريرة التخلف، فهو المعارضة العمياء، وهذه الرقابة الصارمة التي نريد فرضها على العقل باسم الدين. ولكي لا نستقبل الزمن بعُدد بائرة، ينبغي أن نفرّق جيداً بين ما يريده الله وما تقتضيه حركة الحياة. ولقد فهم أسلافنا هذه المعادلة جيداً فلم يحدث أي صدام. إذاً فلنترك البحث يمضي في أي اتجاه شاء. ولنطمئن إلى أن هناك لقاءً أخيراً بين ما يقوله الدين وما يقرِّره العلم. إن معرفة الله تتم عبر قنوات لا قناة واحدة.

المصادر والمراجع

1) الإنسان مخلوق، باول لوث، تر، ع. العالم - بيروت 1985م.
2) غلاسنوست في علم الوراثة، بقلم مونرايش، فكر ومن الأصل الألماني، 1980م.
3) العقيدة والمعرفة، زيغريد هونك، برلين 1982م.
4) أصل الإنسان، سلسلة رورو بالألمانية. ط برلين وميونيخ، 1960ـ1962م.
5) دير شبيغل (تفكير من العصر الوسيط) - 1999م.
6) روح الحضارة العربية، هانز هانيريش شيدر، تر، عبد الرحمن بدوي.
7) العرب، فيليب حتي، دار العلم للملايين، بيروت، 1946م.
8) تجديد الفكر العربي، د. زكي نجيب محمود، دار الشروق، 1987م.
9) من عيون الأبناء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، إعداد قاسم وهب، سلسلة التراث، 1977.
10) الاجتهاد، العددان 31ـ32، 1966م، بيروت.
11) فجر العلم الحديث، الإسلام الصين، الغرب، توبي. أ. هاف، تر د. صبحي، العدد 219.
12) مجلة منار الإسلام، العدد الخامس، سبتمبر، 1997م.



صدام الحضارات.. هل هو ديني أو سياسي؟*

المستشرق يانوش دانسكي**

سيداتي سادتي من دواعي سروري أني مدعو إلى هذا الحفل الكريم وإلى هذا اللقاء وكل ذلك بفضل الدكتور الذي يعتبر من أصدقائنا القدامى وقد التقينا لأول مرة منذ أكثر من عشرين سنة ومنذ ذلك الوقت كانت لنا اتصالات مباشرة واتصالات مع العديد من الأدباء والعلماء الليبيين، خاصة أن لنا في بولندا قسماً للدراسات الإسلامية والعربية الذي من مهامه إقامة الاتصالات والعلاقات بين بولندا والعالم العربي ولا سيما في الشؤون الثقافية والتراث العربي والإسلامي.

وأنا جئت إليكم هنا لكي أقدم ملاحظاتي حول الرؤية البولندية لحوار الثقافات والحضارات وما يسمى من جهة أخرى الاصطدامات حيث يقول بعض الناس لا مفر من هذا الاصطدام بين الحضارات الغربية والحضارة الإسلامية.

واليوم أريد ان أقدم لكم رأيي الخاص الشخصي حول هذه المشكلة وليس فقط بالنسبة للحالة الراهنة ولكنني أريد أن أقدم تاريخ هذه العلاقات وأن أتعمّق في هذه المشكلة التي يمكن أن يكون لا حلَّ لها ويمكن أن تكون هناك حلول عديدة لها. ولكن هل نحن في استمرار مع ما حدث منذ قرون؟ أو هو الوضع الجديد الذي لم نتوقع أن يحدث أو يحصل في هذه الفترة؟ هذه هي الأسئلة التي سوف أجيب عنها. في الحقيقة ليست هي الإجابات الوحيدة، ولكنها محاولة للإجابة عمّا أمامنا ولذلك أنا أتوقع وأنتظر منكم الملاحظات والآراء. وهل ما أفكّر فيه صحيح أم أنه مخطئ وهل هناك مبررات لما أقوله أو لا يوجد.

أبدأ باستعراض هذا التاريخ، تاريخ العلاقات بين الغرب والإسلام منذ البداية.

والفكرة الأساسية هي التالية:

هناك أديان مختلفة وقبل كل شيء هناك الدين الإسلامي والدين المسيحي، ورغم الاتصالات بين هذين الدينين كان هناك منذ البداية نضال بينهما هل هذا صحيح؟ لنبدأ من الفتوحات الإسلامية، الفترة الأولى: أعني بداية القرن السابع الميلادي هل

---

* محاضرة ألقيت بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية في 2003/9/22

** رئيس قسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة وارسو / متخصص في اللغة العربية

كان هناك صراع بين الدين الإسلامي والدين المسيحي؟ في أوروبا يظنون أن هذا صحيح حيث إن بداية انتشار الإسلام هي بداية انتشار الدين الجديد ولا شك أن هذه الفكرة صحيحة لأن العرب انطلقوا من الجزيرة العربية ولهم فكرة جديدة هي الدين الإسلامي وكان من واجباتهم وتطلعاتهم نشر الدين الإسلامي. ولكن هل كان ذلك السبب الوحيد للفتوحات العربية الإسلامية؟ طبعاً لا. لأن لا بد أن ننظر إلى البيئة التي كان يعيش فيها العرب آنذاك.

الوضع كان في الجزيرة العربية أو الحياة في ذلك الوقت صعبة للغاية وفي نفس الوقت كان العالم الخارجي ضعيفاً سياسياً وكانت بيزنطة تحارب الدولة الساسانية ونتيجة لهذه الحرب كان هناك ذُعر كبير في المنطقة المحيطة بالجزيرة العربية ولهذا كانت الفرصة مواتية سياسياً للعرب للانطلاق من الجزيرة العربية والانتشار السياسي للقبائل العربية في المناطق العديدة تحت شعار الدين الجديد الوحيد.

يعني في العالم المعمور آنذاك كله ما عدا الصين ولكنهم وصلوا إلى حدود الصين في منتصف القرن الثامن وإلى الهند واسبانيا في بداية القرن الثامن.

فالأسباب الدينية ليست أساسية في هذا الانتشار فهناك أسباب سياسية قبل كل شيء.

وأمّا الفترة الثانية فهي فترة الحروب العربية البيزنطية. هل هذه الحروب كانت دينية أو سياسية؟ من وجهة نظر الخلافة العربية كانت إلى حد كبير حروباً دينية، لأن الجهاد كان آنذاك من أجل المحافظة على الدين الإسلامي ومكافحة الدين المسيحي في بيزنطية هذا من وجهة النظر العربية. ولكن من وجهة النظر البيزنطية الحالة مختلفة تماماً لأن بيزنطة كانت تنظر إلى الإسلام لا كدين ولكن كقوة سياسية لا بد من محاربتها يعني أننا نرى هنا عدم توازن في وجهات النظر العربية.

❖ نتيجة للغزو الاستعماري الأوروبي وُلدت في العالم الإسلامي فكرة التجديد

❖ هناك عدم تفهم في أوروبا للمواقف الإسلامية

فهل استمرت حالة عدم التوازن في القرون التالية؟ لو أخذنا بعين الاعتبار فترة الحروب الصليبية لانعكس الوضع تماماً عما كان يحدث في الفترة البيزنطية. لماذا؟ لأن الصليبيين كان هدفهم الأساس هدفاً دينياً وهو الحصول على الأماكن المقدّسة في فلسطين والسيطرة عليها. وهذا يعني أنّ هدفهم ديني قبل كل شيء. وطبعاً وراء هذا الهدف كانت تكمن دواعٍ أخرى سياسية واقتصادية. ولكن السبب الأول كان دينياً. هذا من وجهة النظر الأوروبية. ولكن من وجهة النظر العربية هل كانت هذه الحرب حرباً دينية؟ لا. العرب كانوا ينظرون إلى الحروب الصليبية نوعاً من الهجوم السياسي يعني السيطرة على الأرض العربية قبل كل شيء وعلى الإمارات العربية التي كانت من ذلك الحين ولهذا تعتبر الحروب الصليبية حروباً سياسية*.

ومرة أخرى نرى عدم التوازن في التفكير بين الغرب والعرب. ولكننا نرى شيئاً من التطور في منتصف القرن الثالث عشر وما بعده. وبعد هذه الفترة تغيرت الأمور في العالم الإسلامي بسبب

(*) وجهة نظر المحاضر هنا مغايرة تماماً لرؤية المؤرخين المسلمين للحروب الصليبية، فهم يرونها حروباً دينية لا سياسية كما يقول المحاضر (المحرر).

الغزو المغولي على العالم الإسلامي ونتيجة لهذه التطورات سيطرت القوات التركية على العالم الإسلامي. لماذا التركية؟ ننظر إلى الدولة العثمانية التي سيطرت على العالم العربي في بداية القرن السادس عشر وننظر إلى إيران الدولة التي بدأت ببناء إيران كانت دولة «تركية» والدولة الثالثة هي الدولة الإسلامية الكبرى في الهند وكانت تحت السيطرة المغولية وكانت من أصل تركي وكانت لغتهم التركية أولاً وثم أصبحت بعد ذلك لغة فارسية.

يعني هذا فترة تطورات ضمّت العالم الإسلامي والعالم الأوروبي اللذين كانا آنذاك منفصلين تماماً، والاتصالات بين الجانبين كانت نادرة ولم تكن هناك اتصالات مباشرة مثل الاتصالات التي كانت في الحملات التي كنا نراها في البداية وهي الحروب الصليبية والحروب البيزنطية، إنما كانت العلاقات من نوع آخر تشمل كل جوانب الحياة. يعني كانت هناك الحروب التركية الأوروبية وكانت تشترك بولندا فيها وكان لها الدور المهم في الحروب العثمانية الأوروبية. وفعلاً، هناك فكرة لنهاية الدولة العثمانية في أوروبا هي اشتباكات ڤيينا في سنة 1689، وكان الجيش الأوروبي آنذاك تحت قيادة الملك البولندي سوبيسك. وثمة شيء جدير بالذكر آنذاك في بولندا رغم تلك الاشتباكات والحروب التي دارت بين أوروبا والأتراك المسلمين في بولندا، كان يعيش التتار المسلمون هناك وكانوا في الجيش البولندي وهم يحاربون ضد الأتراك يعني مسلمون بولنديون ضد مسلمين أتراك هذا غريب ولكنه صحيح. وهذا العنصر الإسلامي ما زال موجوداً في بولندا وله دور بنّاء في تطور العلاقات الإسلامية البولندية والعربية ولكن هذا الموضوع جانبي بالنسبة لما أريد أن أقدّمه لكم الآن وسوف نتكلم فيه في محاضرة أخرى حول العلاقات البولندية الإسلامية والعربية.

نعود إلى موضوعنا الأساسي هو اصطدام الحضارات الإسلامية والأوروبية هل هو اصطدام ديني أو اصطدام سياسي. حتى الآن رؤيتي كانت التالية هذا الاصطدام لم يكن فيه توازن حيث إن العرب كانوا ينظرون إليه بطريقة على عكس الطريقة التي ينظر إليها الغرب، والمفهومان فيهما نقطة اتصال. ما حدث بعد ذلك هو تطور هذه الدول الكبرى الثلاث: الهند وتركيا وإيران.

وآنذاك بدء الغزو الأوروبي الاستعماري. ماذا يعني هذا الغزو؟ هل هو غزو ديني مسيحي؟ لا طبعاً. كانت هناك مبررات دينية ولكن لا نستطيع أن نقول إن احتلال الهند من قبل بريطانيا والجزائر من قبل فرنسا كانت له مبررات وأهداف دينية كانت فقط مبررات اقتصادية وقبل ذلك سياسية.

ما هي التطورات التي كانت آنذاك في العالم؟ أصبحت الهند تحت السيطرة البريطانية وأندونيسيا كانت تحت السيطرة الهولندية وإيران كانت شبه مستقلة ولكن فيما بعد أصبحت تحت السيطرة الروسية في الشمال والجنوب لبريطانيا، وفرنسا كانت لها مصالح في شمال أفريقيا اقتصادية غير دينية.

وهذه نقطة مهمة بالنسبة للتطورات الفكرية للعالم الإسلامي حيث بدأت حرب غير معلنة بين فرنسا وبريطانيا، وكان هدف هذه الحرب السيطرة على العالم الإسلامي لأن ما عدا العالم الإسلامي كانت هناك بعض أجزاء من أفريقيا الجنوبية، والباقي هو عالم إسلامي ابتداءً من أندونيسيا والهند وإيران والعالم الإسلامي العربي.

وذلك يعني أن الحركة الاستعمارية كانت موجهة اتجاه العالم الإسلامي والسؤال هل كانت هذه الحرب حرباً دينية؟ طبعاً لا. من البداية كانت سياسية وماذا كان رأي العرب والمسلمين في هذا

الغزو الاستعماري. هل كان ينظرون إليه كغزو ديني أو غزو اقتصادي؟ هنا كانت أفكار مختلفة ولكن لكي نفهم الموقف العربي من هذه القضية لا بد أن ننظر إلى شخصية بارزة آنذاك وهو «جمال الدين الأفغاني» وهو شخص غريب ولأن حوله أسراراً عديدة وكثيرة نحن نرى فيه رائداً سياسياً كان يستفيد من اختلاط المصالح الانجليزية والفرنسية يذكر أنه التتار في فرنسا ما سماه بالعروة الوثقى وكانت هناك مجلة في فرنسا تصدر بنفس الاسم العروة الوثقى ولكن عندما ننظر إلى مضمون المقالات المنشورة في هذه المجلة نرى أولاً أنه كان هناك نقد شديد للاستعمار ولكن أيّ استعمار؟ الاستعمار الانجليزي فقط ولا يُكتب نقد للاستعمار الفرنسي. وهذه فكرة ليست جيدة ولكنها ممكن أن تكون صحيحة وممكن أن تكون خاطئة، وكانت تخدم المصالح الفرنسية. والنقد الوحيد الذي وجدته في كتاباته كان نقده للفرنسيين في ڤيتنام. أي السياسية الفرنسية. ولا ينتقد وجود الفرنسيين في أفريقيا الشمالية. ونتيجةً لهذا الغزو الاستعماري الأوروبي وُلِدت في العالم الإسلامي فكرة التجديد التي كان وراءها مصالح أوروبية وكانت أوروبا تسيطر إلى حد كبير على هذا التجديد وكان جمال الدين الأفغاني عنصراً في هذا الصراع الأوروبي الداخلي وعندما ننظر إلى أفكاره نجدها في البداية أفكاراً دينية قبل كل شيء من كتابه الوحيد المكتوب باللغة الفارسية والذي كان ضد التيارات الدينية المضادة للدين التي بدأت من الهند تحت تأثير أوروبي انجليزي وما يُعرف بـ(النجرية) باللغة الهندية الاتجاه الطبيعي يعني النظر إلى الطبيعة كمصدر لكل شيء من المصالح الإنسانية ودون النظر إلى الله. والأفغاني كان ينتقد هذه الأفكار ولكن وقبل كل شيء كان سياسياً.

وفي هذه البيئة بدأت فكرة أنه لا مفرّ من تجديد الإسلام لكي يكون له دور في تطوير الحضارة الإسلامية في العالم الإسلامي ولكن ما هي النتيجة الفعلية الصحيحة لهذه الأفكار. حسب رأيي الشخص النتيجة كانت الآتية:

> **❖ إبَّان فترة الاستعمار بدأت فكرة أنه لا مفر من تجديد الإسلام لكي يكون له دور في تطوير الحضارة الإسلامية في العالم الإسلامي**
>
> **❖ الإسلام ليس ديناً فقط ولكنه حضارة أيضاً**

بدأ هناك تياران في التفكير الإسلامي الأول كان تيار التجديد وهو خطوة حول قبول العناصر الأوروبية مثل ما يقول معاصرنا جمال الدين الأفغاني «انظروا إلى أوروبا أيها المسلمون أصبحت أقوى منكم وقد تطورت وأنتم ما زلتم متخلفون فلا بد أن تفعلوا شيئاً فالقدرة موجودة ولا بد من أن نستفيد منها».

فكرة التجديد هذه هي التيار الأول الجديد الذي يستفيد من الخبرة الأوروبية.

التيار الآخر محافظ ولا يريد الأخذ من الحضارة الأوروبية ويقول إننا لدينا قيم إسلامية لا بدّ أن نعود إليها.

ومثل هذا التفكير السلفي كان موجوداً في الإسلام منذ البدايات عند (ابن حنبل وابن تيمية) وهذا التيار موجود في كل الحضارات. والآن إذا نظرنا إلى بولندا نرى نفس الشيء، تيار يريد الانضمام إلى أوروبا وتيار ضد ذلك، ونسمي هذا التيار تياراً دينياً محافظاً.

ومن الطبيعي أن هذا التيار قد بدأ منذ بداية الإسلام.

والآن نعود إلى شرح التيارين لنعرف أيّاً منهما سياسي، وهل هناك طابع ديني للتيارين أو هو طابع سياسي فقط؟ التفرقة صعبة جداً ولا نستطيع إعطاء إجابة واحدة دون تعليقات طبعاً. فالسلفية كانت دائماً دينية وكانت تعود إلى الدين ولكن لا بد من أن نؤكد بأن الإسلام ليس ديناً فقط ولكنه حضارة أيضاً وهناك عدم تفهم من أوروبا لمواقفنا الإسلامية حيث يقولون بأننا ننظر إلى الإسلام مثلما ننظر إلى الكاثوليكية والمسيحية ونرى فيه ديناً فقط والجانب السياسي شيء آخر وإننا نبحث عن الإسلام ونريد أن نعثر على كنيسة مثل الكنيسة الكاثوليكية وهذا غير موجود في الإسلام طبعاً السلفية العربية ليست ديناً صرفاً فقط ولكن هناك عناصر سياسية لا بدّ منها.

أما التيار الثاني التجديدي فإننا نجد فيه كل الأفكار الأوروبية المستعارة من أوروبا ولكن الدين لا يزال موجوداً في هذا التيار يعني ليس سياسياً فقط. وكيف تطور هذان التياران مع ما هو موجود حالياً من خطر الإرهاب وخطر التطرف وخطر الصدام بين الحضارات.

ننظر أولاً إلى التيار السلفي كان دينياً، ولكن وراء الدين كانت تكمن القيم السياسية وأول منظمة برزت في العالم الإسلامي جمعية الاخوان المسلمين في مصر في نهاية العشرينيات من القرن العشرين وكانت المعركة ضد الاستعمار البريطاني أساسية ولكن الدين كان نوعاً من التنظيم لهذه المنظمة ولو بقيت هذه المنظمة والتيار مثلما كانت في البداية دون التطورات التي نجمت بعد الحرب العالمية الثانية ومثل كل شيء بعد بروز القضية الفلسطينية ووجود إسرائيل لظلت هذه المنظمة كما اعتقد واحدة من عدد كبير من المنظمات الدينية شبه السياسية في العالم الإسلامي ولكن التطورات كانت مختلفة تماماً ومثال ذلك جماعة الإخوان المسلمين. الارتباط بين الدين والسياسة أصبح مهماً عندما وجدت دولة إسرائيل على الأرض الفلسطينية وفجأة بعد الحرب العالمية الثانية برزت على الأرض الإسلامية المقدسة دولة دينية فإسرائيل كانت دولة دينية وما زالت دولة دينية أوروبية وهي تمثل المصالح الأوروبية. ومن وجهة النظر العربية هي دولة أوروبية وهي جزء من الدولة الأوروبية على الأرض العربية الإسلامية وهذا التطور في رأيي يشكل أساساً للمشكلة مع التطرف الإسلامي حالياً والإرهاب الذي نسميه إسلامياً وليس هو إسلامياً بمعنى الديني وهو مرتبط بالقوة المختلفة في العالم الإسلامي والعربي. قبل كل شيء كيف كان ذلك؟ البدايات كانت سياسية فقط، وما كان يحدث في فلسطين هو نضال الشعب الفلسطيني من أجل الحصول على حريته واستقلاله. يعني أسباب سياسية وظلت هذه الحالة هكذا إلى غاية الانتفاضة الأولى. ماذا حصل في الانتفاضة الأولى؟

❖ كانت إسرائيل وما زالت دولة دينية تمثل المصالح الأوروبية والغربية

❖ ما يحدث في فلسطين هو كفاح شعب من أجل الحصول على حريته واستقلاله

إن إسرائيل تنظر إليها كخطر من جانب منظمة فتح يعني ياسر عرفات ولذلك كانت تدعم القوات المحافظة الدينية. مثل حماس والجهاد الإسلامي وكانت هناك بيانات من الحكومة الإسرائيلية في بداية الانتفاضة الأولى بأن عرفات ليس له أي دور ونحن لا بد أن ندعم القوة الفلسطينية الدينية، ولكن

ذلك خطأ كبير ونرى الآن أنه من هذه القوات برزت قوات إرهابية إلى حد كبير لها مبررات دينية. وكلمة (إرهابية) أنا أستعملها كما تستعملها الصحافة الأوروبية. في اعتقادي ليست هي إرهابية أو هدفهم الإرهاب من أجل الإرهاب فقط ولكن هي قضية شرف إنسان وطبعاً هناك طرق متعددة للإرهاب.

والقضية الفلسطينية هي مصدر من مصادر التطرف الإسلامي[1] وليست هي المصدر الوحيد أما ما هو مهم فهو قضية اشتراك القوة العربية في خلق التيارات المتطرفة حيث لم تكن هناك القوة الأوروبية ولا وجود لإسرائيل أو ضغوط أوروبية على المنطقة أنا متأكد أن هذه القوة لها دور جانبي ولكن نفوذ الغرب ساهم في هذا التطرف في أماكن أخرى كما حدث في أفغانستان حيث كانت هناك حرب بين الاتحاد السوفييتي وأمريكياً بعد احتلال أفغانستان من قبل الروس، فأصبح الأمريكان يستغلون هذه الفرصة للحصول على مصالحهم وعندما أصبحت أفغانستان مستقلة بقيت القوات الأفغانية بدون دعم ونتيجة لذلك انتشرت في العالم الإسلامي والعربي والقوة المتطرفة ومن هنا بدأت المنظمات مثل منظمة القاعدة. وفي اعتقادي أنه لا يوجد ما يسمى بالقاعدة، ويمكن أن تسمى ذلك ظاهرة تلفزيونية.

وبعبارة أخرى ليس هناك اصطدام بين الحضارات الدينية أو معركة أديان. أين الصراع بين الدين الإسلامي والمسيحي؟

فمثلاً في إسرائيل وأفغانستان والآن في العراق ليس هناك شيء من ذلك. طبعاً هناك مبررات لكل ما يحصل. يقولون إننا ضد التطرف الديني وهو تطرف سياسي قبل أن يكون دينياً هذا هو التيار الأول.

ما هي التيارات المرتبطة بتيار التجديد وأين برزت مثل هذه التيارات في كل الدول التي برزت فيها مشاكل دينية، إنّ أبرز حزب اشتراكي هو حزب. البعث وهو أهم الأحزاب العربية، وكان أول حزب فلماذا برز هذا الحزب من دول مثل سوريا والعراق؟لأنه كانت في الدولة مشاكل دينية. ففي سوريا معظم سكان الدولة من السنّة وحزب البعث مسيطر على العلوية والعلوية من وجهة نظر بعض العلماء العرب ليست جزءاً من الإسلام ولا أريد أن أقدم رأياً في ذلك لأنني لست مرتبطاً بتحكيم الأديان وتلك ليست قضيتي.

❖ نفوذ الغرب وسياساته ساهمت في انتشار التطرف

❖ من خلال استعراض التطورات وتاريخ الحضارة الأوروبية والإسلامية نرى أنه ليس هناك أي نوع من التصادم بين الأديان

❖ لا بد من التعارف والتواصل والتفاهم بين الناس جمعياً

وعلى كل حال هناك مشكلة وهي أن عشرة في المائة من سكان سوريا يسيطرون على 90٪ من السكان ولذلك فإن الدين لا يستطيع أن يكون له دور بارز ومهم في الدولة لأن ذلك يسبب مشاكل داخل سوريا.

والدولة البعثية في العراق نفس الحالة. كانت هناك السُّنة التي هي أقلية من الدولة والشيعة أغلبية ولكن الحزب أي حزب البعث يمثله السنيّون، لذلك لعب الدين دوراً ثانياً وليس الأول في الدولة. يعني أن

---

(1) يعبر المحاضر هنا عن وجهة نظر غربية، وهي وجهة نظر متحاملة كما هو واضح (المحرر).

الاشتراكية تنظر إلى الدين باعتباره عنصراً مهماً ولكن ليس هو العنصر الأساس. وهناك فرق بين الاشتراكية البعثية واشتراكية عبد الناصر وهذا الفرق هو أن في اشتراكية عبد الناصر كان الدين مهماً وكان عبد الناصر يقول: الفرق الأساس بيننا وبين الشيوعية أن الدين كان عنصراً أساسياً ومهماً من حضارتنا.

ومكانة الدين في النظام الجماهيري مثل مكانته في الاشتراكية الناصرية كما نقرأ ذلك في الكتاب الأخضر. فالدين له مكانه ثابتة في المجتمع ولا يتطور المجتمع بدون الدين وهذا صحيح من كل العالم في أوروبا. وبالرغم من أنني أرى الناس بعيدين عن الدين ولكن الدين ما زال موجوداً في كل الدول الأوروبية جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الأوروبي. ومن هذا الاستعراض لكل التطورات وتاريخ الحضارة الأوروبية والإسلامية نرى أنه ليس هناك أي نوع من التصادم بين الأديان. طبعاً الدين موجود لأنه جزء من الإنسانية ولا نستطيع أن نتكلم من دون ذكر القيم الإنسانية.

وفي النهاية أريد أن أنظر إلى ما نسمّيه في الماضي التعايش السلمي بين الحضارات. هل أمامنا حروب حضارية أم أمامنا شيء مختلف تماماً. أنا إنسان متفائل ولهذا التفاؤل أسس متينة هي نتيجة التعايش والمناقشة مع الناس في كثير من الدول في العالم. وهناك لا بد من التواصل والتفاهم بين الحضارات الموجودة منذ القرون القديمة إنّ الخطأ هو عدم معرفة وتفاهم بعضنا البعض وقبل كل شيء هذا الخطر موجود في أوروبا ولكم أنتم العرب معرفة بأوروبا عن طريق الإذاعات وأنكم تريدون العودة إلى قيمكم وطريقة حياتكم الخاصة المختلفة عن أوروبا ولكن أوروبا معرفتها بالعالم الإسلامي ضئيلة جداً والجماهير الأوروبية ومن ضمنها البولندية لا تعرف كثيراً عن العالم الإسلامي ونحن لا بد أن نصل بكل الطرق الممكنة حتى يعرفوا أكثر وتكون المعرفة أعمق من الجانب الأوروبي. والمسألة الثانية هي قضية الاتصال المباشر بين الناس فعندما التقى بالبولنديين الذين يعيشون في الدول العربية ولهم اتصال مباشر مع العرب ويعرفون الكثير عنهم لأنهم عايشوهم يستغربون من الهجوم ضد المسلمين ويقولون إن العرب مثلنا، وهناك اختلاف في الحضارات فقط ولذلك يجب أن يكون هناك اتصال وسياحة.

ولحسن الحظ هناك جانب إيجابي للعولمة لأن العولمة كما ينظر إليها هي سيطرة التفكير الأوروبي على العرب. ونسمع دائماً العرب يقولون أين قيمنا من هذه العولمة؟ فهي ليست موجودة حيث إن العولمة هي قيم أوروبية فقط ونحن نريد الاشتراك في العولمة بوجود القيم الشرقية وليست القيم الغربية فقط. ويجب التعايش بين العالم الإسلامي والعالم الأوروبي والتفاهم بين الحضارات الأوروبية والحضارة الإسلامية. وكما قلت في بداية هذه المحاضرة أنا إنسان متفائل ومقتنع بأن الحصول على التفاهم سريع لأن العالم الإسلامي مستعد للحوار ونحن شبه مستعدون، وبحاجة إلى من يعرف الحضارة الإسلامية ويقوم بشرحها بطريقة صحيحة وبسيطة للأوروبيين وذلك ما نسمّيه بالاستشراق رغم كل الانتقادات الموجهة ضد الاستشراق ولكن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يجب أن نقوم بها لنيسر ونسهل الثقافة الإسلامية حتى يفهمها الغرب وبهذا العمل لا نعطي صورة كاملة وحقيقية ولكن هذه هي الخطوة الأولى وعندما نقدم هذه الثقافة بكل تعقيداتها فلن نجد أحداً يستمع إلينا لأنهم يريدون معلومات أساسية بسيطة وهي سوف تكون نقطة الانطلاق نحو المعرفة وإن شاء الله سوف يحدث ذلك في أقرب وقت ممكن.

الحوار..
حرية الاختيار والتوجّه الديني*

فرنشيسكو كوسيجا**

بسم الله الرحمن الرحيم

بهذه التسمية الربانية أستطيع أن أبدأ التحدث إليكم، لأنني أعلم وأثق أن ربي هو ربكم، وكما قال أحد الفلاسفة المسيحيين الفرنسيين الكبار (بليس بسكال) ليس رب الفلاسفة، ولكنه رب إبراهيم وإسحاق ويعقوب.. أراد الدكتور الشريف أن يقول لكم من أنا، ولكنني أعتقد أنه يهمكم معرفة ما شغلته من مناصب في بلادي، وإضافة إلى هذا، فإنني إلى حد الآن ما زلت عضواً مدى الحياة في مجلس الشيوخ للجمهورية الإيطالية، وقبلها كنت



❖ الحرية هي الاعتراف بالآخر، والقبول به كما هو، وبهويته الثقافية والتاريخية وعلى وجه الخصوص الدينية

سماوية.. إنني شخص يؤمن كثيراً بالحرية، وعلى يقين من أن هذه الحرية يجب أن تكون قائمة تحت القانون الرباني.

إن العالم وبالخصوص أوروبا الغربية وكذلك البلدان العربية والإسلامية وقعوا تحت وطأة مشكلة كبيرة، أوروبا تشكو من مشكلة هويتها الثقافية والدينية، فبينما تسفتحون أنتم اجتماعاتكم بقراءة آيات من القرآن الكريم وبتسمية الله، فمثل هذه التبريكات ما زالت متبعة في بعض الدول الناطقة بلغة الانجلوسكسون في الملكة المتحدة وكندا والولايات

أستاذاً جامعياً، وكانت مادتي القانون الدستوري والقانون الدولي... ولقد تربيت في بيئة كاثوليكية، وكنت مهتماً كثيراً بالدراسات الدينية وبالأديان المختلفة وكذلك حوار الأديان.. أما عقائدياً فأنا كاثوليكي متحرِّر، أي أنني من أولئك الذين يعتقدون في الله ويؤمنون به بمفهوم الديانة المسيحية، والتي أنتم تعترفون بها على أنها ديانة

المتحدة، وقد تمّ للأسف الشديد التخلي عنها في بلدان أوروبا التي تريد أن تكون ليبرالية، والتي ترغب في أن تكون لا دينية.. في هذه الأيام أنا معتز بمقال لي نشر في إحدى أقدم الصحف الإيطالية، ثم أعيد نشره في الصحافة الفرنسية، والذي انتقدت فيه بشدة ما صرح به رئيس الجمهورية شيراك مؤيداً ما تمّ طرحه من

* محاضرة ألقيت في كلية الدعوة الإسلامية ـ طرابلس/ ليبيا، شهر أي النار (يناير) 1372 من وفاة الرسول ﷺ (2004 مسيحي).

** الرئيس الإيطالي الأسبق.

إجراءات يعتزم وزير التعليم الفرنسي اتخاذها وتطبيقها في المدارس الفرنسية، وذلك بمنع ما يسمى بالرمز الديني، والذي أسميه أنا بحرية الاختيار والتوجّه الديني، حيث سيتم منع البنات المسلمات من ارتداء الحجاب، فرنسيات كنّ أو غير فرنسيات اللائي يردن وضعه على رؤوسهن، وبمنع اتباع اليهودية من وضع القلنسوة، ومنع الأولاد والبنات المسيحيين من حمل الصليب في رقابهم.. هذا ليس تسامحاً وليست حرية، الحرية هي الاعتراف بالآخر، والقبول به كما هو، وبهويته الثقافية والتاريخية وعلى وجه الخصوص الدينية.

إن منع الرموز الدينية للأديان الرئيسية في فرنسا لن يساعد قضية الحرية والتسامح، وإنما الذي يجدي هو حث الأولاد اليهود والمسيحيين احترام الأولاد المسلمين، وأن يتعلم الأولاد المسلمون احترام الأولاد اليهود الذين يضعون القلنسوة، وأن يتعلم الأولاد اليهود احترام الأولاد المسيحيين الذين يحملون الصليب إذا أرادوا هم الاحترام أيضاً من قبل الآخرين... إنني مقتنع بأننا نحن الذين نؤمن بنفس الإله، مسيحيين ومسلمين ويهوداً علينا تقع مسؤولية كبرى أمام العالم أجمع، مسؤولية متساوية وأعتقد أنه بدون حوار أخوي بيننا، سوف لن نستطيع مواجهة مخاطر الانقسام والموت التي تجتاح العالم، أما فيما يتعلق بأوروبا والغرب، فيحتم علينا نحن الغربيين أن نعمل حساباً لذاك التحول ونقبله والذي يدخل في إطار الفلسفة التاريخية لفيلسوف إيطالي كبير هو (جان باتيستا فيكو) وهو يتحدث عن الحضارة، ويتكلم عن القانون وأحداث التاريخ، أي أن الحضارات والثقافات والديانات لها لحظات من التقدم والنجاحات الإنسانية، ولها أيضاً لحظات من الانهيار والتخلّف.. أنني اعتقد في شيء، نحن الأوروبيين الغربيين ونحن المسيحيين، يجب علينا الاعتراف به وقبوله، فهناك اليوم انبعاث متقدم للإسلام بمفهومه الثقافي والسياسي والاقتصادي والديني. علينا قبول هذا الأمر المنفتح على أوروبا، على أنه فصل جديد من اللقاء مع ثقافات وديانات ليست تقليدية على أوروبا، مثله مثل الثقافة والحضارة الرومانية اللاتينية الإغريقية، أو الرومانية اللاتينية والتي وجدت نفسها أمام مواجهة الدخول لأوروبا لمن كانوا يسمون بالبربر... هكذا اعتقد، يجب بروح غير عدوانية وليس مثل ما كانت في ذلك الوقت، القبول بالدخول على ذلك النحو لتلك السلالة من الثقافات التي ليست تاريخية بالنسبة لأوروبا في زمن معين ولكنها تتضارب وتتناقض مع الدين الإسلامي.

❖ جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لم تقم أبداً بالخلط بين العمل الديني والسياسي، ولم تطرح معالجات مشبوهة بين عملها وتوجهاتها الدينية

إنني أقول دائماً، لا يمكن المقارنة بين هاتين الظاهرتين، لأن الهجوم القديم على أوروبا من قبل البربر كان في الحقيقة هجمة بربرية عدوانية، بينما نمو الوجود العربي، والأفريقيين، والآسيويين الذين يعتنق معظمهم الدين الإسلامي في أوروبا، إنني في هذا الخصوص أقول دائماً وبسبب دينكم الإسلامي بأنه غزو مسالم لحضارتين، بل العكس لأناس أكثر تحضّراً، ويجب الأخذ بالاعتبار الإسهام العربي وكذلك الإسلام في الحضارة الأوروبية، وبالخصوص الحضارة المتعلّقة بمنطقة البحر المتوسط، من إسبانيا والبرتغال إلى شمال أفريقيا

وإلى سيشيليا وبوليا التي هي أرض إيطالية.

لا يجب أن ننسى أن (توماسو داكوينو) الذي يعتبره المسيحيون الكاثوليك أكبر فيلسوف ديني، لم يكن ليستطيع أن يكتب مؤلفه الرائع (السمو اللاهوتي) إذا لم ينهل من تراجم أرسطو طاليس، ومن أولئك الفلاسفة العرب الاسبان الكبار. لم يكن ليصل إلى ما وصل إليه من فكر بدون الاعتماد على هؤلاء، ولهذا فنحن علينا بالعودة إلى أحداث التاريخ، وإلى مولد الحضارة العربية وبالأخص الإسلام في كل ظواهر الرقي وعصر النهضة، بداية من النشء الإنساني ومراحل الميلاد، من المولود الصغير، والطفل، إلى الصبي، ثم الشاب ثم الكبير، هذا التدرّج لا بد أن يكون مشحوناً بشيء من الحرارة والحماس في بنية التكوين وهذه الحرارة وذاك الحماس شيء طبيعي تجسّد في إرهاب التطرّف الإسلامي، ولكنه سيكون من الخطأ الكبير جداً إذا ما ساوى الغرب والغرب المسيحي بين إرهاب التطرف الإسلامي والإسلام، والبلدان العربية، فهذه ستكون كارثة كبرى... أن (ايفوليليش) الذي كان وزيراً لداخلية بلاده، وفي الوقت الذي كانت فيه أوروبا مصابة برعب الإرهاب، اعتقد بأن القوة وكل سبل التدخلات العسكرية والبوليسية قد تساعد على صد الإرهاب واحتوائه، ولكنهم لن يستطيعوا تذويبه أو قهره بدون مواجهة لقضاياه العويصة والصعبة.. ليس صحيحاً الاتهام بالأسباب البسيطة سواء للعرب أو للإسلام على وجه الخصوص، لأنه لا يجب أن ننسى أن بعض التنظيمات للإرهاب العربي كانت قد عرفت في حياة الجيران بالشرق الأوسط من منظمات تأسست في الأصل من عرب مسيحيين واقباط ويونانيين أرثوذكس.. أن الحزب الاشتراكي الوطني، حزب البعث الذي كان وما يزال حزباً سوريا، وكان حزباً للعراق، لم يكن قد أسّس من قبل عربي مسلم، ولكن تأسيسه تم من عربي مسيحي انبهر بالاشتراكية، وبالتحديد بالحزب الاشتراكي الوطني الأوروبي، ولا بد أن نوضح أن الإرهاب هو سلاح الضعفاء ضد الأقوياء، والصغار ضد الكبار، وهذا حدث في أوروبا أيضاً خلال حروب المقاومة ضد النازية الفاشية، ما عدا يوغسلافيا، ولا بد أن نوضح هنا أيضاً بأن الذي يقال عنه الإرهاب الفلسطيني والتنظيمات الإرهابية في فلسطين، ليس له أية صلة بالإسلام، لأنه إرهاب ذو خصوصية وطنية للدفاع عن حقوق الفلسطينيين في تلك الأراضي التي يسعى شعبها إلى تكوين وتأسيس دولة فلسطينية مستقلة.. لا يجب أن ننسى أن ضحايا الإرهاب كانوا من العرب والمسلمين من الرياض إلى العراق، وخاصة أحداث المشكلة الرهيبة في الجزائر والتي كان ضحايا الإرهاب فيها من العرب المسلمين، وأنا في هذا الشأن لي رأيي الخاص فيما وقع في الجزائر.. إنني أعرف جيداً الثورة الجزائرية التي تمّ تسييرها بالمثقفين الذين تمّ تكوينهم في المدرسة الفرنسية، ولذكر الحقيقة لا بدّ من الاعتراف بأنهم لم يكونوا من المتدينين، وهم من العسكريين الذين أصبحوا ضباطاً في

❖ دون حوارٍ أخوي بيننا سوف لن نستطيع مواجهة مخاطر الانقسام والموت التي تجتاح العالم

❖ هناك اليوم انبعاث متقدم للإسلام بمفهومه الثقافي والسياسي والاقتصادي والديني، وعلينا قبول هذا الأمر المنفتح على أوروبا

الجيش الفرنسي.. ربما أنتم لا تعرفون أن بطل الانتفاضة المشهورة في الجزائر كان نقيباً في فرقة المظليين الفرنسيين في ڤيتنام وتحصل على أعلى المراتب العسكرية من الجيش الفرنسي، وأنا شخصياً مقتنع بأن هناك فرقاً كبيراً بين الثقافة والإحساس بالشعور الديني أو التديّن من قِبل الأغلبية من الجزائريين، وهو أداة التواصل مع حركة المقاومة الشجاعة للشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي.. لقد كان غالبيتهم يعتنقون ثقافة ولغة فرنسية، وعملوا على تحقيق شكل حكومة لدولة في الجزائر تستقي توجهاتها من تحصيلهم الفكري الذي درسوه في الجامعات العلمانية في فرنسا، والذي لم يترك لهم إلا القليل من مساحة الأعراف والتقاليد الاجتماعية والدينية العربية القديمة للشعب الجزائري.

إنني أعتقد أنها أمور يمكن أن تحل ليس بالقياس الفرنسي، ولكن من خلال مطلب العرب والمسلمين في أن يصبحوا شيئاً يختلف عما هم عليه، والأكيد أن هناك من يريد أن يكون مواطناً فرنسياً، ومن هؤلاء كثيرون، ولا يجب أن ننسى أن الشاعر الكبير (سنغور) كان مواطناً فرنسياً، كما أنه كان عضواً في البرلمان الفرنسي، وقبل أن يصبح رئيساً لبلاده كان وزيراً في الحكومة الفرنسية، وكان شاعراً بلغته الأصلية، ولكنه كان أيضاً شاعراً باللغة الفرنسية، وهذا ليس الاحتواء، ولكنه الانسجام والدمج والتكامل، وأظن بأنه يستحيل بناء وجود مسيحي يهودي وإسلامي مسالم في أوروبا، إذا لم تكن الهوية محمية ومعترف بها لكل واحد، ولهذا فإنني أجزم بأن الإجراء الفرنسي بالاحتواء سيكون طريقاً مستهجناً في بلادي.

هناك مسؤولية هامة تقع على عاتق المسيحيين والمسلمين، لأن المسيحية والإسلام ديانتان عالميتان مبرأتان من فوارق الجنس واللون.. هناك مسيحيون أوروبيون، وهناك مسيحيون أفارقة ويوجد مسيحيون من الشرق، وهناك مسيحيين من ذوي اللون الأبيض، ومن اللون الأسمر، ومن اللون الأسود، ومن اللون الأصفر، وهكذا يوجد من المسلمين، عرب، فلبينيون، إندونيسيون، صينيون ومسلمين من كازاخستان، أتراك وإيطاليون وفرنسيون، أي أنها مسؤولية خاصة تتحملانها الديانتان الإسلام والمسيحية.

❖ من الخطأ الكبير جداً أن يساوي الغرب بين الإسلام والتطرف الإسلامي فهذه ستكون كارثة كبرى

❖ هذا زمن لالتقاء عادل ذو طابع ثقافي وديني أيضاً، حيث كل واحد يجب أن يبقى كما هو، ويحترم الآخر لما هو عليه

إن هذا الزمن ليس زمن الصليبيين، لا من هذا الجانب ولا من ذاك، كما أنه ليس زمن الاستعمار العسكري، وإنما هو زمن لالتقاء عادل ذي طابع ثقافي وديني أيضاً، حيث كل واحد يجب أن يبقى كما هو، ويحترم الآخر لما هو عليه.. طبعاً أنتم المسلمون وبالأخص المسلمين العرب تجدون أنفسكم في وضع أحسن وأفضل مما نحن الغربيين فيه، إن سجية دينكم الموحد، وبالنسبة لكم كعرب في تاريخكم الواضح انكم لا تستطيعون أن تكونوا انتم ذاتكم، إذا لم تعودوا إلى جذوركم التاريخية والثقافية والدينية بهويتكم، إنكم تجدون أنفسكم أمام عالم غربي وعلى وجه الخصوص الأوروبي الذي ينكر عليكم الهوية ويجحد حقيقتها، إنني أعي جدياً أن التحدث مع من يعتقد في وجود الله في دين توحيد شيء، والتحدث مع من ينكر هذه القيم الرئيسية

في حياة الروح الإنسانية شيء آخر أكثر صعوبة، ولهذا فأنا المسيحي أفهم جيداً الفتاة المسلمة التي تريد أن تضع الحجاب على رأسها في مدرسة عامة، ليس مفروضاً عليها ولكنه من صميم التقاليد لبعض الدول الإسلامية، وأفهم جيداً الفتى اليهودي الذي يريد أن يلبس القلنسوة، كما أفهم أولئك المسلمين في ميلانو الذين ليس لهم مسجدٌ يؤدون فيه شعائر الصلاة، فيشغلون الشارع لأداء هذه الفريضة، والذي لا يؤمن بالله ولا يعتقد فيه، يعتبر أن هذا يسبِّب إزعاجاً للوضع العام.. وأنا أعتقد أن الحوار شيء مهم جداً الاحترام المتبادل والاعتراف بالآخر، يجب أن يكون اعترافاً متنامياً الواحد بالآخر.. إن العمل الذي تقوم به جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في أوروبا وأفريقيا وخاصة في إيطاليا مهم جداً، وهذا يجب أن أبوح به بكل إخلاص، هناك بعض المنظمات الإسلامية والعربية في إيطاليا تمّ استغلالها للأسف الشديد بطرق غير شرعية كأدوات سياسية، ويريدون لمسلمي بلادنا الانضواء تحت قبة واحدة لا ينتمون لا إلى الليبراليين ولا إلى الديمقراطيين، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لم تقم أبداً في بلادي بالخلط ما بين العمل الديني والسياسي، ولم تستغل وجودها بطرح معالجات مشبوهة بين عملها وتوجهاتها الدينية بالاحتواء أو التدخل فيما لا ينضوي في نطاق اختصاصاتها أو محاولة الهيمنة السياسية أو أن تقع في مواجهة مع الآخرين من العرب أو المسلمين، ولهذا فإنني واثق من أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي تقدم لكم فرصة مواصلة دراستكم الفلسفية والدينية أيضاً في مثل هذه المؤسسة التعليمية الكبيرة الرائعة فهي تستطيع التعاون بإيجاب مع أولئك المسيحيين الذين تلتقون معهم حول قاسم مشترك واحد في الاعتقاد بنفس الإله، والعمل معاً فيما يعود بالفائدة وبما هو ضروري للمسلمين الموجودين في بلادنا حتى يضمن لهم وضع قانوني معترف به.. إنني أعتقد أن التحاور بين الأديان التوحيدية الكبرى سيكونون أداة مهمة لتقدم خطوات السلام والرقى في العالم، واعلم أن الحوار بين اليهود والمسلمين تعترضه مشكلة فلسطين المأساوية، ولهذا فأنا آمل بمساندة ومساعدة أوروبا حتى يتم التوصل لحل هذا الوضع الخطير وذلك بالاعتراف بحقوق واستقلال الشعب الفلسطيني المشروع.

❖ أنا المسيحي أفهم جيداً الفتاة المسلمة التي تريد أن تضع الحجاب على رأسها، وهو من صميم تقاليدها

❖ الحوار بين الديانات التوحيدية الكبرى أداة مهمة لتقدم خطوات السلام والرقي في العالم

وأخيراً.. وكما قرأتم أنتم بعضاً من آيات القرآن الكريم، اسمحوا لي بأن أقرأ عليكم صفحة من كتاب تعتبرونه انتم من نتاج التوحيد الإلهي، الا وهو (العهد الجديد) في إحدى أجمل صفحاته.. من (انجيل متى): 5 – 3 – 10، ومن انجيل لوقا: 6 – 20 – 23:

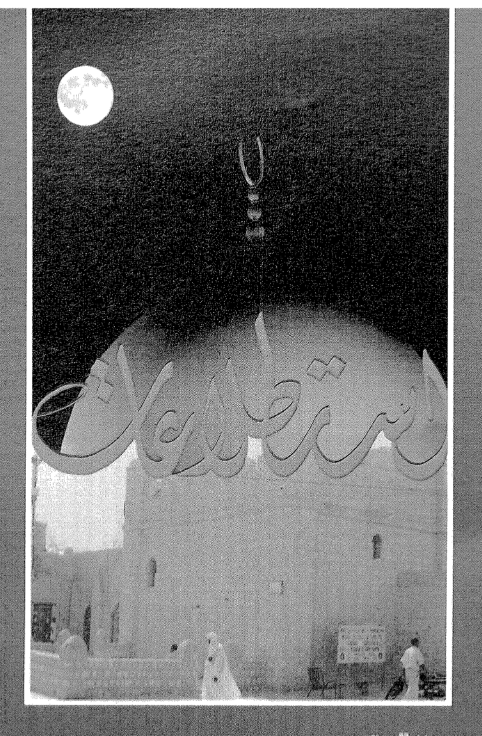
❖ طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات.

❖ طوبى للحزانى لأنهم يتعزّون.

❖ طوبى للجياع والعطاشى إلى البِرّ لأنهم يشبعون

❖ طوبى للرحماء لأنهم يرحمون.

❖ طوبى لصانعي السلام فإنهم سيدعون أبناء الله.

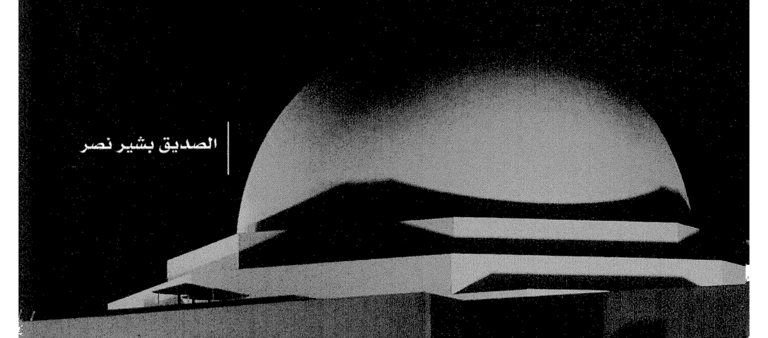


* القبة.. حوار السماء والأرض

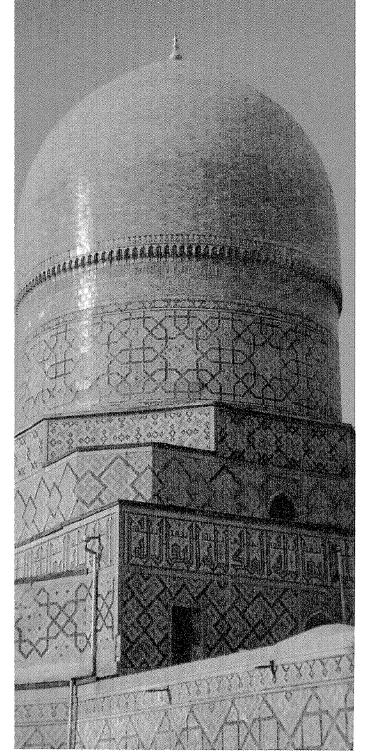
* تومبكتو المدينة الإسلامية التي لم يسجد أحد فيها لغير الله

القبة ..

حوار السماء والأرض



الصديق بشير نصر



القبة Dome نمط معماري متنوّع الأشكال، يحمل معانيَ فلسفية ودينية عميقة، فضلاً عن تلك الدلالات النفسية الواضحة التي تعبّر عن مكنونات النفس البشرية.

ومن يتأمل في القباب على مرّ التاريخ سيكتشف ضروباً مختلفة من الإيحاءات تنبعثُ منها.

ولا ريب في أنّ الإنسان قد أدرك منذ القدم أن ثمة أساليب أخرى غير الكلام والكتابة يمكن توظيفها للتعبير عن العلاقة بين الإنسان والكون والحياة، وما يكتنفها من أسرار.

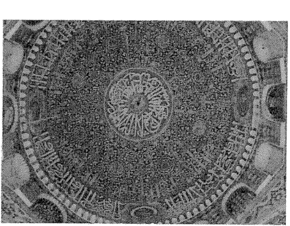
وقد لعبت الأشكال الهندسية في حياة الإنسان دوراً كبيراً منذ أقدم العصور. ويكاد يجزم علماء الأديان والاركيولوجيا أن إحساس الإنسان بالعجز عن التواصل المباشر مع الغيب جعله يتخذ من الأشكال الهندسية وسيلة للتعبير عما يعجز لسانه عن البوح به.

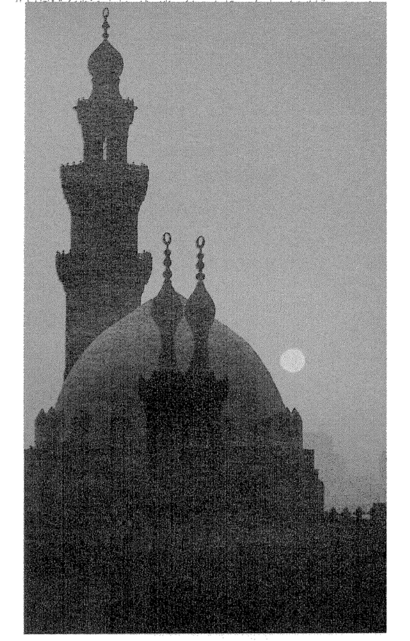
ولعلّ الشكل المثلث أقدم الأشكال الهندسية التي وظّفها الإنسان منذ فجر التاريخ. وباجتماع خمسة مثلثات بنيت الأهرامات. ولا شك أن الأهرامات من أقدم الآثار المعمارية التي بلغت فيها هندسة المثلثات أوجها، إن لم تكن أقدمها على الإطلاق.

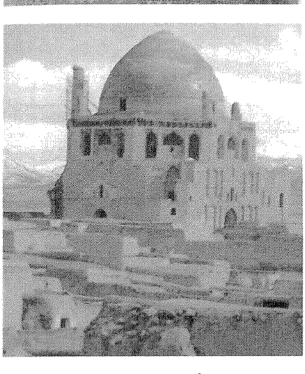
والهرم تعبيرٌ عن اتصال بين الأرض والسماء. ولكنه اتصال أحادي الاتجاه ينتقل من أسفل إلى أعلى، وتتمركز قاعدته على الأرض ويتّجه رأسه صوب السماء. محاولة بشرية قديمة لاكتشاف ما يدور خارج هذا العالم الأرضي.

وصناعة القبّة على ما يبدو، بحسب ما تشير إليه الاكتشافات الحفرية، تأتي في مرحلة لاحقة. ولعلّ هذا ينسجم تماماً مع بعث الأنبياء والرسل تترى، أي واحدٍ في إثر الآخر. وبمعنى آخر تعاظم الصلة بين السماء والأرض.

ومن هنا نرى أن التصميم الهندسي لشكل القبّة يحقق هذا المعنى، وهو الاتصال الثنائي من أسفل إلى أعلى، ومن أعلى إلى أسفل. ولا يوجد شكلٌ هندسي يحقق هذه العلاقة عداها.







سلكت تماثيلَ القباب الجن من
شوق بها فأذرن فيك الأعينا
(أبو الطيب المتنبي)

فالقبة في ظاهرها بناء دائري المسقط مقعّر من الداخل، مقبب من الخارج، يتألف من دوران قوس على محور عمودي، ليصبح نصف كرة تقريباً، تقوم فوق السطح مباشرةً. أو تقف على رقبة مضلّعة أو دائرية، أو على حنايا ركنية.

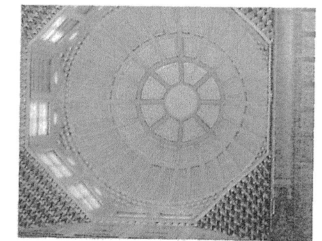
وقد ظهرت القباب، كما ورد في تاريخ العمارة، أوّل الأمر في آسيا، ثم انتقلت إلى الفرس، واليونان، ثم الرومان قبل أن يتلقاها المسلمون. ولا يخلو طراز من طراز الفنون الإنسانية من القباب إلا الطراز المصري القديم.

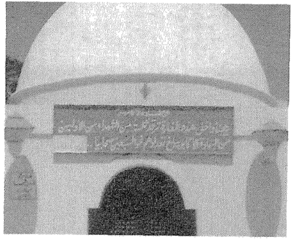
والبداية في عمل القبة ابتكار العقد أو القوس. وأصل ذلك ابتكار آسيوي، ولكنه تطوّر على أيدي الفرس والرومان لاحقاً. ثم جاء المسلمون وطوّروها إلى حدّ أبعد.

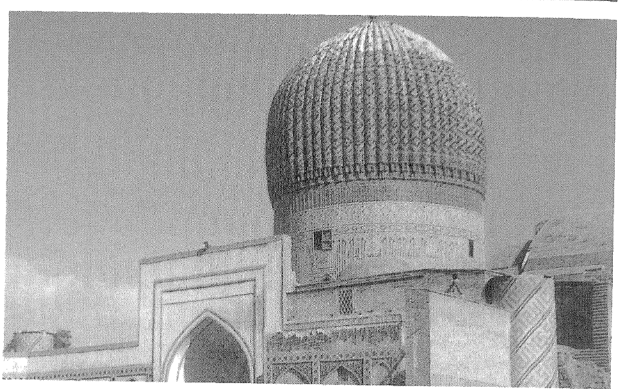
وأوّل قبّة عُرفت في الإسلام قبّة الصخرة المشرّفة التي بناها عبد الملك بن مروان ببيت المقدس في فلسطين ما بين عامي 69-72هـ.

وبعد قبة الصخرة بنى الوليد بن عبد الملك المسجد الأموي بدمشق، وفيه قبة النسر الشهيرة، وذلك عام 132-133 هـ.

الناظر إلى القبّة من الخارج توحي بأنها تتجه إلى أسفل. وذلك يتضمن معنيين رمزيين: احتضان







السماء للأرض احتضان الأم لوليدها، الإحساس بالضعف الإنساني الذي يطلب أمان النفس وسكينة الروح داخل محراب العبادة الذي تمثله القبة.

والناظر إليها من الداخل يراها تتجه إلى أعلى، رمزاً للسمو والارتقاء. والإنسان مذ غادر فردوسه الأول ووطأت قدماه الأرض يحنّ إلى موطنه القديم. فنفخة الروح تتفلّت من قبضة الطين لتستقرّ في عوالم أسمى.

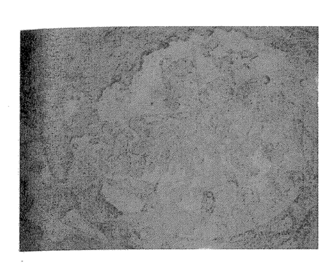
لقد ارتبطت القباب في البدء بأماكن العبادة. ولا تكاد تخلو ديانة من الديانات، سماوية كانت أو وثنية، إلا والقباب تزيّن دور عباداتها.

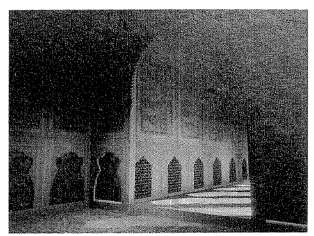
ثم لم تلبث أن انتقلت القباب من دور العبادة إلى الأضرحة والمقابر. فشيّدت على قبور الأولياء والصالحين، والرهبان، تعبيراً عن المكانة المقدّسة التي يتبوّأها هؤلاء الناس.

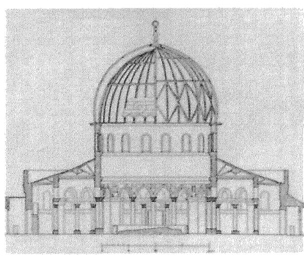
ومع الزمن أخذت المبالغة في تقديس الأولياء تقترب من ضروب الشرك، فشيّدت القباب فوق قبر كلّ دعيّ، فشرع الكثيرون من الخاصة والعامّة يطلبون في وصاياهم أن تبنى على قبورهم قباب وأضرحة لعلها تمجدهم عند الخلف، وتذكّر بمآثرهم حتى ولو كانت قبيحة.

ولعلّ هذا هو السرّ في نهي الشريعة الإسلامية عن البناء فوق القبور مخافة أن تتحوّل إلى صنم يُعبد من دون الله.

وهذه الحقيقة نشاهدها في اجتماع العامّة عند القباب والأضرحة يتبرّكون بها ويتوسّلون بها إلى الله







ويستغيثون. وذلك هو الشرك الذي حاربه الإسلام.

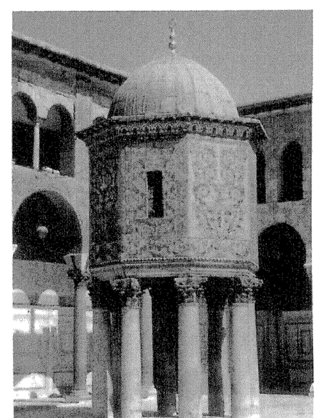
كانت القبّة في الأصل تحملُ معاني جماليّة وفلسفية راقية بعيداً عن تلك المعاني التي استحدثت لاحقاً.

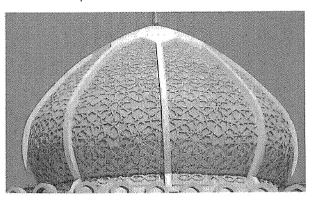
لقد تطوّرت هندسة القباب بشكل ملحوظ عبر التاريخ. فبدأت أولاً بالقباب الخشبية التي كسيت من الخارج بصفائح من الرصاص لحمايتها من العوامل الجوية، وكسيت من الداخل بطبقة من الطلاء المصنوع من الجصّ الأبيض لتزيينها والنقش عليها.

ومن هذا النوع قبة الصخرة (72هـ)، وقبة الإمام الشافعي (608هـ)، وقبة جامع بيبرس (655-667هـ)، وقبة السلطان حسن بالقاهرة (757هـ).

ثم أنشئت القباب الحجريّة، أو المصنوعة من القرميد، وهي كثيرة في بلاد المسلمين، مثل قبة مسجد الغوري بالمنشية (909هـ)، وقبة خانقاه بن برقوق (801هـ)، وقبة مسجد السلطان سليمان باستانبول.

وأما القباب الحديثة فإنها تقوم على هياكل

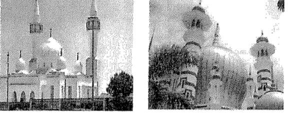




حديدية، فيصبّ الاسمنت في قوالب نصف كروية معدّة خصيصاً لذلك.

وفي العصر الحديث تطوّرت صناعة القباب بشكل مذهل، فصنعت من مادة الألياف الزجاجية، وهذه تسمح بنفاذ الضوء إلى جوف القبة ولا تسمح بنفاذ الحرارة أو البرودة إلى داخلها. وتبدو القبة للوهلة الأولى وكأنها قطعة واحدة، ولكنها في الحقيقة تتكّون من أكثر من جزء.

ـ قاعدة القبة: وهي الجزء السفلي الذي تستقر



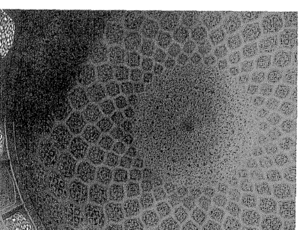
عليه القبة، ويكون مدّوراً، أو مضلّعاً (مربعاً أو مسدساً أو مثمناً).

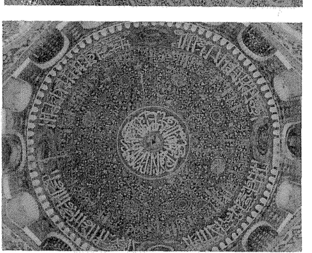
ـ رقبة القبة: وتسمى (الطنبور)، وتوجد فيها أحياناً نوافذ ذات زجاج ملّون، وأحياناً يزخرف عنق

يقول روجيه جارودي:

«إن نظرة ولو سطحية على شواهد الفن الإسلامي في العالم، تكشف لنا أن أصالتها وجدّتها العميقة، وتشعرنا بأن التجربة الروحية ذاتها تحيا في أي مبنى روحي، أياً كان مكانه الجغرافي أو غايته. فمن الجامع الكبير في قرطبة إلى الجوامع الصغيرة في تلمسان والقرويين وفاس وطولون في القاهرة والجوامع الضخمة في استانبول، والبصلات الفردوسية في مساجد أصفهان، أو منارة سامراء الحلزونية، ومن قصور الحمراء في غرناطة إلى قصر علي.. تولّد لدي شعور دائم بأن رجلاً واحداً قد بناها جميعها تلبيةً لنداء إلهٍ واحد».

قبة النسر
المسجد الأموي ـ دمشق





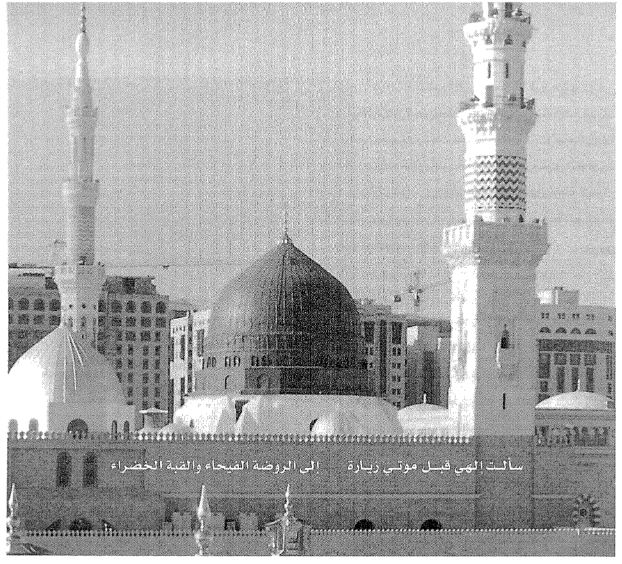
القبّة بآيات قرآنية تكتب بخطوط زخرفية كالكوفي. ويتفاوت عنق القبة من طويل فمتوسط فقصير.

ـ جسم القبة: ويكون مدوّراً أملسَ، أو مدوّراً مضلّعاً، أو مخروطياً.

تلوّنت القبّة بألوان مختلفة بحسب اختلاف البلدان الإسلامية، فقد عُرفت القباب الزرق في بلدان آسيا، والخضر والبيض في أكثر البلدان العربية كالشام، ومصر، والجزيرة العربية، وبلدان شمال أفريقيا. مع وجود ألوان أخرى للقباب، ولكن على ندرة مثل: الأحمر، والأصفر الذهبي، والترابي الطيني كما في بخارى وسمرقند من بلاد اوزباكستان.

واللون الوحيد الذي لم تتلّون به القباب هو اللون الأسود، لما يتضمنه من إيحاءات سلبية كالموت والظلمة والشر. وفي الميثالوجيا القديمة يعبّر اللون الأسود عن العالم السفلي حيث شرور الدنيا تقيم، وحيث يقبع الجان والشياطين والمردة.

وغلب اللون الأزرق السماوي، والفيروزي واللازوردي على قباب مساجد إيران، حيث نرى قباب



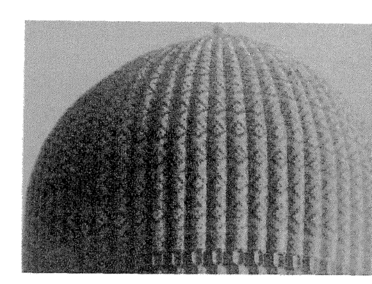
أصفهان وشيراز تتألّق بزرقتها التي تحاكي زرقة السماء. ومن المعروف أنّ اللون الأزرق يعبّر عن الاتساع والشمول، ومن هنا كانت زرقة السماء وزرقة البحر. والبحر يمثل أربعة أخماس الكرة الأرضية. وخمسها الأخير من اليابسة تتقاسمه ألوان الطيف الأخرى.

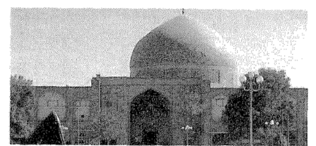
وتشير تجارب علم النفس الحديث إلى أنّ اللون الأزرق أكثر الألوان راحة للنفس، ولذلك يشعر المرء بالارتياح الشديد عندما يحدّق في السماء، أو ينظر في البحر فلا يرتدّ إليه بصره.

ولم يقف تشييد القباب على المساجد والأضرحة، بل تجاوزها إلى المدارس والجامعات والأسواق. ففي بخارى مثلاً عُرِفت القِبَاب التجارية في القرن السادس عشر على يد الأسرة الشيبانية حيث كانت بخارى تقع عند تقاطع أشهر طريق تجاري آنذاك وهو طريق الحرير. وقد أنشئت خمس قباب تجارية، تحمل كلّ قبة اسم التجارة التي تجرى تحتها. ولم يبقَ من تلك القباب الخمس حتى يومنا هذا إلا ثلاث، وهي: قبة تقي صرافون وهي تمثل سوق الصرافة حيث يتم تبادل العملات. وقبة تقي طلباك فروشون ويباع تحتها جميع أنواع القبعات. وقبة تقي زرقارون، وهي تمثل سوق الصاغة.

القبة الخضراء

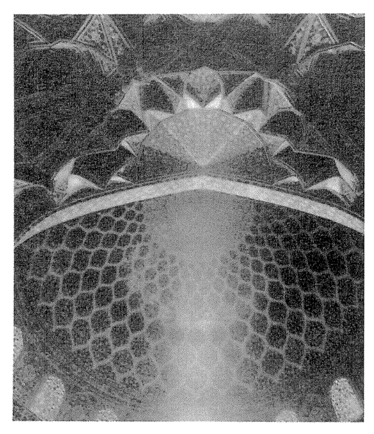
بنيت أول قبة في المسجد النبوي الشريف في القرن السابع الهجري بأمر من السلطان المملوكي المنصور قلاوون الصالحي سنة 678 هـ، وهي التي تعرف الآن بالقبة الخضراء، وكانت مربعةً من أسفلها مثمنة من أعلاها، مصنوعة من أخشاب أقيمت على رؤوس السواري المحيطة بالحجرة الشريفة وقد كسيت بألواح من الرصاص منعاً لتسرب مياه الأمطار إلى الحجرة الشريفة.





ـ ومن القباب الشهيرة في الإسلام قبّة مشهد وهي مدينة شهيرة من مدن إيران كانت تعرف قديماً باسم (طوس) وتحت هذه القبة يرقد الإمام الرضا علي بن موسى وإلى جانبه يوجد مثوى الخليفة هارون الرشيد. إن أوّل قبّة بُنيت فوق هذا المزار كانت على يد شرف الدين القمّي بإعانة مجموعة من الخبراء، وذلك في مطلع القرن الهجريّ السادس، وكان بناؤها ـ كما يذكر المؤرّخون ـ من القاشاني، ثم بُدّل بعد سنوات بصفائح ذهبيّة برّاقة. وعلى أثر غارة الأزبكيّين، تعرّضت القبّة الذهبية إلى السلب، فجُدّد بناؤها ورُصفت من جديد بصفائح الذهب الخالص في العهد الصفويّ حتّى أخذت صورتها على ما نراها اليوم.

وكان بناء القبة الثانية فوق القبّة الأولى، مع ترك فاصلة تتخلّلها نوافذ عديدة. فصارت القبّة الشريفة كأنّها تتكوّن من سقفَين، أو غطاءين:



التحتيّ منهما ذو منافذ تؤدّي إلى الفوقيّ، وهو مطلٌّ على الضريح الطاهر، وقد بنيت تلك المنافذ على أشكال مُقَعَّرة ومُقَرْنَصة. أمّا الغطاء الخارجيّ للقبّة فهو مغطّى بالذهب، مشعّ بأنواره الشمسيّة البهيّة من الخارج.

- ومن القباب الشهيرة أيضاً قبة الإمام الشافعي، وقد تمّ إنشاؤها في عهد السلطان الملك الكامل سنة 608 هجري - 1211 ميلادي.

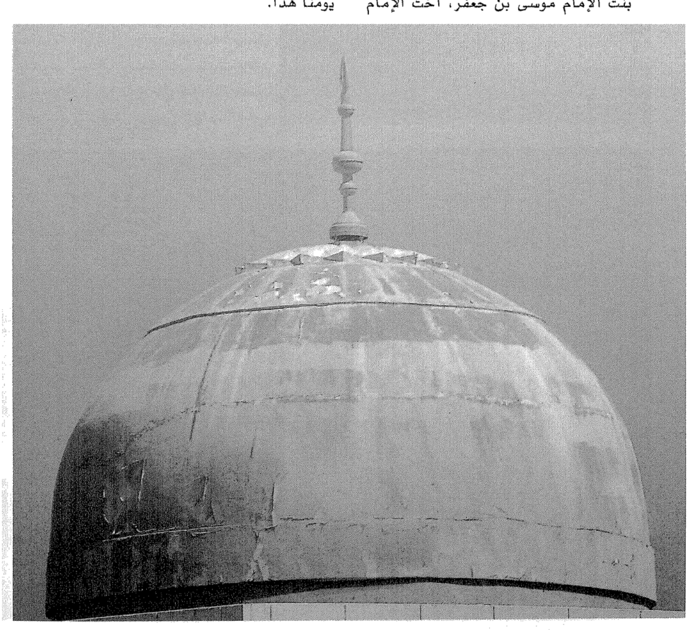
ويوجد بداخل القبة تابوت الملك الكامل وتابوت الإمام الشافعي وتابوت آخر فوق قبر أم الملك الكامل، حليت جوانبه الأربعة بحشوات دقت بالأويمة. وتمّ تجديد نقوش جدران القبة في عهد علي بك الكبير عام 1186 هجري - 1772 مسيحي. ويوجد مدخل

المقام بالقرب من النهاية الجنوبية الشرقية للجانب الشمالي. وبابه مزدوج ذو نقوش هندسية من الداخل. أما جدران القبة فمكسوة بالرخام وهذا الرخام من آثار تجديد السلطان قايتباي والسلطان الغوري. ويوجد بالجدار الشرقي للقبة ثلاثة محاريب طواقيها خشبية، ثم محراب رابع أحدث لتصويب القبلة. وتوضح هذه القبة تطور تعدد طاقات المقرنص.

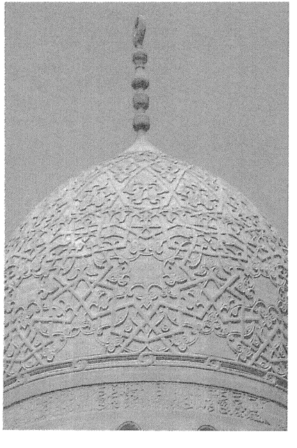
ـ ومن القباب المشهورة تلك التي بنيت فوق مرقد السيِّدة الجليلة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر، أخت الإمام الرضا، ولدت في الأول من ذي القعدة سنة 183هـ، وتوفيت في 10 ربيع الآخر سنة 201هـ وسميت معصومة لورعها وتقواها.

لما توفيت السيِّدة فاطمة المعصومة دفنها موسى بن خزرج بن سعد الأشعري القمي وبنى على قبرها بيتاً له سقف من البواري وكان موضع المقبرة قديماً يُعرف بـ(بابلان) ومن هذا التاريخ بدأت شهرة مدينة قم.

وبدأ الناس بزيارة المرقد ثُمَّ توالت عمليات البناء والعمارة تتسع وتزيد إلى يومنا هذا.

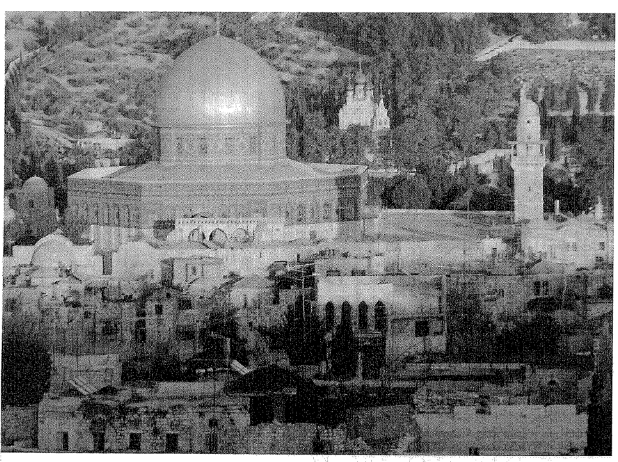


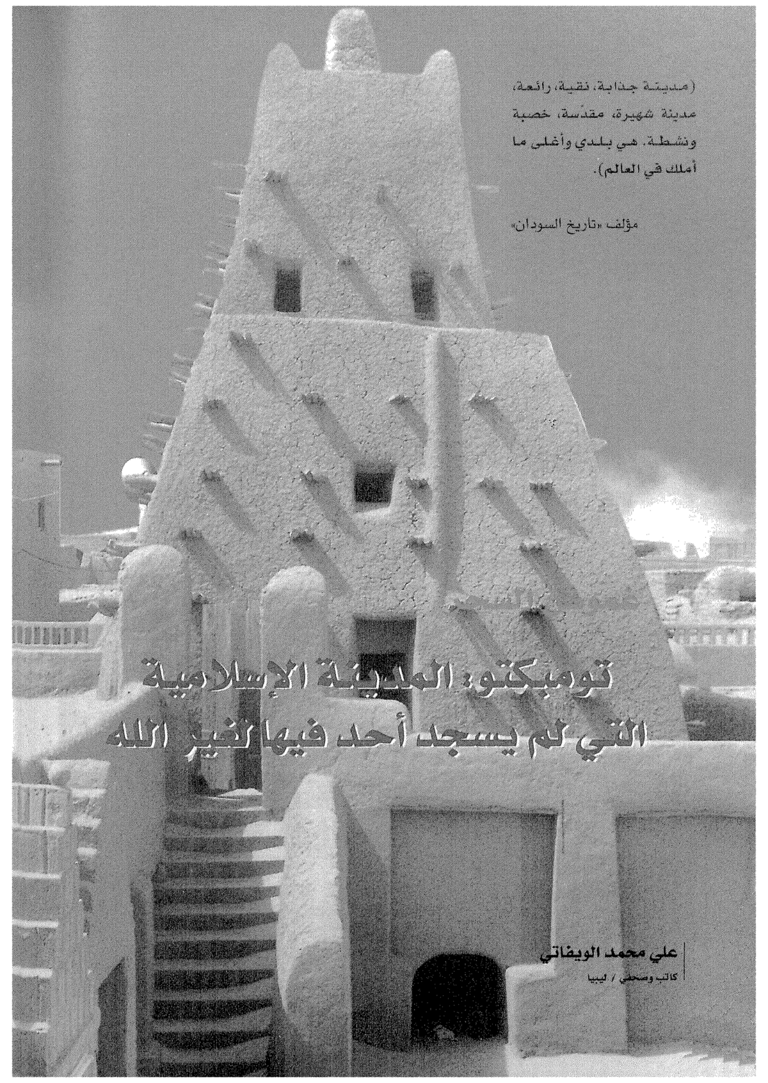
قبة الصخرة



تتوسط تقريباً ساحة الحرم الشريف حيث تقوم على فناء (حصن) يمتد على طول من الشمال للجنوب 219 ذراعاً ومن الشرق للغرب 5, 223 ذراعاً بارتفاع 12 ذراعاً، ويتوصل إليها عن طريق مراق (درج). وتّوجت بقناطر حجرية تتألف من مجموعة عقود حجرية تقوم على أعمدة رخامية عرفت باسم الموازين يبلغ عددها ثمانية وزّعت في جهات صحن الصخرة الأربع.

قطر القبة الداخلي 44, 20م وارتفاع رقبتها 8, 19م، وقطر المبنى بشكل عام 52م وارتفاع 54م. وتأخذ القبة بناء مثمن الأضلاع طول الضلع 60, 20م على ارتفاع 5, 9م علماً أن طول الصخرة المشرفة من الشمال إلى الجنوب 18م 70 سم، وعرضها من الشرق إلى الغرب 13م 50 سم. وأعلى نقطة فيها مرتفعة زهاء متر ونصف، ويوجد أسفل الصخرة المشرفة كهف صغير يعرف بالمغارة مربع الشكل تقريباً 5, 24م ومتوسط ارتفاعه 3 م وقد أقيم في جهته القبلية محرابان.





(مدينة جذابة، نقية، رائعة، مدينة شهيرة، مقدسة، خصبة ونشطة. هي بلدي وأغلى ما أملك في العالم).

مؤلف «تاريخ السودان»

تومبكتو: المدينة الإسلامية التي لم يسجد أحد فيها لغير الله

علي محمد الويفاتي
كاتب وصحفي / ليبيا

توم.. بو.. كتو..

إيقاع موسيقي تشترك في عزفه الصحراء والريح والفضاء.. يجعلك تجزم أن اسمها منحوت من الأصوات الخرافية المنبعثة من كل فراغاتها البطيئة.. المتكاسلة.. توم.. توم.. توم.

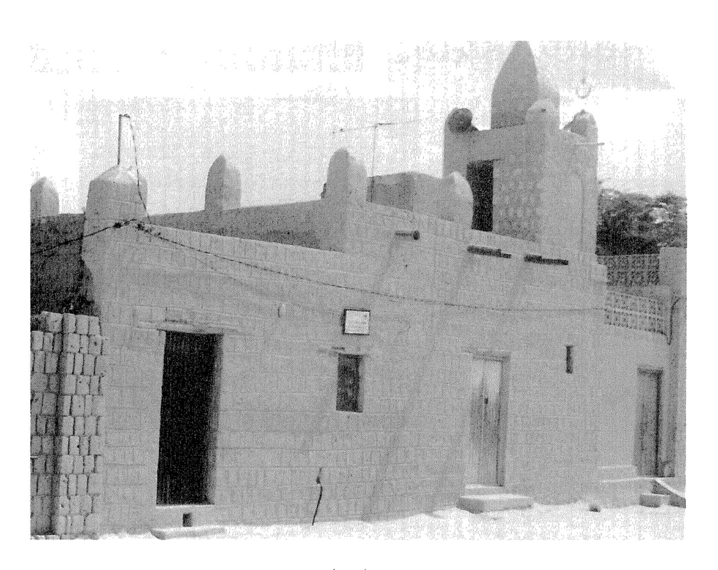
ويختلط وقع الخطى مع اصطدام الريح بالمخلوقات المترقبة وراء الكثبان بووو.. بووو.. بووو

وفي لحظة مستمرة يتكرر (القبض) مع سكون (الكاف).. الشهقة المكتومة لتنضم مع خطى النياق المجنحة بإيقاع الرتابة.. ك تو.. ك تو.. في دوائر العواصف الرملية المتصلة مع الخطى المستمرة.

مدينة تومبكتو في شمالي مالي، مدينة مملوءة بالأسرار، عرفت بمساجدها ومكتباتها وموقعها الاستراتيجي، كما كانت مركزاً لتسويق الذهب والتوابل، ولدت تومبكتو في ثوب الأسطورة، ولدت كحاجة ماسة لالتقاء عابري المسالك الصحراوية بالذين توصلهم المراكب المشتتة، لكن المدينة كبرت ليصل ساكنوها إلى خمسين ألف نسمة قبل ستة قرون، مثلما تقول لنا المصادر التاريخية.

كانت تومبكتو دوماً نقطة التقاء وامتزاج ثقافي بين شمال أفريقيا وجنوبها، وهذا ما جعل المدينة تنمو بين الصحراء ونهر النيجر.

تركت السبعة قرون من تاريخ البلدة آثارها بوضوح في شوارع تومبكتو في منارات مساجدها



وأزقتها الملتوية، فيما تحس درجة الغموض والسحر في مبانيها التي تشربت لون الصحراء.

تزدحم المكتبات والمخطوطات والمساجد والأضرحة في فضاء من قبائل وأعراق مختلفة، ثقافات تزدحم في هذا الأفق الكبير لتصنع تاريخ هذه المدينة.

من يستطيع أن يحدّد معنى لهذا الإسم (تومبكتو)؟

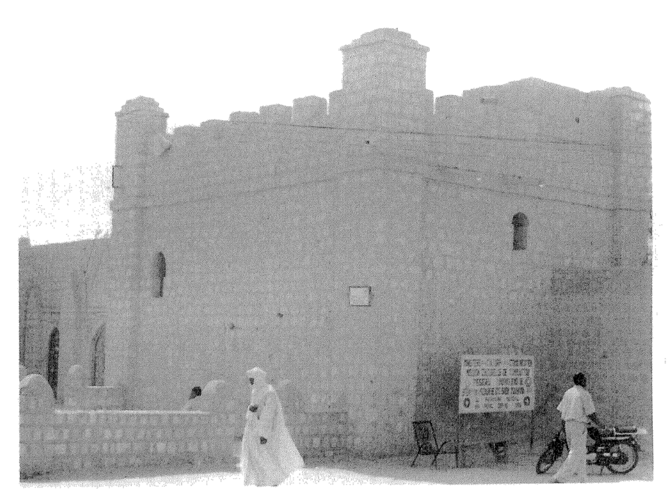
في بقعة صحراوية تقترب من الموقع الذي نعرفه الآن أو تبتعد عنه كان هناك بئر.. والناس في الصحراء يعرفون قيمة المكان الذي يتمتع ببئر، فذلك يعني أن الحياة تفرز إكسيرها في هذا المكان، ولذلك كان الناس الذين ترهقهم أسفار الرمال يلقون أحمالهم في هذه البقعة شوقاً لشربة ماء.. وكسرة خبز.. ولنومة هنية......

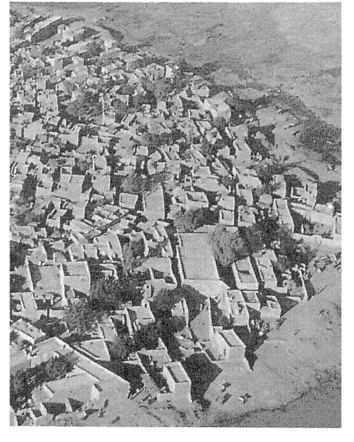
وتتحرك الشفاه هنا وهناك لتحكي عن امرأة أخذ منها الزمن عمرها وقدم لها وضوح الصحراء وصدقها...

إسم هذه السيدة (بكتو).. هذا ما قالته الشفاه الصحراوية.. وأضافت أن الطوارق الذين يصلون إلى البئر من الجنوب ينيخون جمالهم عند اقدام هذه السيدة يستأمنونها على ما يثقل كواهل الجمال من أشياء ثقيلة تمنعهم من مواصلة الرحيل إلى الشمال...

لقد أناخ الطوارق نوقهم حول توم (البئر) الذي نسب لهذه السيدة (بكتو) وبذلك أصبحت المنطقة ترمز للارتواء وللأمانة، فالسيدة بوكتو تحرس البئر وتتولاه.

ولأن المركز كان الماء والأخلاق فقد تحوّلت

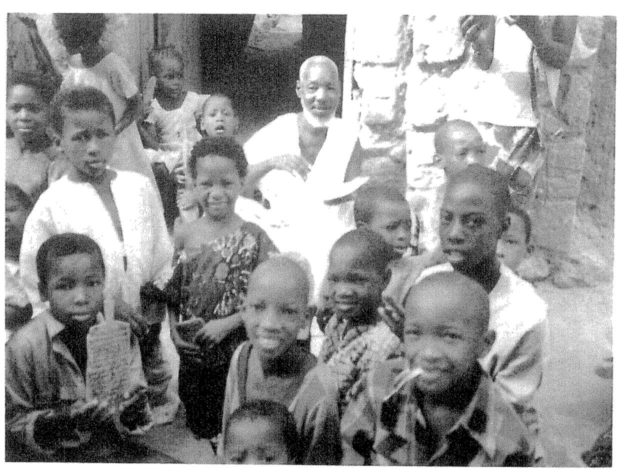




المنطقة من مجرد استراحة بسيطة للقبائل الرحل إلى مركز تجاري مهم تتدفق إليه ألواح الملح من مناجم الصحارى، ومنتجات السفانا والغابات. ومن هناك كانت تنطلق العربات الضخمة المحملة بالمواشي إلى مصر، والمحملة بالذهب والعاج والجلد إلى المغرب.

وبدأت العصور الذهبية للمدينة المنبثقة من الرمال. وتدفقت الثروات على تومبكتو. وولدت حضارة متقدّمة فيها أصول العيش والاستقبال وفنون المحادثة والحوار في الأمسيات الصحراوية الموحية بالشعر وأجواء العلم التي جذبت الوافدين من كل بلدان العالم الذين يتهافتون على سماع العلماء والفقهاء الذين يعلمون في جامع سانكوري.

وذكر المؤرّخ ليون الأفريقي وجود 120 ألف طالب و180 مدرسة قرآنية في مدينة كانت تعد في أوجها، في



القرن السادس عشر، 100 ألف نسمة. وقال محمود كاتي، كاتب «تاريخ الفتاش»، الذي ألفه في القرن السادس عشر: «تومبكتو، وصلت إلى الحد النهائي من الجمال والروعة، وكانت الديانة المزدهرة فيها والتقاليد النبوية تعطي الحياة لكل شيء...».

لقد أصبحت مدينة «تومبكتو » من أهم مراكز نشر الثقافة الإسلامية في مالي.. وعرفت بمساجدها الجامعة ومدارسها الإسلامية.. وكان بالمدينة عدد كبير من القضاة والعلماء والفقهاء.. وكانت تباع في المدينة أعداد كبيرة من الكتب الواردة إليها من بلاد الشمال فتدر أرباحاً تفوق كافة السلع الأخرى.. كما كان عدد علمائها في هذا الوقت 330 عالماً.

قفزات الزمن

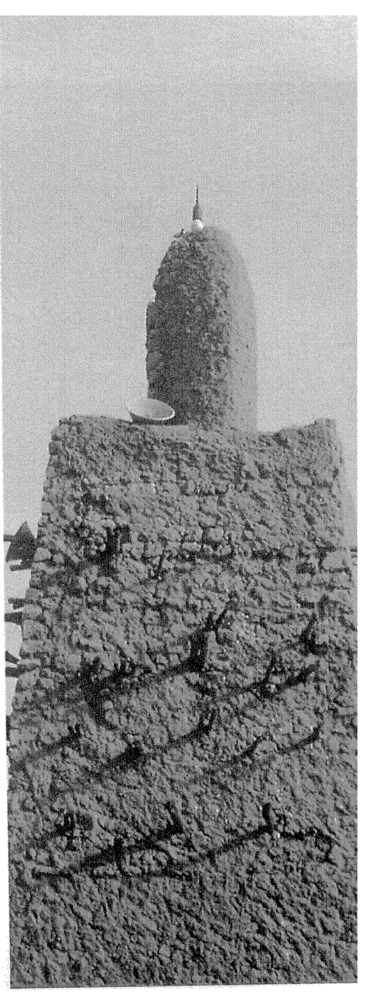
هكذا كانت تومبكتو.. معلماً حضارياً، ثقافياً اقتصادياً.. كان يشع نوراً على مساحات من الكرة الأرضية، وهذا الشعاع كما أنه قادر على جذب الفراشات الجميلة، قادر أيضاً على إغراء البعوض والذباب على التكالب على كل ما هو جميل لتحويله إلى قبح...

هذه الكلمات أردتها أن تكون كأنها حركة من مخرج سينمائي يريد أن يتخطى مراحل طويلة إلى نقطة من الزمن تحول فيها هذا المعلم الحضاري الثقافي والاقتصادي من حياة واقعية إلى التاريخ... ومن فاعلية إلى خمود.. ومن رخاء إلى عسر... ومن منطقة استقطاب إلى منطقة طرد...

لا نريد الخوض في الحركة الاستعمارية..

لا نريد الحديث عن موت الأمم وانطفاء ذكرها..

نريد فقط أن نهرب من الأسى والحزن إلى الجهد الذي يبذل من أجل أن تبقى هذه المدينة في ذاكرة أبنائها قبل أن تكون في ذاكرتنا.



الشخصية العربية

نقصد هنا بالشخصية العربية البناء الثقافي الذي شكل على مدى قرون الحركة الثقافية في هذه المدينة وأثرى الثقافة الإسلامية بأبعاد جديدة امتزجت بالخصوصية الأفريقية تحركت في أفريقيا بانسيابية مع حركة التجارة والتجار العلماء، والعلماء.

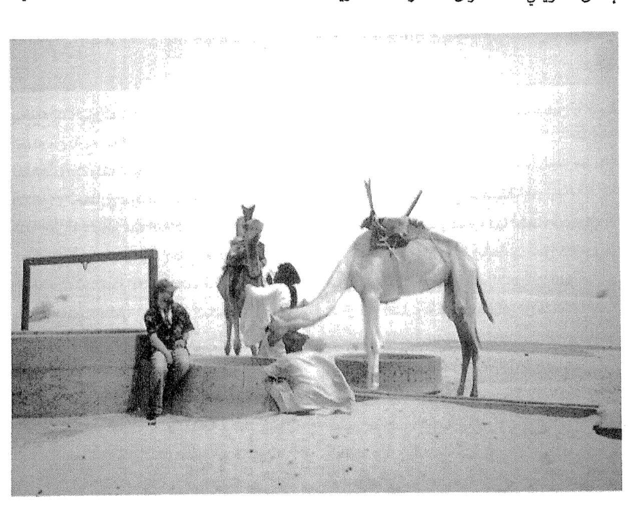
هذه الخصوصية تعرّضت لعمليات نحت بطيئة ولكنها مبرمجة فالمستعمرون كانوا يحملون معهم مشروعاً ثقافياً أساسه سيادة لغتهم ومن ثم ثقافتهم.

إن هذا السعي الاستعماري الدؤوب أفضى مع التراكم إلى أن تنحسر اللغة العربية في ركن ضيق كان يمكن أن يستحيل إلى لا شيء لولا القرآن الكريم والعلوم الإسلامية التي كانت تكافح كفاحاً مثالياً من أجل، أن يبقى لها ركن ولو كان ضيقاً في ذاكرة الإنسان الافريقي، خاصة وأن الظاهرة الاستعمارية ارتبطت بنشاط مكثف من قبل بعثات تنصيرية ممولة من مؤسسات ترفدها دول وحكومات بوسائل متعدّدة تمهد للتسلّل للعقل عبر الجسد.

هذا الإطار يمكن أن تدخل فيه كل الدول الأفريقية التي تعرّضت للاحتلال. وليست جمهورية مالي التي تضم تومبكتو بمنأى عن هذه اللوحة فقد عانت تومبكتو من الواقع ذاته فانحسر فيها التعليم العربي وظل قابعاً في الزوايا والتكايا والكتاتيب التي كانت تعاني هي الأخرى من الإهمال المتعمد لكي تصبح في النهاية دون مستقبل.

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

كنت منذ مدة في زيارة لجمهورية مالي وهناك التقيت عدداً من العاملين في الحقل الإسلامي وقد أحسست أثناء كل اللقاءات بذلك الشوق الكبير الذي



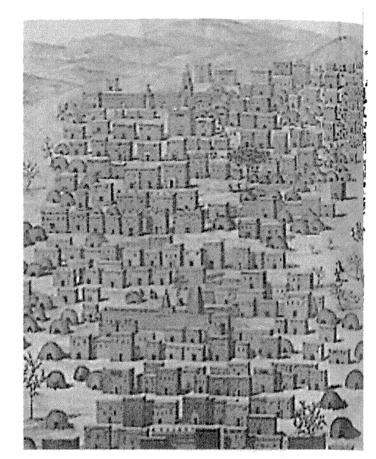


يحمله الماليون تجاه الشخصية الإسلامية بكل ما تحمله من تاريخ وتجذر، ولمست الحب الذي يحملونه للغة العربية وثقافتها لأنهم يدركون أن وجودهم الثقافي والحضاري مرتبط بالإسلام والعروبة، وأن اللغة العربية تترجم هذه العلاقة بينهم وبين التاريخ الحضاري لأفريقيا كلها وليس مالي فقط.

وقد لمست هذا الانتماء عندما كان الحديث يتطرق لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي تتخذ من مدينة طرابلس ـ ليبيا مقراً لها وما أكثر ما يتطرق الحديث عنها لصلتها الوثيقة بكل الأعمال التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالشخصية الإسلامية للمواطن الأفريقي عامة والمالي خاصة، والبعد اللغوي لهذه الشخصية. كان الناس هناك يتحدثون عن مشروع أنجزته الجمعية استعاد به التومبكتيون شيئاً من ذاكرتهم التاريخية عندما كانوا مرتبطين بالعربية في حركتهم اليومية.

شوارع المدينة

لمدينة تومبكتو شوارع لها أسماء قديمة جداً مرتبطة بقصص تاريخية وبأساطير مثل شارع (بلع الإبل) مرتبط بما يقوله عنه الناس أن الابل عندما تدخل هذا الشارع تختفي، ويتخيلون أن هناك شياطين تبتلعها، وهناك أيضاً شوارع تطلق على مدن التوأمة مثل شارع سنت الفرنسية المدينة التي تربطها توأمة مع مدينة تومبكتو وشارع كيمنت الالمانية. والمجلس البلدي هو الذي يجتمع ويعطي أسماء لهذه الشوارع، فهناك شارع جودة مامادو كوناكري وشارع الفاي اسماعيل والفقيه اسماعيل.







برنامج نبيل

كانت شوارع المدينة بالرغم من عمقها المعماري التاريخي الذي يجذبك إلى الأجواء الإسلامية الشرقية تحمل أسماء مكتوبة بالأحرف اللاتينية تقطع عن أبنائها خط التاريخ الذي يوصلهم بالجذور الإسلامية العربية.

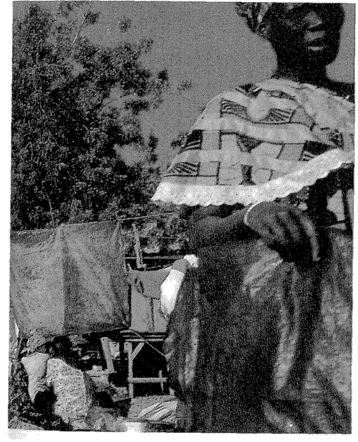
ولهذا فإن قيام جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بكتابة أسماء الشوارع بالحرف العربي إلى جانب الإبقاء على الاسم بالحرف اللاتيني وهو ما يعتبره عمدة المدينة دليلاً على (أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية مع أنها تخدم مصطلحات اللغة العربية والثقافة الإسلامية ليست احتكارية، فهي تخدم أيضاً الثقافات الأخرى فهي أعطت أيضاً عناية للغة الفرنسية وأصبح الفرنسيون والعرب كلما دخلوا مدينة تومبكتو يستطيعون الاهتداء بسهولة. وأقول أن هذا البرنامج نبيل جداً ونتوقع أن تستمر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالتوسع فيه بإقليم تومبكتو وفي خارج إقليم تومبكتو بجمهورية مالي).

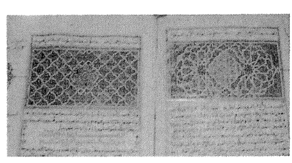
كان الاحتفال بهذا المشروع متميزاً حيث أقيم في مباني بلدية تومبكتو وحضره عدد من المسؤولين وبعض الجهات الأجنبية مثل ممثل مدينة «ليمنت الألمانية» التي تربطها علاقة توأمة مع تومبكتو ، وهناك أيضاً مثل مدينة سنت الفرنسية التي أيضاً تربطها علاقة توأمة ولذلك فإن أسميهما تم إطلاقهما على شارعين في المدينة وبالمناسبة قرّرت مدينة تومبكتو إعطاء أحد الشوارع لإسم القائد معمر القذافي ويمتد هذا الشارع من وسط المدينة شمالاً محاذياً لشارع يسمى بشارع السلام الذي يلتقي بشارع الأمم المتحدة ويواصل شمالاً إلى نهاية المدينة، فأهل تومبكتو بما فيهم المسؤولون يرون أن للقائد معمر

القذافي جذوراً في مدينة تومبكتو، (وهذه الكلمة وردت في قرار المدينة عندما أعطوا لهذا الشارع اسم معمر القذافي).

كان الاحتفاء بهذا المشروع احتفاء مريحاً يترجم الرضى بالعودة للحرف العربي المغروس في ذاكرة التمبوكتي التاريخية وبعدم التصادم مع واقع ثقافي فرضته عوامل ليس من السهل التملص منها.

فلم يعد غريباً - بعد أن توزعت لوحات أسماء الشوارع بالعربية والحرف اللاتيني - أن تعتاد الأعين التي حرمت من قدسية الحرف القرآني أن تتمتع به أينما تسير... كما أنه بات من المعتاد أن تلتقط أعين الغرباء الباحثة عن جواهر التاريخ، بعضاً مما تملكه هذه المدينة من عمق يؤسّسه الإسلام في تفاعله السلمي مع الثقافات المتنوعة الوافدة والمستقرة.

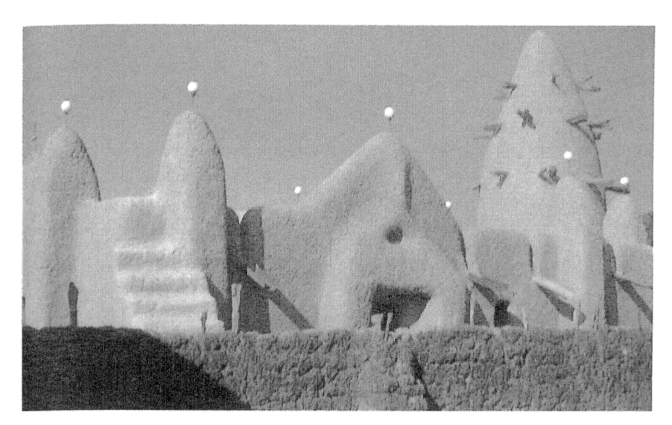


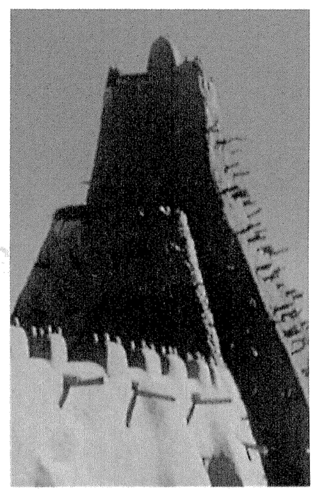




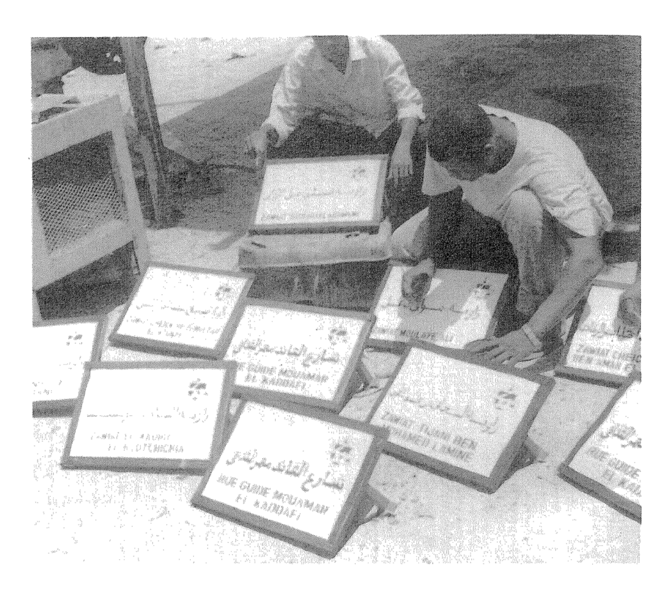
المخطوطات

عرفت أفريقيا جنوب الصحراء تعليم اللغة العربية منذ وقت مبكر مع ظهور الأفواج الأولى من معتنقي الإسلام في القرن السابع ميلادي، وخاصة في عهد إمبراطورية غانا. ومن لغة العبادات تحولت العربية فيما بعد إلى لغة العلوم والثقافة ولغة التعبير الرسمي خاصة. فقد كانت امبراطورية مالي (فيما بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر) والممالك المختلفة التي تعاقبت في الجزء الغربي من القارة، تستعمل هذه اللغة في الإدارة والقضاء وفي مراسلاتها الرسمية مع الخارج.





وانتشرت المجالس والحلقات العلمية للتعليم الإسلامي في المدن والقرى تقريباً في كل بلدان أفريقيا الغربية الحالية. وأصبحت مدينة تومبكتو مركزاً دينياً وثقافياً يضم أول جامعة إسلامية في المنطقة تتخذ العربية لغة للتعليم، وكان عدد الطلبة الذين يدرسون فيها في ذلك العهد يزيد عن عدد سكانها الحالي (حوالي 20000 نسمة). وقد تخرج من التعليم العربي علماء أفارقة كبار من أمثال أحمد بابا (له خمسون مؤلفاً) والمؤرخ المشهور محمد كأتي الذي ساهمت مؤلفاته بقسط وافر في التعريف بتاريخ بلدان الساحل الأفريقي الحالية. فالمخطوطات جزء من تاريخ هذه المنطقة... كتب كثيرة في الطب والفلك والفقه والتاريخ، مكتبات كثيرة تُركت لحال سبيلها بعد أن فقدت من يعتني بها. بعضها نهبه لصوص الآثار، والبعض الآخر لا يزال مكدّساً في مخازن الأمتعة، وقد أصابه التلف.



مع الجمعية مرّة أخرى

قال لي الأستاذ محمد التميم حمودي مدير ثانوية إعلان سرت ومدرسة النور المضيء بمدينة تومبكتو إن لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية اهتماماً بالمخطوطات والآثار القديمة الإسلامية ليس في مدينتي تومبكتو فقط بل في أفريقيا كلها. فجمعية الدعوة الإسلامية العالمية رأت أهمية العناية بالآثار الإسلامية وبالثقافة الإسلامية القديمة والتاريخ.

قرية العلماء

موّلت الجمعية بناء مكتبة للمخطوطات والوثائق التاريخية القديمة في نقطة في مكان حساس في قرية يرجع تاريخها إلى ما قبل تاريخ تومبكتو وهي قرية «بوجبيه» فهي القرية المعروفة بأنها قرية للعلماء القدماء وأهلها لديهم أعداد هائلة من المخطوطات وكذلك هي مكان ثقة للذين يمتلكون المخطوطات حتى خارج القرية، فإذا قلت لأحد من (جازي) أو «ملكي» ان مخطوطاتك ستوضع عند فلان ابن فلان في بوجبيه أو في مكتبة بوجبيه فتجده يفرح بذلك ويقدم لك ما يملكه من مخطوطات عن طيب خاطر..

ويضيف السيد محمد التميم حمودي إن الأهالي يخافون على مخطوطاتهم من أن تقع في أيد غير أمينة قد تيسّر عملية تهريبها للخارج ولذلك فهم



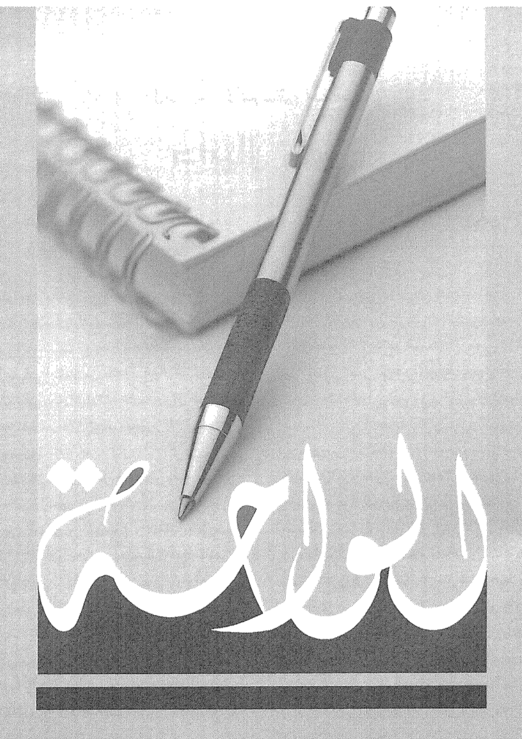
يفضلون بقاءها معرّضة للتلف على أن تجد طريقها للخارج سرقة أو تهريباً عن طريق أيدٍ يهودية أو أمريكية.

لهذا قدمت الجمعية مساعدة إلى قرية بوجبيه لبناء مكتبة هناك ولا شك أن هذه المكتبة سوف تنقذ كميات هائلة من المخطوطات القديمة.

مكتبات عديدة

أهل تومبكتو اهتموا بافتتاح مكتبات جديدة منها مكتبة (الموندلية) تدعم من قبل الجمعية وهناك مكتبة أخرى أنشأتها جمعية الدعوة الإسلامية بالتعاون مع الايسيسكو ولكنها ليست للوثائق القديمة والمخطوطات بل هي مكتبة للكتب الحديثة، ومكتبة (ماما حيدره).

إذن فهناك محاولات جادة لتستعيد تومبكتو ذاكرتها التاريخية ولتنطلق فيما بعد على أرضية متوازنة تتعامل مع التاريخ كسند للتأصيل وتتعامل مع المعاصرة بظهر مسنود على قارة ترنو إلى الاتحاد بتأسيس واقعي يدعمه التاريخ والجغرافيا وتجمعه الآمال الواحدة.



* أغاني رمضان

مقتطفات من قصيدة للشاعر الأمريكي المسلم عبد الحي «دانيال» مور

* مختارات من سونيتات رمضان

* اختيار الإسلام.. حكاية رجل

الشاعر الأمريكي المسلم

دانيال مور

منير العكش *

في أواخر الستينيات، حين كانت «ثورة الشباب» براكين من الإبداع والرومانسيات وأحلام تغيير العالم، كنت حديث العهد بالهجرة إلى بيروت، مكسوراً مع كل المكسورين بالهزيمة واليأس والعسكر وخوف المنافي وقلق الإبادات، حالماً مع كل الحالمين بيوم أوسع أفقاً من هذا اليوم، ومصير أقل بشاعة من هذا المصير.

وكان دانيال مور ولورنس فرلنغيتي وألن غينزبرغ ومايكل مكلور ونانسي بيترز هناك على سيف المحيط الهادي في أقصى غرب الموت واليانكية المتوحشة جزراً من الأمل في بحر يصخب بالكراهية والجشع وتاريخ الإبادات.

لم يخطر ببالي وشلالات الضوء يومها تهدر من لغة الشباب العاصف في شوارع العالم، من غسان كنفاني في بيروت إلى دانيال مور في سان فرانسيسكو أنني - بعد أكثر من عقدين - سأودع قافلة أصدقائي الذين تطايرت أشلاؤهم مثل أسراب الحمام في سمائنا العبثية واستشهدوا مجاناً لألتقي هنا على الشاطئ الآخر بهؤلاء الحالمين الأبديين بثورة الشباب وقد تساقطت معظم أسنانهم: غينزبرغ ينشد «الهيكل العظمي» للزمان، ومور يعتمر الطربوش المغربي الأحمر تحت تمثال الحرية، وعبثاً ينفخ في جثتها الروح.

منذ أن وصلت إلى «العالم الجديد» أدركت أننا نحن وضحايا كولومبوس في هاوية واحدة، وأن هذه الأمريكا متعدِّدة ولا بد من اختيار ما يمد ويخصب زمن الحلم. وكان لا بد من دانيال مور وبقية الطيور التي ما تزال تغني في هذه الغابة المحترقة.

وكانت مجلة (جسور) هي البداية وفوهة الضوء، إذ لم يكد يصدر عددها الأول حتى التقيت بدانيال مور ولورنس فرلنغيتي ونانسي بيترز وجون هول ومايكل مكلور وجفري مانو وهذا النبض الدافئ الذي يخفق به قلب كل ما هو إنساني نبيل ومبدع في أميركا.

وها هو دانيال مور اليوم واحد من أسرة (جسور) يسهر الليالي في مراجعة كل ما ينشر فيها من شعر ونصوص إبداعية، ويعمل معي على اختيار وترجمة كل ما يقدم وجهاً مشرقاً لثقافتنا العربية الإسلامية في هذا العالم الذي لا يرى فينا إلا صورة الذئب. وها هو مور للمرة الأولى يتعرّف على وجهه في المرآة.. بعد أن تجهمت في وجهه طويلاً فظن أن غربته أبدية كما يصور ذلك في قصيدة «المرآة» المترجمة.

في الستينيات كان مور من أبرز شعراء «بيركلي» الحالمة بأمريكا أكثر إنسانية وعالم أكثر عدلاً. وتعتبر دواوينه «رؤيا الفجر» و«القلب المحترق: مرثاة لموتى الحرب» و«جسد النور الأسود» و«حكمة المحارب» ثورة في حركة الشعر الأمريكي الحديث. كذلك كانت مسرحياته «اللوتس العائم» و«الحيتان المدماة»

---

* كاتب/ أمريكا

و«قيامة إبليس» التي عرضت لسنوات في مسرحه الذي أنشأه هناك في قلب كاليفورنيا مدرسة إبداعية وإنسانية. لكن الستينيات لم تمض على دانيال مور حتى زار المغرب وتعرف على الشيخ محمد بن الحبيب الفاسي ليعود إلى بيركلي مسلماً يتوهج شعره بأسمى روحانية عرفها الشعر الإنجليزي المعاصر.

معظم مجموعاته الشعرية في هذه المرحلة («الصحراء باب النجاة» و«حوليات الآخرة» و«صاح كما لم أصح من قبل» و«ورد» (و«مولد») نشرت في طبعات يدوية محدودة جداً من عمل الشاعر ذلك لأن ناشريه لم يرق لهم «دانيال مور» الجديد.

برغم عزوف الناشرين الأمريكيين عن طبع مجموعاته فإن حضور دانيال مور القوي والمتميز ما يزال ظاهرة مثيرة في الشارع الأمريكي المعاصر. هناك من يعتبره «عمر خيام» العصر بينما يعتبره آخرون «إقبال» أمريكا.

الشاعر ألن غودلس يقول: «إن مور هو شاعر أمريكا اليوم كما أنه شاعر الإسلام (باللغة الإنجليزية) دون منازع.. إنه مثير بتجذره الأمريكي ومثير بروحانيته الإسلامية.. إن قراءته رحلة. والسفر معه يثير الأسئلة: أين نحن؟ في أي عالم؟ أية أمريكا؟ من هو المسلم؟ من أنا؟ إن سونيتات رمضان مثل دليل المسافر إلى عوالم الثقافات المتعدّدة والحضارات المتنوّعة».

وكتب كولمان بارك: «إن شعر مور يضم موهبة يتمان ووليامز وغينزبرغ إضافة إلى روحانية الإسلام العميقة».

وكتب فيرلنغيتي: «إن تجليات سونيتات رمضان البديعة قد تبدو معارضة لرباعيات الخيام، لكن هدف الشاعرين واحد. إنه الحرية، وموهبتهما مثل فرسي رهان».

وكان دانيال مور قد بدأ بكتابة «سونيتات رمضان» في أول ليالي رمضان 1406 (1986) ليكتشف صباح العيد أنه أنجز مجموعة كاملة من 62 قصيدة كانت كما يقول: «فضاء روحياً لتجربته الرمضانية وتصويراً شعرياً لعالم الصيام والعالم من حول الصيام». أما العنوان فقد استهواه لأنه رآه تعبيراً عن كل حياته التي تلاقحت فيها ثقافة الغرب وروحانية الإسلام. كان يظن أن العربية لا تعرف معنى «السونيتا» (الأغنية القصيرة)، غير أنني ذكرت له لاحقاً أن مؤرخ الموسيقى العربية هنري جورج فارمر يقول: إن المقابل العربي للسونيتا هو كلمة «الجلجل» وإنني على كل حال لن أستخدمها في الترجمة لأنها الآن أغرب من كلمة السونيتا.

يبقى أن ترجمة دانيال مور إلى العربية مغامرة خطرة، لا لأنه يتفنّن في تنغيم الفروقات اللفظية، ولا لتداخل جمله التي يستعذبها قارئ الإنجليزية فيما تبدو غريبة على الاستجابة العربية وإنما لتعدد طبقات رموزه ولتنوّع ينابيع هذه الرموز واختلاف ثقافاتها. في شعره مصهر عجيب لشعر الثقافات العالمية وفي مقدمتها شعر السورياليين وشعرنا العربي والفارسي. إنني أتفاجأ أحياناً ونحن نراجع بعض القصائد المترجمة كيف أنه يحيل إلى قصائد عربية أو فارسية من عصور مختلفة. وتأتي في المرتبة الثانية ثقافته العلمية والإنسانية، ولا سيما منها فيزياء الكون وأدبيات الفيزيائيين الكونيين والعاملين في علم العصور الجيولوجية والانثروبولوجيا وعلم الآثار.

إن تداخل كل هذه المعارف في قصائده يجعل ترجمته الحرفية مرهقة ومؤذية للأذن العربية التي ما زالت تنفر من كل دخيل على ملكوت اللغة الشعرية المتوارثة.

وأخيراً هناك ما يسمّيه الشاعر الناقد جيم كوري بمخيلة دانيال مور البلاغية النادرة التي تتدفق وتخصب شعره دائماً بالجديد المدهش من العلاقات اللغوية.

لكل هذا فقد اخترت مقاطع يسيرة الترجمة نسبياً لعلّي أقدم لقارئ العربية هذا الشارع الأمريكي الذي توهج بروحانية الإسلام فأغنى بها تجربة الشعر في أمريكا واستحق بجدارة لقب «محمد إقبال العالم الجديد».

مختارات من «أغاني رمضان*»

دانيال مور
ترجمة: منير العكش

ملائكة لا تلمحها العين

ربّ ملائكة
خافية، لا تلمحها العين
تخترق بلطف جسد الأشياء

❖❖❖

رب ملائكة
تخطر كنقاط الضوء البراقة
فوق مياه الشلال... سريعاً
ورشيقاً كالماء

❖❖❖

مخلوقات من ضوء
تسعى مثل الضوء..
وتزداد بريقاً في جوف الظلماء

❖❖❖

رب ملائكة تسري في الليل إلى غايتها
في طيران خاطف
لا يعجزها الصخر
ولا يمنعها البحر
ولا يثنيها عمق الوادي

❖❖❖

تعبر بموات الأرض فيهتزّ
وينبض منها قلب الأحياء.

مرآة

وجهي جهمٌ
حين أمر أمام المرآة الغبراء.
ومرور الزمن هنا
لا يقشع سحبي.
ألمح عيني
وأرى «النفس»
وما كنتُ أسمّيه: «أنا».
من هو هذا الإنسان؟
ابني وأبي!
ولمن هذا الوجه الغضوب؟
لغريب أم لحبيب؟
هذا الضوء المكسو بلحم،
هل هو أرض أم شمس
أم أفلاك نبي؟
من يأمرها: هيا سيري!
هيا أعدي؟

❖❖❖

هل من أحد؟

❖❖❖

يا شكلاً في المرآة
ووجهاً كشراع منشور
ستظلُّ غريباً
في هذا العالم
حتى الأبد..

---

* صدرت المجموعة عن «كتاب» بواشنطن بالتعاون مع «سيتي لايتس للنشر» في سان فرانسيسكو. وهي في الأصل تحمل اسم (سونيتات رمضان)

الترتيل

عند تلاوة القرآن
جهراً، في صلاة الصبح
أدرك أن هذا الخلق
لم يخلق إلا لقراءة القرآن..

❖❖❖

أسمع رجعه في القلب
مندفعاً كجوف النبع.
أسمع رجعه
في أحلك الأعماق من جسدي

❖❖❖

وتحضرني ملامح هذه الألحان
فأعرف كيف صاغ الله
حول نشيدها الإنسان
كمثل جبلة خلقت من الإحسان
فزادك وجهها حسناً
برجع تلاوة السور

❖❖❖

كم أحكمت يا رباه
خلق جوارح الإنسان للقرآن
فصار غشاءه الحي، وكم يحلو
لهذا الثغر، بعد الفجر
إنشاد بديع الشعر.



ولماذا الصوم؟

لمّا خلق الله العقل استحضره
ثم سأله أن يسمو فسما
وسأله أن يهوي فهوى
وسأله أن ينأى فنأى
وسأله أن يدنو فدنا

❖❖❖

لمّا خلق الله النفس استحضرها
ثم سألها أن تسمو فعصت
وسألها أن تهوي فعصت
وسألها أن تنأى فعصت
وسألها أن تدنو فعصت

❖❖❖

ألقاها في النار
وعاقبها عشرة آلاف سنة
ثم استحضرها
وسألها أن تسمو فعصت
وسألها أن تهوي فعصت
وسألها أن تنأى فعصت
وسألها أن تدنو فعصت

❖❖❖

وكذلك ألقاها في النار
وعاقبها عشرة آلاف أخرى
ثم استحضرها
وسألها أن تسمو فعصت
وسألها أن تهوي فعصت
وسألها أن تنأى فعصت
وسألها أن تدنو فعصت

❖❖❖

وأخيراً، فرض الله الصوم
ثم استحضرها
وسألها أن تسمو فارتجفت.. وسمت
وسألها أن تهوي فارتجفت.. وهوت
وسألها أن تنأى فارتجفت.. ونأت
وسألها أن تدنو فارتجفت.. ودنت
بالصوم انكسرت شهوتها
صارت أمَة الله.

❖❖❖

البحر وحيتان البحر

لو أن البحر وحيتان البحر
قطرة دمع في عين وليّ

❖❖❖

لو أن حريق الدرب الوعر
رعشة عصب في باطن قدمه

❖❖❖

لو أن الليل وأهوال الليل
وهجوماً نووياً معها
مغصٌ يزعج هذا الصاحي الأبدي

❖❖❖

لو أن وجوه الجوهرة/ الارض
نقطة ضوء تتحلّل في عين تجليه

❖❖❖

لو أن أشعة كل نجوم الليل
تكتب في عينيه
ما تكتب أشرطة الآلات الكاتبة
على الورق الأبيض
حيث الأنفاس فصول
ووجيب القلب منامات
... بين يدي أسد يربض
فوق شفير الصحراء الأرزق
يتثاءب.. حتى يتحجر.

❖❖❖

لو أن الشعر وأعجب ما هذا الشعر
«ومضة» إنذار
في راصدة الزلزال المنصوبة
في قلب وليّ

❖❖❖

عندئذ،
حين تُشَقُّ الأبوابُ
على آجام القمر المشرفة على
كل وجوه المستقبل؛

❖❖❖

حين تصير الريح
خزانة حشر لدخان مائي أخضر
ثم يصير الماء زجاجاً،
ويصير زجاج الماء
صواناً أحمر؛

❖❖❖

حين نوجّه موجات سرائرنا
نحو عجائب أفكار الخلق الغارقِ
في أعماق الصلصال البحري؛

❖❖❖

عندئذ
قد ننهضُ:
أيدينا تدفع قوس الأرض
نتهيّاً، نمضي في بحر شاقولي
من نور ينفذ في الجبهة منا
ويشق الصدر.

❖❖❖

عندئذ
سنسيح بعيداً في
ضوء نهار ينتظر خطانا
ضوء لا يعرف أين حدود الضوء...

❖❖❖

الحضرة

إلى الحضرة

يدنو العاشق الولهان

في حذر.

فيسبقه إذا ما لاحت الأنوار

تأدبه

وخشيته

وما يعروه من ضعة

وما يغشاه من صغر.

يشعشع وجهه المهزول

في خطف من الألق

وما إن تُضرمُ النيران

أجنحة الفراشِ

ولا يظل هناك من عذر لمعتذر

يخرّ لوجهه

غشيان مصعوقاً بلا بصر

ويصهره حميم النار

والشوق الذي أضناه للأنوار

منذ بداية السفر

فلم يحمل لرحلته غير حقيبة العمر

وفيها، كل ما فيها ركام عظامه

واللهفة الحرى

إلى الأسرار.

اختيار الإسلام.. حكاية رجل

عبد الحي مور

أصبحت مسلماً فيما يبدو عندما قبلت بالإسلام ديناً حتى النخاع وكان الأمر تجاوز مسألة الاختيار وما كان عليَّ أن أفعله هو القفز لاعتناقه رسمياً... ظاهرياً كنت مسروراً وباطنياً كنت أتقدم إلى الأمام دون عناء.

انحلَّ المسرح الذي أسستُه ولمَّا يتجاوز ثلاث سنوات من عمره، بعد إنتاج سادته الفوضى وعلى نحو مضحك في منطقة (Family dog) بسان فرنسيسكو.

كنت أعتبر نفسي من أتباع البوذية التأملية، ولكنني كنت أيضاً من أتباع أشياء أخرى، كنت في العادة أستيقظ لأجلس متأملاً... وأدخّن أفيوناً وأمارس تمارين اليوغا لمدة نصف ساعة ثم أقرأ مثنويات الرومي وهي الأشعار الصوفية الطويلة للصوفي الفارسي الكبير في القرن الثالث عشر.

بعد ذلك التقيت الرجل الذي سيكون دليلي لمعلمنا في المغرب الشيخ محمد بن الحبيب، في الوهلة الأولى كان اللقاء ببساطة رائعاً ودليلي كان رجلاً رائعاً أيضاً، وسرعان ما تحوّل هذا اللقاء إلى شيء غير عادي مما أفضىَ إلى ثورة في حياتي لم أتعافَ منها وآمل أن لا أتعافى منها أبداً.

بدا الرجل وكأنه رجل إنجليزي غريب الأطوار.. وهو أيضاً ترك وإلى عهد قريب الطريقة الإنجليزية للموجة الهيبية.. كان أكبر سناً مني ومهذّباً وذكياً ومثقفاً وكان من ذلك النوع السائد عندئذ الذي آلف البيتلز والمقتنيات الفنية لبراين جونز.. لقد خاض جميع مسالك المخدرات الكلاسيكية مع لورا هكسلي في مسار بحثه عن (مخدر البيوت)** والمسلك في

منطقة يوكاتان. ولكن في أثناء وجوده في المغرب حدث ما غيّر مسار حياته تماماً. لقد اعتنق الإسلام، بل إنه فيما بعد انتهج منهج الصوفية. لقد انتهت اللعبة.. وطرأ تغيير كبير في حياته تجاوزت تجربة المخدرات.

على مدى ثلاثة أيام بعد اجتماعنا أنصت أمريكيان آخران وأنا في خشوع لهذا القاص الرائع وهو يسرد صورة الإسلام ويحدثنا عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعن الصوفية في المغرب وعن الشيخ الذي يتجاوز عمره القرن، كان يجلس تحت شجرة التين الكبيرة في حديقة فيما ينشد أتباعه أناشيد دينية.. كان الأمر ينطوي على جميع ما حلمت به.. كان بمثابة الشعر الذي أصبح حقيقة.. كانت تجربة خيال جُعلت لتكون جزءاً من الحياة اليومية حيث النبي سيد الحكمة والبساطة، وبوذا الذي يمكن الوصول إليه تاريخياً، وخليط من قصة موسى، والأشياء غير الدنيوية الأخرى لعيسى، ونوره هو.

إن المعرفة النبوية التي تحدث عنها دليلنا كانت نوعاً من الوجودية الروحية فهي مسائل مثلاً كيف تدخل غرفة وأي قدم تدخل بها أولاً، وأن تشرب الماء ولكن ترشف الحليب رشفاً، وأن تسمي اسم الله قبل الأكل والشرب وبعده تحمد الله وهكذا. ولكن بدلاً من أن ترى ذلك عبئاً عليك فإن تجربة (مخدر LSD) علّمتنا أن هناك طريقاً سليمة لعمل الأشياء والتي لها أصداء كونية إن صح التعبير... إنه إدراك بالانحناء للخالق وخلقه الذي يضمن كثافة التصوّر.

إنه من الصعب وضع أي شرح للإسلام ومحاولة طرح جمال شموليته من خلال الكلمات وحدها.. إن نور الإسلام نور آسرٌ بطبيعته، ويأتي دائماً عبر رسول بشري ناقل للصورة عبر ذاته شخصياً.

وما أذهلنا عندما التقينا وجهاً لوجه مع مرشدنا هو سلوكه السوي والنبيل.. كان فيما يبدو يطبّق ما يتحدّث عنه.. ثم أتت اللحظة التي واجهني فيها إزاء حياتي.. قال في صباح يوم من الأيام بعد ثلاثة أيام من الاتفاق السار بأن ما يأتي به كان أفضل شيء سمعنا به أبداً.. فيمَ تفكر؟ هل تريد أن تصبح مسلماً؟

قلت «إنه أجمل ما سمعته حتى الآن.. بعد كل تجربتي وتعليمي في البودية اليابانية واليوغا والبوذية التبتية والهندوسية.. هذه الحقيقة بالتأكيد! ولن أعتقد أنني أريد أن أسافر قليلاً لرؤية العالم والذهاب إلى أفغانستان (عندئذ كانت غير محتلة) ربما ألتقي شيخي في قرية جبلية في مكان ما بعيداً.. كلا ذلك ليس جيداً.. عليك أن تقرّر الآن نعم أم لا.. إذا كانت الإجابة بنعم علينا أن نبدأ بالرحلة العظيمة. وإذا كانت الإجابة بلا فلا لوم.. لقد قمت بواجبي.. فقط سأقول مع السلامة وأذهب في طريقي.. ولكن عليك أن تقرر الآن.. سوف أنزل إلى تحت لأقرأ مجلة.. وأنتظر.. لا تستعجل».

عندما غادر الغرفة لم أرَ خياراً.. فقد استسلم كل كياني، وببساطة طُويتْ جميع السنين قبل تلك اللحظة.. كنت وجهاً لوجه مع عبادة الله بصورة خالصة ونقية حيث الطريق أمامي قد درس بعناية وملء بعلامات الطريق، ودليلي أمامي وهو معلم من الطراز الأول.. وإلا عليّ رفض كل ذلك من أجل مستقبل من صنعي وغير مؤكد.. كان ذلك اليوم هو تاريخ ميلادي فقط لجعل القصة أكثر إثارة.. لقد اخترت الإسلام.

للسيد عبد الحي مور كتابان في الشعر نشرا من قبل سيتي لايتس تت اسم دانيال مور. لقد سافر كثيراً وعاشر في انجلترا والمغرب والجزائر ونيجيريا واسبانيا. السيد مور كاتب وشاعر موهوب حوّل موهبته للكتابة عن الإسلام.

لقد أسهم في «المئذنة» ومنشورات أخرى. ومنشوراته الحديثة «التسلسل الزمني للآخرة» المذنب هالي وله عدد من المخطوطات.

** البيوت: ضرب من الصبّار الأمريكي يحتوي على مادة مخدرة. (المترجم)



* كرامة الاختلاف: كيف نتجنب صراع الحضارات؟
* الإرهاب صناعة غير إسلامية
* المكتبة

كرامة الاختلاف

كيف نتجنب صراع الحضارات؟

كرامة الاختلاف أو (كيف نتجنّب صراع الحضارات) كتاب من تأليف جوناثان ساكس كبير أحبار الطوائف اليهودية لدول الكومنولث. درس ساكس في جامعة كيمبردج بالمملكة المتحدة، وتولى رئاسة الكلية اليهودية بلندن. وقد صدر الكتاب عن مؤسسة كونتينيوم للنشر بلندن، نيويورك سنة 2002، ويقع في 216 صفحة.



جوناثان ساكس

وكل من له إلمام بمؤلفات ساكس المبكرة سيدرك مدى التأكيد الذي يضعه عن التبادل الأخلاقي في مقابل العقد (وهو قانوني)، كمكوّن أساسي للفهم والتسامح وهذا ينطبق على كل المستويات سواء أكانت أفراداً، أم جماعات (قبائل)، أنماط عمل، أم حكومات.

وموضوع ساكس الرئيس هنا في كتابه (كرامة الاختلاف) هو الشعوب والديانات.

للمؤلف عدة كتب من بينها: شعب واحد (1993)، وكتاب (رسالة في بردية: فهم شخصيتنا اليهودية واستكشاف تراث أقدم ديانة في العالم)، وكتاب (سياسة الأمل).

وكتاب (كرامة الاختلاف) دعوة للتسامح، ولفهم أفضل بين الجماعات المتدينة، والشعوب والأمم، وجميع القوى المتصارعة في زماننا.

وجوناثان ساكس كما يرى المطّلعون على كتاباته يختلف عن الزعماء الدينيين الآخرين، فهو صاحب موقف معتدل يدعو للاحترام. كما أنه يفكر ويكتب بلغة فصيحة راقية مدعومة بقدر كبير من المعرفة والمصادر.

ومن هنا فهو لا يختلف عن كثير من الفلاسفة وعلماء الاقتصاد ورجالات الأعمال في كل عصر، مثل: جان جاك روسو، وجون لوك، وإميل دوركهايم، وفوكوياما، وجورج سوروس، وروجر سكروتن.

والبحث الذي يقوم به يدلّ على أنه بحق فيلسوف متميز، فهو يفسّر المفاهيم العسيرة بوضوح تام مثلما يفعل عندما يوازي بين النظرية الحديثة للرياضيات وتعاليم الكتاب المقدس.

ويعتقد ساكس أنه لا يوجد دينٌ واحدٌ أسمى أو أعلى سلطاناً من غيره. والاختلاف في الدين ينبغي أن يولّد الفهم بدلاً من الرغبة في اقصاء الآخرين.

ويعزو ساكس إخفاقات كثيرة تحدث في المجتمع اليوم إلى فقدان الولاء على جميع المستويات، بما فيها الانهيار المريع للأسرة في جميع البلدان الغربية منذ ستينيات القرن العشرين.

وهو يتساءل: كيف تستطيع العائلة أن تعيش في عصر تهيمن عليه رأسمالية العولمة أو الرأسمالية الكونية؟. فالناس مدفوعون بقوة إلى العمل بكدح من أجل انتظار هاتف خليوي، أو بريد إلكتروني. ولذلك لم يعد ثمة وقت ليصرف على العائلة.

إن كتاب (كرامة الاختلاف)، كما يقول مقرّظوه، ليس كتاباً دينياً بالمعنى المعتاد، إنه حكمة مثيرة ومناظرة حول مسؤولياتنا عن أجيال المستقبل، وكيف نستطيع في عالم شديد الانقسام أن نصل إلى الفهم والتسامح.

والنتيجة التي وصل إليها ساكس، ويصفها بأنها

ميثاق الأمل، تحذير مفزع، وطموح مفرح: «لا يوجد شيء محتوم حول بقاء الحضارات ودوامها. فصفحات التاريخ مختلطة بأنقاض الإمبراطوريات التي بدت في زمانهم حصينة، إلا أنها لم تلبث أن تآكلت وتفسّخت.. ولكن الفرصة التي تقدمها رأسمالية العولمة وقوة التكنولوجيا كبيرة وجيّدة. إنهم يبشّرون بتخفيف الفقر، ومحاربة الجهل، ومعالجة الأمراض على مقياس غير مسبوق ومع ذلك فإن المخاطرات هائلة». ورؤية ساكس هنا تصدر عن موقف متفائل من العولمة خلافاً لكثير من المنظّرين الذين يعدّون العولمة فخاً لإيقاع الشعوب والمؤسسات ليزداد الغنيُّ غِنىً والفقيرُ فقراً.

يقول ساكس في مستهل كتابه: «يجب أن نتعلم فن الحوار الذي تنبعث منه الحقيقة، وليس على طريقة جدل سقراط برفض الخطأ أو الباطل، ولكن من خلال عملية مختلفة تماماً بجعل عالمنا يبدو أكبرَ بوجود الآخرين الذين يفكرون، ويعملون، ويفسّرون الحقيقة بطرق مُتطرفة تختلف عنا. يجب أن نعتني بالخصوصية لا الشمولية».

وقد توسع ساكس في بيان العلاقة بين الوحدة والاختلاف في فصل خصّه لذلك بعنوان (طرد الشبح الأفلاطوني). ويلاحظ ساكس تعاقب النظم الشمولية في التاريخ الغربي، وهو تعاقب يبلغ أوجه الآن في العولمة، وفي انبعاث ثقافة شمولية كونية تمتد في أرجاء العالم.

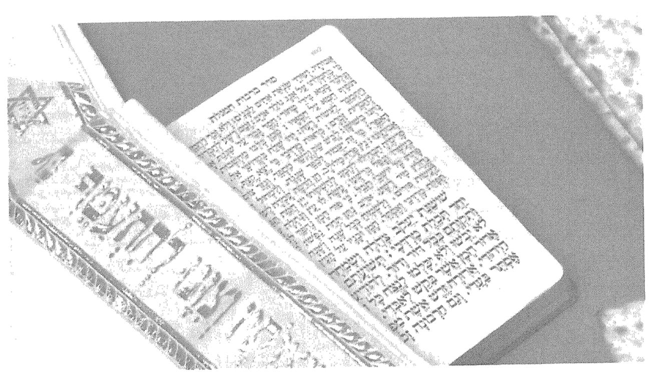
وشبح أفلاطون في هذا السياق، وهو فكرة تطوّرت في كتابه (الجمهورية)، يراد به عالم المثل. والعالم المحسوس عند أفلاطون هو عالم الظلال، والأوهام، والأشباح، وأما عالم الحقيقة فهو عالم الفكر الخالص، أو عالم الروح. فما نراه في الواقع المحسوس له نظيره في عالم آخر هو عالم المثال. أي أن الوجود الحقيقي للأشياء ليس المادة، ولكن الشكل والأفكار وليس تجسّدها في عالم الحسّ.

وعلى خلاف ذلك يقول ساكس: «إن فكرة أن الحقّ (الحقيقة) جوهرُ الأشياء كليّة، بينما الخصوصية (عالم الحواس والوجدان) مصدر للنزاع، والتحامل، والخطأ، والحرب». ويستطرد ساكس قائلاً: «الله إله لكل الناس، ولكن لا توجد عقيدة واحدة هي عقيدة لجميع الناس». وبالرغم من أن هذا الرأي موضع جدل وقد لا يُسَلّم به للمؤلّف لأنه يسوّي بين عقيدة سماوية وديانة من صنع البشر، إلا أن في تضاعيف كلامه دعوةً قابلة للبحث والتأمّل.

وفيما يتصل بالنزاع القائم في الشرق الأوسط، ينتابه بعض التشاؤم فيما يجري من حلول للمسألة الفلسطينية، فيقول: «وفضلاً عن ذلك، قد يوجد بعض الشكّ في أن ثمة حلاً سيظهر إلى الوجود، كتقسيم الأرض إلى دولتين حسب التكتّل السكاني (الديموغرافي)، والاتفاق حول القدس والمدن المقدسة حتى يتمكن كلٌّ واحدٍ من الدخول إلى الأماكن المهمة عنده، والإشراف على الموارد المشتركة كالمياه، ووجود اتفاق دولي حول مستقبل اللاجئين المهجّرين».

يقول ساكس في خطابٍ له ألقاه في محاضرة تمبلتون السنوية السابعة حول الدين وشؤون العالم في 2002/5/21:

«لقد أصبح الدين قوةً حاسمة في العالم المعاصر، ومن الجوهريّ أن يكون قوةً من أجل الخير، ومن أجل حلّ النزاع وليس من أجل خلق النزاع. فإذا لم يكن الدين جزءاً من الحل، فإنه لا ريب جزء من



المشكلة. ولذلك أحب أن أضع فكرة مبسّطة، ولكنها متطرفة. أريد أن اقدم قراءة جديدة، أو بشكل أدق، إصغاء جديد لبعض النصوص القديمة جداً. وإنني أفعل ذلك لأن موقفنا في القرن الواحد العشرين، وبعد الحادي عشر من سبتمبر قد تغيّر بثلاث طرق: الأولى: عودة الدين. والثانية: تجذر الدين في مناطق النزاع مثل: البوسنا، وكوسوفا، والشيشان، وكشمير، وباقي الهند، وباكستان، وإيرلندا الشمالية، والشرق الأوسط، وفي مناطق من آسيا. والثالثة: وجود الدين في قلب النزاع. ويقال إن في بلاد البلقان، وبين الكروات الكاثوليك والصرب الارثوذكس والمسلمين، تجد الجميع يتحدثون اللغة نفسها، ويشتركون في الجنس نفسه، والشيء الوحيد الذي يفرّقهم هو الدين. فالدين هو علّة التقسيم وهذا الكلام فيه تسطيح للمسألة من ساكس كما لا يخفى على الناظر. فكثير من الصراعات الراهنة، وكذا القديمة، دارت رحاها لأسباب غير دينية، ولعل الحربين الكونيتين الأولى والثانية في العصر الحديث خير شاهد على ذلك.

ومقولة (إذا لم تكن جزءاً من الحل، فأنت جزء من المشكلة) غير مطّردة، بل قد تكون فاسدة لأنها تشبه مقولة بوش الابن: من لم يكن معنا فهو ضدنا.

إن كتاب (كرامة الاختلاف) قراءة للواقع الراهن بعين لاهوتية يهودية. ومؤلفه عندما يقرّ بحقيقة الدين قوةً مؤثرة في الصراع يستثني من ذلك الدين اليهودي ويزعم أنه دينٌ يناضل من قديم ضد صراع الحضارات. وأن كتاب العهد القديم يشهد على الصراع مع حضارات العالم القديم في شبه جزيرة العرب وفي مصر الفرعونية. وقد وجدت إسرائيل نفسها محوطة ومهدّدة بالإمبراطوريات القديمة في ذلك العهد: الآشورية، والبابلية، والفارسية، واليونانية، والرومانية. وبعد تدمير الهيكل الثاني تقلّص الوجود اليهودي في بلاد إسرائيل، وأصبح اليهود أقلية بين المسيحيين، والمسلمين فيما بعد.

ومما لا يقبل الجدل أن هذا الكتاب خطابٌ يهودي مكشوف، وإن بدا مغلفاً بلغة التسامح والاحترام. وتوقيت صدور الكتاب كان ملائماً لترويج فكرة أن اليهود هم خير من يدعو إلى التسامح ونبذ العنف، واحترام الآخر. وبالرغم من هذه الرؤية المبطّنة التي قد تنطلي على الكثيرين، لا سيما أولئك الذين احتفوا بصدور الكتاب، فإنه لا يخلو من أفكار جديرة بالتأمل.



شهادة مفكر مسيحي مصري:

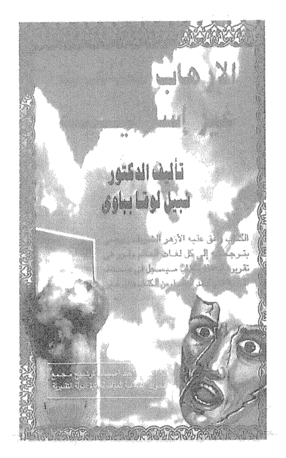
الإرهاب صناعة غير إسلامية

عرض وتقديم: السيد عبد الرؤوف*

تسعى الحركة الصهيونية والقوى الخاضعة أو المناصرة لها في الغرب إلى النيل من الإسلام والمسلمين. وتتفنن في إطلاق الأكاذيب والأباطيل حول هذا الدين الحق وتلك الشعوب المسالمة. ولعل أخطر تهمة وجهت للإسلام وإلى المسلمين في ربع القرن الماضي تهمة الإرهاب. ورغم أن التاريخ والواقع المعيش يكذبان هذه التهمة الباطلة فإن أحداث الإرهاب التي عانت منها البلاد الإسلامية قبل غيرها استغلت في الحملة على الإسلام والمسلمين.

وكانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 مسيحي فرصة ذهبية نادرة المثال لشن حملة مستترة على الإسلام والمسلمين والانتقال من مرحلة الهجوم النظري والتشويه الإعلامي إلى مرحلة العمل العسكري، وتوجيه التهديدات لمزيد من الدول العربية والإسلامية بدعوى تبنيها للإرهاب أو تشجيعها عليه. كذلك جرى الخلط بين الإرهاب وبين نضال الشعوب من أجل التحرر.

كثير من السياسيين والمفكّرين والإعلاميين الغربيين المنصفين والمحايدين رفضوا هذه الاتهامات ليس من منطلق التعاطف مع الإسلام أو الانحياز للمسلمين، ولكن من منطلق الحرص على بلادهم ومصالحها القومية ورفضا لنظرية صدام الحضارات وإدانة لمحاولات الهيمنة التي تؤدي لإشعال الكراهية والحقد في نفوس الشعوب وخاصة



تأليف: نبيل لوقا بباوي

رُشح صاحبه من مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر لجائزة الدولة.

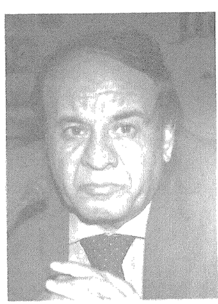
الشعوب الإسلامية.

هذا الظلم الذي يتعرّض له الإسلام والمسلمون دعا مفكراً مسيحياً عربياً هو الباحث المصري نبيل لوقا بباوي إلى أنّ يؤلف كتاباً من 300 صفحة بعنوان

* كاتب وصحفي/ مصر

«الإرهاب صناعة غير إسلامية» يفند فيه بالحقائق والوقائع الاتهامات الباطلة الموجهة للإسلام، وكان هذا الكتاب بصفة خاصة وغيره من الكتب التي يدافع فيها هذا الباحث المسيحي عن الإسلام في مواجهة الهجمات الغربية سبباً في ترشيحه لجائزة الدولة التقديرية وهي أعلى الجوائز التي تقدم للباحثين في جمهورية مصر العربية. وكان الجديد في الترشيح أنه صدر من مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف وهي أول مرّة في تاريخ هذه المؤسسة الإسلامية العريقة يتم ترشيح مؤلف أو مفكر مسيحي لهذه الجائزة.

والباحث الدكتور نبيل لوقا بباوي يحمل درجتي الدكتوراه في القانون والاقتصاد، ويعد للحصول على الدكتوراه في الشريعة الإسلامية تحت إشراف الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصري، وهو عضو في المجالس القومية المتخصصة في مصر وعضو أمانة التثقيف والتدريب بالحزب الوطني الديموقراطي المصري، وأستاذ بكليتي الشرطة والحقوق وهو في الوقت ذاته رجل أعمال ورئيس مجلس إدارة إحدى الشركات. وله قبل الكتاب الذي بين أيدينا كتاب مهم آخر عنوانه «انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء» وله عدّة كتب قَيْدَ الطبع منها: محمد (الرسول) (ﷺ) وادعاءات المفترين، الجزية على غير المسلمين عقوبة أم ضريبة؟ الإسلام كما يراه المسيحيون بلا تعصب، حقوق وواجبات غير المسلمين في الدولة الإسلامية، زوجات الرسول (ص) وادعاءات المفترين.

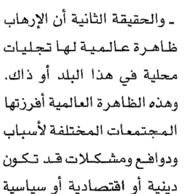


نبيل لوقا بباوي

الإسلام بريء من الإرهاب

يؤكد الدكتور نبيل لوقا بباوي مجموعة من الحقائق المهمّة:

- أولى هذه الحقائق براءة الإسلام من تهمة الإرهاب، وأنه إذا كان هناك إرهابيون ينتمون للإسلام أو يرفعون شعارات إسلامية فإن ثمة إرهابيين ينتمون للمسيحية واليهودية والبوذية.



كما أن هناك إرهابيين لا دينيين، وقد أثبتت الأحداث التي وقعت في اليابان وبريطانيا وفي الولايات المتحدة ذاتها وفي غيرها من البلاد هذه الحقيقة.

- والحقيقة الثانية أن الإرهاب ظاهرة عالمية لها تجليات محلية في هذا البلد أو ذاك. وهذه الظاهرة العالمية أفرزتها المجتمعات المختلفة لأسباب ودوافع ومشكلات قد تكون دينية أو اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو خليطاً من كل هذه الأسباب أو بعضها.
- والحقيقة الثالثة أن تجاهل أحداث العنف والإرهاب التي ترتكب من الأطراف المختلفة والتركيز على أحداث الإرهاب التي يرتكبها بعض المسلمين أفراداً أو جماعات وإلصاق ذلك بالإسلام والحديث عن الإرهاب الإسلامي كل ذلك ظلم وقلب للحقائق وازدواجية في المعايير تنافي العدل والنزاهة.
- والحقيقة الرابعة أن رفض الإسلام للإرهاب وحرصه على حياة البشر وسلامتهم وعلى أموالهم وأعراضهم وحرياتهم كما هو موجود في مبادئ الإسلام التي وضعها وأرساها القرآن الكريم والسنّة النبوية المشرفة موجود أيضاً في التطبيق

العملي، وأي خطأ يرتكبه أي مسلم أو مجموعة من المسلمين فإنهم يكونون مسؤولين عنه مسؤولية شخصية ولا يسأل عنه الإسلام.

قدّم المؤلف لكتابه بمقدمة تعدّ من أهم ما فيه، ففي هذه المقدمة يتحدث المؤلف عن تصاعد حملات الكراهية والتضليل والتشويه ضد الإسلام بخاصة بعد أحداث سبتمبر 2001 مسيحي واقتناعه بأن هذه الحملات ظالمة وغير منطقية، وأن تناول هذه القضية بموضوعية وحيادية كان يقتضي منه الرجوع للمصادر الأصلية للإسلام والمسيحية واليهودية، والعديد من كتب القانون والفقه والتاريخ وغيرها للتعرّف إلى أصول المشكلة، وأنه وجد سيلاً من التشويه والتحريف بشأن الإسلام. وأن الإسلام في حقيقته وجوهره ودوافعه دين سلام ومحبة وتعارف بين الشعوب. وأن صحيح الإسلام هو الوارد في القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة وأي أفعال لا يقرّها الإسلام يتحمّل وزرها صاحبها وليس الإسلام وبخاصة أعمال العنف التي يقوم بها بعض المسلمين الضالين.

وتعرض المؤلف في المقدمة أيضاً لأباطيل المستشرقين. ودعا إلى حوار الأديان على أن يكون هذا الحوار بلغة حضارية ولا داعي للدخول في العقائد. وأن المسلمين والمسيحيين مطالبون بالتضامن لإيجاد حلول للصراع الحضاري، وطالب باتفاق الدول الغربية والعربية والإسلامية على إصدار قانون يجرم التعرّض للأديان المخالفة بالتجريح، كما طالب الدول الإسلامية بإنشاء هيئة إسلامية مستقلّة يكون مقرّها إحدى الدول الغربية وتكون مهمّتها الدفاع عن الإسلام.

الإرهاب ظاهرة عالمية لا ترتبط بدين معين ولا بدولة معينة.

الإسلام لا يقر العنف ولا الاعتداء على النفس البشرية.

الإرهاب ظاهرة عالمية

وفي الباب الأول المكوّن من خمسة فصول: يتحدث المؤلف عن عالمية ظاهرة الإرهاب وذكر عدّة تعريفات وضعتها له عدّة دول وإن لم يتم حتى الآن الاتفاق على تعريف موحد للإرهاب دولياً. ويرى المؤلف أن جميع التعريفات المحلية والدولية التي وضعت للإرهاب لها خمسة محاور:

المحور الأول: استخدام العنف المادي غير المشروع.

المحور الثاني: أن يكون محل العنف الأشخاص أو الأماكن العامة أو الخاصة أو الدولية.

المحور الثالث: أن يكون هدف العمل الإرهابي هدفاً سياسياً غير مشروع.

المحور الرابع: أن يكون مرتكب العمل الإرهابي فرداً أو جماعة.

المحور الخامس: هو أن تكون العقوبة للفاعل الأصلي والمحرض بأي أسلوب من أساليب التحريض بالمساعدة أو المساهمة أو الاتفاق الجنائي، وأن تكون عقوبة الفاعل الأصلي مثل عقوبة الشروع.

وتحدث عن الفرق بين الإرهاب وتحرير الأرض للحصول على الاستقلال، وذكر أن الكيان الصهيوني وبريطانيا وأمريكا لديها ازدواجية وتناقض في تعريف الإرهاب، فبينما هم يعتبرون العمليات التي يقوم بها الفلسطينيون لتحرير أرض فلسطين عملاً إرهابياً، يعتبرون في الوقت نفسه أعمال العنف والاغتيالات التي قام بها الجنرال ديغول في فرنسا في فترة الاحتلال الألماني من عام 1940 مسيحي إلى عام 1945 مسيحي أعمالاً قومية لتحرير التراب الفرنسي، كما يعتبرون أن ما يحدث من الكيان المغتصب للأرض والهوية في فلسطين من عمليات

عنف وإبادة وهدم للمنازل والمنشآت وتجريف الأراضي الفلسطينية المحتلة ـ وبخاصة ما حدث في جنين ـ دفاعاً شرعياً ومشروعاً.

ويؤكد المؤلف أن الإرهاب لا دين له، فمن الممكن أن يكون مرتكبوه ممن ينتمون إلى الإسلام، أو إلى المسيحية أو اليهودية أو البوذية أو أي ديانة غير سماوية، أو لا ينتمون إلى أي دين، وضرب أمثلة لأعمال إرهابية حدثت في العالم ارتكبها أفراد أو جماعات ينتمون إلى ديانات مختلفة أو لا دين لهم. واختتم هذا الباب مؤكداً أن الإرهاب ظاهرة عالمية وليست محلية، وأنها لا ترتبط بدين معيّن ولا بدولة معيّنة.

الإسلام يحارب الإرهاب

شرح المؤلف في الفصول الخمسة التي حواها الباب الثاني أن الإسلام هو دين السلام، وأن القتال في الإسلام فرض على سبيل الاستثناء في حالات محدّدة وليس هو الأصل والقاعدة، وأن الإسلام يحرم الحرب مع أهل الكتاب المسالمين، المشركين الذين يرتبطون بدولة الإسلام بمعاهدات. وأوضح أخلاقيات الإسلام في الحرب، ومؤكداً أن الإسلام يعترف بالأديان السماوية السابقة عليه. وان الإسلام لا يقر العنف ولا الاعتداء على النفس البشرية، كما أوضح مفهوم الجهاد في الإسلام، وأن الإسلام يقرّ المساواة بين الناس جميعاً، وأن الإسلام يقرّ حرية العقيدة ويحترم الشعائر الدينية لغير المسلمين.

وعقد المؤلف مقارنة بين ما فعله الإسلام مع غير المسلمين في البلاد التي أضاءها ومعاملته الحسنة لهم وتخييرهم بين الدخول في الإسلام بلا إكراه وبين البقاء على دينهم؛ وبين ما فعلته الإمبراطورية الرومانية المسيحية الكاثوليكية مع المسيحيين أنفسهم من البروتستانت والأرثوذكس من قتل وتعذيب وحرب إبادة. وبيّن أن الإسلام يدعو إلى التعاون مع اتباع الديانات الأخرى، بعكس ما صوّره بعض المستشرقين في كتبهم من طعن في الإسلام وفي الرسول (ﷺ)، وأكد أن الإسلام يرفض صراع الحضارات.

ودعا المؤلف إلى الحوار مع الغرب لبيان تفرد وتميّز الحضارة الإسلامية بخصائص لا يمكن تجاهلها، وأن الانقياد الأعمى للحضارة الغربية ومحاولة طمس الحضارة الإسلامية يحدث من الضرر أكثر مما يحدثه من المنافع فضلاً عن أنه يكاد يكون مستحيلاً.

إرهاب في كل مكان

وهكذا يقدم المؤلف في سياق الأبواب التالية من الكتاب نماذج من الأعمال الإرهابية التي قامت بها الجماعات الإرهابية المنتمية إلى كل الديانات سماوية وغير سماوية. وأتى بنماذج من الإرهاب الذي قامت به جماعات تنتسب إلى الإسلام، ونماذج من الإرهاب الذي قامت به جماعات تنتسب إلى المسيحية، ونماذج من الإرهاب الذي قامت به جماعات تنتسب إلى اليهودية، ونماذج من الإرهاب الذي قامت به جماعات تنتسب إلى المسيحية واليهودية (إرهاب مزدوج) ونماذج من الإرهاب الذي قامت به جماعات بوذية.

وأكد أن جميع الأديان السماوية وغير السماوية لا تقر الأعمال الإرهابية، وسأل: لماذا تتغاضى أمريكا ودول الغرب عن الأعمال الإرهابية التي ارتكبتها الجماعات الإرهابية غير الإسلامية ولا يشيرون إليها في تقاريرهم ولا في إعلامهم وإنما يذكرون فقط الأعمال التي تنفذها جماعات تنتمي إلى الإسلام. ويركزون على أن الإرهاب صناعة إسلامية؟ ألا يدل ذلك على سوء نيّة؟ وأن اتهام الإسلام بالإرهاب متعمّد؟.

الدعوة إلى الله : مشكلات الحاضر وآفاق المستقبل

المؤلف: محمد شمس الحق صديق أحمد

منشورات: كلية الدعوة الإسلامية



الدعوة إلى الله تعني جملة تلك الأنشطة التي تستهدف غير المسلمين تبليغاً للإسلام إليهم وإقامة للحجة الرسالية عليهم. أما مشكلات الحاضر فالمقصود بها ما تعانيه الدعوة على المستوى الداخلي من المشاكل في نطاق الفكر والعمل، وكذلك التحديات الفكرية والعملية التي تواجهها على المستوى الخارجي في أيامنا الحاضرة. أما آفاق المستقبل فالمقصود بها التوقعات المستقبلية التي يمكن أن نستنبطها من خلال قراءة الظروف الراهنة والإمكانات المتوفرة.

دور مجامع اللغة العربية في التعريب

المؤلف: إبراهيم الحاج يوسف

منشورات: كلية الدعوة الإسلامية

لعل ما وجده أصحاب المجامع اللغوية عند القدامى من دراسات في التعريب وقواعده التي انتهجوها غير كافية لمعالجة مسألة الاقتراض في العصر الحديث، لكونها غير شاملة، بسيطة بساطة الحياة في عصرهم، لكنهم اعتمدوا عليها وجعلوها أساساً لا بد أن تنطلق منه دراساتهم في التعريب لوضع القواعد له، ثم تطبيقها في ساحته، والسؤال: هل قامت مجامع اللغة العربية بهذا الدور؟ محاولة الإجابة عن هذا السؤال هي موضوع هذا الكتاب.

إندونيسيا بين الحملات التنصيرية والدعوة الإسلامية

من منتصف القرن العشرين إلى أواخره

المؤلف: محمد ريحان ناسوتيون

منشورات: كلية الدعوة الإسلامية



حاولت المسيحية العالمية جعل إندونيسيا قاعدة لانطلاق نشاطاتها في منطقة جنوب شرق آسيا، وعندما لم تفلح جندت إمكاناتها وقواها وقدمت الدعم المادي والمعنوي للمناصرين واضعة أول أهدافها تحويل الشعب الإندونيسي المسلم إلى المسيحية، لكنها لم تفلح، ولن تفلح. وربما تكمن أهمية موضوع الكتاب في سعيه لمحو الصورة الخاطئة التي رسمها الإعلام المسيحي عن إندونيسيا، ولإعطاء المسلمين - خاصة مفكريهم - في العالم الإسلامي صورة للواقع الذي يعيشه الشعب الإندونيسي المسلم، فضلاً عن رصد عمل الدعاة المسلمين، وتحذيرهم من الأخطاء التي تحيق بالدعوة الإسلامية في إندونيسيا.

أقطار المغرب العربي وتحديات الغزو الثقافي الغربي

(دراسة وصفية تحليلية)

المؤلف: عبد الباسط دردور

منشورات: كلية الدعوة الإسلامية

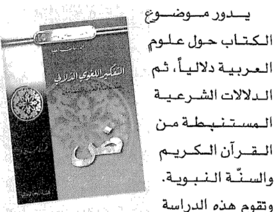


الثقافة هي العمود الفقري لوجود الأمّة وديمومتها، وهي الهوية التي تستمد منها شرعيتها. وموضوع الغزو الثقافي لا يعود إلى خطورته فحسب بل أيضاً إلى أهمية الاتصال والتفاعل الثقافي وضرورته لنا، وكيف نفرق بينهما؟ لعل السبيل السليم لتحقيق ذلك هو المحاولات المستمرة لتعميق المفاهيم وتأصيلها وتحليلها، وهذا ما تحاول هذه الدراسة أن تؤديه، وهو هدف تتعلّق به أهداف أخرى فرضتها الظروف المحيطة بالثقافة العربية المعاصرة. ويحاول الكتاب تقديم ملامح استراتيجية ملائمة لمواجهة الغزو الثقافي.

التفكير اللغوي الدلالي عند علماء العربية المتقدمين

المؤلف: حمدان حسين محمد

منشورات: كلية الدعوة الإسلامية



يدور موضوع الكتاب حول علوم العربية دلالياً، ثم الدلالات الشرعية المستنبطة من القرآن الكريم والسنّة النبوية. وتقوم هذه الدراسة بالبرهنة على أصالة الدلالة عند الباحثين العرب من اللغويين والنحويين والبلاغيين والأصوليين. والهدف من دراسة الدلالة في الإطار العربي القديم هو البرهنة على أن الدلالة علم عربي له سماته ومميزاته، مما يساعد على إنجاز تطبيقاته ببيان ووضوح لدى الباحثين اللغويين المعاصرين، كما يساعدهم على التعامل بالأسئلة وشواهد النصوص من اللغة العربية.

الكتاب: الحذف في الأساليب العربية

المؤلف: د. إبراهيم عبد الله رفيدة

منشورات: كلية الدعوة الإسلامية



كان موضوع الحذف في الأساليب العربية وما يزال من الموضوعات التي تستحوذ على اهتمام الدراسين، وتدل على عبقرية اللغة العربية في مراعاتها لذكاء المخاطب وقدرته على فهم الأسلوب الحالي من المتقدم، وربط المعاني التالية مع السابقة، وهو أسلوب يساعد على الاختصار، ويستعين بالإيجاز على توصيل الأفكار، ثقة في المتلقّي، واعتماداً على همّة من يقوم بالبيان والتفسير لأولئك الذين يقصرون في فهم المختصرات، وهم الأنبياء وورثتهم من العلماء.

حروف الجر وأثرها في الدلالات

المؤلف: محمد طيب فانكا الناغوي

منشورات: كلية الدعوة الإسلامية

تهدف هذه الدراسة إلى جمع كل ما يتصل بحروف الجر من مصادره من كتب اللغة والنحو والبلاغة والتفسير والأدب، ثم تنظيمه حسب ما يقتضيه البحث العلمي، والوقوف بالتالي على كل ما يتعلق بحروف الجر من أحكام ودلالات ليكون وسيلة لفهم الكثير من الأساليب البلاغية الرفيعة، والتعرف على أسرار اللغة العربية وإعجاز القرآن الكريم، ويحاول المؤلف الوقوف على الرأي الأصوب أو المذهب الأرجح بين الآراء والمذاهب التي تختلف في قضية من القضايا اللغوية التي لها ارتباط بحروف الجر.

رواية قالون عن نافع المدني (دراسة نحوية صرفية)

المؤلف: محمد علي مفتاح

منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

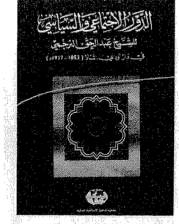
في هذا الكتاب تعريف بعلم القراءات من حيث نشأته وتطوره وفائدته، وموقف علماء العربية منها، والعلاقة بين القراءة واللهجة. ويتتبع المؤلف ويجمع الألفاظ القرآنية في آيها وسورها طبقاً للمصحف المتداول في ليبيا على رواية قالون وآرائه، ومنهجه في موافقة روايته للمذهب والترجيحات والتخريجات النحوية والصرفية، من حيث موافقتها للقياس والسماع، وللمشهور من قواعد اللغة، وما خالف منه قالون أصله، وأثر ذلك كله في الدراسات النحوية والصرفية.

الدور الاجتماعي والسياسي

للشيخ عبد الحق الترجمي في دار وداي / تشاد

المؤلف: الدكتور محمد صالح أيوب

منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية



يوضح الكتاب أثر الحضارة الإسلامية على النظم (الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، الدينية) حول حوض تشاد. وبالجمع بين المنهج التاريخي ومنهج تحليل المضمون يحاول الكتاب أن يوضح الأثر الاجتماعي والسياسي للحضارة الإسلامية على شعوب وسط أفريقيا حول حوض تشاد، ما أدى إلى ظهور جماعات قيادية دينية، تتفاوت في استفادتها من المخزون الثقافي الاجتماعي الإسلامي، مما سمح بملاحظة نموذجين من القيادة الدينية: النموذج الأول تمثّل في الجماعات الدينية الإصلاحية بقيادة الشيخ عبد الحق الترجمي، والنموذج الثاني الجماعات التقليدية من علماء حاشية السلطان في دار وداي.

ويحاول المؤلف بيان ديناميات الصراع بين هذين النموذجين وما توصلا إليه من اتفاق وتقارب بفعل الضغط الخارجي المتمثل في تأثيرات الثقافية الفرنسية.

أوراق عن القدس

المؤلف: محمد صالح يونس

منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

دار صنين للطباعة والنشر

هذه الأوراق كتبت على فترات متباينة ومتباعدة، تتناول القدس ومدناً أخرى في فلسطين (تاريخياً وجغرافياً وديموغرافياً) وكان الدافع الحقيقي لما جرى ويجري في فلسطين، وما حدث من استبدال أسماء عربية بأخرى عبرية، مما ألقى ظلالاً قائمة، وربما جعل الجيل الجديد لا يعرف ما كان موجوداً في الوطن المغتصب من مدن وقرى، أو ما هي أسماؤها العربية؟

إذا هذه الأوراق هي للأجيال القادمة، لكي لا تنسى!! فإذا كان قدرنا ألا نكون من جيل التحرير فلنكن من جيل التذكير، حتى لا تضيع القدس وفلسطين، ولن تضيع، بل ستبقى في القلب والعين والذاكرة، والملهمة للثوار والثورات، ولن تضيع ما دام في هذه الأمة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

أصول الجدل وآداب المحاجة في القرآن الكريم

الطبعة الثانية

المؤلف: محمد علي نوح قوجيل

منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية



عرض القرآن الكريم أساليب مختلفة من المحاجة والمجادلة ناقش من خلالها الكافرين والمشركين والمنافقين وغيرهم، فهم المجادلون في آيات الله، والمشكِّكون في دعوة الرسل - عليهم السلام - وفي أحقيتهم بالرسالة، وفي توحيد الله سبحانه وفي البعث والنشور... إلخ. ويحاول الكتاب الكشف عن هدف المجادلة والمحاجة في النص، وينظر نظرة فاحصة إلى صياغة الجدل المعروض والهدف منها، كاشفاً عن الأدلة المطروحة والمحاجة المقصودة، في إطار الإجابة عن التشكيك، أو عن السؤال المقدم، أو عن الدعوة المزعومة.

أحاديث في السور القرآنية

المؤلف: الدكتور محمد كريم الكوّاز

منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

دار الملتقى للطباعة والنشر

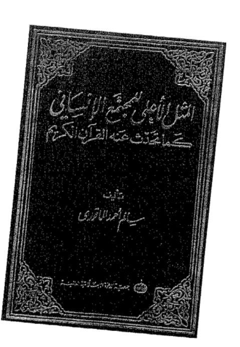
سماها المؤلف أحاديث ليدلّ على ما يقصده وهو إدامة الكلام في القرآن الكريم، وبثّه بين الناس، وتوضيحه لهم، ليس لأن بالقرآن حاجة إلى البث والنشر، وهو رسالة إلهية مشرّعة مفتوحة، وإنما لأن بنا نحن ـ المسلمين والناس جميعاً ـ حاجة إليه، فهو دستور الوجود الذي يضمن الحقوق والواجبات. ويختار المؤلف من وجوه الكلام في القرآن الكريم ما هو مناسب للقارئ، مغرياً له بالتزود من مائدة القرآن، محرضاً له على التوغل في عالمه، فهي أحاديث مغرية محرّضة. وقد حاول المؤلف أن ينظر من زوايا جديدة، فتجد لمحات عن البناء الموضوعي للسورة، وعلاقة نظام الفواصل القرآنية بالموضوع الذي يهتم به النص القرآني، في سياق معيّن، كما تتضمن الأحاديث إيضاحات بلاغية أراد بها الاستزادة بالإعجاز البلاغي على ترسيخ المبادئ وتعميق العقيدة.

المثل الأعلى للمجتمع الإنساني كما تحدث عنه القرآن الكريم

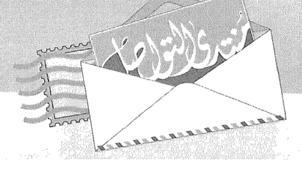
الطبعة الثانية

المؤلف: سالم أحمد الماقوري

منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية



كانت الآثار العلمية التي قدّمها علماء الإسلام في الماضي والحاضر محاولات طيبة على طريق فهم القرآن والكشف عما تضمنه من قواعد ومبادئ يتأسّس عليها المجتمع الذي يمثل الخيرية والقدوة والأسوة في كل مجال من مجالات الحياة النافعة. وفي ذات السياق يأتي هذا الكتاب الذي يعدّ دراسة تتلمّس الطريق الصحيح نحو علاج الأمراض المتباينة التي تفتك بالحياة المعاصرة، وفي الوقت نفسه تقدم ملامح بناء المجتمع الإنساني على دعائم راسخة من القيم والمثل التي لا تجافي الفطرة، ولا تنبو عن الواقع، ولا تسبح في عالم من الأوهام والأحلام، وتحقق للإنسان فرداً وجماعة في كل زمان ومكان ما تصبو إليه نفسه من الطهر الروحي والمادي.



أحييكم وأهنئكم بصدور مجلة «التواصل» التي تمتاز بالبساطة في المظهر، والرصانة في الإخراج، والمعاصرة والغزارة في المحتوى والتنوع في الموضوعات فتهنئة لنا جميعاً بمولد هذه المطبوعة الحية الجادة وتحية تقدير وإجلال للذين عانوا ويعانون من أجل دفعها في خضم الحياة الفكرية والثقافية بفكر نيّر وقاد، وأعرف أنهم ليسوا على سجية أبي الطيب المتنبي فلا ينامون قريري العين عن شواردها وإنما يظلون يتابعون أثرها وتأثيرها ويجتهدون لإثرائها وتطويرها. فأتمنى لهم مزيداً من الإبداع والعزم لاستئناف انطلاق النهضة الفكرية والثقافية التي تكررت كبوتها وطال سباتها.

محمد أحمد زمياط

جزر المالديف

أمين تحرير فصلية «التواصل» جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السلام عليكم ورحمة الله...

لا تملك مع «التواصل» إلا التواصل ـ هذه الرائعة الصحفية التي لم تأت جسداً جميلاً فحسب بل وروحاً يبعث الدفء في الأحرف والكلمات والأسطر، فتراها حية متألقة. تملكتني «التواصل» وأسرت عقلي بما جادت به من قضايا، وتحليلات، وهي وإذ تحتل منا هذه المكانة فإننا ننحني تقديراً للجهود التي أبدعتها.. ودعاءً بأن تبقى «التواصل» جسراً للتواصل لا ينقطع.

مودتي وتقديري..

أخوكم / الهادي الورفلي

مدير عام المكتبة القومية المركزية/ طرابلس ـ ليبيا

تحية طيبة وبعد:

لقد جاء الغلاف الأول لمطبوعة (التواصل) مرتكزاً على نقاط منطلقاتها وأهدافها كمجلة ثقافية فصلية شاملة، تصدر عن مؤسسة إسلامية لها باع كبير وتاريخ حافل في التواصل مع الفكر والثقافة، وضعته ضمن أهداف تأسيسها التي سعت إلى تحقيقها على مدى عقودٍ ثلاثة في مختلف مجالات الثقافة، وعززته تواصلاً بالحوار والبرامج التي تخدمُ الحضارة الإنسانية، وتهيئُ الإنسان تربوياً وفكرياً.

إن أهم طرح يجب أن تبدأ به (التواصل) خطواتها نحو ترسيخ ذاتها وإثبات شخصيتها، قضايا الثقافة والفكر، حتى ترسم في عالم الصحافة علامتها المميزة كمطبوعة للتواصل الثقافي المستمر، وصلة لن تنقطع مع الجميع، ورافداً يصب في نهر الثقافة العربية الإسلامية الواسع، وهو المقياس الذي رسمت المجلة حروفه على غلافها الداخلي.

لقد شدني ذلك التناغم الموضوعي والشكلي الذي ربط بين رافدين من روافد المطبوعة في التبويب، وهما (المقالات) و(قضايا وآراء) حيث خففت موسيقاه من ذاك الثقل الدسم الذي ملأ هيكلية المقالات الفكرية والثقافية، واستراحت النفس لما جاء وقُدِّمَ لها على مائدة الفكر من تنوع في مضمون القضايا والآراء، وأطعمت العقل بالعديد من المفاهيم في مجالات الحوار والحضارات والثقافات.

مصطفى أبو بكر لاغة

كاتب صحفي/ سورينام

بعد التحية والسلام

أود أن أسجل شكري وتقديري وغبطتي وابتهاجي بصدور العدد الأول من مجلة التواصل، هذا المنبر الحر، والتي نعدّها مجلة كل المسلمين، وقد اطلعت على هذه المجلة وأعجبت بالمواضيع التي طالعتها على صفحاتها، ونعدكم بأننا سنكون من كتّابها وقرائها من هنا من مدينة كانو إحدى ديار الإسلام التاريخية.

الداعية إسماعيل الحاج إدريس حسن

كانو/ نيجيريا

نبعث لسيادتكم بأجمل التهاني لصدور العدد الأول من مجلة «التواصل» الممتازة تحريراً وإخراجاً ومادة وطباعة، والتي نأمل أن تجد الدعم المناسب لكي تصبح مجلة شهرية توزع في كافة أقطار العالم الإسلامي بأسعار مناسبة لتسد فراغاً كبيراً في الإعلام الإسلامي المستنير. نكرر تهانينا وندعو الله لكم بالتوفيق والسداد دائماً.

جعل الله ذلك في ميزانكم، وتقبّل منكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير المركز العربي الدولي/ القاهرة

سمير الهضيبي

أتقدم إليكم بالتهنئة بمناسبة صدور العدد الأول من مجلة التواصل بمواضيعها القيّمة وحلّتها الأنيقة وتقنيتها التي تشي بمستقبل زاهر إن شاء الله.

تحياتي وتقديري لكم ولكل العاملين معكم وتمنياتي المخلصة بالنجاح والتوفيق.

وتفضلوا بقبول فائق التقدير والاحترام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد السعدي

المركز الإسلامي/ مالطا

التواصل مجلة جديدة تحمل رسالة ثقافية جادة في عمل صحفي إبداعي متكامل يظهر في إطار جذاب ومشرق منير.

ويشكل في نفس الوقت مكتبة مرجعية مهمة للعديد من الموضوعات والدراسات.

نقول لأهلنا في «التواصل».. أهلاً.. مرحب.. مرحبتين.

سعد نافو

كاتب صحفي / ليبيا

بعد التحية

اطلعت بمنتهى الغبطة والسرور على مجلة (التواصل) ذلك الحلم الذي أصبح بجهودكم المخلصة حقيقة، وبموضوعية وبصبر جُبِلَ على تتبع الكلمة وأوعيتها بجميع أشكالها، وبصيرة تدرك أهمية الكلمة الإعلامية وأدوات توصيلها للتواصل بين بني البشر لتبدأ رحلة التعارف الإيجابي، ومن هذا المنطلق الذي يختلف مع من يرى أن الإعلام في مجمله ما هو إلا سقط متاع، أقدم هذه الملاحظات:

إذا تدبرنا في العدد بموضوعية وواقعية دون إطلاق حسب الإمكانيات المتاحة سنرى أن النتيجة أكثر من رائعة شكلاً ومضموناً، وخاصة إذا تمّت مقارنتها بإصدارات أخرى تفوق إمكانياتها ما وفرناه نحن لوليدنا الذي ولد بعناية من الله والجهود المخلصة للمجموعة في أبهى صورة وأتم صحة والحمد لله.

❖ بالرغم من تكامل أبواب المجلة وشموليتها إلا أنني أرى ضرورة إعادة النظر في تنسيقها من حيث التقديم والتأخير..

❖ أدعو لكم بالتوفيق والمزيد من الجهد والصبر خدمة لمشروع حضاري نسعى لتقديمه للناس،... وأضع نفسي تحت تصرّفكم للمساهمة في إنجاح هذا المشروع الهام..

محمد الشحومي

كاتب صحفي / ليبيا

..ونتواصل

«إذا لم يكن بين يديك إلاّ مطرقة، فكل ما تراه أمامك مسمار»

هذه مقولة قالها ابراهام ماسلو، أحد أشهر علماء الإدارة في العصر الحديث.. وهي مقولةٌ لا تنعكس طرداً.

في عالم الفكر والثقافة تكثر المسامير، وتقلّ المطارق، بل إنَّ من المسامير ما يبلغ حدّاً من العناد لا يلين لمطرقة، ولو أهويتَ عليه بمطارق الدنيا كلّها، قد ينكسر أو ينثني لكنه لا ينغرز.

والمثقّف العربي اليوم تكاثرت عليه المسامير، وانكسرت مطرقته منذ أمد بعيد، وراح يضرب رأسه في كلِّ شيء لا يُبَالي إِن شُجَّ رأسُه ولم يُفْلَق الحجر.

وقديماً قال الشاعر:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوَعْلُ

إنَّ المثقَّفَ اليوم: كاتباً، أو أستاذاً، أو باحثاً يَنُوءُ بما حُمِّل من تبعات أقلها انتشال الأمّة من وهدتها. فالأعين ترنو إليه شاخصةً وكأنه أملُها الوحيد، وهي لا تدري أنّه فارسٌ ترجّل إذ تعثَّرَ جوادُه، وتخشّب سيفُه، وصار يقارع الوهمَ... دون كيخوته يقاتل طواحين الريح.

المثقّف اليوم في أعين الناس، مهدي هذا الزمان، المخلِّص الذي يأتي وقد لا يأتي، حاملاً عصاً سحرية يضربُ بها أوثان الدنيا.. ولكن يطولُ انتظار المترقب، وما أبطأه من انتظار وما أطوله..

كِليني لهمٍّ يا أميمةَ ناصبِ

وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكبِ

لقد صوَّر المثقّف ما يعانيه من شدَّة، فكتب عن «أزمة المثقف العربي» و«المثقف العربي: الرهان الخاسر»، و«المثقف العربي: الصوت والصدى».

لقد حُمِّل المثقفُ العربي أكثر مما يحتمل، وكأنَّ إصلاح ما فسد من حياتنا الثقافية والسياسية قد أُنيط به وحده. ولعلَّ هذا من آفات شعوبنا.. تنتظر دوماً مهدياً منتظراً، وكبش فداء، إن نجح أقاموا له صنماً تعبّدوه، وإن أخفق أمطروه باللعنات ونعتوه بالحمق والتهوّر، والسذاجة والسطحية.

مسكين المثقف في عالمنا العربي.. علّه يعرف أكثرَ مما يجب أن يعرف، في زمن صار فيه الجهلُ فضيلةً. والجهلُ رذيلةٌ مهما أُسبغ عليه من أوصاف.

ولكن حينما يتفرّد المرءُ بمعرفة أشياءَ يجهلها الآخرون، ويشعر بالعجز عن الإفصاح عنها، يكون جهله بها خيراً له..

ورحم الله الشاعر الذي يقول:

خلت الديارُ فسُدْتُ غير مُسَوَّد

ومن الشقاءِ تفرّدي بالسؤدد

وقد لا نعجب إذا علمنا أن ثمة كتاباً يحمل عنواناً مثيراً هو (انسيكلوبيديا (موسوعة) الجهل Encyclopedia of Ignorance) لا يفصح ظاهره عن باطنه، إذ أنه يحكي عن الخوض في الآفاق المجهولة، والإبحار إلى جزائر أبكار لم تدنّس عفافها أقدام قذرة، إنها عفّة المعرفة وطهر الخطاب الذي ندعو مثقفينا أن يتواصلوا به مع الآخر، أو على الأقل أن يتواصلوا به مع أنفسهم وبني جلدتهم.



مجلة فصلية ثقافية تتناول بالدراسة والتحليل

عـددا من القضايا والموضوعات مثل:

- ❖ الدعوة الإسلامية: حاضرها ومستقبلها.
- ❖ الدعوة: المناهج والمعوقات.
- ❖ الاجتهاد والتقليد.
- ❖ المسلم المعاصر في مواجهة التحديات.
- ❖ الشرق والغرب: جدلية الزمان والمكان.
- ❖ أصول الفقه الإسلامي: بين إبداع الأوائل وعجز الأواخر (الحاجة إلى تطوير علم الأصول).
- ❖ مناهج التفكير بين الخلق والاستيراد.
- ❖ علم الانسان (الانتروبولوجيا) الثقافية والاستعمار.
- ❖ الإنسان المعاصر: دعوة إلى صناعة غربية (أنسنة الآخر).
- ❖ آداب الجدل والحوار.
- ❖ المسلمون والاستعمار الجديد.
- ❖ الفتوى والفتوى المضادة.
- ❖ مرتكزات الهوية ووسائل الحفاظ عليها.
- ❖ الإعلام والدعوة.
- ❖ الاقتصاد الإسلامي.
- ❖ العولمة واستبعاد الآخر (الجانب الديني والاقتصادي، والاجتماعي والسياسي).
- ❖ بين الرعية والمواطنة: تحديث السياسة الشرعية.
- ❖ أوهام النهايات:
  - نهاية التاريخ.
  - نهاية الإستشراق.
  - نهاية الدولة.
- ❖ التغريب الجديد.
- ❖ صراع الأنا والآخر.
- ❖ الحركات الإسلامية المعاصرة: نظرة موضوعية.
- ❖ فقه الفضائيات.. إلى أين؟
- ❖ الإرهاب صناعة غربية.
- ❖ حرب المعلومات.
- ❖ خرافة العالم الجديد.
- ❖ المجامع الفقهية: لماذا؟ وإلى أين؟
- ❖ الإسلام: من الدين إلى المؤسسة.
- ❖ الإستشراق تأثره وتأثيره.
- ❖ حوار الحضارات.
- ❖ مقارنة العقائد.
- ❖ الحوار بين أتباع الرسالات.
- ❖ الصحوة الإسلامية: رؤية مستقبلية.

هذه دعوة

لجميع الكتّاب للمساهمة في مناقشة وعرض واثراء هذه المواضيع وغيرها مما يخدم (التواصل).

الدعوة الإسلامية

تطبع في الجماهيرية وتوزع في جميع انحاء العالم

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾



﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾

الدعوة الإسلامية

موقع صحيفة الدعوة الإسلامية على شبكة المعلومات الدولية
www.wics-ly.org
البريد الإلكتروني
daawa@wics-ly.org
adaawah@hotmail.com

الثمن 250 درهما — العدد 849

الأربعاء 7 من شهر صفر الموافق (4) الطير 1371 من وفاة الرسول ﷺ - 2003 مسيحي

اختتام المؤتمر العالمي الأول للمسلمين الناطقين بالاسبانية

قيادات الجبهة الوطنية لتحرير مورو ووفد الحكومة الفلبينية: يزورون جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

المسلمون الناطقون بالاسبانية يقدرون جهود القائد

القيادة الشعبية الإسلامية العالمية تنظم ندوة:

الشباب المسلم والسلام العالمي

CONFERENCE
MUSLIM YOUTH AND WORLD PEACE

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف﴾

AL-ISLAMIA

website: www.wics-ly.org
e-mail: adaawah@hotmail.com

Established by the World Islamic Call Society in 1409 P.B (1980 A.D)

No. 823

...rs to Website

...triked Civilians in Gaza

WIPL Statement On The Us adminstration's decions to consider Al-Quds capital of the Zionist enemy

The Islamic people's leadership WIPL has received a number of cables and phone contacts from Islamic activists, organizations and associations from all over the world.

They all condemned the American administration decision to consider Al-Quds a capital of the Zionist enemy, violating all international laws, norms and charters, and brushing a side scores of UN resolution which confirm the right of Muslims to Al-Quds.

تنفيذ وطباعة : شركة الآن للطباعة والنشر